جمع الفنون

في شرح جملة متون لعقائد

أهل السنة

على المذاهب الأربعة

بقلم

د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

جمع الفنون

في شرح جملة متون العقائد

أهل السنة

على المذاهب الأربعة

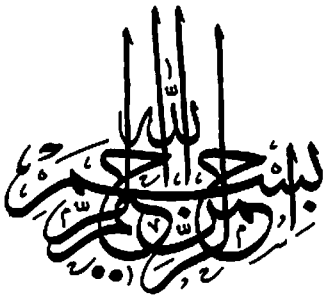

قامت بطباعته وإخراجه

دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع

المركز الرئيسي : الكويت ـ الجهراء ـ مجمع كاظمة التجاري

هاتف : ٤٥٥٧٥٥٩ فاكس : ٤٥٥٧٥٥٨

ص ب : ١٥١٣ الرمز البريدي : 01017 الجهراء

فرع حولي : شارع الحسن البصري ، ق ٣٧ قسيمة ١٠ ، محل رقم ٣

تلفاكس : ٢٦٤١٧٩٧

جمع الفنون

في شرح جملة متون لعقائد أهل السنة على المذاهب الأربعة

بقلم

د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

الجزء الأول

دار الوطن للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ / ١٩٩٧م

حقوق الطبع محفوظة
لدار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع
لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو إعادة طبعه أو تصويره أو اختزان مادته ،
بطريقة الاسترجاع أو نقله بأية صورة دون موافقة كتابية مسبقة من الدار .

الناشر
دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد.

فإن اجتماع الأمة على عقيدة واحدة، عقيدة أهل السنة والجماعة، واجب شرعي ديني، ومطلب مهم جداً وضروري، خصوصاً أن بعض الطوائف من هذه الأمة قد خالفت عقيدة أهل السنة في مسائل عدة، وأدى ذلك إلى افتراق الأمة وتفرقها، لذلك كان لا بد من محاولة جمعها على عقيدة واحدة عقيدة السلف أبي حنيفة ومالك، والشافعي وأحمد،

الذين صاروا هم الأئمة المتبوعين أصحاب المذاهب المنتشرة في الآفاق، والذين ينتمي إليهم عدد من الطوائف المنحرفة عن صراط أهل الحق ولما كان هؤلاء الأئمة متفقين في جملة مسائل أصول الدين ـ وإن اختلفوا في بعض الفروع والأحكام جمعت هذا الكتاب لأثبت أنهم على عقيدة واحدة، وحرصت على أن أبين عقيدة كل منهم على حدة مع شرح أحد المتون في العقيدة على مذهبه، وقسمت الكتاب إلى أربعة أبواب:

الباب الأول: العقيدة على مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله (ت١٥٠هـ)

وفيه أربعة فصول:

الأول: عقيدة الإمام أبي حنيفة من كتبه وأقواله مع شرح ميسر لها.

الثاني: شرح كتاب الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة.

الثالث: شرح كتاب الفقه الأبسط المنسوب لأبي حنيفة.

الرابع: شرح العقيدة الطحاوية الميسر.

الباب الثاني: العقيدة على مذهب الإمام مالك بن أنس (ت١٧٩هـ)

وفيه فصلان:

الأول: عقيدة الإمام مالك من كتبه وأقواله مع شرح ميسر لها.

الثاني: شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني الميسر.

الباب الثالث: العقيدة على مذهب الإمام الشافعي (ت٢٠٤هـ)

وفيه فصلان:

الأول: عقيدة الإمام الشافعي من كتبه وأقواله مع شرح ميسر لها.

الثاني: شرح كتاب الإيمان للمليباري الشافعي.

الباب الرابع: العقيدة على مذهب الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)

وفيه خمسة فصول:

١ ـ عقيدة الإمام أحمد من كتبه وأقواله.

٢ ـ شرح القواعد الأربع.

٣ ـ شرح رسالة في معنى التوحيد للإمام محمد بن عبدالوهاب التميمي.

٤ ـ شرح رسالة في الطاغوت للإمام محمد بن عبدالوهاب التميمي.

٥ ـ شرح كتاب كشف الشبهات في التوحيد للإمام محمد بن عبدالوهاب التميمي.

هذا والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يجعله في ميزان حسناتي، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

بقلم: د. محمد عبدالرحمن الخميس

الباب الأول: العقيدة على مذهب الإمام أبي حنيفة

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: عقيدة الإمام أبي حنيفة مع شرح ميسر لها

الفصل الثاني: شرح كتاب الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة

الفصل الثالث: شرح العقيدة الطحاوية الميسر

الفصل الرابع: شرح كتاب الفقه الأبسط المنسوب لأبي حنيفة

الفصل الأول:

عقيدة الإمام أبي حنيفة
النعمان بن ثابت الكوفي
رحمه الله تعالى (٨٠-١٥٠هـ)

الدكتور محمد بن عبدالرحمن الخُمَيِّس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد:

فهذه مقتطفات ونقول من كلام الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى توضح عقيدته في التوحيد والصفات والقدر، والإيمان، والصحابة،

وموقفه من المتكلمين، ومن علم الكلام، إلى جانب ما يوضح نهيه عن بعض وسائل الشرك وتحذيره منها، وكذلك بعض صور الشرك الواقعة التي حذر منها هو وأتباعه.

وقد علقت على بعضها بما رأيته يتمم الفائدة، وجعلت لكل فصل خلاصة، أتبعتها بأسئلة للمناقشة لتحريك القارىء وزيادة الفائدة، والله أسأل القبول والسداد وهو حسبي ونعم الوكيل.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

بقلم

د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

المبحث الأول

عقيدة الإمام أبي حنيفة في التوحيد(*)

أولاً: عقيدته في توحيد الله وبيان التوسل الشرعي وإبطال التوسل البدعي:

إن مسألة التوسل مسألة خطيرة، وهو مما كثر فيه الابتداع والاختلاف عند الجهال وأهل الأهواء، وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن من التوسل ما هو مشروع وما هو مبتدع ممنوع،

(*) يستفاد من نصوص الكتاب والسنة الواردة في شأن التوحيد أنه ثلاثة أنواع:

(١) توحيد الربوبية: أي اعتقاد أن الله تعالى هو المنفرد بالخلق والتدبير والتصرف في الكون والإقرار بذلك.

(٢) توحيد الألوهية: أي اعتقاد أن الله تعالى هو المستحق للعبادة دون غيره من المعبودات الباطلة، وصرف جميع أنواع العبادة له سبحانه وعدم الإشراك معه فيها.

(٣) توحيد الأسماء والصفات: أي تسمية الله تعالى ووصفه بما ورد في الكتاب والسنة من الأسماء الحسنى والصفات العلى، مع اعتقاد دلالتها على كل معاني الكمال اللائقة بالله، وإثبات حقيقة معانيها مع التقسيمات مثل قوله: (لا وصف الله تعالى بصفات المخلوقين). وقوله: «لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء بل يصفه بما وصف به نفسه».
وقوله: (والله تعالى يدعى من أعلى لا من أسفل لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء).. إلخ ما ورد عنه من النصوص في هذا الباب، والتي سيأتي سياق الكثير منها. وفيها رد على من جعل هذا التقسيم تقسيما محدثا وأنه إنما أحدثه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

فالمشروع من التوسل ثلاثة أنواع:

١ ـ التوسل بأسماء الله وصفاته، لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾. [الأعراف: ١٨٠].

٢ ـ التوسل بالعمل الصالح والدعاء به، كما ورد في قصة أصحاب الغار الثلاثة.

٣ ـ التوسل بدعاء الرجل الصالح، لفعل هؤلاء الذين كانوا يأتون النبي ﷺ فيسألونه الدعاء لهم.

وما سوى ذلك من التوسل فإنه مبتدع ممنوع.

والإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى: كان شديد الاحتياط في هذا الباب، حتى إنه كان يكره التوسل بالألفاظ التي تحتمل معاني سليمة ومعاني فاسدة وكان ينهى عنها، ومن ذلك: «وأكره أن يقول: بمعاقد العز من عرشك أو بحق خلقك». إلى غير ذلك مما يأتي بيانه من نصوصه رحمه الله في الباب بينما نرى أن الكثير من الناس قد انحرفوا فصاروا يأتون المبتدع والفاسد من أبواب التوسل، وينعتون من نهاهم عن ذلك وخالفهم بأنه لا يحب الأولياء والأنبياء، فالله المستعان.

(١) قال أبو حنيفة رحمه الله في شأن التوسل الشرعي الجائز والنهي عن التوسل البدعي: (لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به والدعاء المأذون فيه المأمور به ما استفيد من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[1] [الأعراف: ١٨٠].

(١) الدر المختار مع حاشية رد المحتار (٦/٣٩٦، ٣٩٧).

(٢) قال أبو حنيفة: يكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام)[١].

(٣) وقال أبو حنيفة: (لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به وأكره أن يقول بمعاقد العز من عرشك[٢]، أو بحق خلقك)[٣].

ثانيا: قوله في إثبات الصفات والرد على الجهمية:

(٤) وقال: (لا يوصف الله تعالى بصفات المخلوقين، وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف، وهو قول أهل السُّنَّة والجماعة[٤] وهو يغضب ويرضى ولا يقال: غضبه عقوبته ورضاه ثوابه، ونصفه كما وصف نفسه: أحدٌ صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد،

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٢٣٤، وإتحاف السادة المتقين ٢/٢٨٥، وشرح الفقه الأكبر للقاري ص١٩٨.

(٢) كره الإمام أبو حنيفة ومحمد بن الحسن أن يقول الرجل في دعائه: «اللهم إني أسألك بمعقد العزّ من عرشك» لعدم وجود النص في الإذن به، وأما أبو يوسف فقد جوّزه لوقوفه على نص من السُّنَّة، وفيه أن النبي ﷺ، كان من دعائه: «اللهم إني أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك».. وهذا الحديث أخرجه البيهقي في كتاب الدعوات الكبيرة كما في البناية ٩/٣٨٢، ونصب الراية (٤/٢٧٢)، وفي إسناده ثلاثة أمور قادحة:

١ ــ عدم سماع داود بن أبي عاصم لابن مسعود.

٢ ــ عبدالملك بن جريج مدلس ويرسل

٣ ــ عمر بن هارون متهم بالكذب من أجل ذلك قال ابن الجوزي كما في البناية (٩/٣٨٢): (هذا حديث موضوع بلا شك وإسناده محبط كما ترى).

(٣) انظر تهذيب التهذيب (٣/١٨٩)، (٦/٤٠٥)، (٧/٥٠١).

(٤) نلاحظ أن الإمام رحمه الله استعمل مصطلح أهل السنة والجماعة، وهذا دليل على أن هذا الاصطلاح كان معروفاً في العصور المتقدمة، لأن أبا حنيفة رحمه الله ولد سنة (٨٠هـ) وتوفي سنة (١٥٠هـ) وذلك لأن أكثر فرق الضلال في مسائل أصول الدين قد ظهرت في أواخر عهد الصحابة وكثرت في عهد التابعين ومن بعدهم من السلف، من هنا ظهرت الحاجة للتمايز بين أتباع السنة المطهرة، وبين أهل الأهواء فظهرت تلك التسمية لتميز أهل السنة من أهل البدع.

حيٌّ قادر سميع بصير عالم، يد الله فوق أيديهم ليست كأيدي خلقه ووجهه ليس كوجوه خلقه)[١].

(٥) وقال: (وله يد ووجه ونفس، كما ذكره الله تعالى في القرآن، فما ذكره تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس، فهو له صفات بلا كيف ولا يقال إن يده قدرته أو نعمته، لأن فيه إبطال الصفة وهو قول أهل القدر والاعتزال)[٢].

(٦) وقال: (لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء بل يصفه بما وصف به نفسه ولا يقول فيه برأيه شيئاً تبارك الله وتعالى رب العالمين)[٣].

(٧) ولما سئل عن النزول الإلهي قال: (ينزل بلا كيف)[٤].

(٨) وقال أبو حنيفة: (والله تعالى يُدعى من أعلى لا من أسفل؛ لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء)[٥].

(٩) وقال: (وهو يغضب ويرضى ولايقال غضبه عقوبته ورضاه ثوابه)[٦].

---

(١) الفقه الأبسط ص٥٦.

(٢) الفقه الأكبر ص١٠٢.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (٢/٤٢٧)، تحقيق د. التركي، وجلاء العينين ص٣٦٨.

(٤) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص٤٢، ط دار السلفية، الأسماء والصفات للبيهقي ص٤٥٦، وسكت عليه الكوثري، وشرح العقيدة الطحاوية ص٢٤٥، تخريج الألباني، وشرح الفقه الأكبر للقاري ص٦٠.

(٥) الفقه الأبسط ص ٥١.

(٦) الفقه الأبسط ص ٥٦، وسكت عليه محقق الكتاب الكوثري.

(١٠) وقال: ولا يشبه شيئاً من الأشياء من خلقه ولايشبه من خلقه لم يزل ولايزال بأسمائه وصفاته)[١].

(١١) وقال: (وصفاته بخلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا، ويسمع لا كسمعنا، ويتكلم لا ككلامنا)[٢].

(١٢) وقال: (لايوصف الله تعالى بصفات المخلوقين)[٣].

(١٣) وقال: (ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر[٤] وهذا كما ورد عن الإمام نعيم بن حماد رحمه الله تعالى: (من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن نفى عن الله ما وصف به نفسه فقد كفر...) وهذا هو قول السلف قاطبة.

(١٤) وقال: (وصفاته الذاتية والفعلية، إما الذاتية: فالحياة والقدرة والعلم والكلام والسمع والبصر والإرادة، وأما الفعلية: فالتخليق والترزيق والإنشاء والإبداع والصنع وغير ذلك من صفات الفعل لم يزل ولايزال بأسمائه وصفاته)[٥].

(١٥) وقال: (ولم يزل فاعلاً بفعله والفعل صفة في (الأزل)[٦]

---

(١) الفقه الأكبر ص ٣٠١.
(٢) الفقه الأكبر ٣٠٢.
(٣) الفقه الأبسط ص ٥٦.
(٤) العقيدة الطحاوية بتعليق الألباني ص ٢٥.
(٥) الفقه الأكبر ٣٠١.
(٦) الأزل: القِدَم بلا بداية.

والفاعل هو الله تعالى والفعل صفة في الأزل والمفعول مخلوق وفعل الله تعالى غير مخلوق)[١].

(١٦) وقال: (من قال لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فقد كفر، وكذا من قال إنه على العرش ولا أدري: العرشُ أفي السماء أم في الأرض)[٢].

(١٧) وقال للمرأة التي سألته أين إلهك الذي تعبده قال: (إن الله سبحانه وتعالى في السماء دون الأرض، فقال له رجل: أرأيت قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤] قال: هو كما تكتب للرجل إني معك وأنت غائب عنه)[٣].

(١٨) وقال كذلك: (يد الله فوق أيديهم ليست كأيدي خلقه)[٤].

(١٩) وقال: (إن الله سبحانه وتعالى في السماء دون الأرض، فقال له رجل: أرأيت قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤] قال: هو كما تكتب لرجل إني معك وأنت غائب عنه)[٥].

---

(١) الفقه الأكبر ص ٣٠١.

(٢) الفقه الأبسط ص ٤٦، ونقل نحو هذا اللفظ شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوي (٤٨/٥)، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٣٩، والذهبي في العلو ص ١٠١، ١٠٢، وابن قدامة في العلو ص ١١٦، وابن أبي العزّ في شرح الطحاوية ص ٣٠١، ويلاحظ من هذا النص أن الإمام أبا حنيفة رحمه الله قد كفّر من لم ير إثبات صفة العلو بكل أنواعها لله تعالى من علو الذات والشأن والقهر، فكيف بهذا الزمان الذي كثر فيه القائلون بأنه تعالى في كل مكان، أو بأنه تعالى ليس له جهة، وأنه لا داخل العالم ولا خارجه - إلخ هذا الهراء.

(٣) الأسماء والصفات ص ٤٢٩.

(٤) الفقه الأبسط ص ٥٦.

(٥) الأسماء والصفات (١٧٠/٢).

(٢٠) وقال: (قد كان متكلماً ولم يكن كلم موسى عليه السلام)[١].

(٢١) وقال: (ومتكلماً بكلامه والكلام صفة في الأزل)[٢].

(٢٢) وقال: (ويتكلم لا ككلامنا)[٣].

(٢٣) وقال: (وسمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى كما قال الله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤] وقد كان الله تعالى متكلماً ولم يكن كلم موسى عليه السلام)[٤].

(٢٤) وقال: (والقرآن كلام الله في المصاحف مكتوب وفي القلوب محفوظ، وعلى الألسن مقروء، وعلى النبي ﷺ، أنزل)[٥].

(٢٥) وقال (والقرآن غير مخلوق)[٦].

الخلاصة:

١ ــ كره الإمام أبو حنيفة لله تعالى التوسل بالألفاظ التي لم يرد بها نص صحيح.

٢ ــ أثبت الإمام أبو حنيفة الله تعالى كل الأسماء والصفات الحسنى الثابتة له سبحانه على الوجه اللائق به سبحانه، مع تنزيهه عز وجل عن المشابهة لخلقه أو مشابهة خلقه له.

---

(١) الفقه الأكبر ص ٣٠٢.
(٢) الفقه الأكبر ص ٣٠١.
(٣) الفقه الأكبر ص ٣٠٢.
(٤) الفقه الأكبر ص ٣٠٢.
(٥) الفقه الأكبر ص ٣٠١.
(٦) الفقه الأكبر ص ٣٠١.

٣ ــ ذهب أبو حنيفة رحمه الله إلى تكفير منكر صفة العلو لله تعالى.
٤ ــ يؤمن الإمام أبو حنيفة بأن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق.
٥ ــ ورد ذكر أقسام التوحيد الثلاثة في كلام أبي حنيفة رحمه الله تعالى وهي: توحيد الألوهية ـ الربوبية ـ الأسماء والصفات.

المناقشة:

س١ ــ ماهي أنواع التوسل الجائز؟ اذكر دليلاً واحداً لكل منها.
س٢ ــ ما موقف الإمام أبي حنيفة رحمه الله من الألفاظ التي يتوسل بها الناس؟
س٣ ــ تكلم بإيجاز عن عقيدة أبي حنيفة في الأسماء والصفات الإلهية؟
س٤ ــ ماهي عقيدة أبي حنيفة رحمه الله في القرآن؟
س٥ ــ اذكر نصاً عن أبي حنيفة رحمه الله يوضح حكمه فيمن نفى صفة العلو عن الله تعالى؟
س٦ ــ ما المقصود بمصطلح: أهل السنة والجماعة ومتى ظهر؟
س٧ ــ ماهي أنواع التوحيد؟ وما موقف أبي حنيفة من هذه التقسيمات؟!

المبحث الثاني

عقيدة الإمام أبي حنيفة في القدر وإثبات مراتبه

لقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن للإيمان بالقدر أربع مراتب لايتم إلا بها كلها:

١ ــ الإيمان بالعلم الإلهي السابق.
٢ ــ الإيمان بالكتابة لكل كائن، وذلك أزلاً في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض.
٣ ــ الإيمان بالإرادة الإلهية الشاملة لكل مخلوق، ولأفعال العباد وغيرها.
٤ ــ الإيمان بالخلق: فكل شيء كائن وموجود فالله تعالى هو الذي خلقه. وسيأتي في كلام الإمام رحمه الله مايشير إلى كل من هذه المراتب على حدة.

(١) جاء رجل إلى الإمام أبي حنيفة يجادله في القدر فقال: له (أما علمت أن الناظر في القدر كالناظر في عيني الشمس كلما ازداد نظراً ازداد تحيراً)[1].

(١) قلائد عقود العقيان (ق ـ ٧٧ ـ ب).

ومقصوده رحمه الله بذلك هو التحذير من الخوض في المغيبات ومحاولة الفحص فيها وليس مقصوده إثبات مراتب القدر السابق ذكرها.

(٢) يقول الإمام أبو حنيفة: (وكان الله تعالى عالماً في الأزل بالأشياء قبل كونها)[١].

(٣) وقال: (يعلم الله تعالى المعدوم في حالة عدمه معدوماً، ويعلم أنه كيف يكون إذا أوجده، ويعلم الله تعالى الموجود في حال وجوده موجوداً ويعلم كيف يكون فناؤه)[٢].

(٤) يقول الإمام أبو حنيفة: (وقدره في اللوح المحفوظ)[٣].

(٥) وقال: (ونقر بأن الله تعالى أمر بالقلم أن يكتب فقال القلم: ماذا أكتب يارب؟ فقال الله تعالى: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣])[٤].

(٦) وقال الإمام أبو حنيفة: «ولا يكون في الدنيا ولا في الآخرة شيء إلا بمشيئته)[٥].

(٧) ويقول الإمام أبو حنيفة: (خلق الله الأشياء لا من شيء)[٦].

---

(١) الفقه الأكبر ص ٣٠٢، ٣٠٣.
(٢) الفقه الأكبر ص ٣٠٢ ، ٣٠٣.
(٣) الفقه الأكبر ص ٣٠٢.
(٤) الوصية مع شرحها ص ٢١.
(٥) الفقه الأكبر ص ٣٠٢.
(٦) الفقه الأكبر ص ٣٠٢.

(٨) وقال: (وكان الله تعالى خالقاً قبل أن يخلق)[١].

(٩) وقال: (ونقر بأن العبد مع أعماله وإقراره ومعرفته مخلوق، فلما كان الفاعل مخلوقاً فأفعاله أولى أن تكون مخلوقة)[٢].

(١٠) وقال: (جمع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم والله تعالى خلقها وهي كلها بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره)[٣].

(١١) قال الإمام أبو حنيفة: (وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة والله تعالى خلقها وهي كلها بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره، والطاعات كلها كانت واجبة بأمر الله تعالى وبمحبته وبرضاه وعلمه ومشيئته وقضائه وتقديره، والمعاصي كلها بعلمه وقضائه وتقديره ومشيئته لا بمحبته ولا برضائه ولا بأمره)[٤].

(١٢) وقال: (خلق الله تعالى الخلق سليماً من الكفر والإيمان[٥] ثم خاطبهم وأمرهم ونهاهم، فكفر من كفر بفعله وإنكاره وجحوده الحق بخذلان الله تعالى إياه، وآمن من آمن بفعله وإقراره وتصديقه بتوفيق الله تعالى ونصرته له)[٦].

(١٣) وقال: (وأخرج ذرية آدم من صلبه على صور الذر، فجعلهم عقلاء فخاطبهم وأمرهم بالإيمان ونهاهم عن الكفر، فأقروا له بالربوبية فكان ذلك منهم إيماناً فهم يولدون على تلك الفطرة، ومن كفر

---

(١) الفقه الأكبر ص ٣٠٤.
(٢) الوصية مع شرحها ص ١٤.
(٣) الفقه الأكبر ص ٣٠٣.
(٤) الفقه الأكبر ص ٣٠٣.
(٥) الصواب: خلق الله تعالى الخلق على فطرة الإسلام كما سيبينه أبو حنيفة في قوله الآتي.
(٦) الفقه الأكبر ص ٣٠٢، ٣٠٣.

كفر بعد ذلك فقد بدّل وغيَّر، ومن آمن وصدّق فقد ثبت عليه وداوم)[١].

(١٤) وقال: (وهو الذي قدّر الأشياء وقضاها ولايكون في الدنيا ولا في الآخرة شيء إلا بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره، وكتبه في اللوح المحفوظ)[٢].

(١٥) وقال: (لم يجبر أحداً من خلقه على الكفر ولا على الإيمان، ولكن خلقهم أشخاصاً والإيمان والكفر فعل العباد، ويعلم تعالى من يكفر في حال كفره كافراً، فإذا آمن بعد ذلك فإذا عَلِمه مؤمناً أحبه من غير أن يتغيّر علمه)[٣].

(١) الفقه الأكبر ٣٠٢.
(٢) الفقه الأكبر ص ٣٠٢.
(٣) الفقه الأكبر ص ٣٠٣.

المبحث الثالث

عقيدة الإمام أبي حنيفة في الإيمان

لقد دلت دلائل الكتاب والسنة على أن الإيمان تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، وأنه يزيد وينقص، وهذا ما ذهب إليه جماهير السلف رحمهم الله تعالى، ولكن هذه المسألة هي التي اختلف فيها أبو حنيفة رحمه الله مع باقي السلف حيث وردت عن نصوص تخالف ذلك فمنها أنه:

(١) قال: (والإيمان هو الإقرار والتصديق)[١].

(٢) وقال: (الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان والإقرار وحده لا يكون إيماناً)[٢]. ونقله الطحاوي عن أبي حنيفة وصاحبيه[٣].

(٣) وقال أبو حنيفة: (والإيمان لا يزيد ولا ينقص)[٤].

قلت: «قوله في عدم زيادة الإيمان ونقصانه وقوله في مسمى الإيمان وأنه تصديق بالجنان وإقرار باللسان وأن العمل خارج عن حقيقة الإيمان».

---

(١) الفقه الأكبر ص٣٠٤.

(٢) كتاب الوصية مع شرحها ص٢.

(٣) الطحاوية مع شرحها ص٣٦٠.

(٤) كتاب الوصية مع شرحها ص٣.

قوله هذا هو الفارق بين عقيدة الإمام أبي حنيفة في الإيمان وبين عقيدة سائر أئمة الإسلام مالك والشافعي وأحمد وإسحاق والبخاري وغيرهم والحق معهم، وقول أبي حنيفة مجانب[١] للصواب وهو مأجور في الحالين، وقد ذكر ابن عبدالبر وابن أبي العز ما يشعر أن أبا حنيفة رجع عن قوله والله أعلم[٢].

الخلاصة:

١ ـ يرى أبو حنيفة رحمه الله أن الإيمان هو الإقرار والتصديق فقط وأنه لا يزيد ولا ينقص.

٢ ـ يختلف جماهير السلف مع أبي حنيفة رحمه الله في هذا الباب.

المناقشة:

س١ ـ ما هو قول أبي حنيفة رحمه الله في الإيمان؟

س٢ ـ هل يتفق قوله مع قول الأئمة الباقية أم لا؟

---

(١) مجانب: مباعد ومفارق.

(٢) التمهيد لابن عبدالبر ٢٤٧/٩، شرح العقيدة الطحاوية ص٣٩٥.

المبحث الرابع

عقيدة الإمام أبي حنيفة في الصحابة

حرص أهل العلم رحمهم الله على ذكر القول في الصحابة ضمن أصولهم، وذلك لما أظهر أهل البدع والأهواء الطعن والقدح في أصحاب رسول الله ﷺ، كلهم أو بعضهم، ومن أهل العلم هؤلاء أبو حنيفة رحمه الله كما ترى في نصوصه الآتية:

(١) قال الإمام أبو حنيفة: (ولا نذكر أحداً من صحابة الرسول إلا بخير)[١].

(٢) وقال: (ولا نتبرأ من أحد من أصحاب الرسول ﷺ، ولا نوالي أحداً دون أحد)[٢].

(٣) ويقول: (مقام أحدهم مع رسول الله ﷺ، ساعة واحدة خير من عمل أحدنا جميع عمره وإن طال)[٣].

(٤) وقال: (ونقر بأن أفضل هذه الأمة بعد نبينا محمد ﷺ: أبو

(١) الفقه الأكبر ص٣٠٤.
(٢) الفقه الأبسط ص٤٠.
(٣) مناقب أبي حنيفة للمكي ص٧٦.

بكـر الصـديق، ثم عمـر، ثم عثـمان، ثم عـلي، رضـوان الله عليهم أجمعين)[١].

(٥) وقال: (أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ: أبو بكـر، وعمر، وعثـمان وعلي، ثم نكف عن جميع أصحاب رسـول الله ﷺ إلا بـذكـر جميل)[٢].

الخلاصة:

١ ــ ويرى الإمام أبو حنيفة وجوب تولي جميع الصحابة ومحبتهم.

٢ ــ يفضل أبو حنيفة الخلفاء الـراشدين عـلى باقي الصحـابة وأفضليتهم حسب ترتيبهم في الخلافة.

٣ ــ يرى أبو حنيفة وجوب الكف عن الصحابة وعدم ذكرهم إلا بخير.

المناقشة:

س١ ــ ما هو موقف أبي حنيفة رحمه الله من الصحابة؟

س٢ ــ من أفضل الصحابة عند الإمام أبي حنيفة؟

---

(١) الوصية مع شرحها ص١٤.

(٢) كما في النور اللامع (ق١١٩ ـ ب) عنه.

المبحث الخامس

نهيه عن الأهواء والخصومات والابتداع في الدين(*)

نهى أبو حنيفة رحمه الله تعالى عن مجالسة أهل الكلام وأهل الأهواء، والاستماع إليهم ونهى عن الاشتغال بعلم الكلام لما له من الضرر، وكثر نهيه عن ذلك، ووردت عنه في ذم الكلام وأهله آثار كثيرة، كما سيرى القارىء فيما يلي:

(١) قال الإمام أبو حنيفة: (أصحاب الأهواء في البصرة كثير، ودخلتها عشرين مرة ونيفاً وربما أقمت بها سنة أو أكثر أو أقل ظانّاً أن عِلْم الكلم أجلّ العلوم)[١].

(٢) وقال: (كنت أنظر في الكلام حتى بلغت مبلغاً يشار إليَّ فيه بالأصابع، وكنا نجلس بالقرب من حلقة حماد بن أبي سليمان فجاءتني امرأة فقالت: رجل له امرأة أمة أراد أن يطلقها للسنة كم يطلقها؟

(*) أهل الأهواء: هم الذين اتبعوا أهواءهم من تلك الفرق الضالة في أبواب الصفات والقدر والإيمان وغيرها، والابتداع: الإحداث في الدين بغير ما أذن به الله وشرعه وبغير أصل ثابت في شريعة الله تعالى.

(١) مناقب أبي حنيفة للكردي ص١٣٧.

فلم أدر ما أقول فأمرتها أن تسأل حماداً ثم ترجع فتخبرني فسألت حماداً فقال: يطلقها وهي طاهر من الحيض والجماع تطليقة ثم يتركها حتى تحيض حيضتين فإذا اغتسلت فقد حلّت للأزواج، فرجعت فأخبرتني فقلت: لا حاجة لي في الكلام وأخذت نعلي فجلست إلى حماد)[١].

(٣) وقال: (لعن الله عمرو بن عبيد فإنه فتح للناس الطريق إلى الكلام فيما لا ينفعهم في الكلام)[٢].

وسأله رجل وقال: (ما تقول فيما أحدثه الناس في الكلام في الأعراض والأجسام، فقال: (مقالات الفلاسفة عليك بالأثر وطريق السلف، وإياك وكل محدثة فإنها بدعة)[٣].

(٤) قال حماد ابن أبي حنيفة: (دخل عليّ أبي ـ رحمه الله ـ يوماً وعندي جماعة من أصحاب الكلام ونحن نتناظر في باب، قد علت أصواتنا فلما سمعت حسَّه في الدار خرجت إليه فقال لي يا حماد من عندك؟ قلت: فلان وفلان وفلان، سمَّيتُ من كان عندي، قال: وفيم أنتم؟.. قلت: في باب كذا وكذا، فقال لي: يا حماد دع الكلام ـ قال: ولم أعهد أبي صاحب تخليط ولا ممن يأمر بالشيء ثم ينهي عنه. فقلت له: يا أبت ألست كنت تأمرني به، قال: بلى يا بني وأنا اليوم أنهاك عنه، قلت: ولِمَ ذاك، فقال: يا بني إن هؤلاء المختلفين في أبواب

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/٣٣٣.

(٢) ذم الكلام للهروي ص٢٨ ـ٣١. ولعنه رحمه الله لعمرو بن عبيد للدلالة على خطورة بدعته التي فتح بابها، وإلا فإنه لا يجوز لعن المسلم.

(٣) ذم الكلام للهروي (١٩٤/ب).

من الكلام ممن ترى كانوا على قول واحد ودين واحد حتى نزغ الشيطان بينهم فألقى بينهم العداوة والاختلاف فتباينوا)[١].

(٥) وقال أبو حنيفة لأبي يوسف: (إياك أن تكلم العامة في أصول الدين من الكلام فإنهم قوم يقلدونك فيشتغلون بذلك)[٢].

هذه طائفة من أقواله ـ رحمه الله ـ وما يعتقده في مسائل أصول الدين وموقفه من الكلام والمتكلمين.

الخلاصة:

١ ــ كان أبو حنيفة رحمه الله تعالى ينهى عن علم الكلام وعن الجدل والخصومات في مسائل أصول الدين.

٢ ــ شدَّد رحمه الله على أهل الكلام لما فتحوه من الشر حتى إنه لعن عمرو بن عبيد.

المناقشة:

س١ ــ ما هو موقف أبي حنيفة رحمه الله من الكلام والمتكلمين؟

س٢ ــ من هم أهل الأهواء؟ وما المقصود بالابتداع في الدين؟

س٣ ــ ما السر في لعن أبي حنيفة رحمه الله لعمرو ابن عبيد؟

---

(١) مناقب أبي حنيفة للمكي ص١٨٣، ١٨٤.

(٢) مناقب أبي حنيفة للمكي ص٣٧٣.

المبحث السادس

نهيه عن الشرك ووسائله

لقد حرص الإسلام أشد الحرص على حماية جناب التوحيد الخالص لله تعالى، وعلى سدّ جميع منافذ الشرك بالله، والقضاء عليها، ولما كان الغلو في الصالحين من أهل القبور هو أول ذريعة من ذرائع الشرك وأقدمها وذلك كما حدث في قوم نوح عليه السلام، حيث كان بدء الشرك بالله تعالى عن طريق الغلو في الصالحين، كما ثبت ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره، لهذا حرص الإسلام على إغلاق هذه الأبواب.

وهكذا اشتد علماء أهل السنة رحمهم الله تعالى في الإنكار على المغالين في أهل القبور وجدّوا في حماية جناب التوحيد، ومنهم أبو حنيفة رحمه الله تعالى، كما نرى النقول عنه، وعن أصحابه وأتباعه في هذا الباب. أولاً وسائل الشرك:

جاء عن الإمام أبي حنيفة وأتباعه بالنهي عما هو من وسائل الشرك كتجصيص القبور والبناء عليها [1]

---

(١) لما أخرجه مسلم وغيره عن جابر: «نهى رسول الله ﷺ، عن تجصيص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه بناء» ولمعرفة موقف أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ وكثير من أتباعه من هذه القضايا راجع: بدائع الصنائع (١/٣٢٠)، تحفة الفقهاء (٢/٢٥٦)، المتانة ص(٢٠١)، وفتح الملهم (٢/١٢١، ١٢٢)، معارف السنن (٣/٣٠٥، ٣٠٧)، حاشية الطحاوي على مراقي الفلاح ص(٣٣٥)، حاشية رد المحتار لابن عابدين (٢/٢٣٧)، الفتاوى الهندية (١/١٩٤) البحر

وتعليتها[١] والكتابة عليها[٢] واتخاذها مساجد[٣] وإسراجها[٤] واستقبالها للصلاة والدعاء[٥] واتخاذها أعياداً[٦] وشد الرحال إليها[٧].

الرائق (١٩٤/٢)، المبسوط (٦٢/٢)، حاشية مراقي الفلاح (ص٤٠٥) والإبداع ١٩٧ وزيارة القبور ص٢٩.

(١) لما ورد عنه مسلم وغيره عن علي ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ، بعثه وأمره ألا يدع قبراً مشرفاً إلا سواه.
وللاستزادة في معرفة موقف أئمة الحنفية من ذلك راجع تبيين الحقائق للزيلعي (٢٦٤/١) فتح الملهم (٥٠٦/٢) وروح المعاني (٢٣٧/١٥) وفتح القدير (١٤١/٢).

(٢) لما أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما من حديث جابر أن النبي، نهى أن تجصص القبور وأن يكتب عليها» وللتعرف على موقف الحنفية راجع: بدائع الصنائع (٣٢٠/١) وتحفة الفقهاء (٢٥٦/٢) وتبيين الحقائق (٢٦٤/١) وحاشية مراقي الفلاح ومراقي الفلاح (٤٠٥) والإبداع ص١٩٧.

(٣) قال النبي ﷺ: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا متفق عليه، وقال: «ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك» أخرجه مسلم وغيره وراجع لمعرفة موقف الحنفية: تبيين الحقائق (٢٦٤/١) وروح المعاني (٢٣٧/١٥) والمرقاة في شرح المشكاة (٢٢/٢) والكواكب الدراري (٣١٦/١، ٣١٧) زيارة القبور للبرعوي ص٢٩. والمجالس الأربعة ص١٣.

(٤) في الحديث: «لعن رسول الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج» أخرجه أحمد والترمذي وغيرهما وراجع لمعرفة موقف الحنفية: الكواكب الدراري (٣١٧/١) والإبداع ص١٨٩ زيارة القبور ص٢٩ والمجالس الأربعة ص١٣.

(٥) أخرج مسلم وغيره أن النبي ﷺ، قال: «لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها» وقد كره أبو حنيفة استقبال قبر النبي، ﷺ، وقت الدعاء، وانظر: التوسل والوسيلة (ص٢٩٣) وروح المعاني (١٢٥/٦) ومجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر (٣١٣/١).

(٦) خرج أبو داود مرفوعاً: «لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبري عيداً وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم» وراجع لمعرفة موقف الحنفية: الإبداع ص١٨٥.

(٧) وخرج أحمد عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي للمطي أن تشد رحالها إلى مسجد يبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام مسجدي هذا والمسجد الأقصى».

الخلاصة:

تكاثرت النصوص عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله وأتباعه في النهي عن كل مايفضي إلى الشرك مما يتعلق بتعظيم القبور وأهلها والغلو فيها.

المناقشة:

س١ ــ وضح موقف أبي حنيفة رحمه الله من الغلو في القبور؟
س٢ ــ ما هو مذهب أبي حنيفة من استقبال قبر النبي ﷺ عند الدعاء؟
س٣ ــ اذكر بعض مظاهر الغلو في الصالحين من أهل القبور المنتشرة في زماننا هذا؟

ثانياً: نماذج من الشرك
التي حذر منها أبو حنيفة وبعض أتباعه

مما قد يكون مدعاة للاستغراب بعد أن بينا أن المشركين من العرب لم يشركوا في أمر الربوبية بل في أمر الألوهية، أقول مما قد يستغرب القول بأن هناك الكثير من المظاهر لوجود شرك في الربوبية بين أفراد الأمة الإسلامية اليوم، غير أن هذا الاستغراب سوف يزول لاشك إن وقف القارىء على بعض هذه المظاهر التي سوف يأتي ذكرها في هذا المبحث، وقد أطيل في بعض النقول لأهميتها.

وقال محمد علاء الدين الحصكفي[1] فيمن نذر لغير الله: «واعلم أن الذي يقع للأموات من أكثر العوام وما يؤخذ من الدراهم للشمع والزيت ونحوهما إلى الأولياء الكرام تقرباً إليهم هو بالإجماع باطل وحرام»[2].

*** قال ابن عابدين شارحاً هذا النص:**

«قوله: تقرباً، كأن يقول: ياسيدي فلان إن رد غائبي أو عوفي مريضي أو قضيت حاجتي فلك من الذهب أو الفضة أو من الطعام أو من الشمع والزيت كذا قوله: «باطل وحرام» لوجوه منها أنه:

«نذر لمخلوق والنذر لايجوز لأنه عبادة والعبادة لاتكون لمخلوق

---

(١) هو محمد بن علي بن محمد الحصني المعروف بعلاء الدين الحصكفي مفتي الحنفية في دمشق من تصانيفه الدر المختار في شرح تنوير الأبصار وإفاضة الأنوار على أصول المنار توفي سنة ١٠٨٨ هـ خلاصة الأثر ٤/٦٣ ـ ٦٥ والأعلام ٦/٢٩٤.

(٢) الدر المختار مع رد المحتار ٢/٤٣٩.

ومنها أن المنذور له ميت والميت لا يملك. . .»[١].

* وقال الألوسي واصفاً حال المستغيثين بغير الله وتعلقهم الشديد بالأموات حيث صرفوا لهم أنواعاً من الطاعات كالنذر وغيره: وفي قوله - تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا﴾ [الحج: ٧٣] إشارة إلى ذم الغالين في أولياء الله - تعالى - حيث يستغيثون بهم في الشدة (أي الأولياء) غافلين عن الله تعالى. وينذرون لهم النذور، والعقلاء منهم يقولون إنهم وسائلنا إلى الله تعالى - وإنما ننذر لله - عز وجل - ونجعل ثوابه للولي ولا يخفى أنهم في دعواهم الأولى أشبه الناس بعبدة الأصنام القائلين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]. ودعواهم الثانية لابأس بها لو لم يطلبوا منهم بذلك شفاء مريضهم أو رد غائبهم أو نحو ذلك.[٢]

* وقال الكاندهلوي[٣]

«وأما اتخاذ المساجد عليها فلما فيه من الشبه باليهود باتخاذهم مساجد على قبور أنبيائهم وكبرائهم ولما فيه من تعظيم الميت وشبه بعبدة الأصنام». . وإما اتخاذ السرج عليها فمع ما فيه من إسراف في ماله المنهي عنه بقوله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء: ٢٧].

---

(١) رد المحتار على الدر المختار ٢/٤٤٩ - ٤٤٠.

(٢) روح المعاني ١٧/ ٢١٢

(٣) هو محمد يحيى بن محمد بن إسماعيل الكاندهلوي الحنفي كان أديباً وعالماً فاضلاً ذا ملكة علمية راسخة من مصنفاته الكواكب الدراري توفي سنة ١٣٣٤هـ انظر مقدمة محقق المصنف لابن أبي شيبة ١/٢٧. العناقيد الغالية ص ٤٧.

ففيه تشبه باليهود فإنهم كانوا يسرجون المصابيح على قبور كبرائهم وتعظيم للقبور وانشغال بما لا يعنيه. . .»[١].

* وقال الألوسي الحنفي:

«ولقد رأيت من يبيح ما يفعله الجهلة في قبور الصالحين من إشرافها وبنائها بالحجر والآجر وتعليق القناديل عليها والصلاة إليها والطواف بها واستلامها والاجتماع عندها في أوقات مخصوصة إلى غير ذلك. . . وكل ذلك محادة لله ـ تعالى ـ ورسوله ﷺ، وإبداع دين لم يأذن به الله ـ عز وجل. . ويكفيك في معرفة الحق تتبع ما صنع أصحاب رسول الله ﷺ، في قبره عليه الصلاة والسلام، وهو أفضل قبر على وجه الأرض. والوقوف على أفعالهم في زيارتهم له، والسلام عليه الصلاة والسلام.

«فتتبع ذاك وتأمل ما هنا وما هناك والله ـ سبحانه وتعالى ـ يتولى هداك»[١].

* وقال الإمام ولي الله الدهلوي:

«وإذا كنت ـ أيها القارىء تتوقف بصحة ما يقال عن عقائد المشركين وأعمالهم فانظر إلى المخرفين في هذا العصر، لاسيما من يقطنون منهم بأطراف دار الإسلام، ماهي تصوراتهم عن «الولاية»، فرغم أنهم يعترفون بولاية الأولياء المتقدمين، يرون وجود الأولياء في عصرنا هذا من المستحيلات، ويؤمون القبور والعتبات، وقد ابتلوا بأنواع من الشرك

---

(١) الكواكب الدراري (١/٣١٦، ٣١٧).

(١) روح المعاني (١٥/٣٢٩، ٢٤٠).

والبدع والخرافات، وتمكن منهم التحريف والتشبيه، وتغلغل في نفوسهم حتى لم تبق بحكم ما جاء في الحديث الصحيح: «لتتبعن سنن من كان قبلكم... إلخ» بلية من البلايا ولافتنة من الفتن إلا وطائفة من طوائف المسلمين ـ اسماً ـ تخوض فيها وتتعلق بها، عافانا الله ـ سبحانه ـ عن ذلك.

وبالجملة فإن رحمة الله ـ تعالى ـ اقتضت بعثة سيد الأنبياء محمد ابن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه في الجزيرة العربية، وأمره بإقامة الملة الحنيفية، ومجادلة هذه الفرق الباطلة عن طريق القرآن العظيم، وقد كان الاستدلال في مجادلتهم بالمسلمات التي هي من بقايا الملة الإبراهيمية، ليتحقق الإلزام ويقع الإفحام»[1]، وقال في البدور البازغة: صدق رسول الله ﷺ، حيث قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب اتبعتموهم قالوا يا رسول الله: اليهود والنصارى قال: فمن»[2].

ألا ترى أن مشركي مكة كانوا يذعنون بانصرام[3] سلسلة الوجود إلى الله كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] وما أغناهم ذلك عن الإشراك بالله ـ تعالى ـ وربما قرع سمعك فيبقى يسرد من الأخبار أن العلم سيرفع بين يدي القيامة فيتهارى رجلان، يقول أحدهما: إياك ستين ويقول الآخر: إياك

---

(١) الفوز الكبير ص ٢٦ وانظر الطبعة القديمة ص ٢٠.

(٢) أخرجه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب ماذكر عن إسرائيل (٦/٤٩٤)، (٣٤٥٦) كتاب العلم باب اتباع سنن اليهود والنصارى ومسلم (٤/٢٠٥٤) ح(٢٦٦٩) كلاهما من طريق عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري.

(٣) انصرام: انتهاء.

سبعين فيرفعان القضية إلى أعلمهم. فيقول: إياك تسعين وأقسم بالذي نفسي بيده إنه قد وقع في آيات آخر، فلست أرى أحداً إلا وفيه الإشراك كما قال ـ عز وجل: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦] وكفّر الله ـ تعالى سبحانه ـ مشركي مكة لقولهم لرجل سخي كان يلت السويق للحجاج أنه نصب منصب الألوهية فجعلوا يستعينون به عند الشدائد.

ولقد علمنا الصادق المصدوق عليه أفضل الصلوات وأيمن التحيات فيما أخرجه الترمذي عن عدي بن حاتم أنه قال: سمعته يعني رسول الله ﷺ، يقرأ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١] قال: إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه»[1]. فقد علمنا أن الشرك ليس بمحصور في العبادة، بل يكون بهذا النحو ولعل رجلاً عريض القفا يقول وكيف هذا سمعنا رجلاً يقول بذلك فنقول له: اعلم أن التحريف ليس اعتياض لفظ مكان لفظ كما وقف عليه فهوم العامة، بل شأن التحريف أهول من ذلك ـ وأكثر أنواعه وجوداً أن يقلب اللفظ ظاهر مراده إلى هواه وهواجس نفسه، فقد أشار السيد عليه الصلاة والسلام إلى أنه سيوجد رجال يسمون الخمر بغير اسمها ويسمون الزنا بغير اسمه ثم يقولون ما هذا حرم الله ـ تعالى ـ في كتابه فعليكم به لابأس ـ ألست ترى أقواماً يقولون إن المسكر الذي يتخذ من العسل وما يماثله ليس بخمر ثم أحلوه، فأولئك الذين فيهم قال

(١) كتاب تفسير القرآن ومن سورة التوبة (٢١٨/٥) ح (٣٠٩٥) وابن جرير في (١١٤/١٠) والبيهقي في السنن (١١٦/١٠) جميعهم من طريق مصعب بن سعد عن عدي بن حاتم قال الترمذي (حديث غريب).

رسول الله ﷺ، ما قال: وأقواماً يقولون إذا وطىء الرجل أمة ابنه فذلك حلال له، فأولئك قوم أركسوا على وجوههم وغرتهم الأماني فسوف يعلمون غداً من الكذاب الأشر، ألست ترى أقواماً يذعنون لأقوالهم ويجدون في صدورهم استحلال ما أحلوه حتى إنهم كادوا يسطون بالذين يتلون عليهم آيات الله ـ تعالى ـ ألست تراهم إذا قيل لهم دعونا من أقوال الناس فهم قد يصيبون وقد يخطئون وعليكم بالكتاب وبما حكاه الصادق المصدوق عليه السلام من أمر الله تعالى قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾[1] [الزخرف: ٢٣] وخطأوا هذا الرأي بل عسى أن يقتلوهم إن استطاعوا، فأولئك هم المشركون حقاً ولقد اقشعر جلدي حين بلغني ما يسرد في الأساطير عن رجل اعترفوا له بالفضل أنه قال لو تجلى الله ـ سبحانه ـ يوم القيامة على غير صورة فلان ما رأيته فقد حط بالله ـ سبحانه ـ درجته عن فلان فإن صدقت الرواية، فليس بمعذور عند الله تعالى»[1].

* وقال الإمام إسماعيل الدهلوي في كتابه تقوية الإيمان وتبعه أبو الحسن الندوي في رسالة التوحيد واللفظ له: استفحال فتنة الشرك والجهالة في الناس.

أعلم أن الشرك قد شاع في الناس في هذا الزمان وانتشر، وأصبح التوحيد الخالص غريباً، ولكن معظم الناس لايعرفون معنى الشرك، ويدعون الإيمان مع أنهم قد تورطوا في الشرك وتلوثوا به، فمن المهم قبل كل شيء أن يفقه الناس معنى الشرك والتوحيد، ويعرفوا حكمهما في القرآن والحديث.

---

(١) في المطبوعة (لمقتدون).

(١) البدور البازغة ص ١٦٧، ١٧٠.

مظاهر الشرك وأشكاله المتنوعة:

ومن المشاهد اليوم أن كثيراً من الناس يستعينون بالمشايخ والأنبياء، والأئمة[١] والشهداء، والملائكة، والجنيات عند الشدائد، ويصرخون بأسمائها، ويسألون منها قضاء الحاجات وتحقيق المطالب، وينذرون لها، ويقربون لها قرابين لتسعفهم بحاجاتهم، وتقضي مآربهم[٢]، وقد ينسبون إليها أبناءهم طمعاً في رد البلاء، فيسمي بعضهم ابنه بعبد النبي وبعضهم بعلي بخش، وحسين بخش، وبير بخش، ومدار بخش[٣]، وسالار بخش[٤] ولابأس بما نقوله في الأنبياء من الحب والتقدير، أما إذا عدلناهم بالله، واعتقدنا أنهم والله - جل

---

(١) يعني أئمة أهل البيت الذين غلت فيهم الشيعة، وأحاطوهم بهالات من التقديس والتعظيم ويعتقدون فيهم العصمة، والاطلاع على الغيب، ويفسرون الإمام تفسيراً يجعلها مشاركة للنبوة، بل منافسة لها في كثير من الخصائص، وقد تأثر أهل السنة بكثير من العقائد الشيعية في الهند بتأثير الحكام والأمراء، وحكم الاختلاط بهم، والجهل بالإسلام قاله معرب الكتاب أبو الحسن الندوي.

(٢) مآربهم: حاجاتهم.

(٣) هو الشيخ الكبير المعمر بديع الدين المدار الحلبي المكنبوري، أحد مشاهير الأولياء بأرض الهند، ينسبون إليه من الوقائح الغريبة ما يأباه العقل والنقل، وإليه نسب شهر من شهور السنة في التقويم المنتشر عند العامة وأهل القرى في الهند ودخل اسمه في الأمثال السائرة عند عوام الناس، وهو مؤسس الطريقة المدارية التي انحرفت في العهد الأخير، ودخل فيها الشيء الكثير من الخرافات والرياضيات البهلوانية، كانت وفاته في عاشر جمادى الأولى سنة ٨٤٤هـ. قاله أبو الحسن الندوي.

(٤) هو السيد سالار مسعود الغازي من أشهر الأعلام في الهند نسجت حوله أساطير كثيرة، وشخصيته لم يسلط عليها الضوء الكافي علميًا وتاريخيًا، ذكر ابن بطوطة في رحلته، وقال إنه فتح أكثر تلك البلاد، وله أخبار عجيبة وغزوات شهيرة، مات شهيداً سنة ٥٨٨هـ ودفن في مدينة بهرائج في الولاية الشمالية في الهند، قال في «نزهة الخواطر»: بنى على قبره ملوك الهند عمارة سامية البناء، والناس يفدون إليه من بلاد شاسعة، ويزعمون أنه كان عزباً شاباً لم يتزوج، فيزوجونه كل سنة، ويحتفلون لعرسه وينذرون له أعلاماً فينصبونها على قبره قاله أبو الحسن الندوي.

وعلا ـ بمنزلة سواء، كان ذلك شركاً، لاشك فيه، ولكننا لانقول بذلك، بل نعتقد بالعكس، إنهم خلق الله وعبيده، أما ما نعتقده فيهم من القدرة والتصرف في العالم، (فهماً)[1] مما أكرمهم الله وخصهم به، فلا يتصرفون في العالم إلا بإذن منه ورضاه، فما كان نداؤنا لهم، واستعانتنا بهم إلا نداء لله واستعانة به، ولهم عند الله دالة ومكانة ليست لغيرهم، قد أطلق أيديهم في ملكه، وحكمهم في خلقه، يفعلون ما يشاؤون، وينقضون ويبرمون، وهم شفعاؤنا عند الله، ووكلاؤنا عنده، فمن حظى عندهم، ووقع عندهم بمكان، كانت له حظوة ومنزلة عند الله، وكلما اشتدت معرفته بهم، اشتدت معرفته بالله، إلى غير ذلك من التأويلات الكاسدة، والحجج الداحضة، التي ماأنزل الله بها من سلطان.

والسر في ذلك أن القوم قد نبذوا كلام الله وحديث رسوله وراءهم، وسمحوا لعقولهم القاصرة أن تتدخل فيما ليس لها مجال فيه، وتشبثوا بالأساطير والروايات الشائعة التي لاتستند إلى تاريخ ونقل صحيح، واحتجوا بتقاليد خرافية، وعادات جاهلية، وإن كانوا عولوا على كلام الله ورسوله وعنوا بتحقيقه، لعرفوا أنها نفس التأويلات، والحجج التي كان كفار العرب يتمسكون بها في عصر النبي ﷺ ويحاجونه[1] بها، ولم يقبلها الله منهم، بل كذبهم فيها فقال في سورة

(١) هكذا في الأصل لعل الصواب (فهو).

(١) كلامه هذا بطوله يبدو فيه التناقض والاضطراب، فمرة يقول نعتقد إنهم خلق الله وعبيده، ومرة يرى أنهم أكرمهم الله تعالى بنوع من القدرة والتصرف، وأن نداءهم نداء الله، والتقرب إليهم تقرب إلى الله ثم يعود فيقول إن هذا الكلام من التأويلات الكاسرة والحجج الداحضة، وذلك دون أن يمهد بالانتقال من فقرة إلى أخرى، ودون وجود ما يشعر بأن هذا الكلام عنه أو عن غيره. فالله المستعان.

(١) يحاجونه: يجادلونه.

يونس: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يونس: ١٨] وقد علمنا من هذه الاية أنه لا يوجد في سماء ولا أرض من يشفع لأحد، وتنفع شفاعته من استشفع به، وما شفاعة الأنبياء إلا بإذن ربهم ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٨] فإذا ناداهم أحد، أو صرخ باسمهم، أو لم ينادهم ولم يصرخ باسمهم، فلا يتحقق إلا ما يريده الله وما يأمر به.

حقيقة شرك أهل الجاهلية وضلالهم:

وكذلك تبين أن الكفار الذين كانوا في عصر النبي ﷺ لم يكونوا يعدلون آلهتهم بالله، ويرونهم مع الله بمنزلة سواء، بل كانوا يقرون بأنهم مخلوقون لله، ولم يكونوا يعتقدون أبداً أن آلهتهم لا يقلون عن الله قدرة وقوة، وهم، والله في كفة واحدة فما كان كفرهم وشركهم إلا نداءهم لآلهتهم، والنذور التي كانوا ينذرونها لهم، والقرابين التي كانوا يقربونها بأسمائهم، واتخاذهم لهم شفعاء، ووكلاء فمن عامل أحداً بما عامل به الكفار آلهتهم، وإن كان يقر بأنه مخلوق وعبد، وكان هو وأبو جهل في الشرك بمنزلة سواء.

خلال الشرك وأعماله:

فاعلم أن الشرك لا يتوقف على أن يعدل الإنسان أحداً بالله، ويساوي بينهما، بلا فرق، بل إن حقيقة الشرك أن يأتي الإنسان بخلال وأعمال، خصها الله بذاتها العلية، وجعلها شعاراً للعبودية، أن يأتي بها

لأحد من الناس، كالسجود لأحد، والذبح باسمه، والنذر له، والاستغاثة به في الشدة، واعتقاد أنه حاضر ناظر في كل مكان، وإثبات قدرة التصرف له، وكل ذلك يثبت به الشرك، ويصبح الإنسان به مشركاً، وإن كان يعتقد أن هذا الإنسان، أو الملك، أو الجني الذي يسجد له أو يذبح، أو ينذر له، أو يستغيث به، أقل من الله شأناً، وأصغر منه مكاناً، وأن الله هو الخالق وهذا عبده وخلقه، لا فرق في ذلك بين الأولياء والأنبياء، والجن والشياطين، والعفاريت، والجنيات فمن عاملها هذه المعاملة كان مشركاً، لذلك وصف الله اليهود والنصارى، الذين غلوا في أحبارهم ورهبانهم، مثلما غلا المشركون في آلهتهم بما وصف به عباد الأوثان والمشركين، وغضب على هؤلاء، الغلاة المنحرفين، كما غضب على غلاة المشركين، فقال: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (التوبة: ٣١).

وقد ذكر أن جميع الخلق سواءً كانوا علماء أو عباداً، حكاماً أو ملوكاً، كلهم عبيد خاضعون، عاجزون ضعفاء، لا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً، ولا يملكون إذا بعثهم الله، وطلبهم إلا أن يقفوا أمام ربهم خاضعين مستسلمين، طائعين منقادين، يقول الله - تعالى - في سورة مريم ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ [مريم ٩٣ - ٩٥]، فظهر أنه هو المتصرف وحده، وأنه لا يملك أحداً غيره ولا يمكنه فيه، وأن الناس يأتون ربهم فرادى لا يمنع أحد آخر، وقد تضافرت الآيات على ذلك وكثرت.

ومن تأمل في آيتين أو ثلاث من الآيات الكثيرة التي سردناها،

وغيرها من الآيات التي لم يتسع المجال لذكرها، عرف الفرق بين الشرك والتوحيد، وتجلت له حقيقتهما، وقد آن الأوان لأن نذكر الخلال والأعمال التي خصصها الله بذاته العلية، ولم يأذن لغيره أن يكون له نصيب منها، وهي كثيرة يطول ذكرها، ولكن لابد أن نخص بالذكر منها ما يستطيع القارىء، الفهم الذكي أن يقيس عليها، ويميز بين الحق والباطل، والهدى والضلال.

العلم المحيط الشامل من خصائص الله تعالى:

وفي مقدمة هذه الأمور، أنه من شأن الله وحده أن يكون حاضراً وناظراً في كل مكان، يعلم ما دَقَّ وجَلَّ، وبَعُدَ أو دَنَا، أو خَفِيَ أوْ ظَهَرَ، لا تخفى عليه خافية في أي وقت، لا فرق في ذلك بين نور وظلمة، وبين سماوات وأراضين، وبين قمم الجبال، وأغوار البحار، هذا العلم المحيط الشامل لكل زمان ومكان، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة، صفة خاصة بالله ـ تعالى ـ لا يشاركه فيها أحد، فمن كان يلهج باسم أحد من الخلق، وينادية قائماً وقاعداً، وعن قرب وبعد، ويستصرخه ويستغيث به عند نزول البلاء، ودفع الأعداء، ويختم ختمة باسمه، أو يراقبه ويركز فكره عليه، ويصرف همته إليه، متمثلاً صورته كأنه يشاهده، ويعتقد أنه إذا ذكر اسمه باللسان أو القلب، أو تمثل صورته، أو قبره، واستحضرهما، علم بذلك وعرفه، وأنه لا يخفى عليه من أمره شيء، وأنه مطلع على ما ينتابه من مرض وصحة، وعسر ويسر، وموت وحياة وحزن وسرور، ولا يتفوه بشيء من كلام، وتنطق به شفتاه، ولا يساوره هم من الهموم، ولا يجول بخاطره معنى، إلا وعلم ذلك، واطلع عليه، كان بذلك مشركاً ، وكل ذلك يدخل في الشرك.

ويسمى هذا النوع «الإشراك في العلم» وهو إثبات صفة العلم المحيط لغير الله، وإن كان هذا الإثبات لنبي أو ولي، أو شيخ أو شهيد، أو إمام[1] أو سليل إمام، أو عفريت أو جنية، سواء اعتقد أنه يعلم من ذاته، أو يعلم أنه منحة من الله، وعطاء منه، وقد استقل بهذا العلم، وأصبح له صفة لا تنفك عنه كل ذلك شرك.

(١) يعني أئمة أهل البيت قاله معرب الكتاب: الشيخ أبو الحسن الندوي.

التصرف المطلق بالإرادة والقدرة لكماله من خصائص الله تعالى

والشيء الثاني يجب أن يعتقد الإنسان، أن التصرف في العلم بالإرادة، وإصدار الأمر والنهي، والإماتة والإحياء كما يشاء، والبسط والقبض في الرزق، والإفاضة بالصحة والمرض، والفتح والهزيمة، وتسخير القضاء والقدر لإنسان، يكون النصر دائماً حليفه، ويكون محظوظاً لا تزال أموره في إقبال أو بالعكس فتدبر عنه الدنيا، ويلج به الخذلان، وإنجاح المطالب وتحقيق الأماني، ودفع البلايا، والإغاثة في الشدائد، وإلهاف الملهوف، وإنهاض العاثر، هذه كلها من خصائص الله - تعالى - لا يشاركه فيها أحد من الأنبياء والأولياء، والشهداء والصلحاء، والعفاريت والجنيات، فمن أثبت هذا التصرف المطلق لأحد منهم، وطلب منه حاجاته، وقرب القرابين والنذر لأجل ذلك، أو استصرخه في نازلة، كان مشركاً، ويقال لهذا النوع «الإشراك في التصرف» سواء اعتقد أنهم يقدرون على ذلك بأنفسهم، أو يعتقد أن الله - سبحانه وتعالى وهبهم هذه القدرة، وخلع عليهم هذه الكرامة.

أعمال العبادة وشعائرها، خاصة بالله تعالى:

والشيء الثالث أن الله - سبحانه وتعالى - خص أعمال التعظيم لنفسه، وهي التي تسمى «عبادة» كالسجود والركوع، والوقوف بخشوع وتواضع (مثلاً يضع يده اليمنى على اليسرى)[1] وإنفاق المال باسم من

(١) كما كان يقف السيد بين يدي سادتهم في مجلس الملوك في بلاد العجم. قاله معرب الكتاب أبو الحسن الندوي.

قلت: ومن هذا القبيل ما نرى كثيراً في القبورية الجهلة في مسجد رسول الله ﷺ، يضع أحدهم يده اليمنى على اليسرى قائماً بأتم خشوع وخضوع متوجهاً إلى القبر الشريف ويخشعون أكثر من خشوعهم لله في الصلاة.

يعتقد فيه الصلاح أو العظمة، والصوم له، وقصد بيته من أنحاء بعيدة، وشد الرحل إليه بوجه يعرف كل من رآه أنه يؤم بيته حاجاً زائراً، والهتاف باسمه في الطريق كالتلبية، والتجنب من الرفث والفسوق، والقنص وصيد الحيوانات، ويمضي بهذه الآداب والقيود، ويطوف بالبيت، ويسجد له، ويسوق الهدي إليه وينذر النذور هناك، ويكسو ذلك البيت، كما تكسى الكعبة، والوقوف على عتبته، والإقبال على الدعاء والاستغاثة، والسؤال لتحقيق مطالب الدنيا والآخرة، وبلوغ الأماني، وتقبيل حجر من أحجار هذا البيت والالتزام بجداره، والتمسك بأستاره، وإنارة السرج والمصابيح حوله تعظيماً وتعبداً، والاشتغال بذاته، والقيام بجميع الأعمال التي يقوم بها السدنة من كنس وإنارة، وفرش وسقاية وتهيئة أسباب الوضوء والغسل، وشرب ماء بشره تبركاً، وصبه على الجسم، وتوزيعه على الناس، وحمله إلى من لم يحضر، والمشي مدبراً عند العودة، حتى لا يولي البيت دبره، واحترام الغاية التي تحيط به، والتأدب معها، فلا يقتل صيدها، ولا يعضد شجرها، ولا يختلى خلاها، ولا يرعى ماشية في حماها.

كل هذه الأعمال علمها رب العالمين عباده، وأفردها لنفسه، فمن أتى بها لشيخ طريقة، أو نبي، أو جني، أو لقبر محقق، أو مزور، أو لنصب أم لمكان عبادة، عكف فيها أحد الصالحين على العبادة والذكر والرياضة، أو لبيت، أو لأثر من آثار أحد الصالحين، يتبرك به، أو شعار يعرف به، أو يسجد لتابوت أو يركع له، أو يصوم باسمه[1] أو

(١) يظهر أن بدعة الصوم بأسماء الصالحين والصالحات من الأمة، قد ظهرت في العصر القديم في الهند، وقد يكون الصوم لشخصيات خيالية لا وجود لها، ولهذا الصوم أحكام وآداب في النية والإفطار، وأيام محدودة، ويطلب منه قضاء الحاجات من أولئك الذين يصام باسمهم، والاستعانة بهم، وقد شنع على ذلك الإمام الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي (المتوفي

يقف أمامه خاشعاً متواضعاً، واضعاً، إحدى يديه على الأخرى، أو يقرب له حيواناً، أو يؤم بيتاً من هذه البيوت من بعيد، فيشد إليه الرحل، أو يوقد السرج فيه تعظيماً وتعبداً، أو يكسوه بكسوة (كما تكسى الكعبة) أو يضع على ضريح ستوراً[1]، أو يغرز علماً، أو عوداً باسمه[1] وإذا رجع رجع على أعقابه، أو يقبل القبر، أو يحرك المراوح عليه، ليذب الذباب، كما يفعل الخدم مع أسيادهم الأحياء، أو ينصب عليه سرادقاً، أو يقبل عتبته، ويضع اليمنى على اليسرى، ويتضرع إليه، أو يجلس على ضريح سادناً وقيِّماً، ويتأدب مع ما يحيط به من أشار وآجام، وأعشاب، فلا يتعرض لها بإهانة أو إزالة، إلى غير ذلك من الأعمال والالتزامات، فقد تحقق عليه الشرك، ويسمى «إشراكاً في العبادة» سواءً اعتقد أن هذه الأشياء تستحق التعظيم بنفسها، وأنها جديرة بذلك، أو اعتقد أن رضا الله في تعظيم هذه الأشياء، وأن الله يفرج الكرب ببركة هذا التعظيم.

١٠٣٤هـ) في رسالة له إلى إحدى الصالحات من أتباعه، وعده إشراكاً في العبادة، (رسالة رقم ٣/٤١) رسائل الإمام أحمد بن عبد الأحد)، قاله أبو الحسن الندوي.

(١) اعتاد الغلاة في تعظيم الأموات والقبور أن يكسوا ضرائح الأولياء والصالحين بالستور والثياب، ويعاملونها معاملة الأحياء، من المشايخ والعظماء، قاله أبو الحسن الندوي وقد ظهرت هذه البدعة في بعض البلاد العربية، يقول الشيخ علي محفوظ الحنفي في كتابه «الإبداع في مضار الابتداع»: «ولكن خدمة الأضرحة سولها لهم الشيطان، ذلك ليفتح لهم باباً من الأرزاق الخبيث، فتراهم إذا احتاجوا لتجديد ثوب التابوت لكل عام، أو إذ بلى، يوهمون العوام أن بها من البركة ما لا يحاط به، وإنها نافعة في الشفاء» من الأمراض، ودفع الحساد وجلب الأرزاق والسلامة من كل المكاره، والأمن عن جميع المخاوف، فتهافت عليها البسطاء، وهان عليهم بذل الأموال في الحصول على اليسير منها، (الإبداع ص ٩٦، ٩٧).

(١) وهي من عادات الغلاة والجهال في الهند قاله أبو الحسن الندوي.

علامات التعظيم الدال على العبودية والاستكانة، خاصة بالله تعالى:

الرابع: أن الله علم عباده طرقاً يستقيم بها إيمانهم، وتنزل البركة في حياتهم الدنيا، وتتحقق بها مطالبهم، منها النذر لله في الشدة، ونزول البلاء، والنداء باسمه عند كربة وضيق، وافتتاح كل عمل باسمه، والذبح له حين يرزقون ولداً شكراً لله ـ تعالى - وتسميتهم بأسماء يتجلى فيها التوحيد والعبودية، كعبدالله، وعبد الرحمن، وهبة الله، وجاد المولى، وعطاء الله، وأمة الله، وعطية الرحمن[1]، وتخصيص جزء من حواصل المزارع وثمار البساتين باسم الله - تعالى - وتخصيص جزء من المال، والماشية ونذره لله - تعالى - وتعظيم الهدي والقلائد لبيت الله، وامتثال أوامره، والانتهاء عن نواهيه في المأكل، والمشرب، والملبس واعتقاد أن كل ما يصيبه من خير وشر، ومجاعة، ورخص وغلاء وصحة وسقم، وفتح وعزيمة، وسعد وشقاء، ومساعدة الحظ وتخلقه، وحزن وفرح، كله في قبضته، والإحالة إلى مشيئته قبل ذكر إرادته، فيقول سأعمل كذا إذا شاء الله، وتعظيم اسمه تعظيماً تتجلى فيه قدرة الله، وتعظيم اسمه تعظيماً تتجلى فيه قدرة الله، وعجز العبيد، فيقول مثلاً ربي، وسيدي، وخالقي، وإذا أراد أن يحلف يحلف باسمه، إلى غير ذلك من علامات التعظيم وشعائره، فمن أتى بذلك للأنبياء والأولياء والشهداء، والعفاريت والجنيات، مثلاً ينذر لها إذا ألمت به كربة، أو نزلت به ضائقة. أو ينادي بأسمائها عند مرضه أو نزالة أو

(١) ذكر المؤلف هنا أسماء هندية تنطق بالتوحيد، وتنم عن العقيدة الصحيحة - كـ «خدا بخش» يعني هبة الله، «الله دیا» يعني عطية الله، غيرناها بأسماء شائعة في بلاد العرب. تسهيلاً للقارىء العربي قاله أبو الحسن الندوي.

يفتح عمله بأسمائها فإذا رزق ولداً نذر لها نذوراً أو سمى أولاده، بعبد النبي، أو «إمام بخش» أو «بير بخش» ويخصص جزءاً من الحبوب أو الثمرات لها، ويقدم لها مما أخرجته الأرض من زروع وثمار، ثم يستعمله في أغراضه ويخصص من المال وقطعان الأنعام، أموالاً ودواباً ثم يتأدب معها فلا يضربها، ولايزجرها عن العلف والتبن ولا يضربها بعصاً أو حجر أدباً وتعظيماً، ويتمسك بالعادات القديمة، والأعراف الشائعة في الأكل والشرب، واللباس ويتقيد بها كما يتقيد بأحكام الشريعة، فيحرم طعاماً ولباساً لأناس ويحظرهما على طبقة (كالذكور والإناث ولباساً لأناس ويحظرهما على طبقة (كالذكور والإناث ويبيعهما لأخرى، فيقول: إن الطعام الفلاني لايقربه الرجال)[1]، وإن الطعام الفلاني لاتقربه الجواري، ولاتقربه المرأة التي تزوجت بزوج ثان وإن الخبيص الذي يعد باسم الشيخ عبد الحق[2] لايأكله من يستعمل النارجيلة[3] وينسب ما يحدث من خير وشر، وما يتناب من بؤس ورخاء، إلى هؤلاء المشايخ والأولياء، فيقول: إن فلاناً أدركته لعنة فلان، فجن، وفلان طرده فلان فافتقر، وفلان أنعم عليه فلان فساعده الحظ، وحالفه الإنبال، وأصابت الناس المجاعة بنوء كذا، ونوء كذا،

(١) نوع من الطبخ يطبخ في الهند باسم السيدة فاطمة بنت النبي ﷺ، يمنع منه الرجال دون النساء، فلا يأكلونه، ولايقربونه قاله أبو الحسن الندوي.

(٢) يعني الشيخ عبد الحق الدهلوي من كبار المشايخ والمربين ومن أئمة الطريقة الجشتية في الهند، ولد ونشأ في «ردولي» من توابع لكناؤه، وكان له شأن رفيع في التوحيد وتعظيم الشريعة، والمحافظة على الفرائض والسنن، ودعاء الخلق إلى الله، والتجريد والتفريد، توفي سنة ٨٣٦هـ، وقد اخترع الغلاة والجهال في الهند طعاماً خاصاً يسمونه بـ «زاد الشيخ عبد الحق» يركب من السميد والسكر، وله آداب، وقيود يحافظ عليها بشدة، الخبيص: الحلواة المخبوصة وخبص الشيء بالشيء: خلطه. قاله أبو الحسن الندوي.

(٣) يعني الشيشة. قاله أبو الحسن الندوي.

وفلان بدأ عمله يوم كذا، وفي ساعة كذا فلم يوفق، ولم يتم، أو يقول: إن شاء الله ورسوله كان كذا، أو يقول: إن شاء شيخي وقع كذا، أو يضفي على من يعظمه أسماء وصفات تختص بالله، وهي من نعوت العظمة والكبرياء، والغنى عن الحق، والقدرة المطلقة، والجود الذي لانهاية له، أو القهر والجبروت، مثل المعبود، وأغنى الأغنياء، وإله الآلهة، ومالك الملك، وملك الملوك، أو يحلف بالنبي، أو بعلي، أو بأحد أولاده (الذين يسميهم الشيعة الأئمة الأثني عشر) أو بشيخ، أو بقبره، كل ذلك يتحقق منه الشرك ويسمى «الإشراك في العبادة» يعني أن يعظم غير الله في الأعمال التي اعتادها تعظيما، لا يليق إلا بالله.

وهذه الأنواع الأربعة للشرك، قد جاء ذكرها صريحاً في القرآن والحديث»[1].

بعد ذكر هذه النماذج التي أوردها علماء الحنفية لبيان أن الشرك واقع في هذه الأمة، يتبين لك أن كل هذا يدحض قول من زعم أن الشرك الأكبر لايمكن؛ أن ظهر في أمة محمد، ﷺ، ويتضح لكل ذي لب أن صوراً متنوعة ومتعددة من الشرك الأكبر قد وقعت وتقع في أمة محمد، ﷺ ويكفي للتدليل على وقوعه قول النبي ﷺ: «لاتقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان»[2] وفي لفظ «حتى يعبد فئات من أمتي الأوثان».

(١) رسالة التوحيد ص ٢٥ - ٤٤.

(٢) أخرجه أبو داود وكتاب الفتن باب ذكر الفتن ودلائلها ح (٤٢٥٢) وأصله عند مسلم ٤/٢٢١٥ وقال الألباني عنه في تحذير الساجد ص (١٢٠) (على شرط مسلم).

الخلاصة:

١ ــ إن مظاهر وصور الشرك الأكبر في الربوبية كالإشراك مع الله في التصريف والتدبير الشامل وغير ذلك والأولوهية كصرف كثير من العبادات لغير الله تعالى وغيرها مازالت موجودة في الأمة، خصوصاً ما يتعلق بالأولياء الصالحين وغيرهم.

٢ ــ إن علماء الحنفية لم يدخروا وسعاً في الإشارة إلى تلك الصور، والتحذير منها وقد تم إيراد الكثير من نصوصهم في هذا المضمار.

المناقشة:

س١ ــ اذكر بعضاً من مظاهر الشرك الأكبر في الربوبية والموجودة في الأمة؟

س٢ ــ انتشرت في الأمة صور كثيرة للإشراك في مسألة الأولوهية، اذكر بعضاً منها؟

س٣ ــ اذكر بعضاً من نصوص علماء الحنفية في الإشارة إلى هذه المظاهر والتحذير منها؟

* * *

الفصل الثاني

الشرح الميسر
للفقه الأكبر

المنسوب لأبي حنيفة
رواية حماد بن أبي حنيفة عن أبيه

المقدمة

إن الحمدلله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. وبعد...

فإن كتاب (**الفقه الأكبر**) للإمام أبي حنيفة في مسائل أصول الدين، من الكتب المشتهرة التي اعتنى بها كثير من علماء الحنفية، شرحاً وتدريساً وغير ذلك، واهتم به غيرهم من العلماء بعد أن ذاع صيته، ولم أقف على من شرحه شرحاً موافقاً لمذهب السلف، حيث إن عامة الشراح قد شرحوه بطريقة توافق طريقة المتكلمين، وقد اعتمد عليه علماء الحنفية وقرروا أنه عقيدة الإمام، ويدل على ذلك كثرة شروحه، ثم إن هذاا لكتاب معول عليه عند الماتريدية ومع ذلك خالفوا بعض مسائله، كما في عصمة الأنبياء وبعض مسائل الصفات وغيرها، فهو حجة عليهم ثم إن هذا الكتاب في جملته يوافق ما قرره الطحاوي في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة المشهور المنسوب إلى أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن رحمهم الله تعالى.

وراوي هذا الكتاب هو حماد بن أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، فهو ابن المصنف رحمه الله، وهو أدرى بمذهب أبيه من غيره، قال عنه ابن خلكان (**إنه كان على مذهب أبيه، وإنه كان صالحاً خيراً**)

وقد ضعفه بعض المحدثين في الرواية، ولكننا لانقدح في روايته لهذا الكتاب لملاصقته لأبيه، ولأن العلماء تناقلوا هذا الكتاب، فما رأينا فيه من مخالفة لما قرره الطحاوي في عقيدته، جزمنا أنه أدخل فيه وليس من كلام الإمام مثل ماجاء: (**أن الله كلم موسى بكلامه الذي هو له صفة في الأزل، وهو يتكلم بلا آلة ولا حرف**) (**ولفظنا بالقرآن مخلوق**)

(ولايكون بينه وبين خلقه مسافة) فكل هذا مما أحدثه المتأخرون بعد أبي حنيفة ولايعرف هذا في كلام السلف، فمنها ما يرجع إلى أن كلام الله معنى نفسي وأن القرآن الذي نقرؤه عبارة عن ذلك المعنى النفسي، وهذا مذهب أحدثه ابن كلاب، ومنها مايرجع إلى بدعة التلفظ بالقرآن، وأول من أحدثها الكرابيسي في زمن الإمام أحمد بن حنبل، ومنها ما يرجع إلى شروط مخترعة، توجب امتناع الرؤية، وهذا مما أحدثه أهل الكلام، من الأشعرية والماتريدية فكل هذا مما أدخل على هذا الكتاب، وما عدا ذلك فيظهر أنه كلام الإمام رحمه الله، أو من تخريج ولده حماد على كلامه.

ومنهجي في إخراج هذاالكتاب ما يلي:

١ ــ وضع عناوين جانبية تقسم الكتاب إلى فقرات.

٢ ــ وضع المتن في أعلى الصفحة.

٣ ــ شرح الكلمات الغامضة.

٤ ــ شرح المتن إجمالاً بطريقة مبسطة موافقة لمذهب السلف.

٥ ــ عزو الآيات إلى مواضعها في القرآن.

٦ ــ تخريج الأحاديث النبوية مع بيان درجتها ما أمكن.

٧ ــ عمل خلاصة لكل فقرة مما يسهل الاستفادة منها.

٨ ــ وضع أسئلة للمناقشة وذلك لبيان مدى الاستفادة منها، ولكي يكون كتاباً مدرسياً يسهل تناوله للطلاب.

وما كان فيه من حق فمن الله، وما كان سوى ذلك فمن نفسي واستغفر الله من كل ذنب.

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. محمد عبدالرحمن الخميس

ترجمة الإمام أبي حنيفة

اسمه وكنيته ولقبه:

هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زُوطَي - بضم الزاي وفتح الطاء - الخزاز الكوفي.

مولده: ولد سنة ٨٠ هـ بالكوفة في حياة صغار الصحابة.

قال عنه الفضيل بن عياض (كان أبو حنيفة رجلا فقيهاً معروفاً بالفقه، مشهوراً بالورع، واسع المال، معروفاً بالأفضال على كل من يطيف به، صبوراً على تعليم العلم بالليل والنهار، كثير الصمت، قليل الكلام، حتى ترد مسألة في الحلال أو الحرام، فكان يحسن أن يدل على الحق هاربا من السلطان)[١].

وقال عنه ابن عبد البر: (كان في الفقه إماماً، حسن الرأي والقياس، لطيف الاستخراج جيد الذهن، حاضر الفهم، ذكياً ورعاً عاقلاً)[٢].

وقال عنه شيخ الإسلام: (إن أبا حنيفة وإن كان الناس خالفوه في أشياء، وأنكروها عليه فلا يستريب أحد في فقهه وفهمه وعلمه)[٣].

وقال عنه الذهبي: (كان إماما ورعاً عالماً متعبداً كبير الشأن

(١) تاريخ بغداد (١٣/٣٤٠).
(٢) الاستغناء (١/٥٧٢).
(٣) منهاج السنة (٢/٥٧٢).

لايقبل جوائز السلطان)[١].

وقد ارتفع شأنه حتى أصبح أحد الأمة الأربعة المتبوعين أصحاب المذاهب المنتشرة.

وفاته: توفي رحمه الله ليلة النصف من شعبان سنة ١٥٠هـ، ودفن في مقابر الخيزران ببغداد، وكان عمره سبعين عاما[٢].

(١) تذكرة الحفاظ (١/١٦٨).

(٢) الانتقاء (ص١٧١).

بيان أصول الإيمان

أصل التوحيد، ومايصح الاعتقاد عليه يجب أن يقول: آمنت بالله

اللغة: (أصل) أصل الشيء أساسه الذي يقوم عليه، ومنشأة الذي ينشأ منه.

الشرح: بدأ الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى ببيان مايجب في باب الاعتقاد، وما لايكون الاعتقاد صحيحاً إلا به، وأصل وأساس التوحيد، وهو أن يقول الإنسان: «آمنت بالله..» ومعنى التلفظ بذلك أن القائل يقر ويعترف بإيمانه بالله تعالى، وهذا الإيمان له ثلاثة أنواع:

الأول: توحيد الربوبية هو أن يؤمن بأن الله تعالى هو المنفرد بالخلق والرزق والتدبير والتصرف والملك في هذا الكون، قال - تعالى - : ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾[1].

وكل الخلق عموماً مقرون بهذا النوع من التوحيد ويسمى توحيد الربوبية، فلارب للخلق إلا الله عز وجل.

النوع الثاني: توحيد الأسماء والصفات، ومعناه الإقرار والاعتراف بأن الله تعالى واحد في أسمائه وصفاته، فنثبت لله تعالى كل ما أثبته لنفسه من الأسماء الحسنى والصفات العلى، التي أثبتها لنفسه في كتابه أو أثبتها له رسوله ﷺ، من غير أن نكيفها بكيفية معينة، ومن غير أن نمثلها بصفات المخلوقين أو نشبه الله بخلقه، ومن غير أن نلحد فيها

(١) سورة فاطر الآية(٣).

بتحريف في معناها، أو تأويل يخرجها عن معناها الحقيقي، وذلك كله مع إثبات التنزيه لله تعالى إذ قال في محكم كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[1]. ففيها التنزيه عن المشابهة مع إثبات الصفات.

النوع الثالث: توحيد العبودية (**الألوهية**) ويشتمل على الإقرار والاعتراف بأنه تعالى المستحق للعبادة دون سواه، وذلك هو مقتضى شهادة (لا إله إلا الله)، فهي نفي لجميع الآلهة الباطلة، ثم إثبات العبادة لله وحده دون سواه، وكل الآلهة غير الله باطلة. قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾[2]. وذلك لكونها ليس لها من أمر الربوبية شيء، فيجب الإقرار بوجوب إفراد الله بالعبادة، ثم بعد ذلك تصرف العبادة كلها له وحده دون سواه، من صلاة وزكاة وصوم وحج، ونذر ونحر ورغبة ورهبة وخوف ورجاء وتوكل وغيره، ومن صرف شيئاً من العبادة لغيره سبحانه فقد أشرك.

---

(١) سورة الشورى الآية (١١).

(١) سورة الحج الآية (٦٢).

وملائكته، وكتبه. ورسله

اللغة: (ملائكة) جمع ملك وهو خلق نوراني لطيف قائم على أمر الله (رسل) جمع رسول من نزل إليه شرع وأمر بتبليغه.

الشرح: ومن أركان الإيمان، الإيمان بالملائكة، خلقوا لعبادة الله والقيام على إنفاذ أمره، وهم متنوعون ولكل منهم وظيفته، فيجب الإيمان بهم إجمالا، ثم يجب الإيمان تفصيلاً بمن ورد فيه نص، وخزنة الجنة، وخزنة النار، ومنكر ونكير، ورقيب وعتيد، والحفظة وغيرهم. فكل هؤلاء يجب الإيمان بهم تفصيلاً.

* **ومن أركان الإيمان أيضاً**: الإيمان بالكتب التي أنزلتها الله تعالى على بعض رسله، وفيها شرع الله تعالى والمواعظ لعباده، فيجب الإيمان بها إجمالاً، وبما ورد به النص منها تفصيلاً، وهي: التوراة والإنجيل، ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣﴾[1]. والزبور، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[2] وصحف إبراهيم وموسى، والقرآن، وهو خيرها وخاتمها والمصدق لها والمهيمن عليها، وهو كلام الله تعالى، لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فيجب الإيمان بكل ذلك.

* **ومن أركان الإيمان أيضاً**: الإيمان بالرسل، ومعناه الإيمان بأن الله تعالى اختار من الناس رسلاً لإبلاغ شرعه ووحيه، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ

(١) سورة آل عمران الآية (٣).
(٢) سورة النساء الآية (١٦٣).

﴿يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾[1]. وقال عز وجل: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[2].

وهؤلاء الرسل هم خير بني آدم على الإطلاق، ومنهم من نعرفه ومنهم من لانعرفه، كما قال عز وجل: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾[3]. وأول الرسل هو نوح عليه السلام، وآخرهم وخيرهم محمد ﷺ والمذكورون في كتاب الله خمسة وعشرون، نؤمن بهم تفصيلاً، ومن أنكر نبوة أحدهم كفر، ونؤمن بالباقين على وجه الإجمال، ولانفرق بين أحد من رسل الله تعالى، بل نحبهم ونؤمن بهم أجمعين.

(١) سورة الحج الآية (٧٥).

(٢) سورة النساء الآية (١٦٥).

(٣) سورة النساء الآية (١٦٤).

والبعث بعد الموت، والقدر خيره وشره من الله تعالى

اللغة: (البعث) الإحياء بعد الموت (القدر) المراد منه المقدور والتقدير.

الشرح: ويجب الإيمان بالبعث بعد الموت، وذلك يعني الإيمان بأن الله تعالى يبعث الناس بعد موتهم، أي يحييهم بعد الموت، فيحاسبهم على ما قدموا في الدنيا، ويجازيهم على أعمالهم، والبعث يكون للأرواح وللأجساد معاً، يركب الله الإنسان مرة أخرى كما ركبه في أول خلقه، فيحييه وذلك على الله تعالى يسير، قال الله عز وجل في الرد على من استغرب البعث: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ۝٣ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ۝٤﴾[1]، وقال تعالى حاكما بكفر من أنكر البعث: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾[2]، فمن أنكر البعث كفر، بل يبعث الله الناس يوم القيامة فيجزيهم بأعمالهم، كما قال عز وجل: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[3].

---

(١) سورة القيامة الآيتان (٣: ٤).

(٢) سورة التغابن الآية (٧).

(٣) سورة المجادلة الآية (٦).

* وأما الإيمان بالقدر فهو من أعظم أركان الإيمان، ويتضمن الإيمان بأربعة أمور:

الأول: الإيمان بالعلم: ومعناه الإيمان بأن الله تعالى علم كل شيء قبل خلقه، وقبل خلق السموات والأرض فلم يخف عليه خافية، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ ﴾[1].

وقال عز وجل: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ ﴾[2]. قال الإمام الطحاوي رحمه الله في عقيدته: «ولم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم»[3].

الثاني: الإيمان بالكتابة: ومعناه الإيمان بأن الله تعالى كتب كل شيء يكون في هذا الكون قبل خلقه، فكتب الصغير والكبير، ولم يترك شيئاً إلا أحصاه، كما قال عز وجل: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾[4]، وهذا التقدير الأزلي الذي لم يخرج عنه شيء قال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى في عقيدته: «ونؤمن باللوح والقلم، وبجميع ما فيه قد رقم، فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى فيه

(١) سورة آل عمران الآية (٥).
(٢) سورة يونس الآية (٦١).
(٣) شرح العقيدة الطحاوية (ص٩٥).
(٤) سورة الحديد الآية (٢٢).

ليجعلوه كائناً لم يقدروا عليه، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة»[١].

الثالث: الإرادة: ومعناه الإيمان بأنه لا يكون شيء في هذا الكون إلا بمشيئة الله، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن إرادته ومشيئة نافذة لا تتخلف أبداً، وحتى الخير والشر كله كائن بمشيئة الله تعالى، قال عز وجل: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٢]. وقال الإمام الطحاوي رحمه الله في عقيدته: «**وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد إلا ما شاء الله، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن**»[٣].

الرابع: الخلق: فكل شيء كائن فالله تعالى هو الذي خلقه وأوجده، وأعمال العباد مخلوقة لله تعالى، الخير والشر، كما قال عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[٤]. وقال تبارك وتعالى: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾[٥]. وقد خالفت القدرية في هذا وجعلوا الإنسان مريداً للشر خالقاً له دون إرادة الله تعالى وخلقه، فجعلوه خالقاً مع الله عز وجل.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٣٣: ٢٣٤).
(٢) سورة التكوير الآية (٢٩).
(٣) شرح العقيدة الطحاوية (ص٩٥).
(٤) سورة الصافات الآية (٩٦).
(٥) سورة الجاثية الآية (٢٣).

والحساب، والميزان

اللغة: (الحساب) مصدر حاسب، أي ناقش وجزى (الميزان) مفعال من وزن، وهو ما يوزن به.

الشرح: ويؤمن أهل السنة بالحساب: فالله تعالى يبعث الناس يوم القيامة، فيحاسبهم بأعمالهم ويجازيهم بها، وهذا من أعظم الأمور التي تكون في يوم القيامة، قال عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[١]، وقال: ﴿فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا ۝٨﴾[٢].

ويؤمنون أيضا بالميزان: وهو ميزان عظيم له كفتان حقيقيتان، توزن به أعمال العباد يوم القيامة، فمن رجحت حسناته فقد فاز، ومن رجحت سيئاته فقد خسر، وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾[٣]. وقال الطحاوي في (عقيدته): «**ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراط والميزان**»[٤].

---

(١) سورة الانشقاق الآيتان (٧:٨).

(٢) سورة الطلاق الآية (٨).

(٣) سورة الأنبياء الآية (٤٧).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (ص٣٩٦).

والجنة، والنار، وذلك كله حق

اللغة:

الشرح: ومن أعظم الأمور التي يؤمن بها أهل السنة مما يتعلق باليوم الآخر، الجنة والنار، فالجنة دار المتقين الصالحين، ودار الطيبين، فيها النعيم المقيم، وهي دار الثواب والنعمة والرحمة، والنار دار الكافرين والمنافقين والفاسقين، فيها العذاب الأليم، وهي دار العقوبة والنقمة، ليس فيها خير أبداً. والآيات في ذكرهما لا تحصى، منها قوله تعالى: ﴿ يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾[1]. وقال: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾[2]. وقال: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا﴾[3]. وقال عزوجل: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾[4]. وقال: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾[5]. فكل ذلك حق يجب الإيمان به، ومن كذب بشيء من ذلك فهو كافر بالله تعالى.

الخلاصة:

أصول الإيمان أن يؤمن الإنسان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله

(١) سورة النساء الآيتان (١٣: ١٤).
(٢) سورة الفتح الآية (١٧).
(٣) سورة الكهف الآية (١٠٢).
(٤) سورة الزمر الآية (٧٣).
(٥) سورة الزمر الآية (٧١).

واليوم الآخر بما فيه من جنة ونار وحساب وميزان وصراط، والإيمان بالقدر خيره وشره.

المناقشة:

س١ ــ اذكر ما هي أصول الإيمان؟

س٢ ــ اذكر بعضاً من مشاهد يوم القيامة؟

وحدانية الله تعالى

والله تعالى واحد، لا من طريق العدد، ولكن من طريق أنه لا شريك له، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، لا يشبه شيئاً من الأشياء من خلقه، ولا يشبهه شيء من خلقه، لم يزل ولا يزال بأسمائه، وصفاته الذاتية والفعلية.

اللغة: (كفوا) الكفء هو النظير والمساوي والند (الذاتية) الصفات اللازمة للذات (الفعلية) المتعلقة بالمشيئة.

الشرح: الله تعالى واحد، ليس بمعنى الواحد الذي هو نصف الاثنين، ولكن بمعنى أنه واحد لا شريك له، لا في ربوبيته، ولا في ألوهيته، ولا في أسمائه وصفاته، وما ورد من اشتراك في اسم أو صفة بين الله تعالى وبين خلقه، فالاشتراك في اللفظ فقط، وذلك نحو: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[1] وقوله في الإنسان: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[2] فالاشتراك لفظي فقط، وأما حقيقة الاسم والصفة وكيفيتها فإنها تختلف في حق الله عنها في حق المخلوق كاختلاف ذات الله عن ذات المخلوق والله تعالى من صفته أنه ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[3] فهو متنزه سبحانه عن أن يكون له ولد، ومتنزه عن أن يكون له والد، فإن ذلك يستلزم الحدوث، وهذا متصور في حق

---

(١) سورة النساء الآية (٥٨).

(٢) سورة الإنسان الآية (٢).

(٣) سورة الإخلاص الآيتان (٣: ٤).

المخلوقات، وأما في حقه تعالى فهو مستحيل، والله تعالى لا يشبه أحداً من خلقه، ولا يشبهه أحد من خلقه، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1].

بل إنه سبحانه وتعالى أول بلا ابتداء وآخر بلا انتهاء، أول قبل كل شيء وآخر بعد كل شيء. أول وآخر بأسمائه الحسنى، وصفاته العلي، الذاتية منها والفعلية أما الذاتية فهي الصفات اللازمة للذات أولا وآخراً ولا ترتبط بالمشيئة، وذلك كالحياة مثلاً، وأما الفعلية فهي التي ترتبط بالمشيئة فتكون إذا أراد الله أن تكون: كالغضب والرضى، وهي قديمة النوع وإن كانت إحداها مرتبطة بالمشيئة، أما الذاتية فهي قديمة مطلقاً، وتقسيم الصفات إلى ذاتية وفعلية تقسيم مشهور عند أهل السنة والجماعة[2].

---

(١) سورة الشورى الآية (١١).

(٢) انظر الأسماء والصفات (ص١١٠) والاعتقاد (ص٧٠: ٧٢) كلاهما للبيهقي، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (ص٣٠٠) ومجموع الفتاوى (٥/٩٩) (٦/٢٦٨) والعلو للذهبي (ص١٧٤).

الصفات الذاتية والفعلية

أما الذاتية: فالحياة والقدرة والعلم والكلام والسمع والبصر والإرادة، وأما الفعلية فالتخليق والترزيق والإنشاء والإبداع والصنع وغير ذلك من صفات الفعل، لم يزل ولا يزال بصفاته وأسمائه لم يحدث له صفة ولا اسم.

اللغة: (التخليق) خلق الأشياء (الترزيق) رزق الكائنات (الإنشاء) الابتداء (الإبداع) أي على غير مثال سبق.

الشرح: **ثم بين رحمه الله بعضا من الصفات الذاتية كصفة الحياة** ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾[١] ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[٢]، **والعلم لقوله:** ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾[٣] والكلام لقوله: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾[٤] وقوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[٥] والقدرة لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[٦] والسمع والبصر لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[٧]. والإرداة لقوله ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ

---

(١) سورة الفرقان الآية (٥٨).
(٢) سورة البقرة الآية (٢٥٥).
(٣) سورة البقرة الآية (٢٥٥).
(٤) سورة الأعراف الآية (١٤٤).
(٥) سوررة النساء الآية (١٦٤).
(٦) سورة البقرة الآية (٢٠).
(٧) سورة النساء الآية (٥٨).

لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا . . .﴾[١] وذكر بعضاً من الصفات الفعلية مثل التخليق لقوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[٢] والترزيق لقوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[٣] والانشاء لقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾[٤] لقوله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٥] والصنع لقوله: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[٦] والله تعالى أول بأسمائه وصفاته فلم يحدث له اسم ولا صفة بعد أن لم تكن بل أسماؤه وصفاته قديمة.

الخلاصة:

أن الله تعالى واحد لا شريك له، لا في ذاته، ولا في أفعاله، ولا في أسمائه ولا في صفاته، وهو أول بلا ابتداء، وصفاته كلها أزلية، الذاتية منها والفعلية.

المناقشة:

س ١ ــ ما الدليل على أن الله تعالى أول قبل كل شيء؟
س ٢ ــ هل صفات الله قديمة أم لا؟
س ٣ ــ اذكر ثلاثا من الصفات الذاتية، وثلاثا من الصفات الفعلية.

---

(١) سورة الأنعام الآية (١٢٥).
(٢) سورة الزمر الآية (٦٢).
(٣) سورة هود الآية (٦).
(٤) سورة المؤمنون الآية (٧٨).
(٥) سورة الأنعام الآية (١٠١).
(٦) سورة النمل الآية (٨٨).

صفات الله أزلية

لم يزل عالماً بعلمه، والعلم صفة في الأزل، وقادراً بقدرته، والقدرة صفة في الأزل، ومتكلماً بكلامه، والكلام صفة في الأزل، وخالقاً بتخليقه، والتخليق صفة في الأزل، وفاعلا بفعله، والفعل صفة في الأزل، والفاعل هو الله تعالى، والفعل صفة في الأزل والمفعول مخلوق، وفعل الله تعالى غير مخلوق.

اللغة: في الأزل) في القدم:

الشرح: إن الله تعالى عليم لا يغيب عنه شيء، وذلك كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1] وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[2] وعلمه تعالى صفة لذاته، وهي صفة أزلية قديمة، ليست محدثة بعد أن لم تكن، ومن قال إن الله كان لا يعلم حتى أحدث لنفسه عالماً فهو كافر بالله تعالى، إذا جحد صفة ثابتة لله تعالى، ورماه بالنقص.

والله - عز وجل - قادر على كل شيء، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[3]، فلا يعجزه شيء كما قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[4]، وقدرته تعالى صفة ذاتية قديمة في الأزل، وليست محدثة، فمن أنكرها وزعم أن الله تعالى صار

---

(١) سورة فاطر الآية (٣٨).

(٢) سورة آل عمران الآية (٥).

(٣) سورة البقرة الآية (٢٠).

(٤) سورة فاطر الآية (٤٤).

قادراً بعد أن لم يكن وأحدث لنفسه قدرة بعد أن لم تكن، فهذا كافر بالله تعالى، حيث رمى الله تعالى بالنقص، ونفى صفته الثابتة.

* **وكذلك صفة الكلام صفة ذاتية قديمة**، فالله تعالى متصف بصفة الكلام من قبل أن يتكلم: قال الله عز وجل: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[١] وقال: ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[٢] فالله تعالى يتكلم بما يشاء وقتما يشاء، لم يزل ولا يزال متكلما، ولا يشبه كلامه كلام البشر، ومن أنكر صفة الكلام لله تعالى فقد كفر.

* **ومن صفاته تعالى أنه فاعل بفعله**، فالله تعالى إذا أراد أن يفعل شيئاً فعله، وصفة الفعل صفة أزلية قديمة، لم يزل ولا يزال فاعلاً لما يشاء، وذلك كما قال تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[٣] فمن أنكر هذه الصفة لله تعالى فقد كفر، ونفى عن الله صفة ثابتة له كذلك، والصفات فرع عن الذات فهي قديمة قدم الذات والفاعل لكل شيء حقيقة هو الله تعالى، والفعل صفة من صفاته، وأما المفعولات فهي المخلوقات، فهي مخلوقة، ولكن فعل الله غير ملخوق، بل هو من صفاته الأزلية.

* **ومن صفاته أنه خالق لكل شيء كما قال**: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[٤] والخلق بمعنى التخليق صفة أزلية قديمة.

---

(١) سورة النساء الآية (١٦٤).

(٢) سورة الأعراف الآية (١٤٣).

(٣) سورة البروج الآية (١٦).

(٤) سورة الزمر الآية (٦٢).

القول في القرآن

وصفاته في الأزل غير محدثة ولا مخلوقة، ومن قال إنها مخلوقة أو محدثة أو وقف أو شك فيها فهو كافر بالله تعالى. والقرآن كلام الله ـ تعالى ـ في المصاحف مكتوب، وفي القلوب محفوظ، وعلى الألسن مقروء وعلى النبي عليه الصلاة والسلام منزل، ولفظنا بالقرآن مخلوق وكتابتنا له مخلوقة، وقراءتنا له مخلوقة، والقرآن غير مخلوق.

اللغة:

الشرح: فمن زعم أن الله تعالى أصبح خالقاً بعد أن لم يكن فهو كافر.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله في عقيدته: «ما زال بصفته قديما قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفاته أزلياً كذلك لا يزال عليها أبديا، ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداثه البرية استفاد اسم الباري، له معنى الربوبية ولا مربوب ومعنى الخالق ولا مخلوق، وكما أنه محيي الموتى بعدما أحيا استحق هذا الاسم قبل إحيائهم، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم»[1] فكل صفات الله تعالى أزلية غير محدثة ولا مخلوقة، ومن قال إن صفات الله تعالى محدثة أو مخلوقة، أو توقف في نفي الحدوث عنها، أو شك في أزليتها وقدمها، فهو كافر بالله تعالى.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص٦٨: ٨٣).

والقرآن كلام الله تعالى، كما قال عز وجل: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾[1] وقد أجمع أهل الحق على أن هذا القرآن كلام الله تعالى، ومن نفى أنه كلام الله فقد كفر، وهو مكتوب في المصاحف، محفوظ في القلوب، ومقروء على الألسن، ومنزل على النبي عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[2] وقال عز وجل: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[3].

ولفظ القارىء بالقرآن هو من فعل العبد، وصوته وحركة لسانه مخلوق، وكتابة الكاتب للقرآن مخلوقة من حيث هي فعل للعبد، وقراءة القارىء مخلوقة من حيث هي فعل للعبد، والقرآن في كل ذلك غير مخلوق، بل هو كلام الله تعالى غير مخلوق ثم قوله «**ولفظنا بالقرآن مخلوق**..» ليس على طريقة أهل السنة بل على طريقة أهل الكلام وليس من كلام أبي حنيفة رحمه الله لأن مسألة اللفظ إنما حدثت بعد ما قال ابن كلاب بالكلام النفسي وتستر بها بعض الجهمية لأنهم كانوا يريدون به الملفوظ وهو القرآن فأنكر عليهم أئمة السنة أمثال الإمام أحمد وغيره سدّاً للذريعة إلى القول بخلق القرآن، قال الإمام الطحاوي في عقيدته: «وإن القرآن كلام الله، منه بدأ بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحيا وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام

(١) سورة التوبة الآية (٦).

(٢) سورة الشعراء الآيات (١٩٢: ١٩٥).

(٣) سورة الفرقان الآية (١).

البشر، فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال تعالى ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ (المدثر ٢٦) فلما أوعد الله بسقر لمن قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ (المدثر ٢٥) علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر»[1].

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص١٢١: ١٢٢).

وما ذكره الله تعالى في القرآن حكاية عن موسى وغيره من الأنبياء عليهم السلام، وعن فرعون وإبليس، فإن ذلك كله كلام الله تعالى إخباراً عنهم، وكلام الله تعالى غير مخلوق، وكلام موسى وغيره من المخلوقين، والقرآن كلام الله تعالى فهو قديم لا كلامهم، وسمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى، كما في قوله تعالى ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾.

اللغة:

الشرح: وكل ذلك ذكره الله تعالى في القرآن، حكاية عن موسى عليه السلام، أو غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، من كلام قالوه، أو ما حكاه الله تعالى عن فرعون وإبليس، من جنس قول فرعون: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[1] أو قول إبليس: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾[2]، وكذلك كلام الأمم التي كذبت رسلها وما ردوا على رسلهم، كل ذلك مما حكاه الله تعالى إخباراً عنهم، وكلامه تعالى غير مخلوق، أما كلام موسى الذي قال حين قاله، وكلام فرعون وإبليس، وغيرهم من المخلوقات، كل ذلك مخلوق، لأن أفعال العباد مخلوقة، لكن ما حكاه الله تعالى عنهم فإنما هو كلامه، وكلامه غير مخلوق. بقي هل هو قديم أم حادث، فالصواب أن كلامه ـ تعالى ـ قديم النوع، حادث الأفراد بمعنى أن أفراده تتجدد لا بمعنى أن أفراده مخلوقة فكثير من أفراد كلامه تعالى لم يتكلم الله بها تعالى حتى الآن، بل

---

(١) سورة النازعات الآية (٢٤).

(٢) سورة الأعراف الآية (٢٠).

متجدد فيما بعد وبهذا زال كثير من إشكالات المتكلمين فمن زعم أن في القرآن حرفا مخلوقا فقد كفر بالله تعالى.

وقد سمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى حين كلمه، سمعه بأذنيه حقيقة، كما قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[1] وقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[2] فهو كلام حقيقي بصوت وحرف، سمعه موسى حقيقة.

الخلاصة:

إن الله تعالى عالم في الأزل، قادر في الأزل متكلم في الأزل، خالق في الأزل، والقرآن كلام الله غير مخلوق وما حكاه الله في القرآن عن المخلوقين، فإنه كلامه تعالى إخباراً عنهم.

المناقشة:

س١ ــ هل القرآن مخلوق؟ وما حكم من قال ذلك؟
س٢ ــ ما حكاه الله تعالى عن الكفار في كتابه، هل هو كلامه أم لا؟

(١) سورة النساء الآية (١٦٤).
(٢) سورة الأعراف الآية (١٤٣).

وقد كان الله تعالى متكلما ولم يكن كلم موسى عليه السلام، وقد كان الله تعالى خالقاً في الأزل ولم يخلق الخلق، فلما كلم الله موسى كلمه بكلامه الذي هو له صفة في الأزل، وصفاته كلها بخلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا ويرى لا كرؤيتنا.

اللغة:

الشرح: لقد كان الله تعالى متكلما من قبل أن يكلم موسى، وذلك لأن الكلام صفته الأزلية، فهو متكلم بكلام حقيقي ليس ككلام المخلوقين، لم يزل ولا يزال متكلما وقتما يشاء، متكلم قبل أن يكلم موسى وبعد أن كلمه، لم تحدث له صفة الكلام بعد أن لم تكن، ولما كلم موسى عليه السلام كلمه بكلامه الذي هو صفة به في الأزل، وسمعه موسى عليه السلام على الحقيقة.

وهكذا جميع صفاته تعالى أزلية، ولا تشبه صفات المخلوقين، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1] فمن زعم أن صفات الله تعالى كصفات المخلوقين، ومن زعم أن الله تعالى يشبه أحداً من خلقه أو يشبهه أحد من خلقه فهو كافر بالله العظيم.

هذا مع العلم أن صفاته تعالى أزلية، وتدل على معان حقيقية، لكن على الكيفية اللائقة بالله تعالى ولا يعلم هذه الكيفية على حقيقتها إلا الله تعالى، فهي مما استأثر الله عز وجل بعلمه.

والله تعالى يعلم كل شيء، الصغير والكبير، الجزئيات والكليات،

---

(١) سورة الشورى الآية (١١).

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[١] وعلمه تعالى علم كامل لا يغيب عنه شيء، مطلق لا تخفى عليه ذرة، بخلاف علم المخلوقين، فإن الله تعالى لا يشبهه شيء من خلقه، فصفته غير صفة المخلوقين والله تعالى قادر، وقدرته مطلقة لا يعجزها شيء، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢]، فلا يعجزه شيء سبحانه وتعالى، فقدرته ليست كقدرة المخلوقين.

وهو سبحانه وتعالى يرى كل شيء لا تخفى عليه من أمور خلقه خافية، قال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[٣]، وصفة الرؤية عند الله تعالى ليست كصفة الرؤية عند المخلوقين، وهي وإن كانت تدل على معنى حقيقي، لكن كيفيتها لا يعرفها إلا الله تعالى. وهكذا كل صفاته تعالى لا يعلم على أي كيفية هي إلا هو سبحانه وتعالى، فهي مما استأثر الله بعلمه.

---

(١) سورة المجادلة الآية (٧).

(٢) سورة البقرة الآية (٢٠).

(٣) سورة طه الآية (٤٦).

ويتكلم لا ككلامنا، ويسمع لا كسمعنا، ونحن نتكلم بالآلات والحروف، والله تعالى يتكلم بلا آلة ولا حروف، والحروف مخلوقة، وكلام الله تعالى غير مخلوق، وهو شيء لا كالأشياء ومعنى الشيء الثابت بلا جسم ولا جوهر ولا عرض ولا حدَّ له ولا ضدَّ له ولا ندَّ له ولا مثل له.

اللغة: (**الآلات**) الأدوات (**جوهر**) جوهر الشيء ذاته وحقيقته وهو في الفلسفة ما قام بنفسه ويقابله العرض وهو ما قام بغيره (**ضد**) ضد الشيء ما يقابله ويناقضه (**ند**) الند هو المكافىء والنظير.

الشرح: والله تعالى يتكلم لا ككلام البشر بل كلامه على الكيفية اللائقة به سبحانه، ويسمع لا كسمع البشر، بل على ما يليق به عز وجل وأما قوله: «**والله تعالى يتكلم بلا آلة ولا حروف والحروف مخلوقة**».

فهو من بدع المتكلمين الذين يقولون بخلق القرآن وليس هذا من كلام أبي حنيفة رحمه الله قطعاً لأن بدعة القول بخلق حروف القرآن مبنية على بدعة القول بالكلام النفسي، والقول ببدعة الكلام النفسي لم يكن في زمن أبي حنيفة المتوفى سنة (١٥٠هـ) بل كان في عهد ابن كلاب (٢٤١هـ)، ثم من عقيدة أهل السنة والجماعة أن القرآن بحروفه هو كلام الله تكلم بحروفه وبصوته هو، فكما أن كلامه ليس ككلام خلقه فكذلك صوته ليس كصوت خلقه، ولا يكون الكلام إلا بحرف وصوت وإما قوله ﴿ **بلا جسم ولا جوهر ولا عرض**.. ﴾ فهذه من ألفاظ المتكلمين وليست من كلام أبي حنيفة وهي ألفاظ مجملة لم يرد نفيها ولا إثباتها فالجواب السكوت عنها.

الخلاصة:

أن الله تعالى يتكلم وقتما يشاء وكيفما يشاء، بلا كيفية، وكلامه تعالى لا يشبه كلام غيره، وهو يتكلم بصوت وحرف، وكلامه غير مخلوق.

المناقشة:

س١ ــ هل هناك كيفية معينة لكلام الله تعالى؟

س٢ ــ هل كلامه تعالى بصوت وحرف أم لا؟

س٣ ــ ما حكم من شبه كلام الله بكلام المخلوقين؟

القول في الصفات

وله يد ووجه ونفس كما ذكره الله تعالى في القرآن، فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس، فهو له صفات بلا كيف، ولا يقال إن يده قدرته أو نعمته لأن فيه إبطال الصفة، وهو قول أهل القدر والاعتزال، ولكن يده صفته بلا كيف، وغضبه ورضاه صفتان من صفات الله تعالى بلا كيف.

اللغة: (إبطال) نقض ونفي.

الشرح: والله تعالى قد أثبت لنفسه في القرآن صفة اليد، كما قال: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[1] وصفة الوجه، كما قال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[2] وصفة النفس، كما قال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[3] فكل هذه الصفات قد ثبتت لله تعالى بلا كيف، فإن الله عز وجل قد أثبت لنفسه الصفة، فوجب علينا أن نثبتها له سبحانه وتعالى، ولم يذكر لنا الكيفية، فوجب علينا أن نسكت عنها إذ هي غيب لا يعلمه إلا الله تعالى، وقد ضلت طوائف من الخلق، فتأولوا صفات الله تعالى بما يخرجها عن حقيقتها، فقالوا إن اليد هي القدرة، أو هي النعمة والإحسان، وقد أنكر أبو حنيفة رحمه الله ذلك، وبين أن في هذا إبطالا للصفة، وأن هذا هو قول القدرية المعتزلة وبين أن صفة اليد صفة حقيقية لله تعالى بلا كيف أي بلا كيفية معلومة.

---

(١) سورة الفتح الآية (١٠).

(٢) سورة القصص الآية (٨٨).

(٣) سورة آل عمران الآية (٢٨).

وبين أن الغضب والرضا كذلك صفتان من صفاته تعالى بلا كيف، قال تعالى مثبتا صفة الغضب: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[1] وقال مثبتاً صفة الرضا: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[2] وهذا النص في منهج أبي حنيفة ومذهبه في الصفات واضح جلي وهو يشمل على:

أ ــ أن كل ما ورد في الكتاب والسنة من صفات الله وأسمائه يجب إثباته بلا تشبيه ولا تعطيل.

ب ــ لا يجوز تأويل صفة بصفة أخرى.

جـ ــ من أول صفة بصفة أخرى فقد حرف وعطل.

الخلاصة:

صفات الله تعالى تقبل وتمرر على ظاهرها دون تأويل بما يخرجها عن حقيقتها، ودون تعطيل لها ودون تكييف لها بكيفية معينة.

المناقشة:

س١ ــ ما هو منهج أهل السنة في صفات الرب عز وجل؟

س٢ ــ ما هي أهم الفرق المنحرفة في باب الأسماء والصفات؟

س٣ ــ ما حكم من أوَّل اليد بالقدرة والغضب بالعقاب وغير ذلك؟

---

(١) سورة النساء الآية (٩٣).

(٢) سورة البينة الآية (٨).

القول في القدر

خلق الله تعالى الأشياء لا من شيء، وكان الله تعالى عالماً في الأزل بالأشياء قبل كونها وهو الذي قدر الأشياء وقضاها، ولا يكون في الدنيا ولا في الآخرة شيء إلا بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره، وكتبه في اللوح المحفوظ، ولكن كتبه بالوصف لا بالحكم، والقضاء والقدر والمشيئة صفاته في الأزل بلا كيف، يعلم الله تعالى المعدوم في حال عدمه معدوماً ويعلم أنه كيف يكون إذا أوجده، ويعلم الله الموجود في حال وجوده موجوداً ويعلم أنه كيف فناؤه، ويعلم الله القائم في حال قيامه قائماً وإذا قعد فقد علمه قاعداً في حال قعوده من غير أن يتغير علمه أو يحدث له علم ولكن التغير والاختلاف يحدث عند المخلوقين.

اللغة: (كتبه) كتابته (المعدوم) الشيء غير الكائن.

الشرح: لقد خلق الله تعالى الأشياء من عدم، لا من شيء، والله تعالى يخلق ما يشاء من لا شيء ولا يفتقر إلى شيء، وعلمه تعالى بالأشياء علم أزلي قديم، قبل أن تكون هذه الأشياء وقد سبق الكلام عن العلم الأزلي، وقد قدر سبحانه الأشياء وقضاها وذلك بأنه تعالى علمه ثم كتبها ثم أرادها فأوجدها وخلقها كما سبق بيانه، وكل شيء كائن أو معدوم إنما هو بقضاء الله وقدره، ولا يكون شيء في الدنيا أو في الآخرة إلا بمشيته تعالى وعلمه، وبقضائه وقدره، فهو تعالى قدر هذه الأشياء وقضاها، وشاء أن تحصل على الكيفية التي علمها، وكتبها في اللوح المحفوظ، وهو سبحانه لم يكتب الأشياء بالحكم فقط أي لم يكتب مثلاً (ليكن زيد مؤمنا) فإن هذا قد يتوهم منه الجبر، إذ أن كل ما حكم الله به فهو كائن لا ريب، وقوله: «**كتبه بالوصف لا بالحكم**»

فيحتمل والله أعلم أن تكون هذه العبارة منحولة وليست من كلامه رحمه الله، لأن فيها نفياً لمرتبة من مراتب الإيمان بالقدر، وهي مرتبة الخلق.

والقضاء والقدر والمشيئة كلها صفات أزلية بلا كيف، وقد علم الله تعالى الأشياء المعدومة - أي غير الكائنة - علمها وهي معدومة غير كائنة، كيف هي؟ وعلم أن لو أوجدها على أي كيفية سيكون وعلم سبحانه الموجودات في حال كونها موجودة كيف هي؟ ويعلم تعالى كيف يفني كل شيء عندما يقدر فناءه، وهو تعالى يعلم القائم حال كونه قائماً كيف هو؟ ولو أن هذا القائم قعد لعلمه الله تعالى كيف يكون قاعدا حال كونه قاعدا ومن قبل أن يقعد، كل ذلك من غير أن يتغير علمه سبحانه لأنه علم أزلي، ومن غير أن يحدث له علم بعد أن لم يكن، فعلمه تعالى قبل كل شيء غير مخلوق وإنما يكون التغير والاختلاف في المخلوقين، لا في الخالق ولا في صفاته، ويحتمل أن يكون قدر كبير من هذه العبارات من وضع المتكلمين وذلك تنزيها لأبي حنيفة من أن يستعمل كل هذه الاصطلاحات التي لم تكن على عهد السلف.

الخلاصة:

خلق الله الأشياء من عدم، ولا يكون شيء في هذا الكون إلا بإذنه وخلقه.

المناقشة:

س١ ــ مم خلق الله الأشياء؟

س٢ ــ هل يكون شيء بغير إذن الله تعالى؟

س٣ ــ هل يتغير علم الله تعالى؟

ما فطر الله عليه الناس

خلق الله تعالى الخلق سليماً من الكفر والإيمان، ثم خاطبهم، وأمرهم ونهاهم، فكفر من كفر بفعله وإنكاره وجحوده الحق بخذلان الله تعالى إياه، وآمن من آن بفعله وإقراره وتصديقه، بتوفيق الله تعالى إياه ونصرته له، أخرج ذرية آدم من صلبه فجعلهم عقلاء فخاطبهم، وأمرهم بالإيمان ونهاهم عن الكفر فأقروا له بالربوبية، فكان ذلك منهم إيماناً فهم يولدون على تلك الفطرة ومن كفر بعد ذلك فقد بدل وغير، ومن آمن وصدق فقد ثبت عليه وداوم.

اللغة: (سليماً) خالياً (الخذلان) نزع التوفيق والحرمان منه.

الشرح: قول الشيخ بأن الله خلق الخلق سليما من الكفر والإيمان فيه نظر، فإن الله تعالى خلق الناس على الفطرة وعلى الإقرار بالميثاق الأول، وفطرهم على الإقرار بتوحيده، والشعور بأنه تعالى المنفرد بالخلق والملك والرزق والتدبير، وغير ذلك، ثم بعد أن فطرهم على ذلك خاطبهم الله تعالى على ألسنة رسله، وأمرهم بالإيمان والطاعات، ونهاهم عن الكفر والمنكرات فكفر منهم من كفر، بفعله الاختياري، كما قال تعالى: ﴿فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾[1] وبإنكاره وجحوده الحق وكفره بدعوة الرسل، وكان ذلك من خذلان الله لهم، حيث حرمهم من التوفيق فاحتوشتهم الشياطين، واجتالتهم عن دينهم، وكل ذلك منهم بقدر الله تعالى وقضائه ومشيئته.

---

(١) سورة فصلت الآية (١٧).

ومنهم من آمن باختياره بفعله وإقراره وتصديقه، وكان ذلك منه بتوفيق الله تعالى له حيث لم يخذله ولم يدعه للشيطان، ونصره على نفسه وهواه وشيطانه، ومن آمن ومن كفر كلهم لم يخرجوا عن مشيئة الله تعالى كما قال عز وجل: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(١) وقد أخرج الله ذرية آدم من صلبة عقلاء حين خلقه، وخاطبهم وأمرهم بالإيمان به وتوحيده، ونهاهم أن يشركوا به، فأقروا له بالربوبية كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ﴾(٢).

فكان هذا الإقرار منهم ـ وهو الميثاق الأول ـ إيمانا، فولدوا على هذه الفطرة، فمنهم من بدل بعد ذلك وغير بالكفر ومنهم من استجاب لدعوة الرسل وآمن بالله فثبت على الميثاق الأول، وقد جاء في الحديث: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»(٣) وكل شيء بقدر الله ومشيئته.

---

(١) سورة التكوير الآية (٢٩).

(٢) سورة الأعراف الآية (١٧٢).

(٣) البخاري (٣/ ٢٩٠/ ١٣٨٥) في الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين، ومسلم (٤/ ٢٠٤٧/ ٢٦٥٨) في القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، كلاهما من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً.

ولم يجبر أحداً من خلقه على الكفر ولا على الإيمان، ولا خلقه* مؤمناً ولا كافراً ولكن خلقهم أشخاصاً، والإيمان والكفر فعل العباد، ويعلم الله تعالى من يكفر في حال كفره كافراً، فإذا آمن بعد ذلك علمه مؤمناً في حال إيمانه وأحبه من غير أن يتغير علمه وصفته، وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة، والله تعالى، خالقها، وهي كلها بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره.

اللغة: (يجبر) يُكْرِه.

الشرح: لم يكره الله تعالى أحداً من الخلق على الكفر ولا على الإيمان، وإنما خلقهم على الفطرة كما قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[1] وفي الحديث: «**إني خلقت عبادي حنفاء كلهم**»[2] ولا تعارض بين كون الإيمان والكفر فعلاً للعباد وكسباً لهم، وبين كون ذلك كله مخلوقاً لله تعالى مقدوراً له، وعلمه تعالى شامل لكل شيء، وهو يعلم الكافر حال كفره، ويعلمه كيف يكون إيمانه حتى قبل أن يؤمن وذلك كله بعلمه تعالى ومشيئته، وبعض هذه العبارات الواردة يحتمل ألا تكون من كلام الإمام رحمه الله، وذلك لتطرقها إلى موضوعات لم يكن السلف يتكلمون فيها بهذا التفصيل في زمانه رحمه الله تعالى.

وكل شيء يحدث فالله تعالى يعلمه من غير أن يتغير علمه، وعلمه أزلي، يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

(*) في الأصل (خلقهم).

(١) سورة الروم الآية (٣٠).

(٢) أخرجه مسلم ٤/٢١٩٧ ح٢٨٦٥ في الجنة وصفة نعيمها باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار من حديث مطرف بن عبدالله عن عياض بن حمار مرفوعا.

الخلاصة:

لم يكره الله أحداً من خلقه على الإيمان ولا على الكفر، ولكن خلقهم على الفطرة، ويعلم ما كان وما يكون من غير أن يتغير علمه سبحانه وتعالى.

المناقشة:

س١ ــ هل أجبر الله أحداً من خلقه على الإيمان أو على الكفر؟

س٢ ــ كيف خلق الله الخلق؟ على الإيمان أم على الكفر؟

س٣ ــ هل يعلم الله تعالى الشيء وقت كونه أم قبل ذلك؟

الطاعات محبوبة لله
والمعاصي مقدورة غير محبوبة

والطاعات كلها كانت واجبة بأمر الله تعالى وبمحبته وبرضائه وعلمه ومشيئته وقضائه وتقديره، والمعاصي كلها بعلمه وقضائه وتقديره ومشيئته لا بمحبته ولا برضائه ولا بأمره.

اللغة:

الشرح: إن الطاعات من الأقوال والأعمال إنما هي واجبة بأمر الله تعالى الشرعي، وبمحبته لهذه الطاعات ورضائه تعالى، كما قال عز وجل: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[1].

وهذه الطاعات كذلك بعلمه تعالى ومشيئته وقضائه وقدره، وذلك لأن الله تعالى علم أعمال العباد كلها، وشاءها وقضاها وقدرها، ولولا أن الله تعالى قدرها وقضاها ما وجدت، فإنه لا يكون شيء في هذا الكون إلا بمشيئته تعالى وقدره، وقد قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[3] وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ۝ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ۝ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾[4] وما كان من معاص

((١) سورة الزمر الآية (٧).

(٢) سورة الصافات الآية (٩٦).

(٣) سورة التكوير الآية (٢٩).

(٤) سورة المدثر الآيات (٥٤:٥٦).

في هذا الكون فإنما هي كذلك بعلم الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[1]، والله تعالى قد قضاها وقدرها وشاء أن تقع لعموم النصوص السابقة، وإن كان الله تعالى لا يحبها ولا يرضاها، كما قال عز وجل: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[2] ولم يأمر سبحانه وتعالى بهذه المعاصي أمراً شرعيا، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[3] وهكذا تبين أن الطاعات قد أرادها الله شرعاً ورضيها وأمر بها أمراً شرعياً، كما أنها إن وقعت فبإرادة الله الكونية، وأما المعاصي فهي إن وقعت فبإرادة الله الكونية وليس بإرادته الشرعية ولا بأمره الشرعي ولا برضاه ولا بمحبته، فافهم هذه المسألة تصل إلى الحق فيها.

(١) سورة آل عمران الآية (٥).

(٢) سورة الزمر الآية (٧).

(٣) سورة الأعراف الآية (٢٨).

القول في عصمة الأنبياء

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كلهم منزهون عن الصغائر والكبائر والكفر والقبائح وقد كانت منهم زلات وخطايا.

اللغة: (منزهون) معصومون (زلات) جمع زلة وهي الخطأ.

الشرح: اختلف الناس في مسألة عصمة الأنبياء، وهل يمكن أن تقع منهم الذنوب أم لا؟ وقد نقل ابن تيمية مذهب السلف في ذلك فقال: «والجمهور الذين يقولون بجواز الصغائر عليهم يقولون إنهم معصومون من الإقرار عليها، وحينئذ فما وصفوهم إلا بما فيه كمالهم، فإن الأعمال بالخواتيم مع أن القرآن والحديث وإجماع السلف معهم»[1].
وقال: «والقول الذي عليه جمهور الناس وهو الموافق للآثار المنقولة عن السلف إثبات العصمة من الإقرار على الذنوب مطلقاً والرد على من يقول إنه يجوز إقرارهم عليها»[2].

وقال: «والقول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر، هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف حتى إنه قول أكثر أهل الكلام.. بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين إلا ما يوافق هذا القول»[3].

وآثار الكتاب والسنة توافق هذا القول، فقد يصدر الزلل من نبي دون تعمد الوقوع فيه فيعاتبه ربه وينبهه ويرجع، فهو لا يتعمد

---

(١) منهاج السنة (١/٢٢٧).
(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٢٩٢: ٢٩٣).
(٣) مجموع الفتاوى (٤/٣٢٩).

ارتكابه، وربه لا يقره عليه فهذا هو الصواب في المسألة، وأما الكفر والكبائر فهم معصومون عنها مطلقاً، ومما يدل على جواز وقوع الزلل منهم قوله تعالى: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾[1] وقوله تعالى عن يونس: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2] وقول النبي ﷺ: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري...»[3] وغير ذلك.

الخلاصة:

الأنبياء معصومون من الكفر والكبائر مطلقاً، ومن تعمد الصغائر، وإذا وقعوا فيها فإنهم لا يقرون عليها.

المناقشة:

س١ ــ هل يمكن صدور الكفر والكبائر من الأنبياء؟

س٢ ــ ما حكم صدور الصغائر من الأنبياء؟

س٣ ــ هل يمكن أن يقر الأنبياء على الصغائر؟

---

(١) سورة طه الآية (١١٦).

(٢) سورة الأنبياء الآية (٨٧).

(٣) مسلم (٤/٢٠٨٧) ح٢٧١٩ في الذكر والدعاء باب التعوذ من شر ما عمل من حديث أبي بردة عن أبي موسى مرفوعاً.

القول في الرسول ﷺ

ومحمد عليه الصلاة والسلام حبيبه وعبده، ورسوله ونبيه، وصفيه ونقيه، ولم يعبد الصنم ولم يشرك بالله تعالى طرفة عين قط، ولم يرتكب صغيرة ولا كبيرة قط.

اللغة: (صفيه) من اصطفاه واختاره (نقيه) من نقاه من كل عيب.

الشرح: إن محمداً ﷺ وهو خليل الله تعالى، كما قال: «إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلا»[1] والخلة هي أعلى درجات المحبة، وهو عبدالله تعالى كما قال عز وجل: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾[2] وهو صفيه تعالى، اصطفاه على الناس جميعا، ونقيه الذي نقاه ربه من العيوب، لم يعبد الصنم قط حتى قبل البعثة، ولم يشرك بالله تعالى طرفة عين أبداً، ولم يصدر ذلك منه بحال، ولم تصدر منه كبيرة قط، ولم يرتكب صغيرة قط عمداً أو بعلم أو بعد تنبيه على ذلك، وقد قال عز وجل: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝﴾[3].

وهذا بناء على ما سبق تقريره من أن الأنبياء معصومون من الكبائر ومن تعمد الصغائر، أو الإقرار عليها، وكذلك هم منزهون عن

---

(١) مسلم (١/٣٧٧) ح(٥٣٢) في المساجد باب النهي عن بناء المساجد على القبور من حديث عمرو بن مرة عن أبي الحارث النجراني عن جندب مرفوعاً.

(٢) سورة البقرة الآية (٢٤).

(٣) سورة الفتح الآية (٣).

الكذب والرذائل والقبائح وما يشبهها، ونبينا ﷺ قد بلغ الغاية في ذلك كله.

الخلاصة:

أن النبي ﷺ خليل الرحمن وصفيه، لم يشرك به طرفة عين، ولم يعمل كبيرة أو يتعمد صغيرة أبداً.

المناقشة:

س١ ــ اذكر منزلة النبي ﷺ من ربه.

س٢ ــ هل صدرت المعاصي من النبي ﷺ؟

المفاضلة بين الصحابة

وأفضل الناس بعد النبيين عليهم الصلاة والسلام أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب الفاروق ثم عثمان بن عفان ذو النورين ثم علي بن أبي طالب المرتضى رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

اللغة:

الشرح: أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أصحاب النبي محمد ﷺ، وخيرهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، خليفة رسول الله وأول الخلفاء الراشدين، وأول الرجال إسلاماً وأعظمهم إيمانا وتصديقا، ورفيق رسول الله ﷺ في هجرته وأحب الناس إليه، وقد قال ـ ﷺ ـ: «**لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً**»[1] ومن بعده عمر بن الخطاب الفاروق رضي الله عنه، الخليفة الثاني الراشد الشهيد، خير الأمة بعد أبي بكر الصديق، الذي فتح الله به الفتوح، ومصّر به الأمصار، وقال في حقه النبي ﷺ: «**لقد كان في ما قبلكم من الأمم ناس محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر**»[2]. وقوله «**محدثون**» - أي ملهمون.

---

(١) أخرجه البخاري (٢١/٧) ح ٣٦٥٦ في فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلا من حديث عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً، وأخرجه مسلم (١٨٥٥/٤)ح ٢٣٨٣ في فضائل الصحابة من حديث ابن مسعود مرفوعاً.

(٢) أخرجه البخاري (٥٢/٧)ح ٣٦٨٩ في فضائل الصحابة باب مناقب عمر من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً ومسلم (١٨٦٤/٤) ح٢٣٩٨ من حديث أبي سلمة عن عائشة مرفوعاً.

وبعده في الفضل عثمان بن عفان ذو النورين، زوج ابنتي رسول الله ﷺ وثالث الراشدين، الشهيد المقتول ظلماً، الذي توفي رسول الله ﷺ وهو عنه راضٍ، وقد قال ﷺ في حقه: «**ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة**»[١] يعني: عثمان ويليه في الفضل رابع الراشدين، الليث المحارب علي بن أبي طالب رضي الله عنه زوج فاطمة بنت رسول الله ﷺ، العدل المرتضى، أبو الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة الشهيد كذلك والذي قال في حقه ﷺ: «**ألا يرضيك أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا إنه ليس بعدي نبي**»[٢] وهؤلاء الأربعة الخلفاء ممن شهد لهم النبي ﷺ بالجنة صراحة، فنترضى عنهم أجمعين ونعرف لهم قدرهم وفضلهم، ولا نذكرهم إلا بالخير.

---

(١) مسلم (٤/١٨٦٦/٢٤٠١) في فضائل الصحابة باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه من حديث عطاء وسليمان ابني يسار وأبي سلمة بن عبدالرحمن عن عائشة مرفوعا.

(٢) البخاري (٧/٨٨/ح٣٧٠٦) في فضائل الصحابة باب مناقب علي بن أبي طالب، من حديث إبراهيم بن سعد عن أبيه مرفوعاً، مسلم (٤/١٨٧٠/ح٢٤٠٤) في فضائل الصحابة باب من فضائل علي عن عامر بن سعد عن أبيه وعن مصعب بن سعد عن أبيه.

لا يكفر مسلم بذنب ما لم يستحله

عابدين ثابتين على الحق ومع الحق، نتولاهم جميعاً ولا نذكر أحداً من أصحاب رسول الله إلا بخير، ولا نكفر مسلماً بذنب من الذنوب وإن كانت كبيرة إذا لم يستحلها ولا نزيل عنه اسم الإيمان، ونسميه مؤمناً حقيقة، ويجوز أن يكون مؤمناً فاسقاً غير كافر.

اللغة: (**نتولاهم**) نحبهم ونواليهم وننصرهم (**فاسقاً**) خارجاً عن طاعة الله.

الشرح: وكانوا رحمهم الله عابدين لله عز وجل ثابتين على الحق لا يتزحزحون، وكانوا مع الحق دائماً ملازمين له مبتعدين عن الباطل، فكلهم نتولاهم، محبة ونصرة وغير ذلك، وكل أصحاب رسول الله ﷺ نتولاهم ولا نذكرهم إلا بخير، ونبغض من يقع فيهم، وقد قال النبي ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي...**»[1] وقال الطحاوي رحمه الله في عقيدته: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم ولا ذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»[2].

وأهل السنة لا يكفرون المسلم بالذنوب كما تفعل الخوارج، حتى لو ارتكب الكبائر، ما دام غير مستحل لها، فأما إذا استحلها فإنه يكفر

---

(١) البخاري (٧/٢٥/ح٣٦٧٣) في فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً. ومسلم (٤/١٩٦٧/ح٢٥٤١) في فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة كلاهما من حديث أبي صالح عن أبي سعيد مرفوعاً.

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص٤٦٤).

بذلك الاستحلال، إلا إذا كان جاهلاً، فيعرف ويعلم فإن أصر بعد البيان كفر بذلك، وهم لا يزيلون عنه اسم الإيمان بذلك، فإن الخوارج نقلوه إلى الكفر، والمعتزلة جعلوه في منزلة بين المنزلتين، وكل منهما رفعوا عنه اسم الإيمان. أما أهل السنة فيسمونه مؤمناً حقيقة، وإن كان إيمانه ناقصاً بسبب ذنوبه، فإن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي حقيقة.

ومن المعلوم أن المؤمن قد يفسق بارتكابه للكبيرة مثلاً من غير أن يخرج بذلك من الإسلام، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ ﴾[1] فحكم بفسقهم ولم يكفرهم بذلك فتنبه لهذه المسألة فإنها هامة جدا، وقد ضلت فيها طوائف، نعوذ بالله من الخذلان.

الخلاصة:

أفضل الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، ونحب جميع الصحابة ونذكرهم بالخير، ولا نكفر مسلما بذنب ما لم يستحله.

المناقشة:

س١ ــ من هم أفضل الصحابة بعد رسول الله ﷺ؟

س٢ ــ هل يجوز ذكر الصحابة بغير الخير؟

س٣ ــ هل يكفر المسلم بالمعصية، وما حكمه إذا استحلها؟

---

(١) سورة النور الآية (٤).

ذكر بعض من عقائد أهل السنة

والمسح على الخفين سنة، والتراويح في ليالي شهر رمضان سنة، والصلاة خلف كل برّ وفاجر جائزة، ولا نقول: إن المؤمن لا تضره الذنوب. ولا نقول: إنه لا يدخل النار. ولا نقول: إنه يخلد فيها.

اللغة:

الشرح: والمسح على الخفين سنة ثابتة عن النبي ﷺ، قريبة من حد التواتر، وهي ثابتة بالكتاب عند من قرأ قوله تعالى: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾[1] بكسر اللام، وثابتة من حديث النبي ﷺ لما أراد المغيرة نزع خفيه فقال له: «**دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين**»[2] وغير ذلك. وأهل السنة يعدون المسح على الخفين من أصولهم، حيث خالفت فيه طوائف من المبتدعة. والتراويح في ليالي رمضان سنة، ثابتة من فعله ﷺ وأصحابه، ومن قوله أيضاً: «**من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**»[3].

وتجوز الصلاة خلف كل برّ وفاجر من أهل القبلة، إلا أن كان

---

(١) سورة المائدة الآية (٦).

(٢) البخاري (١/٣٧٠/ح٢٠٦) في اللوضوء باب إذا دخل رجليه وهما طاهرتان، ومسلم (١/٢٤٠/ح٢٧٤) في الطهارة باب المسح على الخفين كلاهما من حديث عروة بن المغيرة عن أبيه مرفوعاً.

(٣) البخاري (١/١١٤/ح/٣٧) في الإيمان باب تطوع قيام رمضان من الإيمان ومسلم (١/٥٢٣/ح٧٥٩) في صلاة المسافرين باب الترغيب في قيام رمضان كلاهما من حديث حميد بن عبدالرحمن عن أبي هريرة مرفوعاً.

مبتدعاً ببدعة مكفرة، أو داعية إلى بدعة ضلالة، فإن لم يوجد إمام سنة، جازت الصلاة خلف المبتدع إلا صاحب البدعة المكفرة، قال الإمام الطحاوي رحمه الله في عقيدته: «ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم»[١].

وأهل السنة لا يقولون كما تقول المرجئة: إن المؤمن لا يضره ذنب، بل إن الذنوب تضر وتنقص الإيمان، ويخشى على صاحبها من الكفر، وهم يقولون: إن الإيمان ينقص بالمعاصي، خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله حيث لم يدخل الأعمال في مسمى الإيمان، وقد قال الإمام الطحاوي رحمه الله في عقيدته: «ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله»[٢].

وكذلك أهل السنة يقولون: إن المؤمن قد يدخل النار إن غلبت ذنوبه على حسناته، إلا أن يشاء الله تعالى غير ذلك، وهذا لأنه نقص إيمانه بسبب المعصية، هذا وإن كان معه أصل الإيمان، وهو يعذب في النار على قدر ذنوبه ثم يخرج منها ويدخل الجنة، وأما الخوارج فقد كفروه وصرحوا بخلوده في النار - أعني مرتكب الكبيرة من المؤمنين - والمعتزلة أخرجوه من الإيمان لكنهم لم يكفروه، بل قالوا هو في منزلة بين المنزلتين، وصرحوا بخلوده في النار كذلك.

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص٣٥٧).

(٢) انظر نفس المصدر (ص٢٩٠).

وإن كان فاسقاً بعد أن يخرج من الدنيا مؤمناً، ولا نقول: إن حسناتنا مقبولة، وسيئاتنا مغفورة كقول المرجئة، ولكن نقول من عمل حسنة بجميع شرائطها خالية عن العيوب المفسدة، ولم يبطلها بالكفر والردة، والأخلاق السيئة حتى خرج من الدنيا مؤمنا فإن الله تعالى لا يضيعها بل يقبلها منه ويثيبه عليها.

اللغة: (**يبطلها**) ينقصها ويضيع ثوابها.

الشرح: وأما أهل السنة فلا يقولون بخلوده في النار، وإن فسق بارتكاب الكبائر، ما دام لم يرتفع عنه اسم الإيمان، وكذلك أهل السنة لا يجزمون أن حسناتهم مقبولة، وسيئاتهم مغفورة قطعا كقول المرجئة، بل يرجون من الله قبول الحسنات ومغفرة الذنوب، والمؤمن لا يأمن مكر الله تعالى، وفي الحديث: «**ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات**»[1]. وأهل السنة يقولون: إن المؤمن إذا عمل الحسنة بجميع شروطها الشرعية، وكانت خالية من العيوب التي تفسدها أو تحبطها كالرياء مثلا، ولم يبطلها بالكفر والردة لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾[2] وكذلك لم يبطلها بالأخلاق السيئة، كما في مثل قوله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟

---

(١) الترمذي (٥/٣٢٧) ح٣١٧٥ في التفسير باب ومن سورة المؤمنون، وأحمد (٦/١٥٩) والحاكم (٢/٣٩٣: ٣٩٤) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، كلهم من حديث عبدالرحمن بن سعيد عن عائشة مرفوعاً، وصححه الألباني في [سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/٩٥/رقم ١٦٢)].

(٢) سورة البقرة الآية (٢١٧).

صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾[١] وغير ذلك من رذائل الصفات ومذموم الأخلاق، فالمؤمن إذا عمل الحسنة بهذا الشكل، وبهذه الصفات، حتى يخرج من الدنيا مؤمناً إيماناً صحيحاً فإن من فضل الله وجوده أنه يقبل منه هذه الحسنة ولا يضيعها ويثيبه عليها، وكما في الحديث: «**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوّه حتى تكون مثل الجبل**»[٢] وهذا كله بناء على الأصل، ولكن في نهاية المطاف فينبغي إرجاع الأمر لله وعدم الجزم بشيء.

(١) سورة البقرة الآية (٢٦٤).

(٢) البخاري (٣/٣٢٦/ح١٤١٠) في الزكاة باب الصدقة من كسب طيب من حديث أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً.

وما كان من السيئات دون الشرك والكفر ولم يتب عنها صاحبها حتى مات مؤمناً فإنه مؤمناً في مشيئة الله تعالى إن شاء عذبه بالنار، وإن شاء عفا عنه ولم يعذبه بالنار أصلاً، والرياء إذا وقع في عمل من الأعمال فإنه يبطل أجره، وكذلك العجب.

اللغة:

الشرح: ثم إن جميع السيئات التي يعملها الإنسان المؤمن دون الشرك بالله والكفر به إن مات المؤمن على غير توبة منها، لكنه مات ولم يرتفع عنه اسم الإيمان، فإن أهل السنة يقولون: إنه تحت مشيئة الله تعالى، فإن شاء الله عذبه بالنار ثم أخرجه منها بإيمانه، وإن شاء عفا عنه ولم يعذبه بالنار أصلاً، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[1] وفي الحديث: «**ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه**»[2]. وهذا هو الحق لا ريب في هذا الباب.

ثم إن الرياء إذا دخل في العمل أبطل أجره، بل قد يبطل العمل نفسه إن كان الباعث على فعله مجرد الرياء وكذلك مما يبطل أجر العمل العجب، أن يعجب الإنسان بعمله، فيدل به على الله ويرى أنه قد بلغ به أعلى المنازل، وأتى به على أحسن الوجوه، فيمن به على الله تعالى وإنما حقيقة الأمر: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ

---

(١) سورة النساء الآية (٤٨).

(٢) البخاري (١/٨١/ح١٨) في الإيمان باب ١١ من حديث أبي إدريس الخولاني عن عبادة بن الصامت مرفوعاً.

صَٰدِقِينَ﴾[1] وإنما يجب أن يرى الإنسان النقص في عمله، وأن يسأل الله قبوله والعفو عن التقصير فيه.

الخلاصة:

يرى أهل السنة جواز المسح على الخفين، وسنية تراويح رمضان، وجواز الصلاة خلف البر والفاجر، ويجتنبون الإرجاء، ويقولون: إن المذنب لا يكفر بالذنب، لكنه تحت المشيئة، ولا يقولون: إن المعاصي لا تضر.

المناقشة:

س١ ــ ما حكم المسح على الخفين، وصلاة التراويح في رمضان؟

س٢ ــ ما حكم الصلاة خلف الفاجر؟

س٣ ــ هل يضر مع الإيمان ذنب؟

س٤ ــ ما حكم المسلم العاصي؟ وهل يقطع له بالنار؟

---

(١) سورة الحجرات الآية (١٧).

آيات الأنبياء وكرامات الأولياء حق

والآيات ثابتة للأنبياء، والكرامات للأولياء حق، وأما التي تكون لأعدائه مثل إبليس وفرعون والدجال فما روي الأخبار أنه كان ويكون لهم لا نسميها آيات ولا كرامات، ولكن نسميها قضاء حاجاتهم، وذلك لأن الله تعالى يقضي حاجات أعدائه استدراجا لهم وعقوبة لهم فيغترون به ويزدادون طغياناً وكفراً، وذلك كله جائز ممكن.

اللغة: (الآيات) العلامات (الكرامات) ما يكرمهم الله به من خوارق العادات.

الشرح: آيات الأنبياء والرسل ثابتة لا ريب، وهي أمور خارقة يجريها لهم الله تعالى دليلاً على صدقهم، وذلك من جنس ناقة صالح ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾[1] ومن جنس نجاة إبراهيم من النار: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾[2] وعصا موسى عليه السلام ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾[3] وغير ذلك من المعجزات الثابتة لهم، برهانا من الله تعالى على صدقهم في دعوى النبوة، وكذلك كرامات الأولياء حق، والأصل في إثباتها قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[4] فكل ما يجري للصالحين من

(١) سورة الأعراف الآية (٧٣).
(٢) سورة الأنبياء الآية (٦٩).
(٣) سورة الأعراف الآية (١١٧).
(٤) سورة آل عمران الآية (٣٧).

خوارق العادات هو مما أكرمهم الله تعالى به، وأما إذا وقع لبعض أعداء الله شيء من هذه الخوارق كإبليس وكفرعون لما ألقى سحرته العصى ﴿وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾[1] فصارت عصيهم تبدو للناس كثعابين تسعى. والدجال لسرعة انتقاله في الأرض وإحيائه للمقتول وغير ذلك، فكل هذه الأمور لا تسمى كرامات إذ ليسوا بأولياء وهم أعداء الله تعالى، تسمى قضاء حاجات، والله تعالى يقضي حاجاتهم ـ حاجات أعدائه ـ استدراجاً لهم، وعقوبة لهم، فيغترون بذلك، ويتوهمون أنهم على حق، فيزدادون من الطغيان والكفر حتى يحل بهم غضب الله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾[2]، وكل هذه الأمور ـ أعني الآيات والكرامات وقضاء الحاجات ـ كلها ممكنة جائزة الحدوث من الله تعالى، إذ هو المالك المتصرف في كل شيء، ولا يعجزه شيء سبحانه وتعالى.

الخلاصة:

آيات الأنبياء حق ثابت، وكرامات الأولياء كذلك، وما كان من خوارق لغير المؤمنين فهي استدراج لهم.

المناقشة:

س١ ــ ما معنى آيات الأولياء؟ مثّل لها بثلاثة أمثلة؟

س٢ ــ هل كرامات الأنبياء حق؟ وما الدليل؟

س٣ ــ ما حكم الخوارق التي قد تقع لغير المؤمنين؟

---

(١) سورة الشعراء الآية (٤٤).

(٢) سورة الأنعام الآية (٤٤).

رؤية الله في الآخرة

وكان الله تعالى خالقاً قبل أن يخلق، ورازقاً قبل أن يرزق، والله تعالى يُرى في الآخرة، ويراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين رؤوسهم بلا تشبيه ولا كيفية، ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة.

اللغة:

الشرح: إن الله تعالى مستحق لاسم الخالق قبل أن يخلق الخلق، وقد قال الطحاوي رحمه الله في عقيدته: «ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزليا كذلك لا يزال عليها أبدياً»[١] وقال أيضاً: «ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا بإحداثه البرية استفاد اسم الباري»[٢]. وهو سبحانه رازق كذلك مستحق لهذا الاسم قبل أن يرزق الخلق، فأسماؤه وصفاته سبحانه قديمة.

والله عز وجل يُرى في الآخرة، يراه المؤمنون بأعين رؤوسهم رؤية حقيقية، كما قال عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[٣] وقال في حق الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[٤] فلما أخبر أن الكافرين محجوبون عنه، دل على أن المؤمنين غير محجوبين، فدل على أنهم يرونه، وفي الحديث: «**إنكم ترون ربكم يوم القيامة كما**

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص٦٨).

(٢) نفس المصدر السابق (ص٧٨).

(٣) سورة القيامة الآيتان (٢٢: ٢٣).

(٤) سورة المطففين الآية (١٥).

ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته»[1] وهي رؤية حقيقية، لا نؤولها بما يخرجها عن حقيقتها وينفي معناها، ولا نكيفها بكيفية معينة، ولا نشبهها برؤيتنا للمخلوقين، ولا ننفيها كما نفتها الجهمية والمعتزلة وغيرهم وقوله: «ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة» لعله أن يكون مدسوساً على أبي حنيفة، فهو من ألفاظ المتكلمين، ثم إنه توضيح لكيفية الرؤية، التي نفى قبل ذلك أي تكييف لها، وكيف يرى الإنسان ما ليس بينه وبينه مسافة؟ فتنبه لهذا.

الخلاصة:

صفات الله تعالى قديمة قبل أن يخلق الخلق، والله تعالى يُرى في الآخرة بالأبصار حقيقة بلا كيفية.

المناقشة:

س١ ــ هل صفة الخلق والرزق قديمة أم محدثة؟

س٢ ــ هل رؤية الله تعالى حقيقية يوم القيامة أم مجازية؟

---

(١) البخاري (٢/٤٠/٥٥٤) في مواقيت الصلاة باب فضل صلاة العصر من حديث قيس عن جرير مرفوعاً.

تعريف الإيمان

والإيمان هو الإقرار والتصديق، وإيمان أهل السماء والأرض لا يزيد ولا ينقص من جهة المؤمن به، ويزيد وينقص من جهة اليقين والتصديق، والمؤمنون مستوون في الإيمان والتوحيد متفاضلون في الأعمال.

اللغة: (الإقرار) الاعتراف اليقين) التصديق الجازم (مستوون) ومتماثلون (متفاضلون) متفاوتون.

الشرح: يبين الإمام أبو حنيفة رحمه الله عقيدته في الإيمان، وهي أن الإيمان عنده إقرار باللسان وتصديق بالقلب، وأن إيمان أهل السماء والأرض لا يزيد ولا ينقص، وهذا منه ـ رحمه الله ـ خلاف مذهب السلف، فإن الإيمان عندهم تصديق وإقرار وعمل، ويزيد وينقص قال النبي ﷺ: «**أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وأن تؤدوا من المغنم الخمس**»[1] وقال الله تعالى في حق زيادته ونقصانه: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾[2] والأدلة لا تُحصى، فما ذكره رحمه الله مخالف لمذهب السلف، وقوله: «**لا يزيد ولا ينقص من جهة المؤمن به...**» هذا من ألفاظ المتكلمين المحدثة، والسلف لم يتطرقوا لهذه الجزئيات إنما قالوا فقط: «**يزيد وينقص: يزيد بالطاعة**

---

(١) أخرجه البخاري (١/١٥٧) ح٥٣ في الإيمان باب أداء الخمس من الإيمان، ومسلم (١/٤٦) ح١٧ في الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ، كلاهما من حديث أبي جمرة عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً.

(٢) سورة المدثر الآية (٣١).

وينقص بالمعصية»، ثم إن قوله بتساوي المؤمنين في الإيمان مما يعلم بطلانه ضرورة، فليس إيمان الملائكة والأنبياء كعامة المؤمنين، وهذا مما ينبغي التنبيه له فتأمل.

الخلاصة:

الإيمان عند أهل السنة قول وعمل، ويزيد وينقص، والمؤمنون متفاضلون في الأعمال والإيمان.

المناقشة:

س١ ــ عرف الإيمان عند أهل السنة؟

س٢ ــ هل يزيد الإيمان وينقص عندهم؟ وما زيادته ونقصانه؟

س٣ ــ هل يتساوى المؤمنون في إيمانهم؟

علاقة الإسلام والإيمان

والإسلام هو التسليم والانقياد لأوامر الله تعالى، فمن طريق اللغة فرق بين الإيمان والإسلام ولكن لا يكون إيمان بلا إسلام، ولا يوجد إسلام بلا إيمان، وهما كالظهر مع البطن، والدين اسم واقع على الإيمان والإسلام والشرائع كلها.

اللغة: (الانقياد) الإذعان والاتباع والطاعة.

الشرح: إن معنى الإسلام التسليم لله تعالى، والانقياد لأمره عز وجل، وعدم رده مهما كان ولكي يكون الإسلام على أحسن وجه لا بد أن ينساق المسلم لأمر الله ورسوله دون أي تردد، فمن جهة اللغة، هناك فرق بين الإسلام والإيمان، لأن أصل وضعهما من جهة اللغة مختلف ولكن في الحقيقة فإنها متلازمان كالظهر مع البطن، وإذا افترقا دل كل منهما على ما يدل عليه الآخر، فصار كل منهما عبارة عن تصديق وإقرار وعمل، ولكن إذا ذكرا مجتمعين اختص الإسلام بالأعمال الظاهرة والإيمان بالأعمال الباطنة، وهذا معنى قول من قال: «**إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا**» وهذا هو التحقيق في المسألة، وأما اسم الدين فهو يشمل الإسلام والإيمان وجميع شرائع الإسلام، لأن النبي ﷺ قال في حق جبريل بعد أن ذكر الإسلام والإيمان والإحسان، قال: «**أتاكم يعلمكم دينكم**»[1] فسمى كل هذه الأشياء ديناً، فدل على أن اسم الدين يشمل الشرائع كلها.

---

(١) أخرجه مسلم (١/٣٦)ح١ في أول الإيمان من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً.

الخلاصة:

معنى الإسلام التسليم والانقياد، ومن جهة اللغة يختلف عن الإيمان، لكنهما إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، والدين اسم يشمل الإسلام والإيمان وجميع الشرائع.

المناقشة:

س١ ــ ما معنى الإسلام؟

س٢ ــ ما العلاقة بين الإسلام والإيمان؟

س٣ ــ عرّف الدين وهل يشمل الشرائع أم لا؟

معرفتنا بالله تعالى

نعرف الله تعالى حق معرفته كما وصف الله نفسه، في كتابه بجميع صفاته، وليس يقدر أحد أن يعبد الله حق عبادته كما هو أهل له، ولكنه يعبده بأمره كما أمره بكتابه وسنة رسوله ويستوي المؤمنون كلهم في المعرفة واليقين والتوكل والمحبة والرضاء والخوف والرجاء والإيمان في ذلك، ويتفاوتون فيما دون الإيمان في ذلك كله.

اللغة: (يقدر) يستطيع.

الشرح: إن المؤمن يعرف الله تعالى حق المعرفة، بأسمائه وصفاته، كما وصف نفسه في كتابه بجميع صفاته، إذ أن المؤمن يصف الله تعالى بما وصف به نفسه، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه وليس معنى ذلك أن المؤمن يعبد الله تعالى حق عبادته، كما هو أهل لذلك، فإن حق الله تعالى عظيم لا يستطيع مخلوق أن يؤديه كما ينبغي، بل إن الإنسان لو عبدالله سبعين عاماً لا يفتر، ما استطاع أن يؤدي شكر نعمة واحدة كنعمة البصر مثلاً.

ولهذا قال النبي ﷺ: «**واعلموا أنه لن يدخل أحد منكم الجنة عمله**»[1]. وإنما يعبد المؤمن ربه، كما أمره الله تعالى بذلك في كتابه وفي سنة رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/٢١٦٩) ح٢٨١٦ في صفات المنافقين باب لن يدخل أحد الجنة بعمله، من حديث بسر بن سعيد عن أبي هريرة، ومن حديث ابن سيرين عن أبي هريرة.

والمؤمنون كلهم ـ كما يرى أبو حنيفة ـ متساوون في المعرفة واليقين، كما أنهم متساوون أيضا في أعمال الإيمان: كالتوكل والمحبة وغيرها، ويتفاوتون فيما دون ذلك، وهذا باطل لا شك، فالمؤمنون متفاوتون في كل ذلك، وكيف يكون يقين أي منا كيقين النبي ﷺ، وتوكله كتوكله، فهذا كلام واضح البطلان، ولكن المؤمنين متفاوتون في الإيمان وفي الأعمال لا شك في ذلك.

الخلاصة:

لا يستطيع أحد أن يؤدي حق الله في العبادة، والمؤمنون متفاوتون في الإيمان والأعمال، متفاضلون في كل ذلك.

المناقشة:

س١ ــ هل يؤدي أحد حق الله تعالى عليه كما ينبغي؟

س٢ ــ هل يتفاوت المؤمنون في الإيمان والأعمال أم يتساوون؟

شفاعة الأنبياء والميزان والحوض

والله تعالى متفضل على عباده، عادل قد يعطي من الثواب أضعاف ما يستوجبه العبد تفضلاً منه، وقد يعاقب على الذنب عدلاً منه، وقد يعفو فضلاً منه وشفاعة الأنبياء عليهم السلام حق، وشفاعة النبي عليه الصلاة والسلام للمؤمنين المذنبين ولأهل الكبائر منهم المستوجبين العقاب حق ثابت، ووزن الأعمال بالميزان يوم القيامة حق، وحوض النبي عليه الصلاة والسلام حق.

اللغة: (**متفضل على عباده**) محسن إليهم (**أضعاف**) جمع ضعف وهو مثل الشيء معه (**الشفاعة**) طلب قضاء حق الغير (**المستوجبين العقاب**) المستحقين له.

الشرح: إن الله تعالى متفضل على الناس، بنعمه وإحسانه، وعفوه وحلمه، وهو سبحانه عادل لا يظلم، بل يعطي من الثواب على الحسنة أضعاف ما يستحق العبد، وذلك كرم منه تعالى وفضل كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1]. كما أنه تعالى قد يعاقب على الذنب، وإن فعل فذلك عدل منه لاستحقاق العبد العقاب بمعصيته وقد يعفو تعالى عن صاحب الذنب فضلا منه، وذلك نعمة كبرى منه سبحانه يستحق الشكر عليها وشفاعة الأنبياء عليهم السلام يوم القيامة ثابتة بالكتاب

---

(١) سورة النساء الآية (٤٠).

والسنة والإجماع، قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[١] فشفاعتهم ثابتة لكنها إنما تكون بإذن الله تعالى، وشفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من المسلمين الذين استوجبوا العقاب بذنوبهم، هذه الشفاعة حق ثابت، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»[٢] فشفاعته ﷺ للمذنبين حق إن شاء الله تعالى.

ووزن الأعمال بالميزان يوم القيامة حق ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، كما سبق الكلام عنه، وكذلك حوض النبي ﷺ حق ثابت، وهو حوض عظيم: ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، ورائحته كريح المسك، وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا يرده المؤمنون يوم القيامة، ويصد عنه أهل البدع والمحدثات، وهو حوض عظيم الاتساع قال في حقه النبي ﷺ: «**حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبداً**»[٣] وهذا الحوض المورود مما يكرم به نبينا ﷺ.

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٥٥).

(٢) أحمد (٣/٢١٣) وأبو داود (٥/١٠٦/ح/٤٧٣٩) في السنة باب في الشفاعة، والترمذي (٤/٦٢٥ ح٢٤٣٥) في صفة القيامة باب كلهم من حديث أنس مرفوعاً، وورد من حديث جابر وابن عباس وابن عمر وكعب بن عجرة وقال الترمذي: حسن صحيح غريب، وصححه الألباني في (صحيح الجامع ١/٦٩١/رقم ٣٧١٤).

(٣) البخاري (١١/٤٧٢/ح٦٥٧٩) في الرقاق باب في الحوض من حديث أبي مليكة عن ابن عمرو مرفوعاً.

الجنة والنار لا تفنيان

والقصاص فيما بين الخصوم بالحسنات يوم القيامة حق، وإن لم تكن لهم الحسنات فطرح السيئات عليهم حق جائز. والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدا، ولا تموت الحور العين أبداً، ولا يفنى عقاب الله تعالى. وثوابه سرمدا، والله تعالى يهدي من يشاء فضلا منه، ويضل من يشاء عدلا منه، وإضلاله خذلانه وتفسير الخذلان أن لا يوفق العبد إلى ما يرضاه وهو عدل منه. وكذا عقوبة المخذول على المعصية.

اللغة:

الشرح: إن القصاص بين الخصوم يوم القيامة بإعطاء المظلوم من حسنات الظالم، وإن لم يكن له حسنات فبطرح شيء من سيئات المظلوم على الظالم، كما صح الحديث بذلك «**فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار**»[1]، ومما يعتقده أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان الآن وموجودتان لا تفنيان أبدا، خلافا لقول من قال غير ذلك من أهل البدع. والحور العين خالدات لا يمتن أبداً.

بل خالدات بخلود الجنات، وكذلك فإن النار لا تفنى، ولا يفنى عذابها، فعقاب الله دائم لا ينقطع، وثوابه تعالى دائم لا ينقطع.

والله تعالى يهدي من يشاء تفضلاً منه، ويضل من يشاء عدلاً

(١) مسلم (٤/١٩٩٧/ح٢٥٨١) في البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم، وأحمد (٢/٣٠٣) والترمذي (٤/٦١٣/ح٢٤١٨)في صفة القيامة باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، كلهم من حديث العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً.

منه، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[١]. قال الإمام الطحاوي في عقيدته: «يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلا ويضل من يشاء ويخذل ويتبلي عدلا. وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله»[٢].

والإضلال هو الخذلان، ومعنى الخذلان الحرمان من التوفيق إلى ما فيه رضوان الله، وإذا ما خذل الله عبداً فهذا عدل منه وهو يستحق الخذلان، وكذلك عقوبة الله للمخذول على ما يرتكبه من المعاصي عدل من الله تعالى.

الخلاصة:

الله تعالى قد يعاقب على الذنب أو يعفو، ويضاعف الحسنات، وللأنبياء شفاعة ثابتة، والوزن حق، والحوض حق، والقصاص حق، والجنة والنار حق لا تفنيان، والهدى والضلال بيد الله تعالى.

المناقشة:

س١ ــ ما القول في شفاعة الأنبياء؟

س٢ ــ ماذا تعرف عن الحوض والميزان؟

س٣ ــ هل يقتص للخصوم من بعضهم يوم القيامة؟

س٤ ــ ما حكم القول بفناء النار؟ وهل ينقضي بقاؤها وبقاء الجنة؟

---

(١) سورة النحل الآية (٩٣).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص٩٨).

عذاب القبر

ولايجوز أن نقول: إن الشيطان يسلب الإيمان من العبد المؤمن قهراً وجبراً. ولكن نقول: العبد يدع الإيمان فحينئذ يسلبه منه الشيطان.

وسؤال منكر ونكير حق كائن في القبر، وإعادة الروح إلى الجسد في قبره حق، وضغطة القبر وعذابه حق كائن للكفار كلهم ولبعض عصاة المؤمنين حق جائز، وكل شيء ذكره العلماء بالفارسية من صفات الله تعالى عز اسمه فجائز القول به سوى اليد بالفارسية ويجوز أن يقال (بَرُوىء خُدَ) أي - عز وجل - بلا تشبيه ولا كيفية.

اللغة: (يدع) يترك.

الشرح: إن الشيطان لا يستطيع أن يسلب الإيمان من المؤمن قهراً وجبراً، ولكن إذا تخلى العبد عن إيمانه ويقينه وعمله الصالح، وركن إلى الشبهة والمعصية وغيرها، فحينئذ يسلب الشيطان منه الإيمان، ومن أصول أهل السنة الإيمان بسؤال القبر ويباشره ملكان هما منكر ونكير، وقد ثبت في حقهما عدة أحاديث صحيحة منها قوله ﷺ: «**إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل**»[1]. الحديث وهكذا فإن أهل

---

(١) الترمذي (٣/٣٨٣/ح/١٠٧١) في الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر من حديث سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعاً وقال الترمذي: حسن غريب، وحسنه الألباني في (صحيح الجامع ١/١٨٦/ح٧٢٤).

السنة يؤمنون بأن الروح ترجع إلى الجسد في القبر للسؤال، وهذا حق ثبتت به الأحاديث الصحيحة، وكذلك ضغطة القبر وعذابه حق، كما ثبت في الأحاديث الصحيحة ومنها الحديث السابق، فهذا كله حق كائن للكفار لا شك فيه، وقد وردت فيه النصوص الكثيرة من القرآن والسنة، فلا سبيل لإنكاره، وأثبتت النصوص كذلك أن عصاة المؤمنين يجوز أن يعذب الله من شاء منهم في القبر بذنوبه حتى يقضي ما عليه.

ثم بين الإمام رحمه الله أن ما قاله العلماء بالفارسية أو بغيرها من اللغات غير العربية من صفات الله تبارك وتعالى فيجوز القول به ما عدا اليد بالفارسية فلا يجوز القول بها ولكن يجوز أن ينطق الإنسان كلمة عز وجل بالفارسية أو غيرها.

معنى القرب والبعد

وليس قرب الله تعالى ولا بعده من طريق طول المسافة وقصرها، ولكن على معنى الكرامة والهوان، والمطيع قريب منه بلا كيف، والعاصي بعيد منه بلا كيف، والقرب والبعد والإقبال يقع على المناجي وكذلك جواره في الجنة، والوقوف بين يديه بلا كيفية.

اللغة: (المناجي) المفعول من ناجى، والمناجاة هي الكلام الهامس.

الشرح: والله تعالى يقرب من يشاء من المؤمنين، فيكرمه وينصره ويسدده، ويبعد من يشاء من العصاة والكافرين فيهينه ويخذله، كل ذلك بلا كيف، وكذلك جواره في الجنة، والوقوف بين يدي الله تعالى، كل ذلك حق نؤمن به ولا نكيفه، فإن التكييف باب الضلال.

الخلاصة:

سؤال القبر وعذابه حق، والشيطان يسلب الإيمان إذا تركه العبد، ويجوز ذكر الله تعالى بالفارسية ما عدا اليد، وقربه وبعده تعالى من عباده، ووقوفهم بين يديه، ومجاورتهم له، كل ذلك بلا كيف.

المناقشة:

س١ ــ ماذا تعرف عن سؤال القبر وعذابه؟

س٢ ــ هل يقدر الشيطان أن يسلب الإيمان من العبد ابتداء؟

س٣ ــ هل يمكن تكييف القرب والبعد لله تعالى؟

القول في تفاضل آيات القرآن

والقرآن منزل على رسول الله ﷺ، وهو في المصاحف مكتوب، وآيات القرآن في معنى الكلام كلها مستوية في الفضيلة والعظمة، إلا أن لبعضها فضيلة الذكر وفضيلة المذكور مثل آية الكرسي لأن المذكور فيها جلال الله تعالى وعظمته وصفاته، فاجتمعت فيها فضيلتان: فضيلة الذكر وفضيلة المذكور، ولبعضها فضيلة الذكر فحسب مثل قصة الكفار، وليس للمذكور فيها فضل وهم الكفار، وكذلك الأسماء والصفات كلها مستوية في العظمة والفضل لا تفاوت بينها.

اللغة: (جلال) هو العظمة ورفعة الشأن.

الشرح: القرآن هو كلام الله تعالى، منزل على رسول الله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾[1] والقرآن الذي هو كلام الله تعالى، هو هذا المكتوب في المصاحف بين أيدينا كما هو الإجماع على ذلك.

وآيات القرآن كلها مستوية في الفضيلة والعظمة كونها كلام الله تعالى، غير أن بعض الآيات لها فضيلة زائدة من حيث إنها كلام الله، وكونها تشتمل على ذكل أشياء لها فضل على غيرها مثل آية الكرسي، فهي كلام الله، وتشتمل على ذكر أمور مثل جلال الله تعالى وعظمته وبعض صفاته، فلها فضل على غيرها، بينما هناك بعض الآيات لها

---

(١) سورة النساء الآية (١٠٥).

فضيلة الذكر كونها كلام الله تعالى إلا أن المذكور فيها لا فضل له كالآيات التي فيها ذكر الكفار، فهي كلام الله تعالى ولكن الكفار المذكورين فيها ليس لهم فضل.

وكذلك أسماء الله وصفاته مستوية في الفضل والعظمة، ولكنا نقول: إن هذه الأسماء ما يفضل على غيره، كما في حديث: «**اسم الله الأعظم في ثلاث آيات...**»[1] فهي تتفاضل كذلك كما تفاضل الكلام.

الخلاصة:

آيات القرآن متساوية في الفضل والعظمة، إلا أن لبعضها فضلا زائداً، وصفاته تعالى وأسماؤه متساوية في الفضل والعظمة إلا أن لبعضها فضلا؟

المناقشة:

س١ ــ هل تفاوت آيات القرآن في الفضل؟

س٢ ــ هل تتفاوت أسماء الله تعالى وصفاته في الفضل؟

---

(١) الحاكم (١/٥٠٥) من حديث القاسم عن أبي أمامة وسكت عنه، والطبراني والبيهقي وغيرهما، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/٢٢٨) رقم ٩٧٩.

أبناء رسول الله وبناته

وقاسم وطاهر وإبراهيم كانوا بني رسول الله ﷺ، وفاطمة ورقية وزينب وأم كلثوم كن جميعاً بنات رسول الله ﷺ. وإذا أشكل على الإنسان شيء من دقائق علم التوحيد، فإنه ينبغي له أن يعتقد في الحال ما هو الصواب عند الله تعالى إلى أن يجد عالماً فيسأله، ولا يسعه تأخير الطلب، ولا يعذر بالوقف فيه، ويكفر إن وقف، وخبر المعراج حق، من رده فهو مبتدع ضال.

اللغة: (**أشكل**) اشتبه (**دقائق**) المسائل الدقيقة وهي العويصة (**المعراج**) مفعال من العروج أي الصعود، وهو ما يصعد عليه.

الشرح: وأبناء النبي ﷺ هم: القاسم وبه كان يكنى، والطاهر ويقال له: الطيب ويقال: عبدالله، وهما ولداه من خديجة رضي الله عنها، وإبراهيم وهو ولده عليه الصلاة والسلام من أمته مارية التي أهداه إياها المقوقس ملك مصر، وليس له أولاد غيرهم رضي الله عنهم، وأما بناته فهن فاطمة زوج علي بن أبي طالب وأم الحسن والحسين رضي الله عنهم جميعاً، ورقية وهي زوج عثمان بن عفان، وأم كلثوم وتزوجها كذلك عثمان بعد وفاة رقية رضي الله عنهم، وزينب وتزوجها أبو العاص بن الربيع رضي الله عنه وكلهن بناته من خديجة رضي الله عنهن، وانتقل الإمام رحمه الله إلى مسألة أخرى وهي الكلام عما يجب على الإنسان إذا أشكل عليه شيء من مسائل التوحيد الدقيقة والعويصة فالواجب عليه أن يعتقد ما هو الصواب عند الله، كالجاهل الذي يسأل في أمر فيشكل عليه، فيوطن نفسه على اعتقاد ما هو حق

عند الله تعالى، إلى أن يجد عالماً فيسأله، ولا يجوز له التأخر والتقاعس في السؤال والبحث.

وأما قوله بأنه (**لا يعذر بالوقف**) ففيه تناقض مع ماقبله، إلا إذا كان المقصود بالتوقف هنا هو التوقف في قبول الخبر أو الأمر، فهذا مما ينافي الإيمان حقاً، لكنه إن قبل الخبر أو الأمر لكنه قال أو من بما هو الصواب عند الله تعالى. وذلك حتى يتمكن من السؤال والبحث، فهنا يثبت إيمانه.

وأما خبر المعراج فهو حق ثابت لا ينكره إلا مبتدع ضال، وقد أطبق أهل السنة على الإيمان به والقول به، ولم ينكره إلا المبتدعة أهل الضلال، لكنه حق.

الخلاصة:

كان للنبي ﷺ ثلاثة أولاد وأربع بنات، والواجب على كل إنسان اعتقاد ما هو الحق عند الله فيما يستغلق عليه من مسائل التوحيد، ويجب الإيمان بخبر المعراج واعتقاد أنه حق.

المناقشة:

س١ ــ اذكر من هم أبناء رسول الله ﷺ وبناته؟

س٢ ــ ما الواجب على الإنسان إذا اشتبه عليه شيء من مسائل التوحيد؟

س٣ ــ ما حكم من أنكر خبر المعراج؟

أشراط الساعة

وخروج الدجال ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى عليه السلام من السماء وسائر علامات يوم القيامة على ما وردت به الأخبار الصحيحة حق كائن والله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

اللغة: (سائر) جميع.

الشرح: ومما يؤمن به أهل السنة والجماعة ما وردت به النصوص من أشراط الساعة وعلاماتها ومنها خروج الدجال ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى عليه السلام من السماء وغيرها، وقد جمعها النبي ﷺ في قوله في الساعة: «**إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج**»[1] الحديث فكل هذه العلامات وغيرها مما وردت به الأخبار الصحيحة كله حق كائن ولا بد وذلك بمقتضى تصديقنا الخبر، والله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٢٢٦) ح٢٩١٠ في الفتن باب الآيات التي تكون قبل الساعة، وأحمد (٤/٦) وغيرها من حديث أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري.

الخلاصة:

يؤمن أهل السنة بسائر علامات الساعة التي وردت في الأخبار الصحيحة، وهي كائنة لا محالة.

المناقشة:

س١ ــ هل يجب الإيمان بعلامات الساعة الواردة في الأخبار؟

س٢ ــ اذكر بعضاً من علامات الساعة الواردة في الأخبار الصحيحة؟

الفصل الثالث

شرح
العقيدة الطحاوية
الميسر

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[2]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[3].

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد: فهذا شرح موجز لبيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، وأبي ثابت الكوفي، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، وأبي عبدالله محمد بن الحسن الشيباني والذي قرره عنهم **الإمام أبو جعفر الطحاوي**، وقد أجاد وأفاد رحمه الله تعالى، وكيف لا، وهو أثبت من نقل عقيدة الأئمة المذكورين، لرسوخ علمه ومكانته في المذهب الحنفي، فهو أثبت من قرر عقيدة هؤلاء الأئمة، إذ إنه ثقة عند الفقهاء والمحدثين، **وقد تلقت جماهير الأمة هذا المتن الذي قرره الطحاوي بالقبول**، وكثرت شروحاته

((١)) آل عمران: الآية (١٠٢).

((٢)) النساء: الآية (١).

((٣)) الأحزاب: الآيتان: (٧٠-٧١).

والتعليقات عليه، فمنهم من وافق السنة، ومنهم من سلك طريقة المتكلمين، ومن أعظم هذه الشروح وأغزرها فائدة شرح الإمام ابن أبي العز الأذرعي الحنفي ـ رحمه الله تعالى ـ، **وقد تعقب على الطحاوي في هذه العقيدة ثلاث مسائل:**

الأولى:

قول الطحاوي «قديم بلا ابتداء» فهذه من محدثات أهل الكلام، ولا يسمى الله تعالى إلا بما سمى به نفسه، أو سماه به رسوله ﷺ.

الثانية:

قوله: «**تعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات**» وهذه ألفاظ لم ترد في الشرع لانفياً ولا إثباتاً، بل هي من محدثات المتكلمين، والأولى التقيد بالألفاظ الشرعية.

الثالثة:

تقريره «**أن الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان**»، **فأخرج بذلك الأعمال من اسم الإيمان، وهذا خلاف ما عليه جماهير السلف من المذاهب المختلفة.**

فرحم الله الإمامين: الطحاوي وابن أبي العز وسائر الأئمة أجمعين، على خدمتهم للسنة ولعقيدة أهل السنة والجماعة.

وقد أحببت أن أشرح هذه العقيدة، شرحاً موجزاً، يناسب المبتدئين من طلبة العلم، وينفع العامة.

والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب المسلمين وأن يثقل لي به الموازين.

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين.

الفقرة الأولى

قال الإمام الحجة أبو جعفر الوراق الطحاوي رحمه الله:

هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة: **أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي**، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ وما يعتقدون من أصول الدين ويدينون به رب العالمين.

[١] نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله:

إن الله واحد لاشريك له.

اللغة: الشريك: هو من له نصيب من الشيء.

الشرح: إن الله - تعالى - واحد في كل شيء، واحد في ذاته، واحد في أفعاله، واحد في أسمائه وصفاته، واحد في استحقاقه للعبودية، لاشريك له في شيء من ذلك، فلا شريك له في خلقه وأمره ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[١] و ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٢] و لاشريك له في النفع والضر والإماتة والإحياء وغير ذلك من ألوان التصرف والتدبير في هذا الكون.

وكذلك لا شريك له في أسمائه وصفاته، ولا شريك له في ألوهيته واستحقاقه للعبودية ولايتم توحيد عبد حتى يتخلص من كل أنواع الشرك هذه، ويأتي بضدها من أنواع التوحيد الواجب عليه، فيوحده في

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٣.

ربوبيته وأفعاله، ويوحده في أسمائه وصفاته فلا يصف مخلوقاً بما لا يستحقه إلا الخالق، ويوحده في ألوهيته فلا يصرف أياً من أنواع العبادة لغيره ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(١) و ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٢).

[٢] ولا شيء مثله.

[٣] ولاشيء يعجزه.

[٤] ولا إله غيره.

اللغة يعجزه: أعجزه الشيء: أي جعله عاجزا لايقدر عليه.

إله: معبود فالإله هو المعبود، وإله كل شخص ما يعبده.

الشرح: **(ولا شيء مثله)** وهذا من أصول التوحيد أن تعتقد بأن الله ـ تعالى ـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(٣) فلا يشبه أحداً من خلقه، ولا يشبهه أحد من خلقه، لا في ذاته ولا في أفعاله ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في حقوقه، **(ولا شيء يعجزه)**أي أنه ـ تعالى ـ على مايشاء قدير، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(٤) ولا يعسر عليه شيء ولايعجزه شيء ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾(٤) وذلك من تمام قدرته وكمالها سبحانه وتعالى، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٤) سورة يس، الآية: ٨٢.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٤٤.

يكن، وهذا دال على كمال ربوبيته. (ولا إله غيره) وهذه كلمة التوحيد، وهي التي دعت إليها كل الرسل ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[1] ومعناها لا مستحق للعبادة إلا الله، وذلك لأنه هو الخالق الرازق، المالك المدبر، فاستحق أن يفرد بجميع أنواع العبادة دون سواه، وما عبد من دونه فإنما عبد الباطل ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾[2] وذلك لأنهم لايملكون شيئاً من الأمر ولا التصرف ولا التدبير، وهذه الكلمة فيها نفي لعبادة ما سواه وإثبات العبادة له وحده، فيها كفر بما عبد من دونه، تم إثبات العبادة له، وهي توحيد الألوهية.

الخلاصة:

إن الله - تعالى - واحد في ذاته، وأسمائه وصفاته، واحد في استحقاقه للعبودية، ولا يشبهه شيء من خلقه في شيء من ذلك، وهو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء ولايتعسر عليه شيء، كما أنه لا مستحق للعبادة غيره سبحانه وتعالى.

المناقشة:

[١] ما معنى وحدانية الله تعالى؟
[٢] ما هي أنواع التوحيد الثلاثة؟
[٣] ما هي أنواع الشرك الثلاثة؟
[٤] أذكر الكلمة التي دعا إليها جميع الرسل.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣٦.
(٢) سورة الحج، الآية: ٦٢.

الفقرة الثانية

[٥] قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء.
[٦] لايفنىٰ ولايبيد.
[٧] ولايكون إلا ما يريد.

اللغة: (القديم) وهو المتقدم على غيره، (لايفنىٰ ولايبيد) الفناء والبيد بمعنى والمقصود لايهلك ولايزول.

الشرح: (القديم) ليس من أسماء الله ـ تعالى ـ والمقصود أنه ـ تعالى ـ لم يسبقه شيء كما أنه دائم وباق بلا نهاية، وذلك معنى قوله ـ تعالى ـ : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾[١] فالأول ليس قبله شيء، والآخر ليس بعده شيء، وقد فسر النبي، ﷺ، بذلك (لايفنىٰ ولايبيد) كما قال ـ تعالى ـ : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[٢]،وكما قال ـ تعالى ـ : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[٣] فالله ـ تعالى ـ يفني خلقه، ولايفنىٰ، ويبيدهم ولا يبيد، بل هو الآخر بعد كل شيء سبحانه ـ وتعالى ـ .

(ولايكون إلا ما يريد) فالله ـ تعالى ـ على ما يشاء قدير، قال ـ تعالى ـ : ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[٤] فإذا أراد الله أمراً أوجده رغماً عن جميع خلقه، وإذا لم يرد أمراً فلا يستطيع الخلق جميعاً أن يوجدوه،

(١) سورة الحديد، الآية: ٣.
(٢) سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦، ٢٧.
(٣) سورة القصص، الآية: ٨٨.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

وهـذه هي الإرادة الكونيـة القـدريـة التي لاتتخلف، فكـل خـير أو شر يحدث في هذا الكون إنما يحـدث بمشيئته وإرادتـه، وإرادته لاتغلب، فـما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن والدلائل على ذلك كثيرة جداً.

(٨) لاتبلغه الأوهام، ولاتدركه الأفهام.

(٩) ولايشبه الأنام.

(١٠) حي لايموت، قيوم لاينام.

اللغـة: (لاتبلغـه الأوهـام) أي لاتنتهي إليـه الـظنـون، (الأنـام) الخلق، (القيوم) القايم الدائم قيم على كل شيء يحفظه ويكلؤه.

الشرح: إن الله ـ تعالى ـ لايحيط به أحد من خلقه علماً، كما قال ـ تعـالى ـ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[1] فـلا تبلغـه الـظنـون والأفكـار، والتخيلات والتصورات، ولا يعـرف أحد من خلقـه كنه ذاتـه، كما أنـه لايشبه أحداً من خلقه لا في ذاته ولا في أسـمائه، ولا في صفـاته ولا في أفعاله، سبحانه ـ وتعالى ـ ليس كمثله شيء، وهو سبحـانه وتعـالى حي لايموت كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ وقال: ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾[2]، وقال: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[3] فـالله ـ تعالى ـ حي لايـدركه المـوت، وهو قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، وإلا اختلت مـوازين الكون كله، بـل هو القائم على أمور ملكه سبحانه ـ وتعالى ـ.

---

(١) سورة طه، الآية: ١١٠.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٥٨.

(٣) سورة القصص، الآية: ٨٨.

وفي هـذا كله رد على المشبهـة الذين شبهـوا الله ـ تعالى ـ بخلقـه فكفروا بذلك.

(١١) خالق بلا حاجة، رازق بلا مؤنة.

(١٢) مميت بلا مخافة، باعث بلا مشقة.

اللغة: (بلامؤنة): بلا ثقل ولاكلفة، (بـلا مشقة): بـلا تعب ولا جهد.

الشرح: إن الله ـ تعـالى ـ لم يخلق لحاجتـه إليهم، ولا لرغبتـه في الاستعانة بهم. إنما خلقهم لعبادته، قال ـ تعالى ـ : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١] وهو سبحانه ـ وتعالى ـ يرزق جميـع خلقه من إنس وجن، وطير ووحش وغيرهم، المؤمن والكافر، ويعـطي كل واحـد منهم مسـألته من غـير أن ينقص ذلـك من ملكـه شيئـاً، بيـده مقـاليـد السموات والأرض، وهو سبحانه ـ وتعالى ـ يتوفى خلقه دون مخافة ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[٢] ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾[٣] والله ـ تعالى ـ : ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[٤] وهو يبعث المـوتى يـوم القيـامـة ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٤٢.
(٣) سورة الرعد، الآية: ٤١.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.

عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[١] ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾[٢]، فالله ـ تعالى ـ يبعث الناس يوم القيامة بعد موتهم، ولا يشق عليه ذلك، فالذي يحيي الأرض بعد موتها بالماء الذي ينبت به الزرع قادر على أن يحيي الموتى: ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[٣]، والذي خلقهم أول مرة قادرة على أن يعيدهم مرة أخرى، وذلك أهون عليه، سبحانه ـ وتعالى ـ عما يصفون.

الخلاصة:

إن الله تعالى الأول والآخر حي لايموت فعال لما يريد، لايحيطون به علماً، لاتأخذه سنة ولانوم، لايسأل عما يفعل وهم يسألون.

المناقشة:

(١) هل من أسماء الله تعالى (القديم).

(٢) ما معنى ولايكون إلا مايريد؟

(٣) هل الشركاء بإرادة الله؟

---

(١) سورة التغابن، الآية: ٧.

(٢) سورة آل عمران الآية: ٩.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٧.

الفقرة الثالثة

(١٣) ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزليًا، كذلك لا يزال عليها أبديًا.

(١٤) ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداث البرية استفاد اسم الباري.

اللغة: (أزليًا) هو المتناهي في القديم الذي لا بداية له، (أبديًا) الذي يبقى بلا نهاية.

(**الباري**) برأ الخلق أي خلقهم من غير مثال سابق.

الشرح: إن كل صفة من صفات الله ـ تعالى ـ ثابتة له أزلاً، من قبل أن يخلق خلقه، وهي كلها صفات كمال، وعدمها نقص ومحال أن يتصف الله ـ تعالى ـ بالكمال بعد النقص ولم تنضف صفة إليه ـ سبحانه وتعالى ـ بعد أن خلق الناس، بل كل صفاته ثابتة له قبل خلقهم، وكما أنه ـ سبحانه وتعالى ـ بعد أن خلق الناس، بل كل صفاته ثابتة له قبل خقلهم، وكما أنه ـ سبحانه وتعالى ـ أزلي بصفاته، فليس لها مبتدأ فكذلك هو أبدي عليها، فلا تنقض هذه الصفات، بل هي باقية ببقاء الموصوف ـ سبحانه وتعالى ـ.

وهو ـ تعالى ـ **خالق قبل أن يخلق الخلق**، مُتَسَمٌّ بهذا الاسم حتى قبل خلقهم، وليس تسميه بهذا الاسم متوقفاً على حدوث خلقهم فعلاً.

وكذلك لم يستفد ويكتسب اسم الباري بعد أن أحدث البرية،

بل هو الباري حتى قبل إحداثهم وخلقهم، فأسماؤه وصفاته قديمة قدم ذاته ـ سبحانه وتعالى ـ وقد ثبت أن النبي، ﷺ، أخبر أن الله ـ تعالى ـ «**قدَّر مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**»(١).

(١٥) له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق.

(١٦) وكما أنه محيي الموتى بعد ما أحيا، استحق هذا الاسم قبل إحيائهم، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم.

(١٧) ذلك بأنه على كل شيء قدير، وكل شيء إليه فقير، وكل أمر عليه يسير، لا يحتاج إلى شيء ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾.

اللغة (الربوبية) الملك والتصرف والتدبير (مربوب) مخلوق، (يسير) سهل:

الشرح: إن الله ـ تعالى هو الرب بكل معاني الربوبية حتى قبل أن يخلق أحداً من خلقه، وكذلك هو الخالق حتى قبل أن يخلقهم، فهذه الأسماء وما دلت عليه من المعاني ثابتة له من قبل ومن بعد. فإنه ـ سبحانه وتعالى ـ كما أنه محيي الموتى بعد أن يحييهم، فإنه محيي الموتى قبل أن يحييهم، وكما أنه الخالق بعد أن أنشأ خلقه، فإنه الخالق قبل أن ينشئهم كذلك.

لأنه ـ سبحانه وتعالى ـ على كل شيء قدير، إذا أراد شيئاً فعله، وإذا لم يرد شيئاً لم يكن هذا الشيء وهذه هي الإرادة الكونية القدرية

(١) مسلم ح (٢٦٥٣) في القدر باب حجاج آدم وموسى، وأحمد (٢/١٦٩) وغيرهما من حديث عبدالله بن عمرو مرفوعاً.

التي لا يخرج عنها شيء، ولا تتخلف أبداً، وقد قالت المعتزلة: قادر على كل ما هو مقدور له، وأما أفعال العباد فلا يقدر عليها، وهذا سلب لصفة الكمال فإن الله ـ تعالى ـ ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١] وكذلك كل شيء كائن في هذا العلم فبإرادة الله ـ تعالى ـ ومشيئته والإيمان بهذه المسألة من أهم لوازم الإيمان بالربوبية لله ـ تعالى ـ، وكل شيء في هذا الكون مفتقر إلى الله ـ تعالى ـ محتاج إليه في إيجاده وبقائه، وكل أمر على الله ـ تعالى ـ يسير كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[٢]، وهو لا يحتاج إلى شيء ـ سبحانه وتعالى ـ بل كل شيء محتاج إليه ضرورة وحاجته لله ـ تعالى ـ ثابتة لا تتغير ولا تكون في وقت دون وقت أو مكان دون مكان. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٣].

الخلاصة:

صفات الله ـ تعالى ـ الذاتية قديمة، وصفاته الفعلية قديمة النوع وإن حدثت آحادها وهي باقية ببقائه ـ تعالى ـ وهو مستحق لأسمائه وصفاته قبل خلقه وبعد خلق.

المناقشة:

(١) هل معنى الربوبية لله يحتاج إلى وجود مربوبين؟

(٢) هل قدرة الله نافذة في كل شيء

(٣) ما معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ليس كمثله شيء﴾؟

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٤.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٢.

(٣) سورة الشورى الآية: ١١.

الفقرة الرابعة

(١٨) خلق الخلق بعمله.

(١٩) وقدر لهم أقداراً.

(٢٠) وضرب لهم آجالاً.

(٢١) ولم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم.

اللغة: (آجالاً) جمع أجل وهو المدة التي ينتهي إليها الشيء.

الشرح: إن الله ـ تعالى ـ خلق الخلق عالماً بهم كما قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[١] فعلمه ـ تعالى ـ محيط بكل شيء، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[٢] يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[٣] لا يغيب عنه شيء، وعلمه محيط بالكليات والجزئيات، ـ سبحانه وتعالى ـ وكل شيء خلقه الله ـ تعالى ـ بقدر كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[٤] وكما قال أيضاً: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[٥] فالخير والشر مقدران، وكل شيء مخلوق بقدر وفي ذلك رد على من زعموا أن الشر ليس مخلوقاً لله،

(١) سورة الملك، الآية: ١٤.
(٢) سورة طه، الآية: ١١٠.
(٣) سورة سبأ، الآية ـ ٣.
(٤) سورة القمر، الآية: ٤٩.
(٥) سورة الفرقان، الآية: ٢.

وهو ـ سبحانه وتعالى ـ قد كتب لخلقه آجالاً لا يتخطونها، ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[٣] فلا يمكن أن يتقدم شيء أو يتأخر عن الأجل الذي ضربه الله له.

هذا وإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ كان ولم يزل يعلم كل شيء قبل أن يخلق خلقه، وعلم أهل السعادة وأهل الشقاوة، والصالحين والطالحين، كل ذلك قبل خلقهم، وعلم ما يكون منهم في يوم كذا على هيئة كذا ـ سبحانه وتعالى ـ لا تخفى عليه من خلقه خافية.

الخلاصة:

لقد خلق الله الخلق بعلمه، وقدر مقادير لكل شيء، ولم يخف عليه شيء من خلقه ولا من أعمالهم وذلك قبل خلقهم.

المناقشة:

(١) ما معنى قوله: وقدر لهم أقداراً؟

(٢) لماذا تعتقد أن الله يعلم أعمال العباد قبل خلقه لهم؟

---

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣٤.

الفقرة الخامسة

(٢٢) وأمرهم بطاعته، ونهاهم عن معصيته.

(٢٣) وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن.

اللغة: (ومشيئته تنفذ) وإرادته تمضي وتقع وتتحقق.

الشرح: لقد أمر الله خلقه بطاعته، ووعدهم على طاعته جزيل الثواب، ونهاهم عن معصيته وتوعدهم عليها بالعقاب، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[1] وذكره رحمه الله ـ تعالى ـ للأمر والنهي بعد كلامه عن الخلق إشارة إلى أن الخالق له الأمر والنهي كما قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[2] وكل شيء يجري بتقدير الله ومشيئته بقضائه وقدره فليس هناك شيء كائن إلا بمشيئة الله ـ تعالى ـ ولا يمكن أن يقع شيء في هذا الكون دون مشيئة الله ـ تعالى ـ ومشيئته ـ سبحانه وتعالى ـ تنفذ وتتحقق، ولا يمكن أن تتخلف أبداً، وهي المشيئة الكونية القدرية ويراد بها كل ما أراد الله أن يقع في هذا الكون، من خير أو شر، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3] وكما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[4] ومشيئة العباد لا تخرج عما شاء الله

(١) سورة النساء الآية: ١٣، ١٤.

(٢) سورة الأعراف الآية: ٥٤.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٣٩.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

لهم كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1] وهذه الإرادة الكونية غير الإرادة الشرعية التي قد لا تتحقق، فقد يحب الله أمراً ولا يشاء حدوثه، وقد يبغض الله أمراً لكنه يشاء أن يقع لحكمة يعلمها، وما شاء الله لعباده كان، وما لم يشأ لهم فلا يمكن أن يقع ولو أرادوه جميعاً، وهذا خلاف ما ذهبت إليه القدرية من أن المعصية يحدثها الإنسان بإرادته مستقلاً عن أرادة الله ـ تعالى ـ والله ـ تعالى ـ لا يريدها، وإنما فاعلها الإنسان فقط وهو مريدها من دون الله، وهكذا جعلوا الإنسان مريدا لأشياء وموجداً لها دون إرادة الله.

(٢٤) يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلاً، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلاً.

(٢٥) وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله.

اللغة: (يعصم) يمنع من الوقوع في الضلالة.

الشرح: (٢٤) إن الله ـ تعالى ـ هو الذي يهدي من يشاء من عباده للإيمان، ويعصمهم من الوقوع في الضلال والمعاصي، ويعافيهم من ذلك، ومن آثاره الضارة في الدنيا والآخرة، فمن فعل الله به ذلك فهو فضل من الله ـ تعالى ـ ومنة تستوجب الشكر عليها، كما أنه ـ سبحانه ـ يضل من يشاء من خلقه، ويخذلهم، فيكلهم إلى أنفسهم، ويخلي بينهم وبين الشيطان، فلا يعصمهم، ويبتليهم بذلك، فيقعون في الضلال والمعصية، وذلك عدل منه ـ سبحانه وتعالى ـ له الحكمة البالغة، وله العدل المطلق، والدليل على أن الله ـ تعالى ـ هو الذي يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، قوله ـ تعالى ؛ ﴿وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ

(١) سورة التكوير، الآية: ٢٩.

صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[١] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[٢] وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[٣] فكل ذلك من عند الله ـ تعالى ـ وهذا من أصول أهل السنة خلافاً للمعتزلة الذين قالوا بأن أفعال العباد مخلوقة لهم.

أما أهل السنة فيقولون من اهتدى فالله هو الذي هداه بفضله ونعمته، ومن ضل فالله هو الذي أضله بعدله.

(٢٥) وكل الناس يتقبلون في مشيئة الله ـ تعالى ـ بين هذين الأمرين، الفضل والعدل، فإن الناس: إما مؤمن مهتد راشد، وذلك بفضل الله ـ تعالى ـ وعلمه وحكمته وكرمه ونعمته، وإما ضال زائغ بالكفر أو الفسق، وذلك بعدل الله ـ تعالى ـ وعلمه وحكمته، فلا خروج لأحد عن مشيئة الله ـ تعالى ـ : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٤] ثم إن المرء نفسه قد يهتدي تارة بفضل الله ـ تعالى، ثم يعاقبه الله ـ عز وجل ـ على ذنوب أو غفلة فيخذله، ثم قد تدركه الهداية بعد ذلك، وقد يضل ضلالاً أبدياً والعياذ بالله ـ تعالى ـ وكل شيء بمشيئته ـ عز وجل ـ.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٩.
(٢) سورة النحل، الآية: ٩٣.
(٣) سورة القصص، الآية: ٥٦.
(٤) سورة التكوير، الآية: ٢٩.

الخلاصة:

أمر الله الخلق بطاعته، ونهاهم عن معصيته، وكل شيء يجري بقضائه ومشيئته،، ومشيئة العباد تحت مشيئة الله، وهو الهادي لمن يشاء، ويضل من يشاء، ولا خروج لأحد عما شاء الله له.

المناقشة:

(١) بماذا أمر الله ـ تعالى ـ؟ وبماذا نهى؟

(٢) هل تشمل إرادة الله الخير والشر؟

(٣)فسر المقصود بأن الله ـ تعالى ـ يضل من يشاء بعدله.

الفقرة السادسة

(٢٦) وهو متعالٍ عن الأضداد والأنداد.

(٢٧) لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره.

اللغة: (الضد): المخالف، (الند) المماثل والمكافىء.

الشرح: (٢٦) إن الله ـ تعالى ـ متعالٍ ومتنزه عن أن يكون له ضد مخالف في أمره وحكمه وخلقه وملكه، أو ند مماثل مكافىء في شيء من ذلك، أو في أسمائه وصفاته، بل إنه ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[١]، وقال تعالى ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢].

(٢٧) وهو سبحانه وتعالى إذا قضى أمراً أوجده وأنفذه، لو اجتمع الخلق جميعاً على جلب نفع هو ممسكه، أو على منع ضرٍّ هو مريده ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[٥]، وإذا حكم الله تعالى بأمرٍ فإن حكمه نافذ

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٧.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٢.

(٥) سورة يس، الآية: ٨٢.

ماضٍ لا يؤخره شيء ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾[١]. وإذا أراد أمراً فإن أمره نافذ لا يغلب بل أمره ـ تعالى ـ ينفذ على جميع الخلق ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢].

الخلاصة:

الله تعالى متنزه عن المخالف والمساوي والمشابه، ولا يرد قضاؤه ولا يؤخر حكمه، ولا يغالب أمره.

المناقشة:

١ ــ ما معنى: الأضداد - الأنداد؟

٢ ــ هل يؤخر قضاء الله وحكمه شيء؟

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٤١.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٣١.

الفقرة السابعة

(٢٨) آمنا بذلك كله، وأيقنّا أن كلا من عنده.

(٢٩) وأن محمداً عبده المصطفى، ونبيه المجتبى، ورسوله المرتضى.

اللغة: (آمنا): صدقنا، (أيقنّا) تحققنا، (المصطفى) المختار.

الشرح: (٢٨) آمنا وصدقنا بكل ما سبق وتحققنا منه ووقر في نفوسنا يقيناً جازماً.

(٢٩) محمد، ﷺ، وهو أشهر أسمائه الشريفة، وذلك لكثرة ما فيه من الخصال الشريفة التي يحمد عليها، وهو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم، من قريش ومن أوسط العرب نسباً، ومن أنفسها حسباً، وأعرقها ممتدا، والعبودية هي أشرف المقامات للإنسان، كما قال - تعالى -: ﴿سُبْحَانَ الَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾[1]. وقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾[2]. وقال: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾[3]،وقد اصطفاه الله - تعالى - من خيرة خلقه، وفضله واختاره على جميع بريته، وهو النبي المجتبى، المقرب المختار، وهو الرسول المرتضى الذي ارتضاه الله لخاتمة الرسالات، وأنزل عليه أشرف الكتب وأعظمها.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣.

(٣) سورة الجن، الآية: ١٩.

(٣٠) وأنه خاتم الأنبياء، وإمام الأتقياء، وسيد المرسلين، وحبيب رب العالمين، ﷺ.

(٣١) وكل دعوى النبوة بعده، ﷺ، فغيٌّ وهوى.

اللغة: (**خاتم الأنبياء**) آخرهم الذي ختمت به النبوة. (**غيٌّ**) الغي هو الزيغ والضلال.

الشرح: (٣٠) **إن محمداً، ﷺ، هو خاتم الأنبياء كما قال تعالى:** ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[١]،وهو أكثر الخلق خشية لله واتقاء له كما قال: «**إني لأخشاكم لله وأعلمكم بحدود الله**»[٢]، وقال، ﷺ، أيضاً: «**إن أتقاكم لله وأعلمكم بحدود الله أنا**»[٣]، صلوات الله وسلامه عليه، وهو سيد المرسلين كما قال، ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»[٤] فهو أشرف الخلق، وهو حبيب رب العالمين سبحانه وتعالى، اصطفاه الله واجتباه وقربه وأدناه، وقال، ﷺ: «**إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلا**»[٥]. يعني نفسه، ﷺ.

(٣١) وكل دعوى النبوة بعد النبي، ﷺ، غيٌّ وضلال، وزيغ وهوى وبطلان، فمن ادعى النبوة بعده لنفسه أو لغيره كفر، ومن

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

(٢) أخرجه البخاري في النجاح باب الترغيب في النكاح ١٠٤/٩ ح ٥٠٦٣ من حديث أنس بن مالك.

(٣) أخرجه البخاري كتاب الإيمان باب قول النبي، ﷺ، (أنا أعلمكم بالله) (٧٠/١٣) ح (٢٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٢/٣ والترمذي في الزهد باب ذكر الشفاعة ح(٣٦١٨) وابن ماجه في الزهد باب ذكر الشفاعة ح(٤٣٠٨) من حديث أبي سعيد الخدري. وهو صحيح.

(٥) أخرجه مسلم كتاب المساجد باب النهي عن بناء المساجد على القبور ٣٧٧/١ ح (٥٣٢).

صدقه في ذلك كفر، بل ومن إرتاب في ذلك كفر، فالمؤمن يؤمن أنه لا نبي بعده، ﷺ، نعم قد يدعي النبوة بعده مدعٍ كاذب، وقد يأتي ببعض خوارق العادات، ويكون له أتباع، لكنه يفتضح ولا يتم أمره، كما قد وقع لكل من ادَّعى النبوة بعده، ﷺ.

(٣٢) وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى، بالحق والهدى، وبالنور والضياء، ﷺ.

اللغة: (الورى) الخلق.

الشرح: (٣٢): إن النبي، ﷺ، هو الرسول الأعظم، ورسالته لجميع الثقلين الجن والإنس، فكل رسول قبله كان يرسل إلى قومه فقط، أما هو ﷺ، فإنه أرسل إلى جميع الثقلين، كما قال تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[١] وقال ﷺ: «**وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة**»[٢] وقد أرسله الله ـ تعالى ـ بالحق والهدى، كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾[٣]، وأرسله بالنور الهادي إلى سواء السبيل، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ﴾[٤]، فالقرآن هو الضياء الهادي، وهو النور والشفاء لما في الصدور.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٢) أخرجه البخاري كتاب التيمم باب التيمم (١/٤٣٥) ح (٣٣٥) ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة (١/٣٧٠) ح (٥٢١) من حديث جابر بن عبدالله.

(٣) سورة الصف، الآية: ٩.

(٤) سورة المائدة، الآية: ١٥.

الخلاصة:

النبي، ﷺ، هو النبي المختار الذي أرسله الله تعالى للثقلين بالهدى ودين الحق، وهو خاتم الأنبياء فليس بعده نبي.

المناقشة:

١ ــ هل كان الرسول، ﷺ، مبعوثاً لجميع الخلق أم لقومه خاصة.
٢ ــ ما حكم من ادَّعى النبوة بعد رسول الله، ﷺ، لنفسه أو لغيره؟

الفقرة الثامنة

(٣٣) وإن القرآن كلام الله، منه بدأ بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقّاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر، فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر، حيث قال تعالى: ﴿سأصليه سقر﴾ فلما أوعد الله بسقر لمن قال: ﴿إن هذا إلا قول البشر﴾ علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر.

اللغة:

الشرح: (٣٣) القرآن هو كلام الله ـ تعالى ـ على الحقيقة، منه بدأ ولا ندري كيف تكلم به سبحانه وتعالى لكنه كلامه حقًّا، والكلام صفة كمال ثابتة لله ـ تعالى ـ، وضده صفة نقص تنزه الله ـ سبحانه ـ عنها، وقد قال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[1]، فالكلام صفة ثابتة له ـ سبحانه وتعالى ـ على الكيفية اللائقة بكماله وجلاله، والقرآن كلامه، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾[2]، والمقصود به القرآن، فهو كلام الله حقا، أنزله على رسوله محمد، ﷺ، وحيا، وصدقه المؤمنون في ذلك، وعلموا، وأيقنوا أنه كلام الله ـ تعالى ـ حقيقة، وأنه ليس بمخلوق إذ إن الصفات فرع عن الذات، وصفات الله تعالى قديمة غير مخلوقة، أما كلام البشر فهو حادث مخلوق مثلهم، وكل من زعم أن القرآن

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦.

كلام البشر فهو كافر، وقد أوعده الله تعالى بالنار كما قال سبحانه، ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[1]، فلما رأى المؤمنون كيف توعد الله بسقر من زعم أن القرآن كلام البشر، علموا أنه كلام خالق البشر، ولا يشبه كلام البشر، بل إن كل صفة لله ـ تعالى ـ تختلف عن صفات المخلوقين كاختلاف ذات الله تعالى عن ذوات المخلوقين.

الخلاصة: القرآن كلام الله على الحقيقة، وليس بمخلوق، ومن زعم أنه كلام بشر فقد كفر.

المناقشة:

١ ــ ما تقول في القرآن؟

٢ ــ ما حكم من زعم أن القرآن مخلوق؟

(١) سورة المدثر، الآيات: ٢٤-٢٦.

الفقرة التاسعة

(٣٤) ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر، فمن أبصر هذا أعتبر، وعن مثل قول الكفار انزجر وعلم أن الله تعالى بصفاته ليس كالبشر.

اللغة: (اعتبر) أي استفاد العبر من غيره والعظة، (انزجر) أي انتهى وكف وابتعد عن الشيء.

الشرح: أيما رجل وصف الله ـ تعالى ـ بمعنى من معاني البشر، وشبه الله بخلقه في معاني أسمائه وصفاته، أو كيفيتها، فقد كفر بالله العظيم القائل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1] وإذا رأى الإنسان هذا وفهمه وأدركه، فإنه يعتبر من تكفير الله ـ تعالى ـ لمن شبهه بالبشر، فإنه لا بد سوف يعتبر، وينزجر عن أن يقول بمثل قول الكفار الذين حكم الله ـ تعالى لهم بالنار، دار البوار، وسوف يعلم أن الله ـ تعالى ـ بصفاته، وكيفيتها وحقيقة معانيها ليس كالبشر أبداً.

الخلاصة:

صفات الله ـ تعالى ـ ليست كصفات البشر، وأيما رجل وصف الله تعالى بصفات البشر فقد كفر.

المناقشة:

١ ـ ما الدليل على أن صفات الله ليست كصفات البشر؟

٢ ـ ما حكم من جعل صفات الله كصفات البشر؟

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

الفقرة العاشرة

(٣٥) والرؤية حق لأهل الجنة، بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ وتفسيره على ما أراد الله ـ تعالى ـ وعلمه، وكل ماجاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله، ﷺ، فهو كما قال، ومعناه على ماأراد لاندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولامتوهمين بأهوائنا، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله ـ عز وجل ـ ولرسوله، ورد علم ما أشتبه عليه إلى عالمه.

اللغة: . . . . .

الشرح: رؤية المؤمنين ربهم ـ عز وجل ـ يوم القيامة بأبصارهم عياناً ثابتة بالكتاب والسنة، فقد قال ـ تعالى ـ : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[١] وقال ـ تعالى ـ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[٢] وقد فسر النبي، ﷺ، الزيادة بأنها النظر إلى وجه الله ـ عز وجل ـ وقال، ﷺ: «**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لاتضامون في رؤيته**»[٣] وليس معنى ذلك الإحاطة بالله ـ تعالى ـ حاشا لله، لكنها رؤية بصرية حقيقية، وليست رؤية قلبية معنوية، بل إنها أعظم نعيم يتنعم به أهل الجنة، والأحاديث عن النبي، ﷺ، في هذا الباب متواترة كما جزم بها كثير من الأئمة، ومقصود الآيات والأحاديث هو ظاهرها، وأن المؤمنين يرون ربهم عياناً يوم القيامة، ونحن نصدق الأخبار الواردة في ذلك،

---

(١) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

(٢) سورة يونس، الآية: ٢٦.

(٣) أخرجه البخاري كتاب مواقيت الصلاة فضل صلاة العصر ٢/٣٣ ح ٥٤ ومسلم كتاب المساجد باب فضل صلاتي الصبح والعصر ١/٤٣٩ ح ٦٣٣ من حديث جرير بن عبدالله.

ولانتكلف تأويلها بآرائنا القاصرة، ولانتوهم بأهوائنا ما يخالف حقيقتها، فإن الإنسان إذا أراد السلامة في دينه من الزيغ والضلال، فعليه أن يسلم لله - تعالى - ورسوله، ﷺ، فيما ورد في الأخبار الثابتة، وإذا اشتبه عليه أمر علمه إلى خالقه، كما قال - تعالى - : ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1] .

(٣٦) ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام، فمن رام علم ما حظر عنه علمه ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان، فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار، موسوساً تائهاً، شاكّاً، لا مؤمناً مصدقاً، ولا جاحداً مكذباً.

اللغة: (رام) طلب، (حظر) منع، (**حجبه مرامه**) منعه قصده، (**فيتذبذب**) فيتقلب.

الشرح لايثبت على حقيقة الإسلام إلا من سلم لنصوص القرآن والسنة، واستسلم لهما تصديقاً وانقياداً، فلم يعارضها بهوى ولاشبهة، ولا برأي ولا معقول ولاقياس وإذا طلب الإنسان العلم الذي لايمكن تحصيله، مما غيَّبه الله - تعالى - عن خلقه، مما يتعلق به - سبحانه وتعالى - وحكمته وقضائه، ولم يقتنع عقله وفهمه بالتسليم لمراد الله - تعالى - ومراد رسوله، ﷺ، والانقياد لمرادهما، فإنه بهذا القصد سوف يحرم من إدراك التوحيد الخالص على حقيقته، والمعرفة الصافية بالله -

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

تعالى ـ والإيمان الصحيح الذي ينبني على التصديق والإذعان، والقبول والانقياد، والتسليم والاستسلام فيصبح متذبذباً بين التصديق والتكذيب، والإيمان بالأخبار الشرعية والكفر بها، والإقرار بها وإنكارها، تمتلكه الوساوس والشكوك والخيالات الفاسدة، تائهاً متحيراً لا يستقر على قرار، فلا هو بالمؤمن المصدق كامل الإيمان، ولا هو بالجاحد المنكر تمام الجحود والنكران، إذ أن حقيقة الإيمان التصديق والاستسلام حتى في الأمور التي تخفى حكمتها، والتي قد لا يدرك العقل حقيقتها، اكتفاءً بخبر الله - تعالى ـ وخبر رسوله، ﷺ.

(٣٧) ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار الإسلام لمن اعتبرها منهم بوهم، أو تأولها بفهم إذا كان تأويل الرؤية ـ وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية ـ ترك التأويل، ولزوم التسليم وعليه دين المسلمين، ومن لم يتوق النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه، فإن ربنا ـ جل وعلا ـ موصوف بصفات الوحدانية، منعوت بنعوت الفردانية، ليس في معناه أحد من البرية.

اللغة: (يتوق) يتجنب، (زل) تعثر وأخطأ.

الشرح: لايصح الإيمان برؤية الله ـ تعالى ـ لمن تأولها من المسلمين بفهمه، أو توهم حقيقيًا أو ظن بنفسه إمكان معرفة كيفيتها، فهذا مخطىء ولم يؤمن بالرؤية إيماناً حقيقياً، لأن الرؤية لايعلم حقيقتها وكيفيتها إلا الله ـ تعالى، وأمر الرؤية وغيرها مما يتعلق بالخالق ـ جل وعلا ـ كل ذلك تأويله وتفسيره الصحيح، وهو عدم تفسيره وتكييفه بشيء مما يعهده الناس في دنياهم، بل نصدق المعنى الصحيح الذي دلت عليه ولانكيف، ونستسلم ونسلم وننقاد لخبر الله ـ تعالى ـ ورسوله، ﷺ، وهذا هو دين المسلمين الصحيح الذي بعث الله به

نبيه، ﷺ، وعلى المسلم أن يحذر من أمرين: **الأول**: نفي ما وصف الله به نفسه والإلحاد فيه وتحريفه عن معناه الحقيقي المراد منه، **الثاني**: التشبيه بأن يشبه الخالق بالمخلوق في شيء مما يتعلق به في ذاته وأفعاله، وأسمائه وصفاته. وهما مجموعان في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1] فنصف الآية الأول نفي للتشبيه والمماثلة، والنصف الثاني إثبات للصفات، **فالآية جمعت بين التنزيه والإثبات ومن لم يتجنب هذين الأمرين وهما النفي والتشبيه، زل في عقيدته وأخطأ، وجانب الصواب ولم يصب التنزيه الواجب لله، وهو تنزيهه عن الشريك والمثيل، والند والنظير، وذلك لأن الله ـ تعالى ـ متصف بكل صفات الوحدانية في ذاته وأفعاله، وأسمائه وصفاته، في خلقه وأمره، منعوت كذلك بنعوت الفردانية في كل ذلك، فإنه أحد فرد صمد ليس له شريك ولامثيل، وليس في معناه ولا يشبهه أحد من الخلق لا في ذاته، ولا في أفعاله، ولا في أسمائه وصفاته.**

(٣٨) وتعالى عن الحدود والغايات، والأركان والأعضاء والأدوات، ولاتحويه الجهات الست كسائر المبتدعات.

اللغة: **(تعالى)** تنزه، **(الحدود)** جمع حد، وهو ما ينتهي إليه الشيء، **(المبتدعات)** المحدثات.

الشرح: الله ـ سبحانه وتعالى ـ متعال متنزه عن الحدود والغايات، فليس لله حد يحده ولا غاية ينتهي إليها، وليس معنى ذلك اتصاله ـ سبحانه ـ بمخلوقاته وتداخله معها بل هو ـ سبحانه وتعالى ـ بائن من خلقه، وكذلك فإنه ـ سبحانه ـ متنزه عن الأركان والأعضاء

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

والأدوات، وهي الجوارح وأدوات الاكتساب عند العبد، والآلات التي يستجلب بها النفع، ويستدفع بها الضر، متعالٍ عن ذلك ـ سبحانه وتعالى ـ هذا في نفس الوقت الذي نثبت له الأسماء والصفات الواردة في القرآن، لكن نقول: إن لها معانٍ حقيقية تدل عليها، ونحن نفهم هذه المعاني، ونثبتها لله ـ تعالى ـ على الوجه اللائق به، ولكن لانقول بالكيفية فإنها مما اختص الله ـ تعالى ـ بعلمه، كما أنه ـ **سبحانه وتعالى ـ لاتحويه الجهات الست كسائر المحدثات**، بل متنزه عن ذلك، ولايفهم من هذا نفي الجهة مطلقاً، بل إنه ـ سبحانه ـ في جهة العلو، لكن المقصود أنه ـ سبحانه ـ لاتحويه الجهات وتحيط به كما في سائر المخلوقات وليت المصنف رحمه الله تعالى لم يذكر هذه المصطلحات الكلامية وإن كنا نعلم يقيناً أنه لم يقصد ما قصده أهل الكلام، لأنه صرح بإثبات الصفات كالعلو والوجه وغيرهما، فكان الأولى أن يبتعد عن هذه المصطلحات الكلامية بالمرة لأنها تحتمل حقاً وباطلاً ومذهب أهل السنة في مثلها الحكم عليها بعد التفصيل فقول القائل «تعالى عن الحدود والغايات»: إن أراد به أن الله تعالى ليس بمحصور ولا محدود في شيء موجود فهذا حق.

وإن أراد أن الله تعالى ليس في حد العلو، ولا في جهة العلو فهذا باطل لأنه نفي لعلوم الله تعالى على خلقه وقول القائل: «والأركان والأعضاء»: إن أراد أن صفات الله كالوجه واليدين والعينين لاتشبه وجوه الخلق ولاصفاتهم فهذا حق وإن أراد أن الله تعالى لا وجه له ولايدين فهذا باطل وكذا قول القائل: «ولا تحويه الجهات الست» إن أراد أن الله تعالى ليس في جهة من الجهات ولا فوق ولاتحت ولايمين ولا شمال ولا خلف ولا أمام فهذا باطل لأن هذا صفة معدوم بل صفة

ممتنع، وهذا كفر صريح لأنه نفي لقول الله تعالى بل نفي لوجوده سبحانه وإن أراد أنه ليس بمحصور في شيء موجود فهذا حق والله أعلم.

الخلاصة:

إن الله ـ تعالى ـ يُرى يوم القيامة بالأبصار، يراه المؤمنون حقًّا من غير أن يحيطوا به، وهذا هو مضمون الآثار في هذا الباب، والواجب على المسلم أن يبتعد عن التأويل وكلام أهل التعطيل ويعلم أن الله ـ تبارك وتعالى ـ منزه عن الحادثات ومنزه عن أن يشبه سائر المخلوقات.

المناقشة:

(١) ما حقيقة رؤية الله ـ تعالى ـ يوم القيامة؟

(٢) ما الواجب على المسلم تجاه نصوص الصفات؟

(٣) فسر المقصود بأن الله ـ تعالى ـ لاتحويه الجهات الست؟

الفقرة الحادية عشرة

(٣٩) والمعراج حق، وقد أسرى بالنبي، ﷺ، وعرج بشخصه في اليقظة إلى السماء، ثم إلى حيث شاء الله من العلا، وأكرمه الله بما شاء، وأوحى إليه ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى، فصلى الله عليه وسلم في الآخرة والأولى.

اللغة: (المعراج) مفعال من العروج وهو الصعود، والمعراج الآلة التي يصعد فيها.

الشرح: وأهل السنة يثبتون للنبي، ﷺ، عروجاً إلى السماء بشخصه، بجسده وروحه، وذلك ليلة الإسراء، والإسراء ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، وكان من مكة إلى بيت المقدس حيث قال - تعالى - : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾[1] حيث صلى إماماً بالأنبياء عليهم السلام، وثبت المعراج كذلك إلى السماء بشخصه الشريف، حيث صعد حتى السماء السابعة، حتى كان عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، وأكرمه الله بما شاء من تكليمه إياه بغير واسطة، وصعوده إلى مكان لم يصله غيره، ومناجاة الله له، وما أطلعه عليه من أحوال الجنة والنار، وأوحى إليه ما أوحى، وشرع له خمس صلوات في اليوم والليلة، وما كذب فؤاد النبي، ﷺ، ما رأى، بل كان كل ما رآه بعيني رأسه حقًّا، تعظيماً له وتشريفاً على سائر الأنبياء، وإظهاراً لعلوم مقامه، ﷺ، فوق الجميع، وكل ما كان في هذه الليلة المباركة على وجه ثابت عن النبي، ﷺ، في الصحيحين وغيرهما.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١.

(٤٠) والحوض الذي أكرمه الله ـ تعالى ـ به غياثاً لأمته حق.

اللغة: (غياثاً) أي نجدة وإغاثة.

الشرح: ثبت عن النبي، ﷺ، وجود الحوض المورود، بل إن أحاديث الحوض متواترة **كما بين ذلك أهل العلم**، ومجملها أنه حوض عظيم، يمد من شراب الجنة، ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب ريحاً من المسك، طوله وعرضه سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، كيزانه كنجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، **وهو أعظم حوض يوم القيامة وأحلاها**، وأكثرها وارداً، وهو غياث لأمته من عطش يوم القيامة وظمئه، فهو فضل الله على نبيه، ﷺ، أكرمه الله ـ تعالى ـ به، وفضله على سائر الأنبياء، جعلنا الله من أهل حوضه المورود في اليوم المشهود.

الخلاصة:

الإسراء من مكة إلى بيت المقدس حق، والمعراج إلى السماء حق، والوحي في السماء حق، والحوض حق، وحديث رسول الله، ﷺ، حق في هذا الباب.

المناقشة:

(١) ما حكم من أنكر الإسراء بالنبي، ﷺ ؟

(٢) إلى أين أسري به؟ وإلى أين عرج به؟

(٣) ماذا تعرف عن حوض النبي، ﷺ؟

الفقرة الثانية عشرة

(٤١) والشفاعة التي أدخرها لهم حق، كما روى في الأخبار.

(٤٢) والميثاق الذي أخذه الله ـ تعالى ـ من آدم وذريته حق.

اللغة: (الميثاق) العهد المؤكد.

الشرح: (٤١) **الشفاعة لرسول الله، ﷺ، أنواع:** أعظمها شفاعته لأهل الموقف جميعاً حتى يفصل الله بينهم فيقول الله له: ﴿... اشفع تشفَّع...﴾[١] وهي ثابتة بلا ريب، وحق بلا مَيْنٍ، وكذلك شفاعته، ﷺ، فيمن تساوت حسناته وسيئاته، ومنها شفاعته في أقوام أمر بهم إلى النار، لايدخلونها، ومنها شفاعته في رفع درجات من يدخل الجنة فوق ما يستحق ومنها شفاعته، ﷺ، في قوم يدخلون الجنة بغير حساب، ومنها شفاعته في تخفيف العذاب عمن يستحقه، ومنها شفاعته لجميع المؤمنين في دخول الجنة، ومنها شفاعته لأهل الكبائر من أمته يخرجون من النار، كل هذه الأنواع ثابتة له، ﷺ، بمقتضى الأخبار الصحيحة، غير أنها لا تكون إلا بإذن الله ـ تعالى ـ كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾[٢] وقال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[٣] وقال: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾[٤] فهي حق لاريب فيه غير أنها لا تكون إلا بإذن الله ـ تعالى ـ.

---

(١) أخرجه البخاري/ كتاب التوحيد/ باب كلام الرب عز وجل ١٣/٤٧٣ ج(٧٥١٠). ومسلم /كتاب الإيمان/ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١/١٨٢-١٨٣) ح(٣٢٦).

(٢) سورة الزمر، الآية: ٤٤.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.

(٤) سورة سبأ، الآية: ٢٣.

(٤٢) والميثاق حق، وهو الذي أخذه الله ـ تعالى ـ من آدم عليه السلام وذريته حين مسح ظهره بيده فخرجت منها كل نسمة هي كائنة إلى يوم القيامة، فأخذ عليهم العهد أنه ربهم وأشهدهم على أنفسهم فشهدوا، وهذا هو الميثاق الأول، وهو المذكور في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾[1].

الخلاصة:

شفاعة رسول الله، ﷺ، لأمته حق، والميثاق الأزلي على آدم وذريته حق.

المناقشة:

(١) ما هي الشفاعة العظمى يوم القيامة؟

(٢) أذكر أنواع الشفاعة التي تعرفها.

(٣) ما تعرف عن الميثاق الأول؟

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

الفقرة الثالثة عشرة

(٤٣) وقد علم الله ـ تعالى ـ فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة، وعدد من يدخل النار جملة واحدة، فلا يزداد في ذلك العدد ولاينقص منه.

وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه، وكل ميسر لما خلق، والأعمال بالخواتيم، والسعيد من سعد بقضاء الله، والشقي من شقي بقضاء الله.

اللغة:

الشرح: (٤٣) لقد علم الله ـ تعالى ـ في الأزل عدد من يدخل الجنة من بني آدم، وعدد من يدخل النار منهم، علم كل ذلك على سبيل الإجمال والتفصيل علماً تامًّا، فلا يزداد في عددهم ولاينقص، وكل إنسان قد كتب له في بطن أمه (شقي أو سعيد) وكذلك كتب في اللوح المحفوظ، ولايتبدل علم الله ـ تعالى ـ بذلك أبداً.

(٤٤) وكذلك أفعال العباد فيما علم الله منهم أن يفعلوه، فقد علم ـ سبحانه وتعالى ـ أفعال خلقه قبل أن يفعلوها، علمها في الأزل، وكتب ذلك، وقضاه، وكل إنسان ميسر لما خلق له أما **أهل الجنة** فييسرون لعمل أهل الجنة، **وأما أهل النار** فييسرون لعمل أهل النار والأعمال بالخواتيم، فقد يختم للرجل بعمل صالح بعد إساءة فيدخل الجنة، وقد يختم للرجل بعمل خبيث بعد أعمال صالحة فيدخل النار، والعبرة بالخواتيم، ولا سعيد إلا من قضى الله له السعادة وقدرها له وكتبها، وجعله من أهلها، ولا شقي إلا من قضى الله له الشقاوة

وقدرها له وكتبها، وجعله من أهلها ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[١].

(٤٥) وأصل القدر سر الله ـ تعالى ـ في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة، فإن الله ـ تعالى ـ طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿**لا يسأل عما يفعل وهم يسألون**﴾ فمن سأل: لم فعل؛ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين.

اللغة: (**الخذلان**) عدم التوفيق، (**الطغيان**) تجاوز الحد، (**أنامه**) خلقه.

الشرح: أصل القدر سر الله ـ تعالى ـ لم يطلع عليه أحد من الخلق، ولايصح التعمق فيه، ومحاولة الوصول إلى حقيقته، كما قال النبي، ﷺ: «**وإذا ذكر القدر فأمسكوا**»[٢] **ومن رام الوصول إلى حقيقة، فقد سلك طريق الخذلان والحرمان من التوفيق، وصعد سلم الحرمان من الهداية، وبلغ درجة الطغيان ومجاوزة الحد، إذ لا يعلم حقيقة القدر إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ ومهما فكر الناس فلن يصلوا**

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/٢٤٣ ـ ٢٢٤)، وأبو نعيم في الحلية (٤/١٠٨) كلاهما من طريق أبي وائل عن ابن مسعود. واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١/١٢٦، ٧/١٢٥٠) وابن عدي في الكامل (٧/٢٤٩٠) كلاهما من طريق أبي قلابة عن ابن مسعود، وابن عدي في الكامل (٦/٢١٧٢)، والسهمي في تاريخ جرجان ص ٣٥٧ ـ ٣٥٨. كلاهما من طريق عطاء عن ابن عمر، والطبراني في الكبير (٢/٩٢) من طريق الأشعث عن ثوبان، قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: (١/٤٢ ـ ٤٦) (حسن لغيره).

إلى حقيقته، غير أننا نؤمن بأن الله ـ تعالى ـ علم كل شيء، وكتبه، وأراده، وخلقه وأوجده، فهذه أربعة مراتب للقدر لابد من استيفائها وإلا لم يكن الإنسان مؤمناً بالقدر، والواجب على المسلم الحذر من إعمال الفكر تعمقاً في أمر القدر، أو الاستسلام للوساوس، وليعلم أن الله ـ تعالى ـ قد حجب علم القدر عن الخلق، ونهاهم عن محاولة الوصول إلى حقيقته، وقال ـ سبحانه وتعالى ـ ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[1].

ولايجوز للعبد أن يسأل: لماذا فعل الله كذا؟ فإن هذا رد على حكم القرآن وهو كفر مبين أما أن يحاول الإنسان معرفة الحكم الإلهية من وراء تشريع كذا وكذا فلا بأس بذلك إن شاء الله ـ تعالى ـ.

(٤٦(فهذا جملة ما يحتاج إليه من هو منور قلبه من أولياء الله ـ تعالى ـ وهي درجة الراسخين في العلم لأن العلم علمان: علم في الخلق موجود، وعلم في الخلق مفقود، فإنكار العلم الموجود كفر وإدعاء العلم المفقود كفر، ولايثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود، وترك طلب العلم المفقود.

اللغة: . . . . .

الشرح: إن ما سبق ذكره هو إجمال ما يحتاج إلى معرفته الإيمان به، من نور الله قلبه من أوليائه تعالى، وهي درجة الراسخين في العلم، المتلقين عن الله خبره بالقبول والاستسلام.

والعلم نوعان: علم في الخلق موجود، وهو علم الشريعة أصولها وفروعها، والثاني علم الخلق مفقود، وهو علم القدر الذي حجبه الله ـ

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.

تعالى ـ عن خلقه، فمن أنكر العلم الموجود كفر لجحده بالنصوص الموجودة، ومن ادعى علم القدر والغيب لنفسه كفر لأنه مما استأثر الله بعلمه، وهو كذلك جحد للنصوص الواردة في نسبة ذلك العلم إلى الله ـ تعالى ـ ولايثبت الإيمان للعبد فيحكم له به، أو يبقى معه إلا إذا قبل العلم الموجود، ولم يحاول الوصول إلى حقيقة العلم المفقود.

الخلاصة:

كل شيء بقضاء الله وقدره، وقد علم الله أفعال العباد، وعلم أهل الجنة والنار، وكتب ذلك وأراده، والقدر سر الله المكتوم، لايبحث عنه الصالحون ولا يتعمقون فيه، ولايثبت الإيمان إلا بالتسليم لذلك.

المناقشة:

(١) هل يجوز الخوض في القدر؟

(٢) العلم نوعان: هما: ..... و .....

الفقرة الرابعة عشرة

(٤٧) ونؤمن باللوح والقلم، وبجميع ما فيه قد رقم، فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله ـ تعالى ـ فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله ـ تعالى ـ فيه يجعلون كائناً لم يقدروا عليه، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه.

اللغة:

الشرح: ونؤمن إيماناً جازماً، وتصديقاً لازماً بأن اللوح حق كما قال ـ تعالى ـ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾[1] وهذا اللوح المحفوظ هو الذي كتب الله فيه مقادير الخلائق جميعاً، والقلم المذكور هو الذي خلقه الله ـ تعالى ـ وكتب به في اللوح المحفوظ المقادير، كما قال النبي، ﷺ: «أول ما خلق الله القلم، قال: اكتب. قال: ما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»[2] فكل شيء مكتوب في هذا اللوح، لو أراد الخلق جميعاً أن يجعلوه ما قدره الله كائناً، أن يجعلوه غير كائن ما استطاعوا، ولو أرادوا أن يوجدوا ما كتبه الله غير كائن ما استطاعوا، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة فلا يتغير منه شيء، وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه، وما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن وهذا مقتضى حديث

---

(١) سورة البروج، الآيتان: ٢١، ٢٢.

(٢) أبو داود (٤٧٠٠) في السنة والترمذي (٢١٥٦) في القدر و(٣٣١٦) في التفسير وغيرهما وهو حديث صحيح.

النبي، ﷺ، حين قال لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**»[1].

(٤٨) وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه، فقدر ذلك تقديراً محكماً مبرماً، ليس فيه ناقض، ولا معقب ولا مزيل ولا مغير، ولا ناقص ولا زائد من خلقه في سماواته وأرضه، وذلك من عقد الإيمان وأصول المعرفة، والاعتراف بتوحيد الله ـ تعالى ـ وربوبيته، كما قال ـ تعالى ـ في كتابه: ﴿**وخلق كل شيء فقدره تقديراً**﴾ وقال ـ تعالى ـ: ﴿**وكان أمر الله قدراً مقدوراً**﴾. فويل لمن صار لله ـ تعالى ـ في القدر خصيماً، وأحضر للنظر فيه قلباً سقيماً، لقد التمس بوهمه في فحص الغيب سرًّا كتيماً، وعاد بما قال فيه أفاكاً أثيماً.

اللغة: (مبرماً) معقوداً موثقاً، (سقيماً) مريضاً، (أفاكاً) كذاباً.

الشرح: يجب على العبد أن يعلم أن الله ـ تعالى قد سبق علمه في كل كائن من خلقه، فعلم كل شيء قبل أن يخلقه، وذلك على وجه الإجمال والتفصيل، وقدر ذلك تقديراً محكماً ليس فيه ما ينقضه أو يؤخره، أو يزيله أو يغيره، أو ينقص فيه أو يزيد لا في خلق السموات ولا في خلق الأرض، ولا ما بينهما، بل كل شيء علمه الله ـ تعالى ـ وقدره وكتبه، وهذا العلم من ضروريات ولوازم الإيمان، ومن أصول المعرفة بالله ـ تعالى ـ ومن لوازم الإقرار بربوبيته ـ سبحانه وتعالى ـ ولهذا قال ـ تعالى ـ في كتابه: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾[1] وقال:

(١) الترمذي (٢٥١٨) في صفة القيامة وقال حسن صحيح ورواه غيره.

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢.

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾[٢] فكل شيء علمه الله ـ تعالى ـ كما يكون، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وأراده وخلقه فعلاً، وكل من خاصم الله تعالى كما يكون، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وأراده وخلقه فعلاً، وكل من خاصم الله ـ تعالى ـ في قدره وكذب بشيء من ذلك، فالويل له إذ أنكر علم الرب ـ تعالى ـ وقدرته، وويل لمن نظر في القدر بقلب مريض، فضلَّ عن معرفة الحق والصواب، إذ اعتمد على الأوهام المريضة في فحص الغيب والتماس السر المكتوم الذي ستره الله ـ تعالى ـ عن جميع خلقه، ومهما قال في القدر فسوف يعود من ذلك القول ويصبح كذاباً إذ إنه لن يصل إلى حقيقة القدر أبداً، وقد باء بالإثم حيث التمس علم ما حظر عنه علمه، وأمر بالكف عن فحصه ومحاولة كشفه.

الخلاصة:

اللوح حق، والقلم حق، وكل شيء مسطور قبل الخلق، لا يزاد فيه ولا ينقص ولا يبدل ولا يغير، وكل مراد الله ينفذ على رغم جميع الخلق.

المناقشة:

١ ــ ماذا تعرف عن اللوح والقلم؟
٢ ــ هل يستطيع الخلق أن يغيروا أمراً أراده الله ـ تعالى ـ؟

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٨.

الفقرة الخامسة عشرة

(٤٩) والعرش والكرسي حق.

(٥٠) وهو مستغن عن العرش وما دونه.

(٥١) محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجزه عن الإحاطة خلقه.

اللغة:

الشرح: (٤٩) عرش الرحمن ـ تعالى ـ حق لا ريب فيه، قد ذكره الله ـ تعالى في آيات كثيرة من كتابه، منها قوله ـ تعالى ـ: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾[1] وهو خلق عظيم هائل لا يحيط به إلا الله تبارك وتعالى ويحمله عدد من الملائكة العظام، وهو سقف جنة الفردوس، كل ذلك قد صح عن النبي، ﷺ، وصح أن له قوائم، وذلك يبطل تأويله بالملك، والكرسي حق كذلك، ولا يحيط به إلا الله ـ تعالى ـ، وقد وسع السموات والأرض كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[2] وذلك يبطل تأويله بالعلم كذلك.

(٥٠) **والله ـ تعالى ـ مستغن عن العرش والكرسي**، لم يستو على العرش لاحتياجه إليه، بل لحكمة بالغة قضاها، وهو متنزه عن أن يحتاج إلى العرش أو ما دونه، فشأن الله ـ تعالى ـ أعظم من ذلك، بل العرش والكرسي محمولان بقدرته وسلطانه ـ عز وجل ـ.

---

(١) سورة البروج، الآية: ١٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٥١) وهو ـ سبحانه وتعالى ـ محيط بكل شيء من المخلوقات، العرش وما دونه، وليس فوق العرش إلا الله ـ تعالى ـ وقد أحاط بكل خلقه، إحاطة علم وإدراك، وإحاطة غلبة وقهر، ولا يحيط به أحد من خلقه كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾[1] فسبحان ذي العزة والجلال والملكوت!

الخلاصة:

إن العرش حق، والكرسي حق، ولا يحتاج الله ـ تعالى ـ إلى شيء منهما، وقد أحاط ـ تعالى ـ بخلقه، ولا يحيط به منهم شيء.

المناقشة:

١ ــ على ماذا استوى الله عز وجل؟

٢ ــ ماذا تعرف عن الكرسي؟

(١) سورة طه، الآية: ١١٠.

الفقرة السادسة عشرة

(٥٢) ونقول: إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً، وكلم موسى تكليماً، إيماناً وتصديقاً وتسليماً.

(٥٣) ونؤمن بالملائكة والنبيين، والكتب المنزلة على المرسلين، ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين.

اللغة: (الخليل) في اللغة هو الصاحب الأمين المقرب، (المبين) الواضح.

الشرح: (٥٢) إن الله تعالى ـ قد اتخذ نبيه إبراهيم خليلاً، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾[1] فقربه واصطفاه، واجتباه وأدناه، وبلغه منزلة لم يبلغها سواه، إلا النبي، محمد ﷺ، كما أنه ـ سبحانه وتعالى كلم موسى عليه السلام تكليماً كما قال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[2] وأكد بالمصدر هنا ليوضح أن المقصود هو الكلام عن الله ـ تعالى ـ بل هو كلام حق بحروف وصوت على الكيفية اللائقة به ـ سبحانه وتعالى ـ نؤمن بذلك كله على ما وردت به النصوص، فلا ننفيه ولا نؤوله، إيماناً بالخبر وتصديقاً، وتسليماً لمراد الله ـ تعالى ـ ومراد رسوله، ﷺ.

ونؤمن بالملائكة وهم مخلوقات نورانية عظيمة ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[3] ولهم أجنحة كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْحَمْدُ

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٥.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٤.
(٣) سورة التحريم، الآية: ٦.

لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾[١] نؤمن بهم على وجه الإجمال، ونؤمن بما ورد خبره مفصلا: كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، وخازن النار، وخازن الجنة، ومنكر ونكير، ورقيب وعتيد، الحفظة، وغير ذلك، ونؤمن بالنبيين الذين اصطفاهم الله ـ تعالى ـ على الناس واختصهم بوحيه وشرائعه، وهم ذكور أحرار من أوساط أقوامهم، نؤمن بمن ورد خبره مفصلاً، ومن لم يرد، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾[٢] ونؤمن بالكتب التي أنزلها الله ـ تعالى ـ عليهم، ما عرفناه منها: كالتوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن، وصحف إبراهيم، على ما ورد في الآيات القرآنية كقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾[٣] وقوله تعالى ـ: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾[٤] وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[٥] فنحن نؤمن بكل هذه الكتب، ونؤمن بما لم يرد في الأخبار على سبيل التفصيل، إنما ورد بالإجمال، ونشهد أن جميع رسل الله كانوا على الحق المبين، والطريق القويم، والصراط المستقيم وأنهم بلغوا رسالات الله ـ تعالى ـ على الوجه المطلوب منهم ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾[٦].

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

(٣) سورة الأعلى، الآيتان: ١٨، ١٩.

(٤) سورة آل عمران، الآيتان: ٣، ٤.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٦٣.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٣٦.

الخلاصة:

صفة الخلة والتكليم ثابتة لله ـ تعالى ـ على الحقيقة، ونحن نؤمن بذلك، ونصدق بالملائكة الكرام، وبجميع النبيين، وبالكتب المنزلة، وقد كانوا جميعاً على الحق والهدى.

المناقشة:

١ ــ من هو خليل الله تعالى؟
٢ ــ من الذي كلمه الله تعالى تكليماً؟
٣ ــ ما حكم من كفر بالملائكة أو النبيين أو الكتب؟

الفقرة السابعة عشرة

(٥٤) ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين، ما داموا بما جاء به النبي، ﷺ معترفين وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين.

اللغة:

الشرح: المقصود بذلك أن كل من يدعي الإسلام ويستقبل الكعبة في الصلاة، ولم يستحل معلوماً من الإسلام تحريمه، وصدق بكل ما أخبر به الرسول، ﷺ، واعترف بصدق ما أتى به من العقائد والشرائع والأحكام، فإننا نطلق عليه اسم الإسلام والإيمان، ولا نكفره بالذنب ما لم يستحله، وما لم يرتكب ناقضاً من نواقض الإسلام عامداً وهو يعلم، **ويفهم من كلام الشيخ أن الإسلام والإيمان واحدا**، وقيل بأنهما متغايران، **وهما إذا افترقا** دل كل منهما على ما يدل عليه الآخر، **وإن اجتمعا** اختص الإسلام بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالأعمال الباطنة، **والله أعلم.**

الخلاصة:

كل من أقر بما جاء به الرسول، ﷺ، وانقاد له، واستقبل القبلة، وصدق بخبره، شهدنا له بالإسلام.

المناقشة:

١ ــ من الذي نشهد له بالإسلام؟

الفقرة الثامنة عشرة

(٥٥) ولا نخوض في الله، ولا نماري في دين الله.

(٥٦) ولا نجادل في القرآن، ونشهد أنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين، فعلمه سيد المرسلين محمداً، ﷺ، وهو كلام الله ـ تعالى ـ لا يساويه شيء من كلام المخلوقين، ولا نقول بخلقه، ولا نخالف جماعة المسلمين.

اللغة:

الشرح: (٥٥) لا نخوض في ذات الله ـ تعالى ـ وشأنه، فهذا شيء غيبي لا يدركه مخلوق، بل نمسك عن الكلام في ذلك، وإنما فقط نكتفي بأن نسمي الله بما سمى به نفسه، ونصفه بما وصف به نفسه، ولا نتعدى حدود الأخبار الصحيحة في ذلك، كما أننا لا نماري ونجادل في دين الله ـ تعالى ولا نلقي الشُبه على أهل الحق، فإن هذا من التلبيس والإفساد.

(٥٦) ولا نجادل في القرآن بآرائنا، ولا نجادل في شأنه ونقول بكلام أهل الزيغ والضلال بل نشهد أنه كلام رب العالمين نزل به جبريل عليه السلام فعلمه محمداً، ﷺ، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾[1] ونقول بأنه كلام الله ـ تعالى ـ على الحقيقة لا يساويه ولا يشبهه ولا يقاربه شيء من كلام المخلوقين،

(١) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٢-١٩٥.

ولا نقول بقول الجهمية الضلال أن القرآن مخلوق، بل نقول هو كلام الله ـ تعالى ـ ولا نجاوز ذلك، ونؤمن بما آمنت به جماعة المسلمين من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ومن خالفهم فهو في ضلال مبين.

الخلاصة:

لا يجوز الخوض في ذات الله ودينه، ولا يجوز الجدال في القرآن، وهو كلام الله ـ تعالى ـ غير مخلوق، ولا تجوز مخالفة جماعة المسلمين.

المناقشة:

١ ــ ما حكم الخوض في ذات الله؟
٢ ــ هل يجوز الجدال في القرآن؟
٣ ــ ما هي جماعة المسلمين؟

الفقرة التاسعة عشرة

(٥٧) ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله.

(٥٨) ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله.

(٥٩) نرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم، ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بالجنة، ونستغفر لمسيئهم ونخاف عليهم، ولا نقنطهم.

اللغة: (ولا نقنطهم) القنوط هو اليأس.

الشرح: (٥٧) **وأهل السنة والجماعة** لا يكفرون المسلم بذنب عمله. صغيراً كان أم كبيراً، إلا إذا استحله استحلالاً قلبيًّا، بأن يعتقد أنه ليس بحرام، فحينئذ يكفر لاستحلاله ما حرم الله وليس الاستحلال العملي، وذلك بخلاف قول الخوارج الذين كفروا المسلم بالمعصية يعملها وأخرجوه من الملة بذلك.

(٥٨) **وأهل السنة كذلك لا يقولون:** إن الذنوب لا تضر مع وجود الإيمان، فإن هذا هو قول المرجئة، وهو يؤدي إلى التكذيب بآيات الوعيد الواردة في حق العصاة، بل المعصية تنقص الإيمان، ونخاف على صاحبها ذهاب إيمانه، ونخاف عليه عذاب الله ـ تعالى ـ في الآخرة.

(٥٩) **وأهل السنة يقولون:** بأن المؤمن المحسن يرجى له دخول الجنة، ونستبشر له إن مات على ذلك، ولكن مع كل هذا لا نأمن عليه من مكر الله ـ تعالى ـ ولا نجزم له بالجنة، وأما المسيء فإنهم يستغفرون له، ويخافون عليه، ولكن لا يجزمون له بالنار، فإن هذا قنوط ويأس من رحمة الله ـ تعالى ـ ولا يجزم أهل السنة لأحد بالجنة إلا لمن عينه النص الصحيح من الكتاب والسنة أنه من أهل الجنة، ولا يجزمون

لأحد بالنار كذلك إلا إذا عينه النص أنه من أهل النار، أما غير هذا فلا جزم ولا قطع للمسلم بشيء.

(٦٠) والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة.

(٦١) ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه.

(٦٢) والإيمان هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان.

اللغة: **(الإياس)** اليأس، **(الجحود)** التكذيب والإنكار، **(الإقرار)** الاعتراف، **(الجنان)** القلب.

الشرح: (٦٠) إن الأمن من مكر الله، واليأس من رحمة الله ينقلان عن ملة الإسلام، قال ـ تعالى ـ ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1] وقال ـ تعالى ـ **﴿فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾**[2] وسبيل أهل الحق وسط بينهما، فيجب على العبد أن يجمع بين الخوف من مكر الله والرجاء في رحمته، لنفسه ولغيره.

(٦١) **والمؤمن لا يخرج من الإيمان إلا بناقض** كأن يجحد وينكر شيئاً من مسائل الإيمان التي لا يتحقق إيمانه بدونها، فينقض بذلك إقراره الأول، وذلك رد على الخوارج الذين قالوا بتكفير مرتكب الكبيرة، وعلى المعتزلة الذين قالوا بانتقاله من الإيمان إلى منزلة بين المنزلتين، بل المسلم عاصٍ بذنبه حتى يتوب منه، ينقص من إيمانه بقدر معصيته، ولا يرتفع عنه اسم الإيمان بالكلية إلا بذهاب كله وأصله وليس بذهاب بعضه فإن الإيمان يتبعض.

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٨٩٩

(٦٢) **وهذا خطأ**، فإن الحق الذي عليه أهل السنة وجماهير العلماء أن الإيمان تصديق بالجنان أي القلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان ـ الجوارح ـ، وهذا من أصول أهل السنة والجماعة، والأدلة على أن العمل من الإيمان لا تحصى من الكتاب والسنة وينبني على ذلك عند أهل السنة أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾[1] وقال أيضاً: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾[2] وقال؛ ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾[3] ولو كانت الأعمال غير داخلة في اسم الإيمان لا ستوى جميع الناس في الإيمان: البر والفاجر، والمطيع والعاصي ما داموا قد أقروا بالخالق وألوهيته وأمور الإيمان الأخرى وصدقوا بها. غير أن هذا من الأصول الفاسدة، والحق هو ما ذكرناه مما ذهب إليه أهل السنة والجماعة.

الخلاصة:

لا يجوز تكفير مسلم بذنب ما لم يستحله، والمعاصي تنقص الإيمان، وتعرض للعقاب، ولا نشهد لمسلم بجنة ولا نار جزماً إلا من ثبت له ذلك، والأمن والإياس مما يخرجان من الملة كما أن اسم الإيمان لا يرتفع إلا بإرتكاب ناقض له، والإيمان: تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٤.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٤.

(٣) سورة مريم، الآية: ٧٦.

المناقشة:

(١) ما حكم تكفير المسلم بالمعصية؟

(٢) هل تضر المعاصي في وجود الإيمان؟

(٣) هل يجزم للمسلم بجنة أو نار؟

(٤) متى يرتفع اسم الإيمان عن المسلم؟

(٥) عرف الإيمان عند أهل السنة والجماعة؟

الفقرة العشرون

(٦٣) وجميع ما صح عن رسول الله، ﷺ من الشرع والبيان كله حق.

(٦٤) والإيمان واحد، وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالخشية والتقى، ومخالفة الهوى، وملازمة الأولى.

(٦٥) والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن، وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن.

اللغة (التفاضل) التفاوت في الفضل.

الشرح: (٦٣) كل ما صح عن رسول الله، ﷺ، من الشرع والبيان لأمور الدين، فهذا كله حق، سواء ما ورد بالتواتر، أو ما ورد بطريق الآحاد، وهذا هو مذهب أهل الحق وكل من كذب على رسول الله، ﷺ، في الحديث فإن الله قد فضحه.

(٦٤) هذا الكلام بناءً على الأصل الذي ذكره أولاً في تعريف الإيمان، والحق أن الناس متفاوتون في أصل الإيمان أيضاً، وإلا أمكن أن نقول: إن إيماننا كإيمان النبي، ﷺ، وكإيمان الملائكة، وهذا باطل ظاهر البطلان، وإن الأعمال داخلة في اسم الإيمان يتفاوت بها الناس، بل حتى التصديق يتفاوت فيه الناس، فليس تصديقنا كتصديق جبريل عليه السلام، والناس كذلك يتفاوت بالتقوى كما قال ـ تعالى ـ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1] ويتفاوتون على حسب مخالفتهم للهوى

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

الفاسد، وملازمتهم لفعل الأمر المحبوب عند الله ـ تعالى ـ.

(٦٥) والمؤمنون أولياء الرحمن ـ تعالى ـ كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[1] فعلى حسب تفاوتهم في الإيمان والتقوى تتفاوت درجة ولايتهم عند الله ـ تعالى ـ وأكرمهم عند الله هو أكثرهم طاعة ﷺ ورسوله، وأكثرهم اتباعاً لكتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله، ﷺ، وليس أكثرهم اتباعاً لمذهب معين.

الخلاصة:

كل ما صح عن رسول الله، ﷺ، في بيان الشرع والهدى فإنه حق، وأهل الإيمان يتفاوتون في أصله، ودرجته، والمؤمنون أولياء الله، وهم متفاوتون في ولايتهم على حسب تقواهم.

المناقشة:

(١) هل يتساوى الناس في أصل الإيمان أن يتفاوتو ؟
(٢) من هم أولياء الرحمن؟

(١) سورة يونس، الآية: ٦٢، ٦٣.

الفقرة الحادية والعشرون

(٦٦) والإيمان هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره حلوه ومره من الله ـ تعالى ـ.

اللغة: . . . . . .

الشرح: والإيمان هو عبارة عن الإيمان بالله ـ تعالى ـ ووحدانيته في ذاته وأفعاله، وأسمائه وصفاته واستحقاقه للعبودية، وصرف جميع الأعمال بهم وبوجودهم إجمالاً وتفصيلاً، وما ورد من صفاتهم وأعيانهم، والإيمان بالرسل من عرفنا منهم ومن لم نعرف إجمالاً وتفصيلاً على ما سبق، وأولهم نوح وآخرهم محمد، ﷺ، وبأنهم بلغوا رسالات الله ـ تعالى ـ كاملة، وبأن هديهم أكمل هدي وأحسنه، والإيمان باليوم الآخر وما فيه من البعث والحساب والجنة والنار وغير ذلك، ثم الإيمان بالقدر وأنه من عند الله وأن الخير والشر بقضائه، والحلو والمر بقدره وإرادته، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[1] وهذه الأصول مجتمعه في آيات منها قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[2] وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[3] ومنها قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾[4].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٣) سورة القمر، الآية: ١٤٩.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٣٦.

فقد أصول وأركان الإيمان الستة التي إن فقد أحدها ارتفع اسم الإيمان بالأصل وأطلق مكانه اسم الكفر والعياذ بالله ـ تعالى ـ.

(٦٧) ونحن مؤمنون بذلك كله، لا نفرق بين أحد من رسله، ونصدقهم كلهم على ما جاءوا به.

اللغة: . . . . . .

الشرح: ونحن نؤمن بكل ما سبق ونقربه، ونسلم له، ولا نفرق بين أحد من رسله، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾[1] وقول ـ تعالى ـ: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾[2].

فنحن لا نفرق بين الرسل، ولا نؤمن ببعضهم ونكفر ببعض، بل نؤمن بهم جميعاً ونصدقهم كلهم في كل ما جاءوا به من الوحي من عند الله ـ تعالى ـ.

الخلاصة:

الإيمان هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، كل من عند الله.

المناقشة:

(١) ما هي أركان الإيمان؟

(٢) ما مضمون الإيمان بالقدر؟

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣٦.

الفقرة الثانية والعشرون

(٦٨) وأهل الكبائر [من أمة محمد، ﷺ] في النار لايخلدون، إذا ماتوا وهم موحدون وإن لم يكونوا تائبين، بعد أن لقوا الله عارفين [مؤمنين] وهم في مشيئته وحكمه، إن شاء غفر لهم بفضله، كما ذكر - عز وجل - في كتابه ﴿**ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾ وإن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته، وذلك بأن الله - تعالى - تولى أهل معرفته، ولم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته، الذين خابوا من هدايته، ولم ينالوا ولايته، اللهم ياولي الإسلام وأهله، ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك به.

اللغة: (**نكرته**) إنكاره وجحوده.

الشرح: إن مرتكب الكبيرة - وهي ما ورد فيه حدٌ أو لعنة أو وعيد بالنار أو وصف شديد في شأنها - لايخلد في النار إن دخلها، لأنه مات على التوحيد، حتى وإن مات من غير توبة، ومادام قد لقى الله - عز وجل - مؤمناً به عارفاً به، فإنه تحت المشيئة إن شاء الله عاقبه بعدله وعذبه بالنار لكن لايخلد فيها، بل يخرج منها برحمة الله وبشفاعة الشافعين من أهل الطاعة، وأعظمهم محمد، ﷺ، وإن شاء الله عفا عنه وغفر له بفضله وكرمه، وكل ذنب سوى الشرك ترجى له المغفرة، كما قال - تعالى -: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[1] وكما في حديث النبي، ﷺ: «**ومن أصاب من ذلك شيئاً**

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه»[١] وهذا حتى لو مات مرتكب الكبيرة من غير توبة، وهذا هو الحق، خلافاً للمعتزلة والخوارج الذين قالوا بخلوده في النار، وذلك أن الله ـ تعالى ـ برحمته لم يجعل أهل معرفته والإقرار به كأهل إنكاره سواء في الدنيا أو في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ﴾[٢] وقال: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾[٣] ونسأل الله ولي الإسلام وأهله أن يثبت قلوبنا على الإسلام حتى نلقاه مسلمين مؤمنين.. آمين.

(٦٩) ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم.

(٧٠) ولاننزل أحداً منهم جنة ولا ناراً ولانشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق، ما لم يظهر منهم شيء من ذلك، ونذر سرائرهم إلى الله ـ تعالى ـ.

(٧١) ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد ﷺ، إلا من وجب عليه السيف.

اللغة: (بر) مطيع تقي، (سرائر) جمع سريرة وهي دخيله الإنسان. (نذر) نترك.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الإيمان باب علامة الإيمان حب الأنصار (١/٦٤) ح (١١) ومسلم كتاب الحدود باب الحدود كفارات لأهلها (٣/١٣٣٣) ح (١٧٠٩) كلاهما من طريق أبي إدريس عائض بن عبدالله عن عبادة بن الصامت.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢١.

(٣) سورة القلم، الآية: ٣٥.

الشرح: (٦٩) يرى أهل السنة الصلاة خلف كل مسلم برًّا كان أم فاجراً، مع تقديم البر إلا أن يكون في الصلاة خلفه مشقة، أو يكون هناك فتنة إن تركت الصلاة خلف الفاجر كما لو كان السلطان قد عينه، وذلك ما لم يكن صاحب بدعة مكفرة، وكذلك يرون الصلاة على المسلم الميت، برًّا أو فاجراً، إلا أن يكون قد مات على غير الملة.

(٧٠) **ولايحكمون لأهل القبلة بجنة ولا نار على سبيل التعيين والقطع**، بل من أحسن منهم رجونا له الجنة ولم نأمن عليه مكر الله، ومن أساء أشفقنا عليه ولم نقنطه من رحمة الله ـ تعالى ـ ولانشهد على مسلم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق، مما يخرج من الملة الإسلامية، إلا أن يكون قد ظهر منهم شيء من ذلك مع تحقق الشروط وانتفاء الموانع، ويذرون السرائر إلى الله ـ تعالى ـ حيث إنهالعليم بها، ويأخذون الناس بما ظهر منهم.

(٧١) **ولايرى أهل السنة جواز قتال المسلم وقتله إلا في الحالات** التي نص عليها الشارع كما في قوله، ﷺ: «**لايحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس**»[1] الحديث. وكما في قوله: «**إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان**»[2]، وكما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ﴾[3] الآية، وهكذا من الحالات التي يحل فيها دم المسلم، أما غير ذلك

(١) أخرجه البخاري كتاب الديات باب وقول الله تعالى ﴿**إن النفس بالنفس**﴾ ٢٠١/١٢ ح ٦٨٧٨ ومسلم كتاب القسامة باب ما يباح به دم المسلم ١٣٠٣/٣ ح (١٦٧٦) من حديث عبدالله.

(٢) أخرجه مسلم كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (١٤٧٠/٣) ح (٤٢) من حديث عبادة بن الصامت.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٣.

فلا يجوز قتاله وقتله بحال.

الخلاصة:

أهل الكبائر تحت مشيئة الله ـ تعالى ـ إن شاء عفا عنهم وإن شاء عاقبهم، ولا يمكن أن يتساوى أهل التصديق والتكذيب، ونحن نصلي خلف المسلم برًّا أو فاجراً، ولانشهد له بجنة أو نار قطعاً، ولانرفع السيف على مسلم إلا بحقه.

المناقشة:

(١) ما قول أهل السنة في أهل الكبائر؟
(٢) ما حكم الصلاة خلف المسلم الفاجر؟
(٣) ماهي الحالات التي يحل فيها قتل المسلم؟

الفقرة الثالثة والعشرون

(٧٢) ولانرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله - عز وجل - فريضة، ما لم يأمروا بمعصيته، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة.

(٧٣) ونتبع السنة والجماعة، ونتجنب الشذوذ والخلاف والفرقة.

اللغة: (جاروا) ظلموا، (الشذوذ) الانفراد عن الجماعة.

الشرح: (٧٢) **يرى أهل السنة حرمة الخروج عن الأئمة وولاة الأمور**، حتى لو ظلموا الناس، وحتى إذا ظهر منهم فسوق في أنفسهم، وذلك لما للخروج من آثار سيئة: كإراقة الدماء، ونشر الفوضى، وذلك مادام الأمراء باقين في حظيرة الإسلام، ولم يبدلوا دين الله، ولم يظهر منهم الكفر ولا يدعون عليهم، ولايعصونهم، ويرون طاعتهم واجبة ماداموا يأمرون بمعروف أما إذا أمروا بمعصية فلا يسمع لهم ولايطاع، لقوله، ﷺ: «**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية**»[1].

وقوله: «**إنما الطاعة في المعروف**»[2] وغير ذلك، ويدعون للأمراء

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الأحكام باب السمع والطاعة للإمام ١٢١/١٣ ح (٧١٤٤) ومسلم كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ١٤٦٩/٣ خ (١٨٣٩) من حديث عبدالله بن عمر.

(٢) أخرجه مسلم كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (١٤٦٩/٣)ح (١٨٤٠) من حديث علي رضي الله عنه.

بالصلاح في دينهم والمعافاة، فإن صلاحهم صلاح للأمة وفسادهم فساد وإفساد لها ـ والله أعلم.

(٧٣) **ويتجنبون الخروج عن جماعة المسلمين**، بل يرون الهدى في اتباع سنة النبي، ﷺ وجماعة المسلمين، والضلال والغواية في الشذوذ عن الجماعة والخلاف والاختلاف على أمور الدين والإقامة وغير ذلك، والفرقة بما يترتب عليها من شق صفوف المسلمين، كل هذا ما دامت جماعة المسلمين قائمة على أمر الله، على الحق والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأما إذا فسد الناس، وبدلت الشرائع، وصارت السنة بدعة والبدعة سنة، والمنكر معروفاً والمعروف منكراً، حينئذ حل الاعتزال والانفراد عن الناس، واعتزال فرق الهوى والضلالة كما في الحديث: «**فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدرك الموت**»[1].

(٧٤) ونحب أهل العدل والأمانة، ونبغض أهل الجور والخيانة.

اللغة: . . . . .

الشرح: **ونحب كل عادل، حاكماً أو محكوماً**، ونحب كل أمين مع الله ومع الناس، ونبغض كل جائر ظالم، حاكماً أو محكوماً، وكل خائن لله ولرسوله ولأماناته، قال ـ تعالى ـ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2] ونرى ذلك هو الحق، فإن المؤمن يحب المؤمنين المتقين، ويبغض العصاة الفاسقين، وفي

(١) أخرجه البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة ٦/١٦٥ح (٣٦٠٦) ومسلم كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ٣/١٤٧٥ ح (١٨٤٧) من حديث حذيفة بن اليمان.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٧.

الحديث «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله**»[١] الحديث، وقوله، ﷺ: «**أوثق عرى الإيمان: الحب في الله، والبغض في الله**»[٢] فنحن نحب المرء على قدر ما فيه من الطاعة والصلاح، ونبغضه على قدر ما فيه من المعصية والفجور.

الخلاصة:

طاعة الأئمة واجبة في طاعة الله، ولايجوز شق عصا جماعة المسلمين بغير حق، ونحن نتبع السنة والجماعة، ونحب أهل العدل والأمانة، ونبغض أهل الجور والخيانة.

المناقشة:

(١) ما حكم طاعة الإمام الجائر؟
(٢) هل يجوز الخروج على أئمة الجور؟
(٣) ما الواجب في مسألة الحب والبغض في الله؟

---

(١) متفق عليه من حديث أنس.
(٢) رواه أحمد والطبراني وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٥٣٩).

الفقرة الرابعة والعشرون

(٧٥) ونقول: الله أعلم، فيما اشتبه علينا علمه.

(٧٦) ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر، كما جاء في الأثر.

(٧٧) والحج والجهاد ماضيان مع أولى الأمر من المسلمين، برهم وفاجرهم، إلى قيام الساعة، لايبطلهما شيء ولاينقضهما.

اللغة: (**ماضيان**) باقيان، (**ولاينقضهما**) أي ولا يمحوهما وينفيهما ويرفع حكم بقائهما.

الشرح: (٧٥) أهل السنة دائماً يكلون علم ما أشتبه عليهم إلى الله ـ تعالى ـ ويقولون: **الله أعلم، وذلك هو العدل**، وهو المقصود من تحريم القول على الله ـ تعالى ـ بغير علم، وهو من أعظم الذنوب وشرها، وهكذا إذا سأل الإنسان عما لايعلم فليقل: الله أعلم.

(٧٦) **ويرون المسح على الخفين بالشروط الواردة في كتب الفقه**، ثلاثة أيام بلياليهن للمسافر، ويوماً وليلة للمقيم، وكذلك المسح ثلاثة أيام بلياليهن للمسافر، ويوماً وليلة للمقيم، وكذلك المسح على الجوربين والنعلين، وقد خالفت الرافضة في ذلك، غير أن المسح على الخفين متواتر عن رسول الله، ﷺ.

(٧٧) **ويرون الحج والجهاد باقيين مستمرين مع أمراء المسلمين**، البر والفاجر، **لايبطلهما** شيء ولاينقضهما، ولايرفع حكم وجوبهما وذلك إلى قيام الساعة، كل ذلك مع الأئمة العدول والجورة، فالجائر قوته للمسلمين وجوره على نفسه، ماداموا باقين في حظيرة الإسلام، أما إن خرجوا من الإسلام فذلك شيء آخر.

الخلاصة:

على المسلم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم، ولا يتكلف ما لا علم له به، ويجوز المسح على الخفين في الحضر والسفر، والحج والجهاد ماضيان إلى يوم القيامة مع الأئمة العدول والجورة.

المناقشة:

(١) إذا سُئلت عما لاتعلم فماذا تقول؟
(٢) ما حكم المسح على الخفين؟ وما مدته؟
(٣) ما حكم الجهاد والحج مع الإمام الجائر؟.

الفقرة الخامسة والعشرون

(٧٨) ونؤمن بالكرام الكاتبين، فإن الله قد جعلهم علينا حافظين.

(٧٩) ونؤمن بملك الموت، الموكل بقبض أرواح العالمين.

(٨٠) وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه، وعلى ماجاءت به الأخبار عن رسول الله، ﷺ، وعن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ.

اللغة: الموكل: الموظف.

(٧٨) **يؤمن أهل السنة بالملائكة الكرام الكاتبين**، الذين جعلهم الله ـ تعالى ـ حفظه علينا، يحصون علينا جميع أقوالنا وأفعالنا، ولا يفارقوننا إلا عند الخلاء والجماع، وهم المذكورون في قول الله ـ تعالى ـ : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[1]، ومنهم رقيب وعتيد الذين ذكرهم ـ تعالى ـ بقوله: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[2].

(٧٩) **ويؤمنون بملك الموت** الذي كلفه الله ـ تعالى ـ بقبض أرواح العالمين من الثقلين، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿* قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝١١﴾[3] ونسبة التوفي إلى ملك الموت باعتبار أنه هو الذي يباشر قبض الروح بإذن الله ـ تعالى ـ ولما كان ذلك بإذن الله ـ تعالى ـ وإرادته نسب التوفي إلى الله ـ تعالى ـ

(١) سورة الانفطار، الآيتان: ١٠، ١١.

(٢) سورة ق، الآية: ١٨.

(٣) سورة السجدة، الآية: ٨١١

أيضاً إذ هو الفاعل في الحقيقة كمال قال ـ تعالى ـ : ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[1] ولا تعارض أبداً، فملك الموت يقبض الأرواح التي يأمره الله بها، وهو من أعظم الملائكة خلقاً، ولم يرد له اسم محدد في الكتاب والسنة، وماورد في ذلك فلا يصح عن رسول الله، ﷺ، وإنما هو من كلام أهل الكتاب.

(٨٠) **ويؤمن بأن في القبر عذاباً حقيقياً يقع على الكفار والمنافقين**، وعلى من شاء الله من فسقة المسلمين وليس المراد من القبر هذه الحفرة في الأرض بل المراد (عالم البرزخ)، فالمسيء يعذب في البرزخ سواء كان في الحفرة في باطن الأرض أو في البحر في باطن الحيتان أو في حواصل الطيور أو في بطون السباع وغيرها، ويؤمنون بأن ذلك جزاء عادل لهم وأنهم يستحقون ذلك، ويؤمنون بأن المنكر والنكير وهما ملكان غليظان يباشران سؤال كل إنسان في قبره، عن ربه ودينه ونبيه، وكل هذه الأخبار ثبتت عن رسول الله، ﷺ، بطريق التواتر، فوجب اعتقاد مادلت عليه.

(٨١) والقبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران.

اللغة: . . . . .

الشرح: **والقبر إما روضة من رياض الجنة**، وذلك على المؤمن الصالح الذي يثبته الله ويجيب على أسئلة الملائكة، **وإما حفرة من حفر النيران** على الكافر والمنافق، ومن أراد الله من ظلمة المسلمين وفساقهم، ولم يصح ذلك اللفظ (القبر إما روضة من رياض الجنة، وإما حفرة من

(١) سورة الزمر، الآية: ٤٢.

حفر النيران) لم يصح عن رسوله الله، ﷺ، ولكنه مضمون الأحاديث المتواترة الثابتة عن رسوله الله، ﷺ، في شأن القبر.

الخلاصة:

نحن نؤمن بالملائكة الكرام الكاتبين الحفظة، ونؤمن بملك الموت، ونؤمن بعذاب القبر ونعيمه وبسؤاله، وبمنكر ونكير، وبما يكون في القبر.

المناقشة:

(١) من هم الحافظون؟
(٢) ماذا تعرف عن ملك الموت؟
(٣) هل في القبر عذاب ونعيم؟
(٤) من هما منكر ونكير؟

الفقرة السادسة والعشرون

(٨٢) ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب والصراط والميزان.

(٨٣) والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، وأن الله ـ تعالى ـ خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه، وكل يعمل لما قد فرغ له، وصائر إلى ما خلق له.

اللغة: (البعث) الإحياء يوم القيامة، (لا تفنيان أبداً ولا تبيدان) لا تنقضيان ولا ينتهي وجودهما.

الشرح: (٨٢) ويؤمن أهل السنة أيضاً بأن الله ـ تعالى ـ يبعث الموتى يوم القيامة، فيجازيهم بأعمالهم كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾[1] ويؤمنون بالعرض على الله كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨﴾[2] وبالحساب حيث يحاسب الله كل إنسان بما عمل، وبقراءة الكتاب كما قال ـ تعالى ـ: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤﴾[3] وبالثواب والعقاب لأهل الحسنات والسيئات، الحسنة بعشر أمثالها أو يزيد، والسيئة بمثلها أو يعفو، ويؤمنون بالصراط وهو جسر على شفير جهنم أدق من الشعرة وأحد من السيف، يعبره الصالحون إلى الجنة، ويتخطف من فوقه أهل العذاب، ويؤمنون بالميزان الذي توزن به أعمال

(١) سورة التغابن، الآية: ٧.

(٢) سورة الحاقة، الآية: ١٨.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١٤.

العباد، وهو ميزان حقيقي توضع الحسنات في إحدى كفتيه، والسيئات في الكفة الثانية.

(٨٣) ويؤمنون بوجود الجنة والنار وأنهم مخلوقتان وموجودتان الآن، والجنة دار المتقين، والنار دار الكافرين والمذنبين، فأما نار المذنبين فتفنى، وأما نار الكافرين فلا تفنى، وأما الجنة فإنها لا تفنى أبداً وقد خلقهما الله قبل الخلق، وقد خلق الله لكل منهما أهلاً، أما أهل الجنة فييسرون لعمل أهل الجنة، وأما أهل النار فييسرون لعمل أهل النار، فأهل الجنة يدخلونها بفضل الله، وأهل النار يدخلونها بعدل الله، وكل واحد يعمل على حسب ما قدره الله له، وكل واحد يصير إلى ما قدره الله له.

(٨٤) والخير والشر مقدران على العباد...

(٨٥) والاستطاعة التي يجب بها الفعل، من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به فهي مع الفعل، وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع، والتمكن وسلامة الأدوات فهي قبل الفعل، وبها يتعلق الخطاب، وهو كما قال ـ تعالى ـ: ﴿**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾.

اللغة: (مقدران) مكتوبان مرادان، (**الوسع**) الطاقة والتمكن.

الشرح: (٨٤) والخير والشر كلاهما كائن بقضاء الله وقدره كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[١] وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾[٢] فكل شيء يجري في هذا الكون من خير وشر إنما يجري بتقدير الله وإرادته، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

---

(١) سورة النساء الآية: ٧٨.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.

(٨٥) **الاستطاعة نوعان**: استطاعة بمعنى وجود آلات الفعل والطاقة والقدرة اللازمة لفعله، والوسع المطلوب للفعل، فهذه قد تكون قبل الفعل، بل هي أصلاً تكون قبل الفعل، وعلى أساسها يكون الأمر والنهي، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1] وقال: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ﴾[2] **فالخطاب متعلق بها والتكليف منوط بها، والاستطاعة الثانية: هي القدرة والإرادة بها الفعل وهذه تكون مع الفعل وهذه بمثابة التوفيق والهداية الذي لا يوصف به إلا الله تعالى.**

(٨٦) وأفعال العباد خلق الله، وكسب من العباد.

(٨٧) ولم يكلفهم الله ـ تعالى ـ إلَّا ما يطيقون، ولا يطيقون إلا ما كلفهم، وهو تفسير (لا حول ولا قوة إلا بالله) نقول: لا حيلة لأحد، ولا حركة لأحد عن معصية إلا بمعونة الله، ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله ـ تعالى ـ.

(٨٨) وكل يجري بمشيئة الله ـ تعالى ـ وعلمه وقضائه وقدره، غلبت مشيئته المشيئات كلها، وغلب قضاؤه الحيل كلها يفعل ما يشاء، وهو غير ظالم أبداً، تقدس عن كل سوى وحَيْن، وتنزه عن كل عيب وشَيْن ﴿**لا يسأل عما يفعل وهم يسألون**﴾.

اللغة: (**تقدس**) تعالى وتنزه (حين) الحَين الهلاك، (شين) عيب وهو ما شين الإنسان.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٢)، سورة الطلاق، الآية: ٧.

الشرح: (٨٦) وأفعال العباد كلها خلق الله ـ تعالى ـ كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[١] لكنها كسب من العباد، وهذا هو قول أهل الحق، خلافاً للجبرية الذين نفوا أي إرادة للعبد، وخلافاً للمعتزلة الذين جعلوا العبد خالق أفعال الشر دون إرادة الله، فهم في طرفي النقيض الإفراط والتفريط، والوسط قول أهل السنة والجماعة.

(٨٧) والله ـ تعالى ـ لم يكلف الناس إلا بما يطيقون كما قال ـ تعالى ـ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٢] فالتكليف بالشيء دليل على استطاعته، والعباد لا يطيقون إلا ما كلفهم الله به، فلو أنهم أطاقوا غيره لكلفهم الله به، فلما لم يكلفهم بأكثر مما كلفهم به، دل على أنهم لا يطيقون غيره، ومعنى (لا حول ولا قوة إلا بالله) أي لا تحول عن المعصية ولا قدرة على الطاعة إلا بمعونة الله تعالى وتوفيقه.

(٨٨) وكل شيء يجري في هذا الكون بمشيئة الله ـ تعالى ـ وعلمه، وبقضائه وقدره، فمشيئة الله غلبت كل مشيئة، ومشيئته تنفذ، ومهما احتال الناس للإفلات مما قضاه الله ـ تعالى ـ لم يستطيعوا فقضاؤه غلب الحيل كلها، يفعل الله ـ تعالى ـ ما يشاء، وهو متنزه عن الظلم، وكل شيء قضاه فهو عين العدل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾[٣] و﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[٤] وقد تنزه وتقدس عن كل سوء وظلم وهلاك وعيب وشين ونقص ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[٥].

---

(١) سورة الصافات، الآية: ٩٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٠.

(٤) سورة يونس، الآية: ٤٤.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.

الخلاصة:

البعث حق يوم القيامة والجزاء والعرض والحساب والميزان والجنة والنار، كله حق، والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان، وكل عبد صائر إلى ما قدر الله له، وكل أفعال العباد مخلوقة لله والاستطاعة نوعان على ما سبق تفصيله، والله ـ تعالى ـ لم يكلف العباد بما فوق طاقتهم.

المناقشة:

(١) ماذا تعرف عن أحوال يوم القيامة؟

(٢) ما القول الحق في مسألة فناء النار؟

(٣) هل خلق الله الخير والشر وقدرهما؟

(٤) كيف ترد على من قال: إن الله كلف الناس فوق طاقتهم؟

الفقرة السابعة والعشرون

(٨٩) وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات.

(٩٠) والله ـ تعالى ـ يستجيب الدعوات، ويقضي الحاجات.

(٩١) ويملك كل شيء ولا يملكه شيء، ولا غنى عن الله ـ تعالى ـ طرفة عين، ومن استغنى عن الله طرفة عين، فقد كفر، وصار من أهل الحين.

(٩٢) والله يغضب ويرضى، لا كأحد من الورى.

اللغة: (غنى) استغناء. (الحَيْن) الهلاك. (الورى) الخلق.

الشرح: (٨٩) والميت ينتفع بدعاء الحي له كما في الحديث:

«... أو ولد صالح يدعو له»[1] وكذلك ينتفع الميت بصدقة الحي عنه، سواء من ولده أو غيره.

(٩٠) والله ـ تعالى ـ يستجيب الدعوات كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[2] وهو الذي يقضي الحوائج لخلقه، من جلب النفع ودفع الضر، إذ لا يملك الأمر سواه.

(٩١) والله ـ تعالى ـ **هو مالك الملك**، ومالك كل شيء، ولا تصرف لا في خلقه إلا بإذنه، ولا يمكن الاستغناء عن الله ـ تعالى ـ طرفة عين، فكل مخلوق محتاج إلى الله ـ تعالى ـ في خلقه وإيجاده ورزقه وتدبير أموره، وهدايته وإرشاده، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ

(١) مسلم (١٦٣١) في الوصية باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، أبو داود (٢٨٨٠) في الوصايا وغيرهما.

(٢) سورة غافر، الآية: ٦٠.

أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾[١]، وأيما مخلوق ظن لحظة أنه يستطيع الاستغناء عن الله ـ تعالى ـ فقد كفر بذلك، وأصبح من أهل الردى والهلاك.

(٩٢) والله ـ تعالى ـ **يغضب إذا انتهكت محارمه**، ويرضى إذا أتيت مراضيه وأوامره، وغضبه ورضاه صفتان ثابتتان كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾[٢] وكما قال: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣] وهما على المعنى اللائقة بالله ـ تعالى ـ دون تكييف ولا تشبيه، فغضبه ورضاه صفتان ليستا كصفات الخلق بحال من الأحوال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[٤].

الخلاصة:

الدعاء والصدقة من الأحياء ينفعان الأموات، والله ـ تعالى ـ هو مجيب الدعوات، ويملك كل ما في الأرض والسموات، لا يستغنى عنه أحد من المخلوقات، وغضبه ورضاه صفتان حقيقيتان على الكيفية اللائقة به ـ سبحانه وتعالى ـ.

المناقشة:

١ ــ هل ينتفع الميت بصدقة الحي ودعائه؟
٢ ــ ما حكم من ظن أنه مستغن عن الله؟
٣ ــ هل ثبتت صفتا الغضب والرضى لله؟

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١٥.
(٢) سورة النساء، الآية: ٩٣.
(٣) سورة الفتح، الآية: ١٨.
(٤) سورة الشورى: الآية: ١١.

الفقرة الثامنة والعشرون

(٩٣) ونحب أصحاب رسول الله، ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

(٩٤) ونثبت الخلافة بعد رسول الله، ﷺ، أولاً لأبي بكر الصديق - رضي الله عنه - تفضيلاً له وتقديماً على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه، ثم لعثمان بن عفان - رضي الله عنه - ثم لعلي - رضي الله عنه وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهتدون.

اللغة:

الشرح: (٩٣) **ونحب أصحاب رسول الله، ﷺ، بحب رسول الله وحبه لهم، ولا نفرط في حب أحد منهم** كما فعلت الروافض بعلي - رضي الله عنه - فرفعوه فوق منزلته حتى أوصلوه لدرجة الألوهية، ولا نتبرأ من أحد منهم فقد كانوا أكمل الناس إيماناً وإحساناً، وأعظمهم طاعة وجهاداً، ونبغض من يبغضهم فإن ذلك علامة النفاق والخذلان، ونبغض من يذكرهم بغير الخير، ولا نذكرهم إلا بخير فإن النبي، ﷺ، قد أحبهم وأوصى بهم، فحبهم علامة صحة الدين وعلامة الإيمان والإحسان وبغضهم علامة الكفر والنفاق والخذلان والطغيان، نعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى.

(٩٤) **ونثبت الخلافة بعد رسول الله، ﷺ، لأبي الصديق تفضيلاً** له وتقديماً على سائر الأمة، إذ فضله الرسول، ﷺ، وقدمه وألمح إلى

خلافته في عدة أحاديث، وهو أولى الأمة بالفضل والتقديم، وقد اتفق المسلمون على بيعته يوم السقيفة ومن بعده عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حيث استخلفه أبو بكر على الناس، فبايعوه وهما صاحبا رسول الله، ﷺ، ومن بعده عثمان بن عفان ذو النورين ـ رضي الله عنه ـ زوج ابنتي رسول الله، ﷺ، ومن بعده علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ زوج فاطمة بنت الرسول، ﷺ، وهؤلاء الأربعة هم أفضل الصحابة، وهم الخلفاء الراشدون، والأئمة المهتدون، الذين أوصى رسول الله، ﷺ، باتباع سنتهم.

(٩٥) وأن العشرة الذين سماهم رسول الله، ﷺ، وبشرهم بالجنة، نشهد لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله، ﷺ، وقوله الحق، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبدالرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، وهو أمين هذه الأمة، رضي الله عنهم أجمعين.

(٩٦) ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله، ﷺ، وأزواجه الطاهرات من كل دنس وذرياته المقدسين من كل رجس، فقد برىء من النفاق.

اللغة: (الدنس) الوسخ، (رجس) القذر القبيح.

الشرح: (٩٥) ونؤمن بأن النبي، ﷺ، قد بشر عشرة من أصحابه بالجنة صراحة حيث قال: ﴿أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة..﴾[1] فذكر العشرة المذكورين آنفاً، فنحن نؤمن بذلك ونؤمن أن

(١) أبو داود (٤٦٤٩) في السنة وأحمد وغيرهما. وهو حديث صحيح.

الرسول، ﷺ، قد بشر غيرهم على ما ثبت في الأحاديث الصحيحة.

(٩٦) وكل من أحسن القول في حق أصحاب رسول الله، ﷺ، ولم يقع في أحد منهم. وأحسن القول في أزواجه - رضي الله عنهم - الطاهرات من كل دنس، المبرآت من كل إثم، وفي ذريته المتنزهين عن كل رجس وقذر، الذين أمر باتباعهم وأوصى بهم، كل من أحسن قوله فيهم جميعاً **فقد بريء من النفاق.**

الخلاصة:

نحب الصحابة دون غلو أو تقصير، ونعرف فضلهم على غيرهم، ونقدم الخلفاء على حسب ترتيب ولايتهم، ونعرف حق العشرة الذين بشروا بالجنة، ونقول كل من أساء القول فيهم أو في أزواج رسول الله وذريته، فإنه منافق.

المناقشة:

١ ــ ما الواجب نحو أصحاب رسول الله، ﷺ؟
٢ ــ ما القول في أزواجه وذريته؟
٣ ــ ما موقفنا ممن وقع فيهم؟

الفقرة التاسعة والعشرون

(٩٧) وعلماء السلف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين، أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل.

(٩٨) ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام، ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء.

(٩٩) ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات من رواياتهم.

اللغة: **(الكرامات)** وهي ما يجريه الله للصالحين من خوارق العادات.

الشرح: **(٩٧) والعلماء السابقون، من الصحابة والتابعين،** أهل الصلاح وأتباع السنن وأهل الفقه، لا نذكرهم إلا بالجميل والثناء، ومن ذكرهم بسوء فهو على سبيل الضلالة، فإن محبتهم واجبة، ولحومهم مسمومة لمن ذكرهم بسوء.

(٩٨) ولا نفضل الأولياء على الأنبياء، كما قال بعض أهل الضلالة كابن عربي وغيره، بل نقول: إن النبي الواحد أفضل من جميع الأولياء، وذلك لما اصطفاهم الله من النبوة والحكمة، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾[1].

(١) سورة الحج، الآية: ٧٥.

(٩٩) ونؤمن بما ورد من كرامات الأولياء، وما أجراه الله لهم من خوارق العادات، نؤمن بما ثبت من ذلك، ونرد ما لم يثبت، والأصل في ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾[1] وما ورد في حق أولياء الرحمن هو مقصور على أهل الطاعة والرضوان والإيمان دون ما ثبت من خوارق العادات لبعض أولياء الشيطان.

الخلاصة:

لا نذكر أهل العلم من السلف الصالحين بغير الجميل، ونفضل الأنبياء على الأولياء، ونؤمن بما صح من كرامات الأولياء.

المناقشة:

١ ــ ما موقفنا من السلف الصالحين؟
٢ ــ هل يجوز تفضيل ولي على نبي؟
٣ ــ ما هي كرامات الأولياء؟ اذكر دليلاً على جوازها؟

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

الفقرة الثلاثون

(١٠٠) ونؤمن بأشراط الساعة: من خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها.

(١٠١) ولا نصدق كاهنا ولا عرافاً، ولا من يدعي شيئاً يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

اللغة: (**أشراط**) جمع شرط وهو العلامة، (**الكاهن**) من يدعي علم الغيب (**العراف**) المنجم.

الشرح: (١٠٠) **ونؤمن بأن للساعة علامات تظهر** فتدل على قرب قيام الساعة وهذه العلامات قد ذكرها النبي ﷺ، في حديثه حيث قال في حق الساعة: «**إنها لن تقوم حتى تروا عشر آيات فذكر الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم..**»[1] الحديث، وهذه هي العلامات الكبرى للساعة، وهناك علامات صغرى غيرها.

(١٠١) **ولا نصدق كاهنا ولا عرافاً** وهم الذين يدعون علم الغيب، والإخبار بالمغيبات، لأن الله ـ تعالى ـ يقول: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾[2] وقال: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[3] والنبي، ﷺ، يقول: «**من أتى عرافاً أو كاهناً،**

(١) مسلم (٤/٣١٥) في الفتن، وابن ماجه (٢/٢٥٨) في أشراط الساعة وغيرهما.
(٢) سورة لقمان، الآية: ٣٤.
(٣) سورة النمل، الآية: ٦٥.

فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد﴾[1]، وهكذا كل من ادعى شيئاً يخالف كتاب الله وسنة رسوله، ﷺ، وإجماع الأمة، فإننا نرده عليه ولا نقبله، كائناً من كان.

الخلاصة:

نؤمن بأشراط الساعة الكبرى، ونكذب الكهنة والعرافين وكل من ادعى خلاف الكتاب والسنة والإجماع.

المناقشة:

١ ــ ما معنى أشراط الساعة؟ اذكر أربعة منها؟

٢ ــ ما حكم من أتى الكهنة والعرافين وصدقهم؟

(١) أخرجه أبو داود (٣٩٠٤) والترمذي (١٣٥) وابن ماجة (٦٣٩) وغيرهم. وهو حديث صحيح.

الفقرة الحادية والثلاثون

(١٠٢) ونرى الجماعة حقاً وصواباً، والفرقة زيغاً وعذاباً.

(١٠٣) ودين الله في الأرض والسماء واحد، وهو دين الإسلام قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ وقال ـ تعالى ـ: ﴿ورضيت لكم الإسلام دينا﴾.

(١٠٤) وهو بين الغلو والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل، وبين الجبر والقدر، وبين الأمن والإياس.

اللغة: (زيغاً) هو الميل عن الحق.

الشرح: ونرى أن الجماعة هي الحق والصواب، والطريق المستقيم، وهي الفرقة الناجية، وهي ما كان عليه رسول الله، ﷺ، وما عداه من فرق الضلال، فزيغ وضلال وميل عن الحق، وعذاب في الدنيا والآخرة، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[١].

ودين الله واحد وهو الإسلام قال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[٢] وقال: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[٣] وقال: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[٤] فهو

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٣.

الـدين الحق الذي بعث الله بـه جميع رسله، وهـو أن لا يعبد إلا الله ـ تعالى ـ وأن يعبد بما شرع، فما من رسول إلا وقد أرسل بالإسلام، قال أبناء يعقوب عليه السلام له ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[١] وقال موسى: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾[٢] وقـالت بلقيس: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[٣] وقـال أصحـاب عيسى: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾[٤].

(١٠٤) **وهو دين وسط** كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[٥] فهـو وسط في العبـادة بـين الغلو والتقصـير، ووسط في حق النبي، ﷺ، لا غلو ولا تقصـير، وهو وسط في بـاب الصفات بـين من شبهوا الله بخلقه وبين من عطلوا صفاته ونفوا معانيها، ووسط في القدر بين من نفوا إرادة الإنسان وهم الجبرية وبين من جعلوا الإنسـان خالقـاً لأفعاله وهم القدرية، ووسط بين الأمن من مكر الله واليأس من رحمته.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٣.

(٢) سورة يونس، الآية: ٨٤.

(٣) سورة النمل، الآية: ٤٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٥٢.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

الفقرة الثانية والثلاثون

(١٠٥) فهذا ديننا واعتقادنا ظاهراً وباطناً، ونحن براء إلى الله من كل ما خالف الذي ذكرناه وبيناه. ونسأل الله ـ تعالى ـ أن يثبتنا على الإيمان، ويختم لنا به، ويعصمنا من الأهواء المختلفة، والآراء المتفرقة، والمذاهب الردية، مثل المشبهة، والمعتزلة، والجهمية، والجبرية، والقدرية وغيرهم من الذين خالفوا السنة والجماعة وحالفوا الضلالة، ونحن منهم براء، وهم عندنا ضلال وأردياء وبالله العصمة والتوفيق.

اللغة: (الردية) الفاسدة.

الشرح: **ونحن قد بينا ديننا وعقيدتنا**، وهو كل ما سبق ذكرناه، فهذا اعتقادنا الظاهر والباطن ولسنا ممن يظهرون غير ما يبطنون، ونتبرأ إلى الله ـ تعالى ـ أن يثبتنا على الإيمان، كما كان النبي، ﷺ، يقول: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**»[1] وأن يعصمنا من الأهواء المختلفة، والأوهام الفاسدة والآراء المتفرقة في مسائل الاعتقاد، والمذاهب الرديئة الفاسدة كالمشبهة والمعتزلة، والجهمية والجبرية، والقدرية وغيرهم، ووافقوا الضلالة، وحالفوها وقالوا بها، فنحن نتبرأ منهم، إذ يلزم المسلم أن يتبرأ من أهل الكفر والابتداع ونحكم عليهم بأنهم ضلال أردياء، فاسدو المذاهب والعقول والآراء، والله هو العاصم والموفق. **وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.**

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١٨٢/٤ وابن ماجه في المقدمة باب: فيما أنكرت الجهمية (٧٢/١) ح(١٩٩) والحاكم في المستدرك (٥٢٥/١) والآجري في الشريعة ص(٣١٧) وابن منده في الرد على الجهمية ص٨٧ جميعهم من حديث النواس بن سمعان قال الحاكم (جميع على شرط مسلم ولم يخرجاه) وقال عنه ابن منده (حديث النواس بن سمعان حديث ثابت رواه الأئمة المشاهير ممن لا يمكن الطعن على واحد منهم).

الفصل الرابع:

الشرح الميسر
للفقه الأبسط
المنسوب لأبي حنيفة
رواية أبي مطيع البلخي عن أبي حنيفة

المقدمة

إن الحمدلله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يعهده الله فلا فصل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وبعد:

فإن كتاب الفقه الأبسط للإمام أبي حنيفة رواية أي مطيع البلخي، هو رواية أخرى للفقه الأكبر، فقد نقل عنه الأئمة المحققون، كابن تيمية في (الحموية) (٤٦/٥) وابن قدامة في العلو (ص١١٦) وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٧٦) والذهبي في العلو (ص١٠١) وسموه الفقه الأكبر، ولم يعرف باسم الفقه الأبسط إلا عند بعض متأخري الحنفية كالبياض في إشارات المرام (ص٢٨) والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين) (١٤/٢) وسمياه بالفقه الأبسط تمييزا له على الفقه الأكبر برواية حماد بن أبي حنيفة، وراوي هذا الكتاب هو: أبو مطيع البلخي الحكيم بن عبدالله بن مسلم الخراساني قال عنه أبو داود: تركوا حديثه وكان جهمياً، وقال أبو حاتم: كان مرجئاً ضعيف الحديث، وقال ابن حبان: كان من رؤساء المرجئة، وممن يبغض السنن ومنتحليها. وقال ابن عدي: هو بين الضعف، عامة ما يرويه لا يتابع عليه، وقال: الذهبي وابن حجر: كان ابن المبارك يعظمه ويجله لدينه وعلمه.

قلت: قولهما: لدينه: أي لزهده، وأما قولهما: لعلمه، فالظاهر أنه يعني فقهه، ومما حملني على إخراج هذا الكتاب أنه معول عليه عند

الحنفية والماتريدية، مع أن كثيراً من الماتريدية خالفوا بعض ما في هذا الكتاب ولاسيما في باب الصفات.

ويظهر أن هذا الكتاب من تخريج أبي مطيع على كلام أبي حنيفة، فلذا ما رأيناه مخالفاً لما قرره الطحاوي في عقيدته، التي نقلها عن الإمام أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن، فنجزم أنه كذب على أبي حنيفة، إلا إذا خالف بدعة أبي مطيع في التجهم وتعطيل الصفات فنقبلها إذ ليس فيها نصرة لمذهبه.

ومنهجي في إخراج هذا الكتاب ما يلي:

١ ــ وضع المتن في أعلى الصفحة.

٢ ــ شرح الغريب من الألفاظ.

٣ ــ شرح المعنى الإجمالي بطريقة مبسطة موافقة لمذهب السلف.

٤ ــ عزوت الآيات إلى مواضعها في كتاب الله.

٥ ــ اجتهدت في عزوا الأحاديث إلى مواضعها في دواوين السنة، مع بيان درجتها كلما أمكن.

٦ ــ عملت لكل فقرة خلاصة لاختصار الفائدة.

٧ ــ أتبعت الخلاصة بأسئلة لبيان مدى استفادة القارىء.

٨ ــ عملت عناوين جانبية لتسهيل الرجوع للكتاب.

فما كان في هذا الكتاب من حق فمن الله، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريء منه، وأستغفر الله من الخطأ والزلل.

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين روى الإمام أبو بكر محمد بن محمد الكاساني، عن أبي بكر علاء الدين محمد بن أحمد السمرقندي ، قال: أخبرنا أو المعين ميمون بن محمد بن مكحول النسفي أخبرنا أبو عبدالله الحسين بن علي الكاشغري الملقب بالفضل قال: أخبرنا أبو مالك نصران بن نصر الختلي عن علي بن الحسن بن محمد الغزال عنن أبي الحسن علي بن أحمد الفارسي حدثنا نصير بن يحيى الفقيه. قال: سمعت أبا مطيع الحكم بن عبدالله البلخي يقول:

(من أصول أهل السنة والجماعة)

سألت أبا حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله تعالى عنه وعنهم عن الفقه الأكبر فقال: ألا تكفر أحداً من أهل القبلة بذنب، ولا تنفى أحداً من الإيمان

اللغة: (الحمد) الثناء على الجميل الاختياري (رب) الرب هو المربي السيد المالك المتصرف (العالمين) جمع عالم (الصلاة) الصلاة في اللغة الدعاء (الفقه الأكبر) الفقه لغة الفهم (لاتكفر) لاتحكم بالكفر (أهل القبلة) أي المنتسبين إلى الإسلام (لاتنفي) لاتخرج.

الشرح: سئل الإمام أبو حنيفة رحمه الله عن الفقه الأكبر ـ أي علم معرفة العقائد ـ. ، وإنما سماه بالفقه الأكبر لأنه أعظم العلوم، وحاجة العباد إلى معرفته أعظم من حاجتهم إلى معرفة ماعداه، فبينه رحمه الله بمسائل منها:

* عدم تكفير أحد من أهل القبلة ـ أي المسلمين ـ بذنب، وعدم نفيه ـ أي إخراجه ـ من الإيمان فإن المسلم إذا دخل في الإسلام

لايكفر إلا بجحود ما أدخله فيه، لكنه لايكفر بارتكابه لذنب إلا إذا استحل هذا الذنب وأنكر تحريمه، فإن الله سبحانه وتعالى لم يحكم في كتابه على أهل المعاصي بالكفر، ولا كفرهم النبي ﷺ.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب أبي حنيفة وصاحبيه: «ولانكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، ولانقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله»[1].

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٢٩٠).

وأن تأمر بالمعروف، وتنهي عن المنكر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك. ولا تتبرأ من أحد من أصحاب رسول الله صلى ـ ﷺ ـ

اللغة: (المعروف) كل فعل عرف حسنه بالشرع أو بالعقل، (المنكر) عكس المعروف ما علم قبحه (لاتتبرأ) تبرأ من كذا أي تخلص منه وتخلص منه وتخلى عنه.

الشرح: وهذا من أصول أهل السنة والجماعة، وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال تعالى في وصف هذه الأمة ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾[1] وهو واجب على هذه الأمة على الكفاية بقدر ما يتحقق، الواجب، فلو قام به البعض سقط عن الباقين.

ومن أعظم أصولهم أيضاً أن يعلم الإنسان أن ما قدره الله وقضاه كائن فإذا قدر الله أن يصيب الإنسان سوء فلا بد أن يصيبه، مهما اجتهد في دفعه، وإذا قدر له أن لايصاب به لم يصب ولو اجتمع جميع الخلق على أن ينزلوه به، كما قال تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾[2] ومن هنا يتبين أن الذين يستغيثون بأهل القبور ويندرون لها ليسوا على دين أهل التوحيد، بل هم على دين أهل الشرك فالإمام أبو حنيفة وغيره من أئمة الإسلام برداد منهم، فقد قال الإمام أو حنيفة: «لاينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به»[3].

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٠٠).

(٢) سورة يونس الآية (١٠٧).

(٣) الدر المختار مع حاشية رد المختار ٦/٣٩٦: ٣٩٧).

وكذلك قول النبي ﷺ لعبد الله بن العباس رضي الله عنهما: «**وأعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك**»[1]. فلا بد أن يؤمن الإنسان بذلك، وهذا من أصول أهل السنة، كما ذكر الإمام الطحاوي رحمه الله في عقيدته: «فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى فيه ليجعلوه كائناً لم يقدروا عليه، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة»[2].

(١) أخرجه أحمد (١/٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٧) والترمذي (٤/٦٦٧/٢٥١٦) في صفة القيامة باب (٥٩)، وغيرهما من حديث حفش عن ابن عباس مرفوعاً، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/١٣١٧: ١٣١٨/ ح ٧٩٥٧).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٣٤).

ولا تـوالي أحداً دون أحد، وأن ترد أمر عثمان وعلي إلى الله تعالى.

اللغـة: (ولا تـوالى) أي لا تتخـذ وليـا وهـو الحبيب والنصـير.
(تـــرد) ترجع.

الشرح: ومن أصـول أهل السنـة أيضاً أن لايتـبرأ الإنسان من أحـد من أصحـاب رسول الله ﷺ، بـل يحبهم جميعـاً ويعلم أن الله إختـارهم لصحبة نبيه ﷺ، قال الطحاوي رحمه الله في عقيدته: «ونحب أصحاب رسـول الله ﷺ ولانفرط في حب أحـد منهم، ولانتـبرأ من أحـد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغـير الخـير يـذكـرهم، ولانـذكـرهم إلا بخـير، وحبهم دين وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»[1]، وهكذا فالمسلم يحبهم جميعـاً، ويعرف لهم قـدرهم يواليهم جميعـاً، ولايـوالى أحـداً دون أحـد، بل يتـولاهم جميعاً ولايعقـل كما تفعـل الروافض الـذين يتـولـون بعضـاً، ويتبرأون من البـاقي، وكذلـك من أصول أهـل السنـة أن يـرد المسلم أمر عثمان رضي الله عنه إلى الله، فيما أخذه عليه بعض الصحابة من توليه أقاربه أو غير ذلك، وأن يحسن به الظن، وأن يعتقـد أنه قتـل رضي الله عنه مظلوماً، وأن قتله كان فاتحة شر عـلى الأمة وكـذلك يـرد أمر علي رضي الله عنه إلى الله فيما شجـر بينه وبـين بعض الصحابـة في وقعه الجمل وصفين، وما وقع بينه وبين معاوية رضي الله عنه من اقتتال وسفـك للدمـاء، كـــل ذلـك مـــردود إلى الله تعـالى، يعلم المسلم أنهم مجتهـدون، منهم مصيب ومنهم مخـطىء، وكلهم مـأجـور إن شـــاء الله، ويمسك المسلم عما شجر بينهم فلا يذكرهم إلا بخير، ولاينشغل بذكر ما وقع بينهم، ويحسن بهم جميعاً الظن، فكلهم مريد للخير إن شاء الله.

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص٤٦٤).

الخلاصة:

من أصول أهل السنة والجماعة عدم تكفير المسلم بالمعصية وموالاة جميع الصحابة، ورد ما شجر بينهم إلى الله تعالى.

المناقشة:

س١ ــ ما موقف أهل السنة من مسألة تكفير المسلم بالمعصية؟
س٢ ــ بين موقفهم من الصحابة. مع ذكر موقف الروافض.
س٣ ــ اذكر ما ينبغي أن يعتقده المسلم في شأن عثمان وعلي رضي الله عنهما.

(أفضل الفقه وتعريف الإيمان وأركانه)

وقال أبو حنيفة رضي الله عنه: «الفقه في الدين أفضل من الفقه في الأحكام ولأن يتفقه الرجل كيف يعبد ربه خير له من أن يجمع العلم الكثير» قال أبو مطيع: قلت: فأخبرني عن أفضل الفقه؟ قال أبو حنيفة: أن يتعلم الرجل الإيمان بالله تعالى والشرائع والسنن والحدود واختلاف الأمة واتفاقها. قال: قلت: فأخبرني عن الإيمان؟ فقال: حدثني بن مرثد عن يحيى بن يعمر قال: قلت لابن عمر رضي الله عنهما: أخبرني عن الدين ما هو؟ قال: عليك بالإيمان فتعلمه. قلت: فأخبرني عن الإيمان ما هو؟ قال: فأخذ بيدي فانطلق بي إلى شيخ فأقعدني إلى جنبه فقال: إن هذا يسأل عن الإيمان كيف هو؟

اللغة: (**الأحكام**) مسائل الفروع (**الإيمان**) لغة التصديق واصطلاحاً قول وعمل يزيد وينقص تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح (**الشرائع**) جمع شريعة وهي ما شرعه الله لعباده (**السنن**) جمع سنة تشمل كل ما ثبت عن النبي ﷺ (**الحدود**) جمع حد وهو ما ينتهي إليه الشيء.

الشرح: بين أبو حنيفة رحمه الله تعالى أن تعلم مسائل الاعتقاد وأصول الدين وهي ما تصح به عقيدة الإنسان، خير له من تعلم مسائل الفروع التي قد لا تكون بنفس الخطورة، ولهذا كان تعلم مسائل أصول الدين خير من جمع أطراف العلم بالفروع ولما سئل عن أفضل

الفقه بين ذلك بأنه تعلم الإنسان كيف يؤمن بالله تعالى؟ وكيف يصحح إيمانه ويستكمل شعبه؟ ويعرف شرائع الله تعالى وسنن رسوله ﷺ، وما اختلفت فيه الأمة، وما اتفقت عليه من مسائل الدين، ولما سئل رحمه الله عن بيان الإيمان وذلك لما تكلم عن مكانته فسأله السائل عن حقيقة الإيمان فبينها رحمه الله من خلال الحديث الذي ساقه لما سئل ابن عمر عن الدين فذكر الإيمان، ولما سأله السائل عن الإيمان أراد أن يبينه له بيانا مؤكداً، فأخذه من يده وانطلق به إلى شيخ لا يعرفه السائل، فأقعده إلى جنبه، وكان ذلك الشيخ ممن شهد بدراً مع رسول الله ﷺ فأخبره بسؤال السائل عن الإيمان كيف هو؟

فقال ـ والشيخ كان ممن شهد بدراً مع رسول الله ﷺ- قال ابن عمر: كنت إلى جنب رسول الله ﷺ وهذا الشيخ معي إذ دخل علينا رجل حسن اللمة متعمماً نحسبه من رجال البادية فتخطى رقاب الناس فوقف بين يدي رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! ما الإيمان؟ قال: شهادة ألا إله إلا الله

اللغة: (**حسن اللمة**) اللمة هي شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن (**تخطى رقاب الناس**) المراد بذلك أنه تخطى الصفوف متقدماً للأمام. (**بين يدي**) أمام (**شهادة**)و هي الإخبار عن علم.

الشرح: ثم بيَّن له كيف كان جالساً مع النبي ﷺ يوماً فدخل عليهم رجل حسن الشعر لابساً عمامته، يحسبه الرائي من رجال البادية، فتخطى الناس حتى وقف أمام النبي ﷺ فسأله: ما الإيمان؟ فبينه النبي ﷺ بقوله: (**شهادة أن لا إله إلا الله**) أي الإقرار والاعتراف بأن الله تعالى هو المستحق للعبادة دون سواه لأنه المنفرد بالخلق والرزق والتدبير، كما قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[1] فلما كان هو المنفرد بالخلق والرزق والملك والتدبير والتصرف، أي المنفرد بالربوبية كان من الواجب إفراده بالألوهية ـ أي العبودية ـ لأنه هو المستحق لها، فمعنى (لا إله إلا الله) لا مستحق للعبادة إلا الله، وإن كان هناك معبودات أخرى لكنها باطلة لا تستحق العبادة إذ ليس لها من الأمر شيء كما قال عز وجل: ﴿**ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل**﴾[2] فالإقرار بالألوهية متضمن

---

(١) سورة فاطر الآية (٣).

(٢) سورة الحجر الآية (٦٢).

.....

للإقرار بالربوبية، والإقرار بالربوبية مستلزم للإقرار بالألوهية، ولا يكون الإنسان موحداً حقاً حتى يوحد الله في ربوبيته، وفي ألوهيته، وفي أسمائه وصفاته وذلك بأن يعتقد أن الله تعالى متسم بالأسماء الحسنى، متصف بالصفات العلى، يثبتها لله كما أثبتها لنفسه، على معناها الحقيقي.

وأن محمداً عبده ورسوله، وتؤمن بملائكته

اللغة: (رسوله) هو المرسل بشرع المأمور بتبليغه (ملائكة) جمع ملك خلق نوراني لطيف خلقهم الله لعبادته وتنفيذ أمره.

الشرح: دون أن يعطل معناها بتأويل يخرجها عن حقيقتها أو تحريف أو غيره، هذا مع اعتقاد عدم مشابهة الله تعالى لخلقه أبداً، فإنه تعالى قال في كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1] فالصواب الذي كان عليه السلف في هذا الباب (إثبات بلا تمثيل، وتنزيل بلا تعطيل).

كما أن من لازم (لا إله إلا الله) الكفر بما عبد من دونه من الطواغيت فإنها نفي لكل هذه الآلهة الباطلة في قولنا: (لا إله) ثم إثبات العبودية لله وحده (إلا الله).

* وشهادة أن محمداً عبده ورسوله تستوجب الإقرار بأنه عليه السلام عبد من عباد الله فلا نرفعه فوق منزلته، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[2] ولكنه رسول من الله تعالى، مبلغ عن الله وحيه، فلا نغمطه حقه ولا نخفضه عن منزلته التي يستحق، واعتقاد أنه آخر النبيين كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[3] فدعوى النبوة بعده كفر وضلال، وهو ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ

(١) سورة الشورى الآية (١١).
(٢) سورة الإسراء الآية (١).
(٣) سورة الأحزاب الآية (٤٠).

. . . . . .

ٱلْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ)[1] أتى بأحسن شرع وأكمله، فاتباعه واجب، والاقتداء به شرط لدخول الجنة وقبول العمل.

* والإيمان بالملائكة يستلزم الإيمان بأنهم خلق مكرمون ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[2] وهم قائمون على تنفيذ أمر الله تعالى، فالإيمان بهم واجب على وجه الإجمال، ثم نؤمن بمن ورد النص فيهم تفصيلا، ومنهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ومنكر ونكير ورقيب وعتيد وحملة العرش والحفظة وغيرهم.

(١) سورة النجم الآيتان (٣: ٤).

(٢) سورة التحريم الآية (٦).

وكتبه ورسله

اللغة: (كتب) جمع كتاب وهو ما أنزله الله على بعض رسله. (رسله) جمع رسول وهو من أرسل مبلغا بشرع.

الشرح: والإيمان بالكتب يتضمن الإيمان بأن الله تعالى أنزل على بعض رسله كتبا، فيجب الإيمان بها إجمالاً، والإيمان بما ورد به النص منها تفصيلاً كالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾[1] وقال: ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[2] ويجب الإيمان بأن القرآن هو خاتم هذه الكتب وخيرها والمهيمن عليها وأنه كلام الله ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[3].

* والإيمان بالرسل يشتمل على أمور منها الإيمان بأن الله تعالى أرسلهم للناس كما قال: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾[4] وهم صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى، منهم من نعرفه ومنهم من لم نعرف كما قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾[5] فيجب الإيمان بهم إجمالاً، وبمن ورد منهم النص تفصيلا، وهم آدم ونوح وإدريس وهود وصالح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف

(١) سورة آل عمران الآية (٣: ٤).
(٢) سورة النساء الآية (١٦٣).
(٣) سورة فصلت الآية (٤٢).
(٤) سورة النساء الآية (١٦٥).
(٥) سورة النساء الآية (١٦٤).

وموسى وشعيب وهارون وداود وسليمان وزكريا ويحيى واليسع وذو الكفل ويونس وأيوب وإلياس وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهم أفضل بني آدم وأولهم دخولاً الجنة، وأكرمهم على الله تبارك وتعالى، فيجب الإيمان بهم أجمعين، واعتقاد أنهم مطهرون مخلصون، وأنهم معصومون من الشرك والكبائر ومن تعمد الصغائر.

واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله تعالى.

اللغة: (اليوم الآخر) يوم القيامة (القدر) هو المقدور والتقدير، ما يقضى الله على عباده.

الشرح: ويجب الإيمان باليوم الآخر وهو يوم القيامة، والإيمان به من أعظم أركان الإيمان. قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ..﴾[1]. والإيمان به يشتمل على الأمور التي وردت بها النصوص من الكتاب والسنة وهي: سؤال القبر وفتنته ونعيمه وعذابه، والبعث للأرواح والأجساد والحشر للحساب، وأهوال القيامة والنفخ في الصور والحوض والميزان والصراط والصحف والجنة ونعيمها والنار وعذابها فكل هذه الأمور ثبتت بها النصوص، وجحد أي منها كفر بالله تعالى وردة عن الإسلام.

* ومن أركان الإيمان الإيمان بالقدر، وهذا يعني أربعة أمور: الأول: الإيمان بالعلم، أي أن الله تعالى علم كل شيء قبل خلقه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾[2] والثاني: الإيمان بالكتابة، فالله تعالى علم كل شيء ثم كتبه في اللوح المحفوظ، ولا يخرج شيء عما كتبه الله تعالى كما قال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾[3] والثالث: الإيمان بالمشيئة، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا يكون شيء من خير أو شر إلا بمشيئة

---

(١) سورة البقرة الآية (١٧٧).

(٢) سورة البقرة الآية (٢٩).

(٣) سورة الحديد الآية (٢٢).

الله تعالى، قال عز وجل: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾[1] والرابع: الإيمان بالخلق فإن الله تعالى هو الذي خلق كل شيء، حتى الخير والشر كله مخلوق لله عز وجل. وقد قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[2] **فما من شيء إلا والله خالقه، وأفعال العباد من خير وشر هو خالقها كما قال تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾**[3] وذلك بخلاف المعتزلة الذين جعلوا الإنسان خالقاً لأفعال الشر وهكذا جعلوه خالقاً مع الله

(١) سورة البقرة الآية (٢٥٣).

(٢) سورة الزمر الآية (٦٢).

(٣) سورة الزمر الآية (٩٦).

فقال: صدقت. فتعجبنا من تصديقه رسول الله ﷺ مع جهل أهل البادية، فقال: يا رسول الله! ما شرائع الإسلام فقال: إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً والاغتسال من الجنابة. فقال: صدقت. فتعجبنا لقوله بتصديقه رسول الله ﷺ كأنما يعلمه، فقال: يا رسول الله وما الإحسان؟

اللغة: (الزكاة) لغة الطهارة (الصوم) لغة الإمساك (الحج) لغة القصد والقدوم (الجنابة) حال من نزل منه منى أو كان منه جماع (الإحسان) لغة الإجادة.

الشرح: ثم إن الرجل سأل النبي ﷺ عن شرائع الإسلام فأخبره النبي ﷺ بها وعد منها: إقام الصلاة أي أداء الصلوات الخمس في أوقاتها على الوجه الذي شرعه الله ورسوله مع المحافظة على أركانها وواجباتها وسننها، وعد منها إيتاء الزكاة أي إخراجها في وقتها المحدد وبمقاديرها المشروعة لمن تجب له من الأصناف المحددة في الشريعة، وعد منها صوم رمضان، وهو الامتناع عن الأكل والشرب والشهوة وسائر المفطرات في نهار رمضان من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع الامتناع عن سائر المحرمات، وعد منها حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً أي قصد البيت الحرام بمكة أيام الحج للطواف والسعي وأداء النسك، وذلك لمن ملك الزاد والراحلة، وجميع ما ذكر من أركان الإسلام، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[1] وقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ

---

(١) سورة المزمل الآية (٢٠).

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1] وقال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[2]، ثم عد من شرائع الإسلام الاغتسال من الجنابة، وهو واجب على كل من جامع أو نزل منه المعنى ولا يصح أن يترك المسلم الاغتسال من الجنابة بحال، بل يجب عليه الاغتسال منها

(١) سورة البقرة الآية (١٨٣).

(٢)) سورة آل عمران الآية (٩٧).

قال: أن تعمل لله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: صدقت. فقال: يا رسول الله! متى الساعة؟ فقال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. ثم مضى، فلما توسط الناس لم نره، فقال النبي ﷺ: إن هذا جبريل أتاكم ليعلمكم معالم دينكم»[1].

اللغة: (الساعة) القيامة (معالم) مفردها مَعْلَم وهي علامات الشيء وفطنته.

الشرح: ثم إن السائل سأل رسول الله ﷺ عن الإحسان فبين له النبي ﷺ حقيقة معنى الإحسان وهو أن عبادة الله تعالى كأنك تراه أمام عينيك، فتعمل له على هذا الأساس، وإذا كنت في واقع الأمر لا تراه بعين رأسك فيكفيك علمك بأنه يراك، حتى تجتهد في تصحيح العبادة وتخليصها من كل شائبة، ثم سأله السائل عن القيامة متى هي؟ فأخبره النبي ﷺ أنه لا يعرف عنها أكثر مما يعلمه السائل، إذ هي مما استأثر الله بعلمه ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ﴾[1] وهنا مضى الرجل فلما كان في وسط الناس اختفى فلم يروه، فأخبرهم النبي ﷺ أن هذا الرجل في الحقيقة إنما هو جبريل عليه السلام أتاهم لكي يعرفهم مسائل أصول الدين وعلاماته الأصلية وذلك من فضل الله تعالى عليهم، فإنه لما كانت هذه الأمور أعظم ما يجب على الإنسان علمه،

---

(١) أخرجه مسلم (١/٣٦) ح٨ في الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان من حديث ابن عمر عن عمر رضي الله عنهما.

(٢) سورة الأعراف الآية (١٨٧).

ولما كان كثير من الصحابة يستحي أن يسأل رسول الله ﷺ عنها، أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام في هذه الصورة لكي يسأل النبي ﷺ عن هذه الأمور، فيعلم الناس حقيقة ما أحجموا أن يسألوا عنه، وأفاد الحديث كذلك أن مجموع ما ذكر هو كل مسائل أصول الدين التي لا يستغني مسلم عن معرفتها والعلم بها.

الخلاصة:

أفضل الفقه معرفة أصول الدين، وأركان الإيمان ستة: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وشرائع الإسلام أصلها الصلاة والزكاة والصيام والحج والغسل من الجنابة، والإحسان عبادة الله تعالى على المراقبة، وأما الساعة فعلمها عند الله.

المناقشة:

س١ ــ ما هو أفضل الفقه؟

س٢ ــ تكلم بالتفصيل عن أركان الإيمان.

س٣ ــ ما هي أصول شرائع الإسلام؟

س٤ ــ عرف الإحسان.

س٥ ــ متى تقوم الساعة؟

(حكم من كذب بالخلق أو أنكر) معلوماً من الدين بالضرورة

قال أبو مطيع: قلت لأبي حنيفة رحمه الله: فإذا استيقن بهذا وأقربه فهو مؤمن؟

قال: نعم إذا أقر بهذا فقد أقر بجملة الإسلام وهو مؤمن. فقلت: إذا أنكر بشيء من خلقه فقال لا أدري من خالق هذا قال: فإنه كفر لقوله تعالى: ﴿خالق كل شيء﴾ فكأنه قال: له خالق غير الله وكذلك لو قال: لا أعلم أن الله فرض علي الصلاة والصيام والزكاة فإنه قد كفر. لقوله تعالى: ﴿أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ ولقوله تعالى: ﴿كتب عليكم الصيام﴾ ولقوله تعالى: ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون. وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون﴾ فإن قال أؤمن بهذه الآية،

اللغة: (استيقن) أي تحقق وتأكد (أقر) اعترف (سبحان) كلمة تنزيه (تمسون) وقت المساء (تصبحون) تصيرون في وقت الصباح (عشيا) وقت آخر النهار (تظهرون) تصيرون وقت الظهر.

الشرح: ثم سأل السائل أبا حنيفة عن حكم من أقر بما ذكر من مسائل أصول الدين وشرائع الإسلام واستيقن بها قلبه هل يحكم له بالإيمان؟ فأجابه بالإيجابة ثم سأله السائل عن حكم من أنكر أن يكون الله خلق شيئاً معينا ونفى علمه بمن خلقه فأجابه بأنه يكفر لأنه شك في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[1] لأنه إما أن يكون الله قد خلق

---

(١) سورة الزمر الآية (٦٢).

الشيء وإما أن يكون هناك خالق غير الله، وبيَّن له كذلك أن من أنكر علمه بفرضية الصلاة والزكاة والصيام عليه، فإنه يكفر لأنه والحالة هذه يكون جاحداً لقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[1] ولقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾[2] فمنكر هذه الأشياء جاحد لكتاب الله وجاحد لما علم ضرورة على جميع الأمة، وكذلك هو منكر لقوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ . . وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾[3] فإنها - أي الآية - بيان للصلوات الخمس (حين تمسون) صلاة المغرب والعشاء (حين تصبحون) صلاة الصبح (عشيا) صلاة العصر (تظهرون) صلاة الظهر، فهي بيان لأوقات الصلوات إجمالاً.

(١) سورة المزمل الآية (٢٠).

(٢) سورة البقرة الآية (١٨٣).

(٣) سورة الروم الآيتان (١٧: ١٨).

ولا أعلم تأويلها ولا أعلم تفسيرها فإنه لا يكفر، لأنه مؤمن بالتنزيل ومخطىء في التفسير الخطأ في التأويل لا يكفر به المرء والجاهل في أرض الشرك لا يكفر قلت له: لو أقر بجملة الإسلام في أرض الشرك ولا يعلم شيئا من الفرائض والشرائع ولا يقر بالكتاب ولا بشيء من شرائع الإسلام إلا أنه مقر بالله تعالى وبالإيمان ولا يقر بشيء من شرائع الإيمان فمات أهو مؤمن؟

قال: نعم ـ قلت: ولو لم يعلم شيئاً ولم يعمل به إلا أنه مقر بالإيمان فمات قال: هو مؤمن.

تعريف أبي حنيفة للإيمان. وتفويض الأعمال إلى الله تعالى وكل ميسر لما خلق له:

قلت لأبي حنيفة: أخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وتشهد بملائكته وكتبه ورسله وجنته وناره وقيامته وخيره وشره.

اللغة: (تأويل) المراد هنا التفسير (التنزيل) مصدر نزَّل والمراد هنا ما أنزله الله (الفرائض) جمع فريضة وهي ما أوجبها الله على عباده.

الشرح: فمن آمن بهذه الآية ولكنه جهل تفسيرها أو فهم منها غير ما ذكر فلا يكفر إذ هو مؤمن بما أنزل الله لكنه لم يفقه المعنى المراد، فإن الخطأ لا يكفره به الإنسان، ولو أنه كان في دار الشرك فأقر بالله وبأصول الإيمان ولكنه لم يقر بشرائع الإسلام ولا يعلم عنها شيئاً فإنه معذور بجهله ولا يرتفع عنه اسم الإيمان وذلك لأن دار الشرك مظنة الجهل بشرائع الإسلام وعدم العلم بها والجهل مما يعذر الله تعالى به الإنسان، إذ لا يعذب الله أحداً إلا بعد أن يقيم عليه الحجة كما

قال عز وجل: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾[1].

فالله تعالى لا يعذب إلا بعد الإعذار بإقامة الحجة، من هنا عذر الإمام أبو حنيفة من كان في دار الشرك بخلاف من هو في دار الإسلام فإنها مظنة العلم وظهور الحق وعدم خفائه، فقد لا يعذر فيها من لم يقر بالشرائع، وأما المقيم في دار الشرك فيعذر إلا إذا بلغته الشرائع فأنكرها وحينئذ فإنه يرتفع عنه اسم الإيمان، ثم شرع أبو حنيفة في بيان أصول الإيمان فذكر منها توحيد الله تعالى والإيمان بالملائكة والكتب والرسل وأمور الآخرة وبقدر الله تعالى خيره وشره، كل ذلك من عند الله تعالى، ثم

(١) سورة الإسراء الآية (١٤).

الخلاصة:

إنكار خلق الله لشيء كفر صريح، وأما التأويل فلا يكفر به، والجاهل في أرض الشرك لا يكفر.

المناقشة:

س ١ ــ ما حكم من أنكر خلق الله لشيء من مخلوقاته؟
س ٢ ــ هل يكفر المتأول؟
س ٣ ــ ما حكم الجاهل في أرض الشرك إن ارتكب مكفرا؟.

وتشهد أنه لم يفوض الأعمال إلى أحد، والناس صائرون إلى ما خلقوا له، وإلى ما جرت به المقادير ـ فقلت له: رأيت: إن أقر بهذا كله لكنه قال: المشيئة إلى إن شئت آمنت، وإن شئت لم أؤمن لقوله تعالى: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾.

فقال: كذلك في زعمه، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿كلا إنه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون إلا أن يشاء الله﴾.

اللغة: (يفوض) يوكل (زعمه) الزعم هو الظن، وأكثر ما يستعمل إذا كان باطلا.

الشرح: أضاف إلى ذلك أمراً آخر، وهو الإيمان بأن الله تعالى لم يفوض الأعمال إلى أحد من الخلق، يعمل ما يشاء مستقلاً عن إرادة الله ومشيئته وقدره، فالله تعالى قد خلق للإنسان مشيئة وإرادة، لكنها لا تستقل عن إرادة الله تعالى ومشيئته، لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]، ولقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[2] فلا أحد يعمل ما يشاء استقلالاً لكنه إنما يتحرك في إطار ما كتبه الله وقدره وقضاه، وكل إنسان صائر إلى ما أراده الله وقضاه عليه، وإلى ما جرت به أقدار الله عز وجل، لا يخرج أحد عن قدر الله طرفة عين، وهنا سأله السائل عن حكم من أقر بهذا، لكنه زعم أن المشيئة إليه مستقلة عن مشيئة الله، وأنه إن أراد آمن وإن أراد كفر استقلالاً عن مشيئة الله، واستدل بقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن

---

(١) سورة التكوير الآية (٢٩).

(٢) سورة الصافات الآية (٩٦).

.....

شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[١] ورد الإمام عليه بأنه كاذب في زعمه ذلك، لقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ۝٥٤ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝٥٥ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۝٥٦﴾[٢]، فهناك مشيئة للعبد، لكنها مخلوقة لله، وأياً ما كان اختيار العبد فهو مخلوق لله تعالى مقدور له، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾[٤] فهذا يؤيد ما ذهب إليه الإمام.

(١) سورة الكهف الآية (٢٩).

(٢) سورة المدثر الآيات (٥٤: ٥٦).

(٣) سورة الزمر الآية (٦٢).

(٤) سورة الفرقان الآية (٢).

وقال تعالى: ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله ﴾ وقوله تعالى: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ هذا وعيد وبهذا لم يكفر، لأنه لم يرد الآية، وإنما أخطأ في تأويلها ولم يرد به تنزيلها ـ قلت له: إن قال إن أصابتني مصيبة (فسئلت) أهي مما ابتلاني الله بها أو هي مما اكتسبت (أجاب قائلا) ليست هي مما ابتلاني الله بها أيكفر؟
قال: لا قلت: ولم؟ قال: لأن الله تعالى قال: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ ـ أي بذنبك وأنا قدرته عليك، وقال: ﴿وما أصابك من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ أي بذنوبكم، وقال تعالى: ﴿يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾ قال: إلا

اللغة: (وعيد) تهديد (ابتلاني) أصابني (قدرته) كتبته عليك (يضل) يصرف عن الهدى.

الشرح: وقول الله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[1] صريح في أن العباد لا يختارون إلا ما اختاره الله لهم وأراده لهم، وهم وإن كانت لهم مشيئته فعلاً إلا أنها مخلوقة لله تعالى، قال عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[2] ولذلك فإنهم لا يخرجون عما قدر الله لهم، وقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[3] ليس على إرادة التخيير وإباحة اختيار الكفر، لكنه وعيد وتهديد، كما يقول الابن لأبيه: إذا ضربتني فسأكسر الكأس. فيقول له اكسرها إذا شئت فهذا ليس للتخيير، إنما هو للتهديد، وحكم أبو حنيفة بعدم كفر من أخطأ في

---

(١) سورة التكوير الآية (٢٩).
(٢) سورة الصافات الآية (٩٦).
(٣) سورة الكهف الآية (٢٩).

أنه أخطأ في التأويل، ومعنى قوله يحول بين المرء وقلبه) أي بين المؤمن والكفر، وبين الكافر والإيمان.

تأول الآية، من حيث إنه لم يجحد التنزيل، ولم يرد الآية عموماً، ثم سأله السائل عمن قال: إن المصائب ليست بابتلاء الله وإنما هي بكسبي وبذنوبي؟ فأجاب أبو حنيفة بأنه لا يكفر، لأن الله تعالى قال: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[1] وقال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[2] أي بسبب ذنوبكم وخطاياكم، ولا يمنع هذا من كونها قدراً، فإن الذنوب وعواقبها كلها تجري بقدر، وكلها مما كتب الله على عباده، فلا تنافي بين هذا وهذا من هنا حكم أبو حنيفة بأن من ربط المصائب بالذنوب فقط إنما أخطأ في التأويل فلا مسوغ لتكفيره وإخراجه من الإسلام.

ثم بين معنى قوله تعالى: ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾[3] بأنه يحول بين المؤمن والكفر إذا نازعته نفسه، وبين الكافر والإيمان، وهذا القول منقول عن ابن عباس والضحاك وسعيد بن جبير وغيرهم، وهو أحد الأقوال في تفسير الآية وما رجحه ابن جرير أن المراد: أن الله تعالى أقرب لقلوب العباد وأملك لها منهم، فيشمل ذلك كل ما قيل في تفسير الآية[4].

---

(١) سورة النساء الآية (٧٩).

(٢) سورة الشورى الآية (٣٠).

(٣) سورة الأنفال الآية (٢٤).

(٤) انظر تفسير الطبري (٦/٢١٥).

الخلاصة:

إن مشيئة الله تعالى نافذة في كل شيء، والله تعالى خلق للإنسان مشيئه لكنها لا تستقل عن مشيئة الله تعالى، فالإنسان إذا شاء أمراً فإنما يختار ما اختاره الله له.

المناقشة:

س ١ ــ هل للإنسان مشيئة أم لا؟ وهل هي مستقلة؟
س ٢ ــ ما الدليل على أم مشيئة الإنسان مخلوقة؟
س ٣ ــ هل يستطيع مخلوق أن يخرج عن مشيئة الله؟.

كلامه عن الاستطاعة

قال أبو حنيفة رحمه الله: (إن الاستطاعة التي يعمل بها العبد المعصية هي بعينها تصلح لأن يعمل بها الطاعة، وهو معاقب في صرف الاستطاعة التي أحدثها الله تعالى فيه، وأمره أن يستعملها في الطاعة دون المعصية) قلت فإن قال: (الله تعالى لم يجبر عباده على ذنب ثم يعذبهم عليه فماذا نقول له؟).

اللغة: (الاستطاعة) القدرة والطاقة (يجبر) يكره.

الشرح: يبين أبو حنيفة رحمه الله أن الاستطاعة والقدرة عند العبد التي يفعل بها المعصية هي نفسها تصلح لأن يعمل بها الطاعة إذا أراد، وذلك لأن الاستطاعة نوعان: نوع قبل الفعل وهي بمعنى التمكن وسلامة الأدوات وهي التي يتعلق بها التكليف، وتتعلق بها الإرادة الشرعية، واستطاعة مقارنة للفعل وسابقة له وهي التي يوجد بها الفعل، وتتعلق بها الإرادة الكونية قال الطحاوي رحمه الله في عقيدته: «والاستطاعة التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به، تكون مع الفعل، وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات فهي قبل الفعل وبها يتعلق الخطاب وهو كما قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1][2].

وبين رحمه الله أن العبد معاقب في صرفه الاستطاعة والقدرة هذه إلى المعصية، لأنه لما كان في وسعه أن يصرفها إلى الطاعة، واختار المعصية كان ملوماً في ذلك، مستحقاً للوزر والتثريب، وذلك لأن الله خلق فيه

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٨٦).

(٢) (انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٢٦).

هذه الاستطاعة، وأمره شرعاً أن يستعملها في الطاعة، والعبد مطالب ومكلف بالأمر الشرعي لا الكوني، فلما كان مخالفاً كان مستحقاً للوم والعقوبة لمخالفته الأمر الشرعي فيما هو مقدور له ومستطاع له، ثم سأله السائل عمن قال إن الله تعالى لم يجبر عبادة على المعصية وأنه لا يليق أن يجبرهم على الذنب ثم يعذبهم عليه، باعتبار أن هذا ينافي العدل وهذا ما قالت به القدرة، فأجاب

الرد على من زعم أن الله لم يخلق الشر

قال له هل يطيق العبد لنفسه ضرا ولا نفعا؟ فإن قال: لا لأنهم مجبورون في الضر والنفع ما خلا الطاعة والمعصية. فقل له: هل خلق الله الشر؟ فإن قال: نعم. خرج من قوله، وإن قال: لا كفر لقوله تعالى: ﴿قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق﴾ أخبر أن الله تعالى خلق الشر ـ قلت: فإن قال: ألستم تقولون إن الله شاء الكفر وشاء الإيمان. فإن قلنا: نعم.
يقول: أليس الله تعالى يقول: ﴿هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾ نقول: نعم.

اللغة: (يطيق) يستطيع (مجبورون) مكرهون (أعوذ) ألتجيء وأتحصن (الفلق) الصبح ينشق من ظلمة الليل (التقوى) حقيقتها اتخاذ الحاجز والوقاية.

الشرح: أبو حنيفة بأن يسأل مثل هذا: هل يملك العبد لنفسه ضراً ولا نفعاً، فإن قال لأنهم مجبورون في الضرَ والنفع فليس هذا إليهم، كما قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾[1]، ولكنهم غير مجبورين في الطاعة والمعصية، فهذا يقال به: هل خلق الله الشر؟ فإن قال: نعم ـ فقد رجع عن قوله الأول حيث إنه بهذا يثبت أن الله خالق الشر وليس الإنسان، وإن قال: لا، لم يخلق الله الشر، فقد كفر لأنه مكذب بقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝﴾[2] حيث إن هذه الآية فيها إخبار من الله تعالى بأنه

---

(١) سورة يونس الآية (٤٩).
(٢) سورة الفلق الآيتان (١: ٢).

خالق الشر كما خلق الخير ومعلوم أنه تعالى خالق لكل شيء، وكلامه هنا فيه رد على القدرية، ولو أن هذا القائل احتج على أهل الحق فقال: ألستم تقولون إن الله تعالى هو الذي شاء الإيمان والكفر وأراد أن يوجد؟ فإن قالوا: نعم. قال ذلك القائل لهم: أليس الله تعالى يقول: ﴿ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾ ﴾[1] وها هنا لو أجابوه بنعم، فإنه يقول لهم: أهو - الله الله تعالى -

(١) سورة المدثر الآية (٥٦).

فيقول: أهو أهل الكفر؟ فما نقول له؟ قال: نقول: هو أهل لمن يشاء الطاعة وليس بأهل لمن يشاء المعصية. فإن قال: إن الله تعالى لم يشأ أن يقال عليه الكذب. فقل له: الفرية على الله من الكلام والمنطق أم لا؟ فإن قال: نعم. فقل: من علم آدم الأسماء كلها؟ فإن قال: الله. فقل: الكفر من الكلام أم لا؟ فإن قال: نعم. فقل: من أنطق الكافر؟ فإن قال: الله. خصموا أنفسهم، لأن الشرك من النطق، ولو شاء الله لما أنطقهم به. قلت: فإن قال: إن الرجل

اللغة: (أهل) أي مستحق (الفرية) الكذب (المنطق) أي النطق.

الشرح: أهل الكفر ـ أي مستحق لأن يكفر به الناس ـ؟ فعلمه أبو حنيفة أن يجيب عن مثل هذا بأن الله تعالى أهل ومستحق للطاعة لمن شاء وليس بأهل للمعصية والكفر لمن شاء ذلك، ولو فرضنا أن هذا القائل قال إن الله تعالى لم يشأ ذلك، ولو فرضنا أن هذا القائل قال إن الله تعالىٰ لم يشأ ولم يقدر أن يقال عليه الكذب، فالجواب أن يقال هل الافتراء والكذب على الله من الكلام والنطق أم لا؟ فإن قال: نعم ولا يسعه غير ذلك ـ فيقال له: من علم آدم الأسماء كلها؟ فإن قال: الله ـ ولا يسعه غير ذلك ـ فيقال له: الكفر من الكلام أم لا؟ فإن قال: نعم: ـ ولا يسعه غير ذلك ـ فيقال له: من الذي أنطق الكافر وأقدره على أن يقول كلمة الكفر «ولقد قالوا كلمة الكفر»[1]، فإن قال: الله فقد أبطل حجته، وأظهر بطلانه، حيث إنه

---

(١) سورة التوبة الآية (٧٤).

قد أقر بأن الله تعالى هو الذي جعل الكافر ينطق بكلمة الكفر، حيث إن النطق بالشرك كلام ولا يقال إن إرادة الكافر غلبت إرادة الله فنطق بما لم يرد الله أن ينطق به، ولكن يقال بأن نطقه إنما كان بإرادة الله ومشيئته، قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[1] فكل قول يصدر من البشر، بما فيه الكفر، إنما هو بمشيئة الله، وخلق لله عز وجل، وهنا سئل أبو حنيفة عما إذا قال القائل: إن الرجل هو الذي إن

(١) سورة الصافات الآية (٩٦).

إن شاء فعل، وإن شاء لم يفعل، وإن شاء أكل وإن شاء لم يأكل، وإن شاء شرب وإن شاء لم يشرب. قال: فقل له: هل حكم الله على بني إسرائيل أن يعبروا البحر وقدر على فرعون الغرق؟ فإن قال: نعم ـ قل له: فهل يقع من فرعون أن لا يسير في طلب موسى وألا يغرق هو وأصحابه فإن قال: نعم ـ فقد كفر وإن قال: لا ـ نقض قوله السابق.

اللغة: (حكم) قضى وقدر (نقض) أبطل.

الشرح: شاء فعل الشيء، وإن شاء لم يفعله، وإن شاء أكله وإن شاء لم يأكل، وإن شاء شرب وإن شاء لم يشرب، وهذا وإن كان ظاهرة حقا فمراد القائلين به في الحقيقة نفي مشيئة الله تعالى وإضافة الفعل إلى العبد استقلالاً دون اعتبار لدخول مشيئة العبد في مشيئة الله تعالى.

فأجاب أبو حنيفة رحمه الله بأن مثل هذا يقال له: هل حكم الله وقضى وقدر أن يعبر بنو اسرائيل البحر وأن يغرق فرعون؟ فإن قال: نعم ـ وذلك لإقراره بأن النفع والضر ليس للعبد فيه ارادة ـ فهنا يقال له: هل يجوز أن يقع من فرعون عدم السير والخروج لإدراك موسى ومن معه وبالتالي، الا يغرق هو وأصحابه؟ فإن أجاب بنعم، فإنه يكفر لزعمه بجواز أن يخرج أحد عما قدر الله عليه، وإن قال: لا فقد نقض وأبطل قوله السابق حيث إنه أراد في الحقيقة نفى أن يكون الله تعالى هو الذي أراد أن يقع الشر وأراد أن تقع المعصية، وهذا منه رحمه الله رد على القدرية.

الخلاصة:

استطاعة العبد للمعصية هي نفسها التي تستطاع بها الطاعة، ولهذافالعبد معاقبة في صرفه الاستطاعة إلى المعصية، والخير والشر كائنات بإرادة الله تعالى وخلقه والعبد وإن كان مريداً، لكن إرادته داخله في إرادة الله عز وجل.

المناقشة:

س ١ ــ تكلم عن الاستطاعة وأنواعها عند العبد. وما التي يتعلق بها الخطاب الشرعي؟

س ٢ ــ هل للعبد مشيئته في فعل الخير والشر أم لا؟ وهل تخرج عن مشيئة الله؟

س ٣ ــ بماذا تجيب على من زعم أن مشيئة العبد مستقله عن مشيئة الله.

باب (في القدر)

قال: حدثنا علي بن أحمد عن نصير بن يحيى قال: سمعت أبا مطيع يقول: قال أبو حنيفة رضي الله عنه: حدثنا حماد عن إبراهيم عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم علقة مثل ذلك ثم مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه ملكاً يكتب عليه رزقه وأجله وشقي أم سعيد، والذي لا إله غيره! إن الرجل ليعمل عمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيموت فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيعمل بعمل أهل النار فيموت في فيدخلها».

اللغة: (نطفة) لغة: الماء الصافي واللؤلؤة الصغيرة الصافية، والمراد هنا ماء الرجل (علقة) المراد هنا قطعة الدم التي يتكون منها الجنين (مضغة) المراد بها قطعة اللحم طور من أطوار الجنين في بطن أمه (ذراع) الذراع في الإنسان من طرف المرفق إلى طرف الإصبع الوسطى.

الشرح: بدأ أبو حنيفة رحمه الله كلامه عن القدر بسوقه لحديث بن مسعود رضي الله عنه مرفوعا: «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه...»[1] وهذا الحديث من أعظم الأدلة في باب القدر، فإنه أثبت أن الله علم وكتب الرزق، والأجل والعمل والمصير، كل ذلك قبل

(١) الحديث أخرجه: البخاري (٦/٤١٨) ح٣٣٣٢ في أحاديث الأنبياء باب خلق آدم وذريته، ومسلم (٤/٢٠٣٦) ح٢٦٤٣ في أول القدر كلاهما من حديث زيد بن وهب عن ابن مسعود مرفوعا، ووفيه ذكر (العمل) مع الأجل والرزق وشقي أو سعيد.

.....

العمل وأثبت أنه لا خروج لأحد عما قدره الله له وكتبه عليه، وأن الكل يرجع إلى ما قدر الله تعالى وأراده، كما أنه من دلائل نبوة النبي ﷺ حيث أثبت أطوار الخلق ومراحله كما كشف عنها العلم الحديث، فصلوات الله وسلامه عليه، ثم سئل عمن تصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقويت شوكته فخرج على الجماعة؟ فنهى عن ذلك أبو

باب في (البغي والخروج على الإمام)

قلت: فما تقول فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيتبعه على ذلك ناس فيخرج على الجماعة، هل ترى ذلك؟ قال: لا. قلت: ولم؟ وقد أمر الله تعالى ورسوله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا فريضة واجبة. فقال: هو كذلك، لكن ما يفسدون من ذلك أكثر مما يصلحون، من سفك الدماء، واستحلال المحارم وانتهاب الأموال، وقد قال الله تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾.

قلت: فنقاتل الفئة الباغية بالسيف؟ قال: نعم، تأمر وتنهي فإن قبل وإلا قاتلته، فتكون مع الفئة العادلة وإن كان الإمام جائرا، لقول النبي عليه الصلاة والسلام: «لا يضركم جور من جار ولا عدل من عدل، لكم أجركم وعليه وزره» قلت له:

اللغة: (سفك الدماء) المراد به إهراق الدم الحرام (استحلال المحارم) أي الوقوع فيما حرم الله (انتهاب الأموال) أي أخذ الأموال المحرمة (بغت) ظلمت وجارت (تفيء) ترجع (جائرا) ظالما (وزره) أي ذنبه وإثمه.

الشرح: حنيفة، ولما استغرب السائل ذلك مع ورود الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووجوبه، فسر أبو حنيفة ذلك بأن الذين يفعلون ذلك يقعون في فساد أكبر مما قاموا لأجله من الإصلاح، لأن خروجهم على جماعة المسلمين يحدث من ورائه الفتن فتسفك الدماء التي حرم الله تعالى، وتستحل المحارم وتنتهك، وتضيع الأموال المصونة وتنهب، فيكون

بسبب ذلك فساد كبير، وشر مستطير، وقد أمر الله تعالى في كتابه بالإصلاح بين المتقاتلين من المسلمين، ثم قتال الباغين حيث قال تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ . . . ﴾[1] فدل ذلك على وجوب الإصلاح أولاً ثم على وجوب قتال البغاة بعد ذلك، حتى يرجعوا إلى أمر الله تعالى وهنا سأله السائل: هل يقاتل البغاة بالسيف؟ فأجابه أبو حنيفة بنعم. ولكن بعد الأمر والنهي فيدعى الباغي للتوبة فإن أبى قوتل، ويكون المرء مع الفئة العادلة والتي هي جماعة المسلمين حتى ولو كان إمامها جائرا، ما دامت له البيعة، وما دام لم يأتب كفر بواح لنا من الله فيه برهان، فلا يحل قتاله، واستدل أبو حنيفة بالحديث «لا يضركم جور من جار ولا عدل من عدل، لكم أجركم وعليه وزره»[2]

(١) سورة الحجرات الآية (٩).

(٢) لم أقف عليه.

ما تقول في الخوارج المحكمة؟ قال: هم أخبث الخوارج. قلت له: «أنكفرهم؟» قال: لا ولكن نقاتلهم على ما قاتلهم الأئمة من أهل الخير وعلي وعمر بن عبدالعزيز. قلت:

اللغة: (الخوارج) هم الذين خرجوا على إمام الهدى علي بن أبي طالب رضي الله عنه (المحكمة) من ألقابهم حيث أنكروا تحكيم الحكمين، أبي موسى وعمرو، وقالوا إن الحكم إلا لله. (أخبث) أشر.

الشرح: أي أن الواجب على الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليسوا مسؤولين عن عدل العادل أو جور الجائر من الحكام، ما داموا قائمين بالأمر والنهي، فلهم أجرهم وأما الجائر من أولئك فعليه وزره. ثم سأله السائل عما يقال في الخوارج المحكمة؟ وهم الذين خرجوا على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بعد وقعة صفين وبعد موافقته على طلب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه على تحكيم أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص، وهنا ثار الخوارج واتهموا عليا بالكفر وقالوا قولتهم المشهورة ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[1] وهذه آية من كتاب الله، ولكن قال لهم عليّ: كلمة حق أريد بها باطل. فهؤلاء لما رفضوا التحكيم وقالوا قولتهم هذه، سموا محكمة وقد حكم أبو حنيفة بأنهم أخبث وأشر الخوارج، ولما سئل عن تكفيرهم أنكره وذلك لأن عليا والصحابة لم يكفروهم، بل قال علي: إخواننا بغوا علينا ولكن حكم أبو حنيفة بأنهم يقاتلون على ما قاتلهم عليه الأئمة من أهل الخير حتى يرجعوا إلى الحق وإلى جماعة المسلمين ويرجعوا عن باطلهم.

---

(١) سورة يوسف الآية (٤٠).

فإن الخوارج يكبرون ويصلون ويتلون القرآن، أما تذكر حديث أبي أمامة رضي الله عنه حين دخل مسجد دمشق، فإذا فيه رؤوس ناس من الخوارج فقال لأبي غالب الحمصي: يا أبا غالب! هؤلاء ناس من أهل أرضك فأحببت أن أعرفك من هؤلاء، هؤلاء كلاب أهل النار، وهم شر قتلى تحت أديم السماء ـ وأبو أمامة في ذلك يبكي ـ فقال أبو غالب: يا أبا أمامة ما يبكيك؟ إنهم كانوا مسلمين وأنت تقول لهم ما أسمع؟ قال: أهؤلاء يقول الله تعالى فيهم: ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون. وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون﴾ قال له: أشيء تقوله برأسك أم سمعته من رسول الله ﷺ قال: إني لو لم أسمعه منه إلا مرة أو مرتين أو ثلاث مرات إلى سبع مرات لما حدثتكموه.

اللغة: (يتلون) يقرأون (أديم السماء) أديم كل شيء ظاهره، والمراد هنا ليس تحت السماء.

الشرح: ولما استغرب السائل مسألة قتال الخوارج وهم يكبرون ويؤدون الصلاة ويقرأون القرآن، أورد على أبي حنيفة حديثا لأبي أمامة رضي الله عنه لما رأى رؤوسا لأناس من قتلى الخوارج موجودة في مسجد دمشق، فأخبر أبو أمامة رضي الله عنه صاحبه أبا غالب بحقيقة ما عليه هؤلاء الخوارج من أنهم كلاب أهل النار وأشر أهل النار ومن قتل منهم فهو شر قتيل على وجه الأرض وتحت قبة السماء، وكان أبو أمامة يبكي رضى الله عنه، فقال له صاحبه إن هؤلاء كانوا مسلمين فكيف تقول فيهم هذا القول فنبهه أبو أمامة

.....

رضي الله عنه أن هؤلاء ممن قال الله فيهم: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ . . . خَالِدُونَ﴾[1] فهؤلاء لما فرقوا جماعة المسلمين واستحلوا المحارم استحقوا الجزاء المترتب على ذلك وهو سواد الوجه يوم القيامة لأنهم فرقوا الدين وفرقوا الجماعة، ثم لما سأله صاحبه عن هذا الكلام في حق الخوارج، أكد له أبو أمامة أنه سمعه من النبي ﷺ[2]، والأحاديث الواردة في ذكر الخوارج وذمهم كثيرة معلومة.

(١) سورة آل عمران الآيتان (١٠٦، ١٠٧).

(٢) أخرجه بتمامه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/٥٤٤/رقم ٣٧٨٩٢) باب ما ذكر في الخوارج من رواية أبي غالب عن أبي أمامة رضي الله عنه.

فكفر الخوارج كفر النعم، كفر بما أنعم الله تعالى عليهم. قلت: الخوارج، إذا خرجوا وحاربوا وأغاروا ثم صالحوا هل يتبعون بما فعلوا؟ قال: لا غرامة عليهم بعد سكون الحرب، ولا حد عليهم، والدم كذلك لا قصاص فيه. قلت: ولم ذلك؟ قال: للحديث الذي جاء أنه لما وقعت الفتنة بين الناس في قتل عثمان رضي الله عنه فاجتمعت الصحابة رضي الله عنهم على أن من أصاب دماً بتأويل فلا قود عليه، ومن أصاب فرجاً حراماً بتأويل فلا حد عليه، ومن أصاب مالاً بتأويل فلا تبعة عليه إلا أن يوجد المال بعينه فيرد إلى صاحبه. قلت: قال قائل: لا أعرف الكافر كافراً. قال: هو مثل. قلت: فإن

اللغة: (كفر النعم) ضد الشكر وهو غير مخرج من الملة (أغاروا) هاجموا وشنوا الغارة (يتبعون) أي يلتمسون بغرض القصاص واستقضاء الحق (قود) هو القصاص.

الشرح: ثم بين رحمه الله أن كفر الخوارج كفر نعمة وليس كفرا مخرجا من الملة، بل هو انحراف عن الشكر الواجب في نعمة الله تعالى، وهنا سأله السائل عما إذا حارب الخوارج وأغاروا أي بدأوا بالغارة والهجوم على الناس ثم وقع الصلح هل يلتمسون ويبحث عنهم بغرض القصاص منهم؟ فأجابه بأنه بعد سكون الحرب وتوقف القتال، فليس عليهم غرامة ولا عقوبة ولا حد، ولا يقتص للدماء التي اهريقت، فسأله السائل عن السبب. فأجاب بأنه لما وقعت الفتنة بين الناس بسبب قتل عثمان رضي الله عنه اتفقت الصحابة على أن من أصاب دما - أي قتل - بتأويل - أي بخطأ من التفسير والفهم وخطأ ظن - فليس عليه قصاص، وأن من أصاب فرجاً حراماً

بتأويل ـ أي باعتقاد حله ـ فلا حد عليه، وأن من أصاب مالاً بتأويل ـ أي باعتقاد حله ـ فلا تبعة عليه ـ أي لا عقوبة ولا حد عليه ـ إلا إذا عثر على هذا المال بعينه لا غيره ولا شبهه فحينئذ يرد إلى صاحبه الأصلي، ثم سأله السائل عن حكم من قال لا أعرف الكافر كافراً، أي نفى أن يكون الكافر المقطوع بكفره كافراً، كالذي ينفي الكفر عن يهودي أو نصراني، فأجابه الإمام بأنه والحالة هذه يكون كافراً مثله، وذلك لأن من أصول أهل السنة الحكم بالكفر على كل من ورد تكفيره نصاً في الكتاب والسنة، والطوائف التي ورد الحكم نصاً كذلك بتكفيرها، وكذلك من أجمع أهل العلم على كفره.

الخلاصة:

لا يجوز الخروج على الإمام العدل، وأما كفر الخوارج فهو كفر نعمة، وليس كفرا أكبر.

المناقشة:

س١ ــ هل يجوز الخروج على الإمام؟

س٢ ــ هل الخوارج كفار أم لا؟

قال: لا أدري أين مصير الكافر؟ قال: هو جاحد لكتاب الله تعالى وهو كافر.

القول فيمن يشك في إيمانه

قلت له : فما تقول لو أن رجلاً قيل له : أمؤمن أنت ؟ قال: الله أعلم. قال: هو شاك في إيمانه. قلت: فهل بين الكفر والإيمان منزلة إلا النفاق وهو أحد الثلاثة إما مؤمن أو كافر أو منافق؟ قال: لا ليس بمنافق من يشك في إيمانه.

قلت: لم؟ قال: لحديث صاحب معاذ بن جبل وابن مسعود، حدثني حماد عن حارث بن مالك ـ وكان من أصحاب معاذ بن جبل الأنصاري ـ فلما حضره الموت بكى.

اللغة: (مصير) أي مآل (جاحد) منكر (منزلة) درجة أو مكانة.

الشرح: ثم سأله السائل عمن قال: لا أعرف أين مصير الكافر؟ فحكم أبو حنيفة بجحوده للقرآن وبكفره، لأن الله تعالى قال في كتابه: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾[1] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[2] وقال: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ﴾[3] ثم سأله السائل عمن سئل: أنت مؤمن؟ فقال: الله أعلم، فهنا حكم أبو حنيفة بأنه شاك في إيمانه، ولما أراد السائل الحكم عليه بالنفاق لأن الناس إما مؤمن وإما منافق وإما كافر،

---

(١) سورة الزمر الآية (٧١).

(٢) سورة التغابن الآية (١٠).

(٣) سورة الكهف الآية (١٠٢).

ولكن أبو حنيفة نفى أن يكون الشاك في إيمانه منافقا واستدل بحديث يأتي ذكره.

تنبيه: يستدرك على أبي حنيفة هنا، أنه قد يقول المسؤول عن إيمانه: الله أعلم ويكون مراده ليس الشك في إيمانه، ولكن يريد عدم تزكية النفس، وقد يريد رد العلم إلى الله باعتبار ما يصير إليه، فإن الأعمال بالخواتيم، والمآل مرده إلى الله وقد يقول الرجل إنه مؤمن وهو عند الله تعالى من أهل النار، وقد يريد أنه ليس مستوفياً لكل شعب الإيمان إذ لا ينفك الإنسان عن القصور والنقص ومن هنا أجاز جماعة من أهل العلم أن يقول الإنسان عن نفسه: أنا مؤمن إن شاء الله، ليس على سبيل الشك في الإيمان، ولكن باعتبار ما سبق الكلام عنه.

قال معاذ: ما يبكيك يا حارث؟ قال: ما يبكيني موتك، قد علمت أن الآخرة خير لك من الأولى، لكن من المعلم بعدك؟ ويروى: من العلم بعدك؟ قال: مهلاً وعليك بعبدالله بن مسعود. فقال له: أوصني. فأوصاه بما شاء الله ثم قال: احذر زلة العالم قال: فمات معاذ وقدم الحارث الكوفة إلى أصحاب عبدالله بن مسعود فنودي بالصلاة فقال الحارث: قوموا إلى هذه الدعوة، حق لكل مؤمن سمعه أن يجيب. فنظروا إليه وقالوا: إنك لمؤمن. قال: نعم إني لمؤمن فتغامزوا به، فلما خرج عبدالله قيل له ذلك فقال للحارث مثل قولهم، فنكس الحارث رأسه وبكى، وقال: رحم الله معاذا فأخبر به ابن مسعود، فقال له: أنك لمؤمن؟ قال: نعم. قال: فتقول إنك من أهل الجنة؟ قال: رحم الله معاذا، فإنه أوصاني أن أحذر زلة العالم والأخذ بحكم المنافق. قال:

اللغة: (عليك) الزم (احذر) توق واجتنب (زلة) خطأ وعثرة وذلك لأن زلة العالم يزل بها ناس كثير (تغامزوا به) أشار بعضهم إلى بعض بالأعين أو الأيدي (نكس) خفض وطأطأ.

الشرح: ثم شرع أبو حنيفة في الاستدلال لقوله فذكر بسنده أن الحارث صاحب معاذ بن جبل بكى عند موت معاذ وسأله عن العالم بعده، فأوصاه بعبدالله بن مسعود رضي الله عنه وحذره من زلة العالم، فلما قدم الحارث الكوفة لقي أصحاب ابن مسعود، ثم سمع المنادي للصلاة فصاح بالناس لإجابة المنادى، فاستغربوا ذلك منه وقالوا له أنت مؤمن؟ فقال: نعم إني لمؤمن، فجزم بذلك يقينا، ولما سمع القوم ذلك منه تغامزوا به، فلما حضر ابن مسعود رضي الله عنه حكوا له كلام

الرجل فاستغرب ذلك منه واستنكره، فخفض الحارث رأسه وبكى، واسترحم على معاذ بن جبل رضي الله عنه، وهنا سأله ابن مسعود هل يجزم بإيمانه؟ فجزم الحارث بإيمانه، فسأله ابن مسعود عما إذا كان يجزم لنفسه بالجنة، وذلك لأن الجزم بالإيمان الكامل الصحيح على الوجه المقبول يلزم منه الجزم بالجنة، فإن الله تعالى يدخل الجنة المؤمنين الصادقين المستوفين لشعب الإيمان، الطائعين لله، ولا يدخلهم النار هكذا بغير سبب من معصية غالبة أو غيرها، وهنا استرحم الحارث على معاذ وذكر تحذيره له من زلة العالم أي خطأه ومن أن يأخذ بحكم منافق.

فهي من زلة رأيت؟ قال: نشدتك بالله، أليس النبي ﷺ كان، والناس يومئذ على ثلاث فرق: مؤمن في السر والعلانية، وكافر في السر والعلانية، ومنافق في السر ومؤمن في العلانية، فمن أي الثلاث أنت؟ قال: أما أنا فإذا ناشدتني بالله فإني مؤمن في السر والعلانية. قال: فلم لمتني حيث قلت: إني لمؤمن؟ قال: أجل. هذه زلتي فادفنوها عليّ. فرحم الله معاذا. قلت لأبي حنيفة رحمه الله: فمن قال إني من أهل الجنة؟ قال: كذب. لا علم له به.

اللغة: (نشدتك) يقال نشده بكذا أي ذكره به واستعطفه (ادفنوها على) اكتموها عني.

الشرح: فاستغرب ذلك ابن مسعود رضي الله عنه وسأله: هل رأيت زلة؟ وهنا نشده الحارث بالله من أي الفرق هو؟ من المؤمنين ظاهرا وباطنا، أم من الكفار ظاهرا وباطنا أم من المنافقين؟ فأجابه ابن مسعود أنه من المؤمنين، وهنا سأله الحارث عن سبب لوم ابن مسعود له عندما جزم لنفسه بالإيمان، فرجع ابن مسعود عن قوله إلى قول الحارث واسترحم على معاذ بن جبل رضي الله عنه[1].

تنبيه: أقول: هذه القصة تنافي عقيدة السلف في جواز الاستثناء في الإيمان، ولكنها لا حجة فيها لأنها لم تصح من جهة إسنادها، فالصواب أن يقول المؤمن إذا سئل: أنا مؤمن إن شاء الله، احترازاً عن التزكية وتفويضاً لعلم المآل والمصير إلى الله تعالى، وليس على سبيل الشك في إيمانه، وإنما مشاهدة التقصير في كمال الإيمان وهنا سأل أبو

---

(١) انظر جامع المسانيد (١/١٣٣) بنحوه.

.....

مطيع أبا حنيفة رحمه الله عن حكم من قال إنه من أهل الجنة جازماً بذلك، فرد الإمام بأنه كاذب لأن هذا مما استأثر الله بعلمه، والواجب ألا يجزم المسلم لنفسه أو لغيره من المسلمين بجنة أو نار، فالأول أمن من مكر الله، وقد قال تعالى: ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[1] والثاني قنوط من رحمة الله وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾[2] والمسلم يعلم أن المآل والمصير في الآخرة غيب مرده إلى الله تعالى، لا يجزم أحد من المسلمين فيه بشيء.

الخلاصة:

الاستثناء في الإيمان بغرض التحرز من التزكية يجوز وأما على معنى الشك فلا يجوز بحال.

المناقشة:

س١ ــ هل يجوز الاستثناء في الإيمان؟

س٢ ــ ما حكم من شك في إيمانه؟

---

(١) سورة الأعراف الآية (٩٩).

(٢) سورة الحجر الآية (٥٦).

المؤمن قد يعذب بذنوبه

قال: والمؤمن من يدخل الجنة بالإيمان فيعذب في النار بالأحداث. قلت: فإن قال: إنه من أهل النار؟ قال: كذب لا علم له به، قد يأس من رحمة الله تعالى قال أبو حنيفة رحمه الله: ينبغي أن يقول: أنا مؤمن حقا. لأنه لا يشك في إيمانه قلت: أيكون إيمانه كإيمان الملائكة؟ قال: نعم. قلت: وإن قصر عمله فإنه مؤمن حقاً قال: فحدثني بحديث حارثة أن النبي ﷺ قال له: كيف أصبحتم؟ قال: أصبحت مؤمناً حقاً. قال: انظر ما تقول فإن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك؟ فقال: عزفت نفسي عن الدنيا حتى أظمأت نهاري وأسهرت ليلي، فكأني أنظر إلى

اللغة: (أيس) يئس (عزفت) يقال عزف عن كذا أي رغب عنه وزهد فيه.

الشرح: ثم بين أبو حنيفة أن المؤمن يدخل الجنة بإيمانه، أي بسبب إيمانه، ولكن الفضل لله تعالى أولاً وآخراً. وإن عذب بالنار فإنه يعذب بالأحداث ـ أي بذنوبه ـ ثم سأله السائل عن من قال إنه من أهل النار؟ فجزم أبو حنيفة بكذبه لأنه غيب لا يعلمه إلا الله، وفيه يأس من رحمة الله، وقد تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ ثم قال بأنه يجب عليه أن يقول: أنا مؤمن حقا. لأنه لا يشك في إيمانه.

---

(١) سورة يوسف الآية (٨٧).

.....

تنبيه: قلت: الاستثناء ليس معناه الشك كما تقدم، وكلام أبي حنيفة رحمه الله مباين لما عليه جماهير السلف.

وهنا سأله السائل هل يكون إيمانه كإيمان الملائكة من عبادة الله، حيث قال الله عنهم: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[1]، فجزم أبو حنيفة بأن إيمانه كإيمان الملائكة سواء بسواء، قلت: هذا مما شذ به أبو حنيفة عن أئمة أهل السنة إذ لا يعقل أن يكون إيمان الفسقة كإيمان الملائكة. ثم لما استغرب السائل ذلك استدل له أبو حنيفة رحمه الله بحديث حارثة بن مالك لما سأله النبي ﷺ: كيف أصبحت يا حارثة فقال أصبحت مؤمنا حقا فقال له النبي ﷺ: انظر ما تقول فإن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك؟ أي فما برهان إيمانك؟ فقال: زهدت نفسي في الدنيا حتى أظمأت نهاري بالصيام وأسهرت ليلي بالقيام، وكأنما أنظر

(١)سورة الأنبياء الآية (٢٠).

عرش ربي، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأني أنظر إلى أهل النار حين يتعاوون فيها، فقال رسول الله ﷺ أصبت فالزم. أصبت فالزم. ثم قال: من سره أن ينظر إلى رجل نَوَّر الله قلبه فلينظر إلى حارثة. ثم قال: يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة فدعا له بها فاستشهد.

اللغة: (يتزاورون) يزور بعضهم بعضا (يتعاوون) يصيحون ويضجون (أصبت) عرفت الحق والصواب.

الشرح: إلى عرش ربي ظاهراً أمامي، وكأني أرى أهل الجنة يتزاورون فيها أمامي وكأنما أنظر إلى أهل النار يصرخون فيها ويصيحون، وهنا قال له النبي ﷺ: أصبت فالزم - أي عرفت الحق ووصلت إلى حقيقة الإيمان ودرجة اليقين فالزم ما أنت عليه - ثم قال: من سره أن ينظر إلى رجل نور الله قلبه فلينظر إلى حارثة، فطلب منه حارثة أن يدعو له بالشهادة *فضعل فاستشهد فعلاً*[1].

تعليق: لقد استدل أبو حنيفة رحمه الله بهذا الحديث - حديث حارثة - على استواء المؤمنين في الإيمان وعلى جواز أن يقول الرجل: أنا مؤمن حقا، وما أجمل هذا الاستدلال منه رحمه الله، لو كان الحديث صحيحاً، لكنه لم يصح بحال، بل إن عامة أهل العلم قد صرحوا بعدم صحة حديث حارثة[1]، ومن المعلوم أن الاستنباط والتأويل كلها

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٣٠٢/٣) ح٣٣٦٧ من حديث محمد بن أبي الجهم عن الحارث بن مالك به والبزار (٢٦/١) ح٣٢ (كشف الأستار) من حديث ثابت عن أنس وقال البزار: تفرد به يونس وهو لين الحديث. قال الهيثمي في المجمع (٥٧/١) وفيه ابن لهيعة، وفيه من يحتاج إلى الكشف عنه. ونسبه في كنز العمال (٣٥٢/١٣: ٣٥٤) لأبي نعيم وابن عساكر والعسكري

.....

فرع للتصحيح، وما دام الحديث لم يصح، فليس هناك مجال للاستدلال به في أي أمر.

في الأمثال وابن النجار ويوسف بن عطية مجمع على ضعفه، قال الذهبي في الميزان (٤/٤٦٩) ومن مناكيره: . . . وذكر هذا الحديث وقد أورد ابن حجر في (الإصابة) (١٧٤/١٧٥) هذا الحديث وقال: قال البيهقي: هذا منكر وقد خبط فيه يوسف بن عطية الصفار وهو ضعيف جدا، قلت: وبناء على هذا لا يصح الاستدلال والاحتجاج به، فبطل ما بني عليه من تحريم الاستثناء وجواز القول: انا مؤمن حقا.

الكفار يؤمنون عند المعاينة

قلت: فما بال أقوام يقولون لا يدخل المؤمن النار قال لا يدخل النار إلا كل مؤمن قلت: والكافر؟ قال: هم يؤمنون يومئذ. قلت: وكيف ذلك؟ قال: لقوله تعالى: ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين. فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ الآية. قال أبو حنيفة رحمه الله: من قتل نفساً بغير حق أو سرق أو قطع الطريق أو فجر أو فسق أو زنى أو شرب أو سكر فهو مؤمن فاسق وليس بكافر

اللغة: (**فمال بال**): فما شأن (**بأسنا**) قوتنا وعذابنا الشديد (**فجر**) فجر وفسق بمعنى الخروج على الحق والشرع.

الشرح: ثم سأل السائل أبا حنيفة رحمه الله عما يقوله بعض الناس من أن المؤمن لا يدخل النار، فأجابه أبو حنيفة بأن النار لا يدخلها إلا كل مؤمن، فاستغرب السائل ذلك، وسأل أبا حنيفة عن الكفار، فأجابه بأنهم يؤمنون يوم القيامة حينما يعاينون العذاب، ولكن هذا الإيمان لا ينفعهم، وهم إنما يدخلون النار بسبب كفرهم في هذه الدنيا، والإنسان يحاسَب يوم القيامة على ما عمل في هذه الدنيا، واستدل أبو حنيفة رحمه الله بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾[1] فهذه الآية واضحة في أن الكفار يؤمنون عندما يعاينون العذاب، لكنه

---

(١) سورة غافر الآيتان (٨٤: ٨٦).

.....

إيمان لا ينفع كما لا تنفع التوبة عند الموت، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[1]. ثم بين أبو حنيفة رحمه الله تعالى أن المسلم إذا ارتكب كبيرة من الكبائر كأن يقتل نفساً بغير حق أو يسرق ما ليس له أو يقطع طريق الناس أو يفجر أو يفسق أو يزني أو يشرب الخمر أو يسكر ففي كل هذه الحالات هو مؤمن فاسق، أي يخرج على تعاليم الشرع، فإن الفسوق هو الخروج على أمر الله، ولكن المسلم لا يكفر بالمعصية، والله تعالى قد قدر لهذه المعاصي عقوبات بالحد أو بالتعزير لكنه لم يكفر المسلم بالمعصية، ولم يقم عليه بها حد الردة وكل النصوص الشرعية من الكتاب والسنة صريحة في أن المسلم لا يكفر بالمعصية،

(١) سورة النساء الآية (١٨).

وإنما يعذبهم بالأحداث في النار، ويخرجهم منها بالإيمان، قال أبو حنيفة رحمه الله: من آمن بجميع ما يؤمن به إلا أنه قال: لا أعرف موسى وعيسى أمرسلان هما أم غير مرسلين فهو كافر، ومن قال: لا أدري الكافر أهو في الجنة أو في النار فهو كافر، لقوله تعالى: ﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا﴾ وقال: ﴿ولهم عذاب الحريق﴾ وقال الله تعالى: ﴿ولهم عذاب شديد﴾. وقال أبو حنيفة

اللغة: (بالأحداث) أي بالذنوب.

الشرح: والله تعالى يعذب المؤمنين في النار إن عذبهم، بسبب ما أحدثوه من الذنوب والمعاصي، ثم يخرجهم منها بسبب إيمانهم، كما قال النبي ﷺ: «**يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان**»[1] وهذا ما يؤمن به أهل السنة والجماعة أن الخلود في النار ليس لأهل التوحيد وإذا عذبوا في النار بذنوبهم فإنهم يخرجون منها بإيمانهم.

ثم بين أبو حنيفة رحمه الله أن الذي يؤمن بجميع أصول الإيمان كلها، ولكنه شك في رسالة موسى وعيسى عليهما السلام فإنه يكفر وذلك لأنه شك في كلام الله تعالى، فإن القرآن أثبت رسالتهما حيث قال تعالى في حق موسى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ . .﴾[2] وقال في حق عيسى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ

---

(١) البخاري (١/١٢٧) ح٤٤ في الإيمان باب زيادة الإيمان ونقصانه ومسلم (١/١٨٢) ح١٩٣ في الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها كلاهما من حديث قتادة عن أنس مرفوعاً.

(٢) سورة هود الآيتان (٩٦: ٩٧).

.....

إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[١] وكذلك من قال لا أعرف الكافر في النار أو في الجنة فإنه يكفر لأنه شك في كلام الله تعالى، فإن الله عز وجل قد بين في كتابه بياناً واضحاً أن مصير الكفار إلى جهنم، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ ﴾[٢] وقال: ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴾[٣] وقال: ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[٤].

(١) سورة آل عمران الآية (٤٩).
(٢) سورة فاطر الآية (٣٦).
(٣) سورة البروج الآية (١٠).
(٤) سورة الشورى الآية (٢٦).

رحمه الله: بلغني عن سعيد بن المسيب أنه قال: «من لم ينزل الكفار منزلهم من النار فهو مثلهم» قلت: فأخبرني عمن يؤمن ولا يصلي ولا يصوم ولا يعمل شيئاً من هذه الأعمال هل يغني إيمانه شيئاً؟ قال: هو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء رحمه.

اللغة: (ينزل الكفار منزلهم) أي يحكم لهم بهذا المصير **(يغني)** ينفع.

الشرح: ثم أخبر أبو حنيفة رحمه الله بما بلغه عن سعيد بن المسيب رحمه الله أنه قال: من لم ينزل الكفار منزلهم من النار فهو مثلهم[1]، ومعنى ذلك أن المسلم يجب أن يحكم للكفار بالنار كما حكم الله لهم بذلك حيث قال تعالى: ﴿وَعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾[2] فلمن لم يحكم لهم بالنار فقد نفى ما أثبت الله في كتابه ولم يثبته فهو كافر، ومن شك في مآلهم فقد شك في وعد الله الحق فهو كافر كذلك، وهذا معنى كلام سعيد بن المسيب وبعد ذلك سأل السائل أبا حنيفة رحمه الله عن الذي آمن تصديقا وإقرارا، لكنه تأخر عن العمل، فلا يصلي ولا يصوم ولا يأتي بشيء من الأعمال الواجبة عليه شرعاً، هل ينفعه ذلك الإيمان، الذي هو مجرد الإقرار والتصديق؟ وهل يغني عنه ذلك شيئاً أمام الله تعالى؟ فقال أبو حنيفة رحمه الله: هو في مشيئة الله تعالى إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) سورة الرعد الآية (٣٥).

تنبيه: لأهل السنة مذهبان في حكم تارك الصلاة:

الأول: أنه مرتد خارج عن الملة، فالصلاة مستثناة من بقية الأعمال في باب التكفير، وعلى هذا أحمد وإسحاق وغيرهما.

والثاني: أنه فاسق وليس بكافر، وهو مذهب أبي حنيفة ومالك والشافعي، ومن حججهم أن الصلاة من الأعمال ولا يكفر المرء بترك الأعمال، والفرق بينهم وبين المرجئة، أن المرجئة يقولون: لا يكفر ولا ينقص إيمان بترك الصلاة، لأن الصلاة من الأعمال، والأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان، وهؤلاء يقولون ليس بكافر ولكنه ناقص الإيمان بترك الصلاة، ما عدا أبا حنيفة فإرجاؤه إرجاء فقهاء.

أثر معاذ

وقال: من لم يجحد شيئا من كتابه فهو مؤمن قال أبو حنيفة: حدثني بعض أهل العلم أن معاذ بن جبل رضي الله عنه لما قدم مدينة حمص اجتمعوا إليه وسأله شاب فقال: ما تقول فيمن يصلي ويصوم ويحج البيت ويجاهد في سبيل الله تعالى ويعتق ويؤدي زكاته غير أنه يشك في الله ورسوله؟ قال: هذا له النار. قال: فما تقول فيمن لا يصلي ولا يصوم ولا يحج البيت ولا يؤدي زكاته غير أنه مؤمن بالله ورسوله؟ قال: أرجو له وأخاف عليه. فقال الفتى: يا أبا عبدالرحمن كما أنه لا ينفع

اللغة: (يعتق) يحرر رقاب العبيد.

الشرح: وذكر أبو حنيفة رحمه الله أن من لم يجحد - أي ينكر - شيئاً من كتاب الله تعالى فهو مؤمن، وذلك بناء على أصله من أن الإيمان مجرد التصديق والإقرار ثم ذكر أبو حنيفة ما بلغه أن معاذاً رضي الله عنه سأله أهل حمص، شاب منهم، عمن يصلي ويصوم ويحج ويجاهد ويعتق ويزكي، لكنه شك في الله ورسوله؟ فجزم له معاذ بالنار، وهذا هو الحق لأنه لما شك في الله ورسوله كفر بهذا الشك لأن الإيمان لا يكون إلا بالتصديق الجازم مع الإقرار والعمل، وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ

---

(١) سورة الحجرات الآية (١٥).

أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[1]،فالكافر له النار ثم سأله الشاب عمن لا يأتي بالعمل، فلا يصلي ولا يصوم ولا يحج ولا يزكي لكنه مؤمن بالله ورسوله؟ والمقصود بإيمانه هنا مجرد تصديق القلب وإقرار اللسان فبين له أنه يرجو له النجاة بإيمانه ويخاف عليه العذاب بسبب تركه العمل الواجب عليه، وهنا قال الشاب لمعاذ: إذا كان لا ينفع

(١) سورة النور الآية (٥٠).

مع الشك عمل فكذلك لا يضر مع الإيمان شيء. ثم مضى الفتى، فقال معاذ: ليس في هذا الوادي أحد أفقه من هذا الفتى[1]، قال أبو حنيفة: فقاتل أهل البغى بالبغى لا بالكفر، وكن مع الفئة العادلة والسلطان الجائر، ولا تكن مع أهل البغى

اللغة: (**الشك**) الارتياب (**أفقه**) أعلم (**البغى**) المقصود به هنا الخروج على الإمام (**الجائر**) الظالم.

الشرح: العمل مع وجود الشك، فكذلك إن وجد التصديق مع الإقرار فلا يضر معهما شيء من الذنوب، ولا يضر معهما ترك العمل، وهنا جزم معاذ رضي الله عنه بأنه ليس في ذلك المكان أفقه من ذلك الشاب.

تنبيه: أقول: هذه الرواية غير ثابتة السند، فلا تكون حجة على الإطلاق، ثم قوله لا يضر مع الإيمان شيء، قول غلاة المرجئة، ولا يظن بأبي حنيفة أن يقول بذلك، فضلا عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، والله أعلم.

ثم بين أبو حنيفة رحمه الله أن قتال أهل البغى يكون بسبب بغيهم، كما قال تعالى: ﴿**فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله.. إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم**﴾ فأوجب قتالهم ومع ذلك لم ينف عنهم أخوة الدين، فدل على أنهم يقاتلون لبغيهم وليس لكفرهم، ثم أمر أبو حنيفة سائله أن يكون مع الفئة العادلة ولو كان إمامها جائرا، أو فاسقا في نفسه ما دام لم يخرج من الملة، ولم تنتقض بيعته، فإن فئته هي الفئة العادلة، ونهاه عن أن يكون مع الفئة الباغية الخارجة عن طاعة الإمام، وبرر أبو حنيفة رحمه الله

---

(١) انظر جامع المسانيد (١/١٦١) للخوارزمي بنحوه.

فإن كان في أهل الجماعة فاسدون ظالمون، فإن فيهم أيضاً صالحين يعينونك عليهم، وإن كانت الجماعة باغية فاعتزلهم واخرج إلى غيرهم، قال الله تعالى: ﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ وقال أيضا: ﴿إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون﴾.

اللغة: (فاسدون) فاسقون غير صالحين (فاعتزلهم) فارقهم.

الشرح: ذلك بأن الجماعة العادلة إذا وجد فيها فاسدون أو ظالمون، فإن فيهم أيضا صالحين يعينون على إصلاح الفاسدين وتحمل فسادهم، وأما إذا كانت الجماعة باغية فالواجب اعتزالهم ومفارقتهم، واللحوق بغيرهم من أهل العدل، واستدل بقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾[1] وبقوله: ﴿إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾[2] فليس هناك عذر لأحد في لحوقه بجماعة البغي الخارجة على الإمام، لأنهم لو تسلطوا حتى على البلد، فإن أرض الله واسعة، ويمكن الهجرة منها إلى غيرها.

الخلاصة:

يجب على الإنسان أن يكون دائما مع الإمام العدل وطائفته وألا يخرج عليهم، وكذلك لا يشك في إيمانه.

المناقشة:

س١ ــ من هو الإمام العدل؟

س٢ ــ ما حكم الخروج عليه؟ ومع أي طائفة يجب أن يكون الإنسان.

---

(١) سورة النساء الآية (٩٧).

(٢) سورة العنكبوت الآية (٥٦).

وجوب الهجرة في الله

قال أبو حنيفة رحمه الله: حدثنا حماد عن إبراهيم عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ظهرت المعاصي في أرض فلم تطق أن تغيرها فتحول عنها إلى غيرها فاعبد بها ربك»(١) وقال: حدثني بعض أهل العلم عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: من تحول من أرض يخاف الفتنة فيها إلى أرض لا يخافها فيها كتب الله له أجر سبعين صديقاً»(٢).

اللغة: (لم تطق) لم تستطع (تحول) انتقل (الفتنة) البلاء في الدين والمعاصي (صديقا) هو الدائم التصديق.

الشرح: ثم ذكر أبو حنيفة رحمه الله ما بلغه من حديث ابن مسعود مرفوعاً أن النبي ﷺ قال: «**إذا ظهرت المعاصي في أرض...**» ومعنى ذلك أن الإنسان إذا ظهرت المعصية في بلده أو في بلد هو فيها فعليه أن يغيرها مااستطاع، كما قال ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»(٣). لكن من لم يستطع أن يغير هذه المنكرات والمعاصي ويمنعها فعليه أن يتحول من البلد الذي فيه المعاصي إلى بلد آخر تظهر فيه الطاعة والسنة فليعبد الله فيه، فإن ذلك عون له على طاعة ربه عز وجل.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) أخرجه مسلم(١/٦٩) ح٤٩ في الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان من حديث طارق بن شهاب عن أبي سعيد مرفوعاً.

.....

وذكر أيضا ما بلغه عن بعض الصحابة رضي الله عنهم: «من تحول من أرض..» ويعني أن الإنسان الذي يخاف الفتنة في دينه في أرض معينة، ثم يتحول منها إلى أرض لا يخاف فيها الفتنة في الدين، فهذا في الحقيقة إنما هو مهاجر إلى الله تعالى، وقد قال عز وجل: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[1] وهذا يعطيه الله أجر سبعين صديقا.

(١) سورة النساء الآية (١٠٠).

إثبات العلو

قال أبو حنيفة: من قال لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض فقد كفر، وكذا من قال إنه على العرش ولا أدري العرش أفي السماء أو في الأرض، والله تعالى يدعى من أعلى لا من أسفل لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء، وعليه ما روى في الحديث أن رجلًا أتى إلى النبي ﷺ بأمة سوداء فقال: وجب عليّ عتق رقبة أفتجزىء هذه؟ فقال لها النبي ﷺ: أمؤمنة أنت؟ فقالت: نعم. فقال: أين الله؟ فأشارت إلى السماء. فقال: أعتقها فإنها مؤمنة[1].

اللغة: (أمة) جارية مملوكة (تجزىء) تكفى (أعتقها) حررها.

الشرح: ثم بين أبو حنيفة رحمه الله أن من قال: لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض فإنه يكفر وذلك لأنه مكذب بعلو الله على خلقه، جاحد لقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾[2] ولقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾[3]. فقد كذب فرعون موسى حينما أخبره أن إلهه في السماء، وكذلك كفر أبو حنيفة من قال بأن الله مستو على عرشه لكنه قال لا

---

(١) مسلم (١/٣٨١)ج٥٣٧ في المساجد باب تحريم الكلام في الصلاة، وأحمد (٥/٤٤٨) وأبو داود (٣/٥٨٧) ح٣٢٨٢ في الإيمان والنذور باب في الرقبة المؤمنة، ولنسائي (١/١٨) في الصلاة باب الكلام في الصلاة وغيرهم، كلهم من طريق عطاء عن معاوية بن الحكم به.

(٢) سورة الملك الآية (١٦).

(٣) سورة غافر الآيتان (٣٦:٣٧).

أعرف العرش في السماء أم في الأرض فإن العلو هو الوصف اللائق بالربوبية وبالألوهية وليس السفل من وصفهما في شيء، وهذا الكلام من الإمام أبي حنيفة رحمه الله فيه رد بليغ على المتكلمين من الماتريدية وغيرهم، الذين يتعصبون لأبي حنيفة ويقلدونه في الفروع، لكنهم يخالفونه في مسائل أصول، فينفون صفة العلو لله تعالى، ويقولون: «إن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوق ولا تحت، بل هو في كل مكان...» إلخ وكلامهم هذا كفر صريح. ومن الأدلة على ذلك أن كل من أراد الدعاء فإنه يرفع يديه لأعلى لما فطر عليه من الإيمان بوجود الله في السماء، وقد أتت جارية إلى النبي ﷺ مع سيدها، وأخبر سيدُها بأنه وجب عليه عتق رقبة، فسألها النبي ﷺ عن ما إذا كانت مؤمنة فأشارت بالإيجاب فسألها: أين الله؟ فأشارت إلى السماء، فقال لها: من أنا؟ قالت رسول الله. فقال: أعتقها فإنها مؤمنة. فشهادة النبي ﷺ لها بالإيمان مع قولها إن الله في السماء دلالة واضحة على إقرار النبي ﷺ لها في ذلك ولو لم يكن صوابا ما أقر لها بالإيمان مع وجود اعتقاد فاسد.

إثبات عذاب القبر

قال أبو حنيفة: من قال: لا أعرف عذاب القبر فهو من الجهمية الهالكة لأنه أنكر قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾[1] يعني عذاب القبر. وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾[2] يعني في القبر فإن قال: أؤمن بالآية ولا أؤمن بتأويلها وتفسيرها، قال: هو كافر لأن من القرآن ما هو تنزيله تأويله، فإن جحد بها فقد كفر. قال أبو حنيفة رحمه الله: حدثني رجل عن المنهال بن عمرو عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «شرار أمتي يقولون: أنا في الجنة دون النار»[3].

اللغة: (الجهمية) أتباع الجهم بن صفوان (تأويله) تفسيره (جحد بها) أنكرها.

الشرح: ثم بين الإمام أبو حنيفة رحمه الله أن من أنكر عذاب القبر وجحده فهو من الجهمية الهالكة حيث إنه منكر لقوله تعالى: ﴿سنعذبهم مرتين﴾ ولقوله تعالى: ﴿وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك﴾ وغيرها وكلها دالة على عذاب القبر، وكذلك كفَّر رحمه الله من قال أنا أؤمن بالآية ولا أؤمن بتأويلها وتفسيرها، وبيّن ذلك بأن من القرآن أشياء تفسيرها وتأويلها هو مجرد التنزيل بذاته، فمن أنكرها فقد كفر، ثم أورد رحمه الله حديثا عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا:

---

(١) سورة التوبة الآية (١٠١).

(٢) سورة الطور الآية (٤٧).

(٣) لم أقف عليه.

.....

«شرار أمتي يقولون: أنا في الجنة دون النار» وذلك لأنهم أمنوا مكر الله تعالى حيث قال: ﴿فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾[1]. ولا يعلم إنسان ما أعد له في علم الغيب عند الله تعالى.

(١) سورة يوسف الآية (٩٩).

تحريم التألي على الله

وحدثت عن أبي ظبيان قال: قال رسول الله ﷺ: «ويل للمتألين من أمتي قيل يا رسول الله وما المتألون؟ قال: الذين يقولون: فلان في الجنة وفلان في النار»[1]. وحدثت عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقولوا أمتي في الجنة ولا في النار دعوهم حتى يكون الله يحكم بينهم يوم القيامة»[2] قال: وحدثني أبان عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: لا تنزلوا عبادي جنة ولا ناراً حتى أكون أنا الذي أحكم فيهم يوم القيامة وأنزلهم منازلهم»[3] قلت: فأخبرني عن القاتل والصلاة خلفه؟ فقال: الصلاة خلف كل بر وفاجر جائزة فلك أجرك

اللغة: (لا تنزلوا عبادي) لا تجزموا لهم بالجنة أو النار.

الشرح: وذكر أبو حنيفة رحمه الله ما بلغه أن النبي ﷺ قال: زويل للمتألين من أمتي...» ويقصد بذلك الذين يجزمون لأحد معين بالجنة أو بالنار، وذلك كما قال النبي ﷺ حكاية عن رجل قال في حق آخر: «والله لا يغفر الله لفلان. فقال الله تعالى: من ذا الذي يتألى عليّ ألا أغفر لفلان قد غفرت له وأحبطت عملك»[4]. وذكر ما بلغه من حديث ابن عمر في شأن النهي عن الجزم لأحد بجنة أو نار، والأمر

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) لم أقف عليه، لكنه مرسل كما ترى، والمرسل من أنواع الحديث الضعيف.

(٤) مسلم (٤/٢٠٢٣) ح٢٦٢١ في البر والصلة والآداب باب النهى عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى من حديث أبي عمران الجوني عن جندب مرفوعا.

.....

بالسكوت عن مصائر الناس حتى يفصل الله بينهم يوم القيامة، فينزل الجنة من شاء وينزل النار من شاء، وذكر كذلك ما بلغه عن الحسن أن النبي ﷺ روى عن ربه تعالى النهي عن الجزم لأحد بجنة أو نار حتى يكون الله هو الذي يحكم في شأنهم يوم القيامة وينزلهم منازلهم من الجنة أو النار، وهنا سأله السائل عن الصلاة خلف القاتل، فأخبره أن الصلاة خلف القاتل وغيره من الفجار جائزة، والأصل جواز الصلاة خلف كل بر وفاجر، كما قال الطحاوي رحمه الله في عقيدته: «ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم»[1]، وهذا لأن من صحت صلاته لنفسه جاز الائتمام به، فلك أجرك

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص٣٥٧).

وعليه وزره. قلت: أخبرني عن هؤلاء الذين يخرجون على الناس بسيوفهم فيقاتلون وينالون منهم؟ قال: هم أصناف شتى وكلهم في النار. قال: روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «افترقت بنو إسرائيل اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي ثلاثة وسبعين فرقة كلهم في النار إلا السواد الأعظم» قال: وحدثني حماد عن إبراهيم عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث حدثا في الإسلام فقد هلك ومن ابتدع بدعة فقد ضل ومن ضل ففي النار».

اللغة: (شتى) متعددة ومتنوعة (السواد الأعظم) معظم الناس والمراد الزموا ما عليه معظم الناس.

الشرح: على صلاتك، وعليه هو وزر بدعته أو معصيته، ثم سأله السائل عن الخوارج الذين خرجوا على الناس بسيوفهم فقاتلوهم ونالوا منهم، فأخبره أنهم وإن كانوا فرقاً شتى لكن كلهم في النار، وليس هذا منه تناقضاً مع كلامه السابق حول عدم الجزم لأحد بجنة أو نار، ولكن الذي حكم لهم بالنار هو النبي ﷺ في أحاديث كثيرة صحيحة، ثم استدل بحديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه الخبر بافتراق بني إسرائيل على اثنتين وسبعين فرقة، وافتراق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، والجزم لها كلها بالنار إلا السواد الأعظم، وهذا إن صح ـ أعني تفسير الفرقة الناجية بالسواد الأعظم ـ فإنما يقصد به جماعة الحق من أهل العلم، أو عامة المسلمين من غير الفرق المذكورة والأول أصح والله أعلم.

ثم ساق حديث ابن مسعود مرفوعاً في بيان أن من أحدث حدثا في

.....

الإسلام فقد هلك وذلك بابتداعه في الدين ما لم يأذن به الله تعالى، وإعطائه لنفسه حق التشريع في دين الله بغير علم، وكذلك في بيان أن من ابتدع بدعة فقد ضل بإعراضه عن السنة التي سنها رسول الله ﷺ، ولما ضل عن الحق كان مستحقاً للنار عقوبة على ضلاله.

الخلاصة:

العلو صفة ثابتة لله تعالى، وعذاب القبر حق، ولا يجوز التألي على الله تعالى، كما يحرم الافتراق في الدين والتقاتل.

المناقشة:

س١ ــ كيف تثبت صفة العلو لله؟ وما معناه؟

س٢ ــ ما الدليل على أن عذاب القبر حق؟

س٣ ــ ما معنى التألي على الله؟ وما حكمه؟

س٤ ــ هل يجوز التقاتل والافتراق في الدين؟

وجوب لزوم القرآن

حدثنا ميمون عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله علمني. قال: فاذهب فتعلم القرآن. ثلاث. ثم قال له في الرابعة: اقبل الحق ممن جاءك به حبيباً كان أو بغيضاً وتعلم القرآن ومل معه حيث مال.

قال وحدثنا حماد عن إبراهيم عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول: «إن شر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار»[٢] وقال الله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[٣] وقال الله تعالى لموسى على سيدنا ونبينا عليه الصلاة والسلام: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾﴾[٤].

اللغة: (بغيضا) مكروها (مل معه حيث مال) أي اتبعه على كل حال.

الشرح: ثم ساق أبو حنيفة حديث ابن عباس أن رجلاً سأل النبي ﷺ أن يعلمه فأمره النبي ﷺ بتعلم القرآن، وأمره بذلك ثلاث مرات ثم أمره أن يقبل الحق على أي حال جاءه، سواء جاء على لسان

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أقف عليه موقوفا. والحديث روي مرفوعا من حديث جابر بن عبدالله وأخرجه بهذا التمام النسائي (٣/١٨٨-١٨٩) وأخرجه مختصرا الإمام مسلم (٨٦٧) وابن ماجة (٤٥) وهو حديث صحيح.

(٣) سورة الشمس الآية (٨).

(٤) سورة طه الآية (٨٥).

حبيب أو بغيض ولا يرد الحق إن جاء على لسان من لا يحب، وأمره بأن يتعلم القرآن، وأن يميل معه حيث مال، ويتبعه على كل حال، حتى ولو كان على خلاف الهوى ثم ساق أيضا حديث ابن مسعود وقد ثبت مرفوعاً أن محدثات الأمور شر كلها لا شك، لأن الخير كله في الاتباع وليس في الابتداع في دين الله تعالى وخلاف السابقين، وفيه بيان أن كل محدثة بدعة لا شك، لكونها جاءت على غير أصل من دين الله تعالى، وكل بدعة ضلالة لا شك، ولو لم تكن ضلالة لدل عليها النبي ﷺ فلما لم يدل عليها ويرشد إليها دل على أنها ضلالة وبالتالي فهي في النار، فليس في الجنة ضلالات والله تعالى هو الذي ألهم كل نفس فجورها وضلالها وفسقها، أو تقواها وطاعتها وصلاحها وقول الله تعالى لموسى: ﴿**إنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري**﴾ فدل على أن الله تعالى هو الذي يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وإن كان جعل لكل شيء سبباً سبحانه وتعالى.

باب المشيئة

قلت: هل أمر الله تعالى بشيء ولم يشأ خلقه، وشاء شيئاً ولم يأمر به وخلقه؟ قال: نعم. قلت: فما ذلك؟ قال: أمر الكافر بالإسلام ولم يشأ خلقه، وشاء الكفر للكافر ولم يأمر به وخلقه. قلت: هل رضي الله شيئا ولم يأمر به؟ قال: نعم كالعبادات النافلة. قلت: هل أمر الله تعالى بشيء ولم يرض به؟ قال: لا. قلت: لم؟ قال: لأن كل شيء أمر به فقد رضيه.

اللغة: (النافلة) الزائدة من غير الفريضة.

الشرح: بدأ السائل في سؤال الإمام أبي حنيفة عن المشيئة، فسأله هل يمكن أن يكون الله تعالى أمر بشيء أمراً شرعياً، لكنه لم يشأ خلقه، وشاء شيئاً وخلقه من غير أن يأمر به؟ فأجابه بنعم. وهذا هو الحق، فما من شيء كائن في هذا الكون إلا بمشيئة الله تعالى ولو كان بغير مشيئته وخلقه لكان له خالق غير الله تعالى، فإذا تبين هذا وتيقنا قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[1] وجدنا أن الناس يقع منهم الخير والشر، والإيمان والكفر، والله تعالى لم يأمر بالكفر ولا حض عليه، بل نهى عنه وأمر بضده وهو الإيمان، وقال تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾[2] فإذا تبين أن الله لا يرضى الكفر، لكنه شاء وقوعه وأراده قدراً، وإن كان لم يرده ولم يرض به شرعاً، وأراد الإيمان ورضيه شرعاً، لكنه لم يرد وقوعه

---

(١) سورة الزمر الآية (٦٢).

(٢) سورة الزمر الآية (٧).

قدراً ولم يخلقه أحياناً، تبين حقيقة الأمر، فكفر الكافر بمشيئة الله لكنه ليس برضاه الشرعي، وهنا سأل السائل هل يمكن أن يرضى الله شيئاً ولا يأمر به؟ فأجابه بنعم. ومثل له بالعبادات النوافل من غير الفريضة، فإن الله تعالى رضيها لكنه لم يأمر بها أمر إيجاب، فسأله السائل هل يمكن أن يأمر بشيء من غير أن يرضاه؟ فأجابه بالنفي، لأن كل شيء أمر الله به فقد رضيه، ولا يتصور أن يأمر الله الناس شرعاً بشيء لا يرضاه، بل قال تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ...﴾[1].

(١) سورة الأعراف الآيتان (٢٨: ٢٩).

قلت: يعذب الله العباد على ما يرضى أو على ما لا يرضى؟ قال يعذبهم الله على ما لا يرضى لأنه يعذبهم على الكفر والمعاصي ولا يرضى بها. قلت: فيعذبهم على ما يشاء أو على ما لا يشاء؟ قال: بل يعذبهم على ما يشاء لهم، لأنه يعذبهم على الكفر والمعاصي، وشاء للكافر الكفر وللعاصي المعصية قلت: هل أمرهم بالإسلام ثم شاء لهم الكفر؟ قال: نعم. قلت: سبقت مشيئته أمره أو سبق أمره مشيئته؟ قال: سبقت مشيئته أمره. قلت: فمشيئة الله رضى له أم لا؟ قال: هو لله رضى ممن عمل بمشيئته وبرضاه وطاعته فيما أمر به، ومن عمل خلاف ما أمر به فقد عمل بمشيئته ولم يعمل برضاه ولكنه عمل معصيته، ومعصيته غير رضاه. قلت: يعذب الله العباد على ما يرضى؟ قال: يعذبهم على ما لا يرضى

اللغة: .....

الشرح: ثم سأله السائل هل يعذب الله العباد على فعلهم لشيء يرضاه أم على فعلهم لشيء لا يرضاه؟ فأجابه بأن الله يعذبهم على فعل ما لا يرضاه كالكفر والمعاصي فإنه لا يرضاها كما سبق، فسأله هل يعذبهم الله على ما يشاء أو على ما لا يشاء؟ فأجابه الإمام بأن الله تعالى حينما يعذبهم على ارتكابه ما لا يرضاه من الكفر والمعاصي، فإنه يعذبهم على شيء شاءه في الحقيقة، لأنه ما من شيء إلا وهو كائن بمشيئة الله تعالى، كما في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[1]، والآيات في هذا المعنى كثيرة جدا، وهنا استغرب السائل

---

(١) سورة النحل الآية (٩٣).

.....

وسأل هل أمرهم الله تعالى بالإسلام وشاء لهم الكفر فأجابه الإمام بالإيجاب، وذلك لأن الله تعالى أمرهم بالإسلام أمراً شرعيا، وإن كان قد شاء لهم الكفر مشيئة قدرية كونية، فسأله السائل هل مشيئة الله تغلب رضاه أم لا؟ فأجابه بأن مشيئة الله الكونية تغلب رضاه الشرعي وتسبقه، فسأله السائل هل مشيئة الله رضى له أم لا؟ فأجابه الإمام بأن مشيئة الله الكونية رضى له ما دام الإنسان عاملاً بطاعته وبرضاه وبأمره، وأما من عمل بخلاف الأمر الشرعي فقد عمل بالمشيئة الكونية وإن كان لم يعمل برضى الله تعالى، حيث عمل بالمعصية، والمعصية غير الرضى، كما قال تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾[1]، والإنسان في الحقيقة مطالب ومسئول عن الإرادة الشرعية والرضى الشرعي وليس مكلفا بالمشيئة الكونية. فسأله السائل هل يعذب الله العباد على شيء يرضيهم؟ قال الإمام: يعذبهم على ما لا يرضى

(١) سورة الزمر الآية (٧).

من الكفر، ولكن يرضى أن يعذبهم وينتقم منهم بتركهم الطاعة وأخذهم بالمعصية قلت: شاء الله للمؤمنين الكفر؟ قال: لا ولكن شاء للمؤمنين الإيمان كما شاء للكافرين الكفر، وكما شاء لأصحاب الزنى الزنى وكما شاء لأصحاب السرقة السرقة وكما شاء لأصحاب العلم العلم وكما شاء لأصحاب الخير الخير، لأن الله تعالى شاء للكفار قبل أن يخلقهم أن يكونوا كفاراً ضلالاً. قلت: يعذب الله الكفار على ما يرضى أن يخلق أم على ما لا يرضى أن يخلق؟ قال: بل يعذبهم على ما يرضى أن يخلق، قلت: لم؟ قال: لأنه يعذبهم على الكفر

اللغة: (ضلالا) حائدين عن الهدى.

الشرح: من ارتكاب الكفر، وكذلك فإن الله تعالى يرضى بتعذيبهم والانتقام منهم لما تركوه من الطاعة، ولما ارتكبوه من المعاصي، جزاء وفاقا، فإن هذا هو العدل بعينه وهنا سأله السائل هل شاء الله للمؤمنين الكفر؟ فأجابه الإمام بالنفي، وذلك لأن مشيئة الله لا تغلب، فإن شاء للمؤمنين أن يؤمنوا، وشاء للكافرين أن يكفروا وشاء للزناة أن يزنوا، وللسرّاق أن يسرقوا، وشاء لأصحاب العلم أن يعلموا ولأصحاب الخير أن يفعلوا الخير، والله تعالى شاء أن يكفر الكافرون وأراد لهم ذلك قبل أن يخلقهم، فهم كفروا بمقتضى مشيئة الله تعالى، كما أنهم كفروا بإرادتهم ومشيئتهم الحرة التي خلقها الله تعالى فيهم، ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1]، ثم سأله السائل هل يعذب الله الكفار على شيء رضي أن يخلق أم على شيء لا

---

(١) سورة التكوير الآية (٢٩).

.....

يرضى بخلقه؟ فأجابه الإمام: بل يعذبهم على ما يرضى أن يخلق وذلك لأن الشيء ما دام قد خلق ووجد فعلاً، فإن الله تعالى هو الذي رضى أن يوجد وليس ذلك رضى منه بنفس الشيء ولا به، إنما الله رضى بأن يوجد ولما استغرب السائل ذلك أخبره بتأويل كلامه، وذلك لأن الله تعالى يعذب الناس على الكفر، والكفر إنما وجد بمشيئة الله وهو الذي خلقه

ورضي أن يخلق الكفر، ولم يرض الكفر بعينه. قلت: قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[1] فكيف يرضى أن يخلق الكفر؟ قال: يشاء لهم ولا يرضى به. قلت: لم؟ قال: لأنه خلق إبليس فرضي أن يخلق إبليس ولم يرض نفس إبليس، وكذلك الخمر والخنازير فرضي أن يخلقهن ولم يرض أنفسهن. قلت: لماذا؟ قال: لأنه لو رضي الخمر بعينها لكان من شربها فقد شرب ما رضي الله، ولكنه لا يرضى الخمر ولا الكفر ولا إبليس ولا أفعاله، ولكنه رضي محمداً ﷺ. قلت: أرأيت اليهود حيث قالوا ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾[2] أرضي الله لهم أن يقولوا ذلك؟ قال: لا.

اللغة: .....

الشرح: فالله تعالى رضي أن يخلق الكفر، غير أنه لم يرض الكفر بعينه، وهنا استغرب السائل واستدل بقوله تعالى: ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ فكيف يقول الإمام إن الله سبحانه رضي أن يخلق الكفر فبين له الإمام أن الله تعالى قد يشاء الأمر ولكنه لا يرضى به، كما شاء للكفار الكفر ولكنه لم يرض به، وهنا سأله السائل ولم؟ فأجاب الإمام بأن الله تعالى خلق إبليس فرضي أن يخلقه لكنه لم يرض نفسه إبليس، ورضي أن يخلق الخمر والخنازير فرضي أن يخلقهن ولكن لم يرض أنفسهن. فسأله السائل ولم؟ فأجابه بأن الله تعالى لو كان قد رضي الخمر بعينه لكان من شربها شارباً لشيء يرضى الله تعالى، ولكنه لا يرضى الخمر ولا الكفر ولا إبليس ولا أفعاله، ولكنه رضي محمداً ﷺ. وهنا سأله السائل: هل رضي الله قول اليهود حيث قالوا: «يد الله مغلولة» ورد عليهم بقوله: «غلت أيديهم»؟ فأجابه الإمام بالنفي، أي إن الله تعالى لم يرض لهم ذلك حيث قالوه.

---

(١) سورة الزمر الآية (٧).

(٢) سورة المائدة الآية (٦٤).

باب آخر في المشيئة

إذا قيل له: أرأيت لو شاء الله أن يخلق الخلق كلهم مطيعين مثل الملائكة هل كان قادراً؟ فإن قال لا. فقد وصف الله تعالى بغير ما وصف به نفسه. لقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾[2] فإن قال: هو قادر فقل أرأيت لو شاء الله أن يكون إبليس مثل جبريل في الطاعة أما كان قادرا؟ فإن قال: لا. فقد ترك قوله ووصف الله تعالى بغير صفته. فإن قال: لو أنه زنى أو شرب أو قذف أليس هو بمشيئة الله؟ قيل: نعم. فإن قال فلم تجر عليه الحدود؟ قيل: لا يترك ما أمر الله به لأنه لو قطع غلامه كان بمشيئة الله، وذمة الناس، ولو اعتقد حدوه عليه، وكلاهما وجدا بمشيئة الله، وقد عمل بمشيئة الله تعالى لكن من عمل بمشيئة المعصية فإنه ليس بها رضا ولا عدل في فعله وقوله:

اللغة: (القاهر) القوي الذي لا يغلب.

الشرح: هنا يتطرق الإمام رحمه الله إلى باب آخر في المشيئة، فيبين أن الله سبحانه وتعالى لو أراد لجعل الخلق جميعاً مؤمنين مطيعين مثل الملائكة، وأن من نفي قدرة الله سبحانه على ذلك فهو منتقص لله تعالى واصف إياه بغير صفته، واستدل بقوله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ وقوله: ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم. . .﴾ فهذه الآيات تثبت لله تعالى القدرة التي لا تغلب، ويقول الإمام إن من قال إن الله كان قادراً على هداية جميع الناس يقال له: هل كان الله قادراً

---

(١) سورة الأنعام الآية (١٨).

(٢) سورة الأنعام الآية (٦٥).

على أن يجعل إبليس مثل جبريل في الطاعة لو شاء؟ فإن قال: لا. فهو راجع عن قوله الأول، نافٍ لقدرة الله، واصف إياه بغير صفته. ويرد الإمام على من يقول: إن كان الزاني والسارق والشارب والقاذف بمشيئة الله تعالى فلم تجر عليه الحدود؟ ويبين الإمام أنه لا يجوز للإنسان أن يترك ما أمر الله به، ويوضح ذلك بأنه لو أن الإنسان قطع غلامه، فإنما يقطع يده مثلاً بمشيئة الله، وإن كان الناس يذمونه على ذلك، ولو أنه أعتق غلامه لحمده الناس على ذلك رغم أنه بمشيئة الله أيضاً وهو في الحالين عامل بما شاءه الله تعالى، ولكن من عمل المعصية وإن كان عاملاً بمشيئة الله لكنه عامل بغير مرضاة الله تعالى ولم يعدل في فعله، ثم إن الإنسان مكلف ومسؤول عن مقتضى الرضى والأمر والنهي الشرعي، وليس عن المشيئة الكونية التي هي مجهولة بالنسبة إليه، فلا يصح أن يحتج الكافر والعاصي بالمشيئة الكونية إذ يقال له: وما أعلمك إذ أقدمت على ما فعلت أن الله تعالى قد شاء لك ذلك، وأراد لك

فلم تجر عليه الحدود؟ سؤال فاسد على أصلهم. لأنهم لا يثبتون مشيئة الله تعالى في كثير من المعاصي فلا تلزمه الحدود إلا على فعله مثل شرب الخمر وقد فعلها جميعا بمشيئة الله تعالى.

اللغة: (فاسد) غير صحيح.

الشرح: الكفر أو المعصية، وهذا غيب لا يدرك حقيقته مخلوق، وإنما أنت مسؤول عما أمرك الله به في كتابه أو نهاك عنه. ويبين الإمام أن سؤال السائل فلم تجر عليه الحدود؟ سؤال فاسد على أصل المنكرين للمشيئة الربانية في إرادة المعاصي، فإنهم ينكرون هذه المشيئة في كثير من المعاصي ويجعلوون الحدود غير لازمة إلا على فعله مثل شرب الخمر، ويرد بأن كل هذه الأشياء إن فعلها العبد فإنما يفعلها بمشيئة الله تعالى وإرادته.

الخلاصة:

مشيئة الله نافذة في كل شيء، ولا يحدث شيء بغير مشيئته، ومشيئة العباد مخلوقة.

المناقشة:

س١ ــ هل مشيئة العباد مستقلة أم لا؟

س٢ ــ ما معنى: «وما تشاءون إلا أن يشاء الله»؟

س٣ ــ هل يخرج شيء عن مشيئة الله؟

(باب الرد على من يكفر بالذنب)

قلت أرأيت لو أن رجلاً قال: من أذنب ذنبا فهو كافر. ما النقض عليه؟ فقال: يقال له: قال الله تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1] فهو ظالم مؤمن وليس بكافر ولا منافق، وإخوة يوسف قالوا: ﴿ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴾[2] وكانوا مذنبين لا كافرين، وقال الله تعالى لمحمد عليه الصلاة والسلام: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[3] ولم يقل من كفرك، وموسى حين قتل الرجل كان في قتله مذنباً لا كافراً.

اللغة: (النقض) الجواب المبطل لقوله (نقدر عليه) نضيق عليه.

الشرح: وهذا باب جديد يتعلق بالرد على من يكفر بالذنب، وقد سأل السائل أبا حنيفة رحمه الله عن ما يرد به على من يكفر مرتكب الذنب، فأجابه الإمام أنه يرد عليه بأن قول الله تعالى حكاية عن يونس «إني كنت من الظالمين» لو كان الذنب كفراً لكان معنى كلامه: إني كنت من الكافرين وهذا معنى باطل لا شك، بل هو مؤمن ظلم نفسه وليس بكافر ولا منافق، وكذلك لما قال إخوة يوسف (إنا كنا خاطئين) أي مذنبين وليسوا كافرين ولا شك، وكذلك قول الله تعالى لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ فلم يقل من كفرك وإنما قال (من ذنبك) وهذا دليل على أن الذنب وإن كان

---

(١) سورة الأنبياء الآية (٨٧).

(٢) سورة يوسف الآية (٩٧).

(٣) سورة الفتح (٢).

.....

كفراً من جهة اللغة، لكنه لا يعد كفراً شرعاً إلا ما أطلق عليه كفر نصاً، ولا يكفر الإنسان بذنب إلا أن يستحله، وقد قال الإمام الطحاوي في عقيدته: «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله»[1] وكذلك قال تعالى عن آدم عليه السلام: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[2] فهل كان كفر بمعصية؟ حاشا لله، وكذلك موسى عليه السلام أخطأ بقتله الرجل لكنه لم يكفر بذلك أبداً، ومن كفَّر كل هؤلاء النبيين لكان من أعظم المفترين على الله كذباً، بل ولكفر هو بذلك وقوله بأن موسى عليه السلام أذنب في قتل الرجل فيه رد على الماتريدية الذين يزعمون أن الأنبياء معصومون من الذنوب صغائراً أو كبائر عمدا. وقد ذكر شيخ الإسلام أن هؤلاء أرادوا أن ينزهوا الأنبياء لكنهم وقعوا في التكذيب بتحريفهم لنصوص الكتاب والسنة.

الخلاصة:

لا يكفر المسلم بذنب ما لم يستحله.

المناقشة:

س١ ــ هل الذنوب كفر أم لا؟
س٢ ــ هل تصدر الذنوب من الأنبياء؟
س٣ ــ ما حكم من يكفر بالذنب؟

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٩٠).
(٢) سورة طه الآية (١٢١).

الاستثناء في الإيمان

قال: وإذا قال: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى يقال له: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾[1] فإن كنت مؤمنا فصل عليه، وإن كنت غير مؤمن فلا تصل عليه، وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ .. الآية﴾[2] قال معاذ رضي الله عنه: من شك في الله فإن ذلك يبطل جميع حسناته، ومن آمن وتعاطى المعاصي يرجى له المغفرة ويخاف عليه العقوبة. قال السائل لمعاذ رضي الله عنه: إذا كان الشك يهدم الحسنات فإن الإيمان أهدم وأهدم للسيئات. قال معاذ رضي الله عنه والله ما رأيت رجلاً أعجب من هذا الرجل يسأل أمسلم أنت؟ فيقول: لا أدري.

اللغة: (ذروا) اتركوا.

الشرح: هنا يتطرق الإمام رحمه الله لمسألة الاستثناء في الإيمان، فيقول إن من يستثني في إيمانه ـ أي يقول أنا مؤمن إن شاء الله تعالى ـ

---

(١) سورة الأحزاب الآية (٥٦).

(٢) سورة الجمعة الآية (٩).

قلت: استدلال الإمام أبي حنيفة بهاتين الآيتين على بطلان الاستثناء في الإيمان لا يصح، لأنه ليس المراد من قول القائل أنا مؤمن إن شاء الله تعالى أنه شك في إيمانه حتى يرد عليه ما في هاتين الآيتين، أو شك في الله حتى يرد عليه أثر معاذ إن ثبت، بل الاستثناء لأجل خوف التزكية وادعاء كمال الإيمان، فإن الإيمان الكامل المطلق لا يوصف به إلا من أتى بجميع الأوامر واجتنب جميع النواهي، فإذا قال المرء: أنا مؤمن حقا. دل هذا على أنه أتى بجميع المأمورات واجتنب جميع المنهيات، وهذا مع أنه تزكية لنفسه، قد يكون كذبا في ذات الأمر فلذا جاء عن السلف الاستثناء في الإيمان، فعلى هذا لا يرد ما في هاتين الآيتين ولا ما في أثر معاذ فإنه لم يشك في إيمانه، ولم يشك في الله عز جل حتى يرد عليه ما أورده أبو حنيفة.

فهذا يحتج عليه بأن الله تعالى قد أمر المؤمنين في كتابه بالصلاة على نبيه ﷺ، فإن لم يكن مؤمنا فلا يصل على النبي ﷺ ويحتج عليه بأن الله أمر المؤمنين بالسعي إلى صلاة الجمعة وترك البيع، يعني إذا لم يكن مؤمنا فليقعد ولا يسع للصلاة، واستدل بقول معاذ رضي الله عنه أن من شك في الله فإن ذلك الشك يبطل جميع الحسنات، أما الإيمان وإن قارنته معاصي فإنه يرجى لصاحبه المغفرة وإن كان يخاف عليه العقوبة، وهنا أجاب السائل على معاذ بأنه إذا كان الشك يهدم الحسنات فإن الإيمان يهدم السيئات أكثر، وهذا قد يصح في الإيمان ابتداء بمعنى أن الإيمان من الكافر يمحو ما قبله من السيئات، فهذا حق، لكن السيئات التي يرتكبها المؤمن قد يغلبها الإيمان والعمل الصالح خصوصا إن زاد عليها، ومعنى ذلك أنه قد يكون سببا في تكفيرها، وذلك حتى لا نقع فيما ذهب إليه المرجئة من أن الذنوب لا تضر مع الإيمان، وذكر الإمام تعجب معاذ رضي الله عنه الشديد ممن يسأل أمسلم أنت؟ فيقول: لا أدري. وذلك لأنه هكذا يكون شاكاً حتى في إسلامه ولا يدري إن كان قد أسلم أم إنه ما زال كافراً

فيقال له: قولك لا أدري أعدل أم جور؟ فإن قال: عدل. فقل: أرأيت ما كان في الدنيا عدلاً أليس في الآخرة عدلا؟ فإن قال: نعم. فقل: أتؤمن بعذاب القبر ونكير وبالقدر خيره وشره من الله تعالى؟ فإن قال نعم. فقل له: أمؤمن أنت؟ فإن قال: لا أدري. فقل له: لا دريت ولا فهمت ولا أفلحت. قلت: ومن قال: إن الجنة والناس ليستا بمخلوقتين[1] فقل له: هما شيء أوليستا بشيء وقد قال الله تعالى: ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[2] وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾[3] وقال الله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾[4] فإن قال: إنهما تفنيان. فقل له: وصف الله نعيمهما بقوله: ﴿ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾[5] ومن قال إنهما تفنيان بعد دخول أهلهما فيهما فقد كفر بالله تعالى لأنه أنكر الخلود فيهما.

اللغة: (تفنيان) أي ينقضي بقاؤهما.

الشرح: فهذا يقال له: قولك هذا عدل أم جور؟ فإذا قال عدل. فيقال له: إن ما يكون عدلاً في الدنيا لا بد أن يكون عدلا في الآخرة فإن قال: نعم. فيقال له: أمؤمن أنت؟ فإن قال: لا أدري. فيقال له: لا دريت ولا فهمت ولا أفلحت. لأنه شاك في نفسه، غير جازم بإيمانها.

---

(١) لعل هنا سقطاً، وسياق الكلام يقتضي أن يقال: قال:.

(٢) سورة الزمر الآية (٦٢).

(٣) سورة القمر الآية (٤٩).

(٤) سورة غافر الآية (٤٦).

(٥) سورة الواقعة الآية (٣٣).

.....

ثم سأله السائل عمن قال إن الجنة والنار ليستا مخلوقتين، فأمره أن يحتج عليه بالآيات المذكورة حيث تثبت أن كل شيء فالله خالقه، ثم إن زعم فناءهما يحتج عليه بأن الله تعالى أخبر أن نعيم الجنة لا ينقطع وذلك بقوله: ﴿**لا مقطوعة ولا ممنوعة**﴾ فإن زعم أن الجنة والنار بعد أن يدخلهما أهلهما تفنيان، فإنه يكفر هنا لأن الله تعالى أخبر أن أهل الجنة والنار خالدون فيهما كما ثبت ذلك في مواضع كثيرة من كتابه.

الخلاصة:

يجوز الاستثناء في الإيمان على ما سبق بيانه، والجنة والنار مخلوقتان الآن.

المناقشة:

س١ ــ فصل القول في مسألة الاستثناء في الإيمان؟

س٢ ــ هل الجنة والنار مخلوقتان أم لا؟ وما حكم من أنكر ذلك؟

باب في الصفات

قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: (لا يوصف الله تعالى بصفات المخلوقين، وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف، وهو قول أهل السنة والجماعة، وهو يغضب ويرضى ولا يقال غضبه عقوبته ورضاه ثوابه، ونصفه كما وصف نفسه، أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، حي قيوم قادر سميع بصير عالم، يد الله فوق أيديهم ليست كأيدي خلقه وليست جارحة

اللغة: (صمد) أي مقصود في الحوائج.

الشرح: لا ينبغي أن يوصف الله تعالى بصفات المخلوقين، فإن قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1] ومن صفاته تعالى صفة الغضب وصفة الرضا، كما قال تعالى: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾[2] وقال: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[3] وهما صفتان من صفاته بلا كيف، أي لا يمكن تكييفهما بكيفية معينة، فإن هذا مما لا يدرك بحال، وهذا هو قول أهل السنة والجماعة، فالله تعالى يغضب ويرضى، على ما يليق بجلاله سبحانه وتعالى، وهو غضب حقيقي، ورضى حقيقي، وليس كما زعم بعض النفاة أن غضبه عقوبته ورضاه ثوابه، بل العقوبة لازم الغضب، والثواب لازم الرضى، ولكن لا تفسر الصفة بلازمها بل هي صفة حقيقية على الكيفية اللائقة بجلال الله تعالى وعظمته، ونحن نصف الله

---

(١) سورة الشورى الآية (١١).

(٢) سورة النساء الآية (٩٣).

(٣) سورة البينة الآية (٨).

تعالى بما وصف به نفسه، فهو سبحانه أحد لا شريك له، لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله. وهو تعالى صمد كما قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[1] حيث يقصده الخلائق جميعاً في حوائجهم، لأنه المالك القادر والله تعالى لم يلد ولم يولد، كما قال عن نفسه: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[2] فالله تعالى ليس له ولد ولا والدة، بل هو سبحانه لا يشبه خلقه ولا يشبهه خلقه، وليس له كفواً أحد، فلا يماثله ولا يكافئه شيء، وليس له نظير من خلقه وهو تعالى حي لا يموت، قيوم لا ينام، قادر لا يغلب ولا يعجزه شيء، سميع وسع سمعه الأصوات بصير لا يغيب عن بصره شيء، عالم لا تخفى عليه خافية، له يد كما قال تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[3] لكنها ليست كأيدي المخلوقين، فإنه ليس كمثله شيء، وليست جارحة مثل خلقه، بل على الكيفية اللائقة به تعالى.

(١) سورة الإخلاص الآية (٢).
(٢) سورة الإخلاص الآية (٣).
(٣) سورة الفتح الآية (١٠).

وهو خالق الأيدي، ووجهه ليس كوجوه خلقه، وهو خالق كل الوجوه، ونفسه ليست كنفس خلقه وهو خالق النفوس ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1]. قلت: أرأيت لو قيل: أين الله تعالى؟ فقال: يقال له كان الله تعالى ولا مكان قبل أن يخلق الخلق، وكان الله تعالى ولم يكن أين ولا خلق ولا شيء، وهو خالق كل شيء، فإن قيل: بأي شيء شاء الشائي المشيء؟ فقل بالصفة، وهو قادر يقدر بالقدرة وعالم يعلم بالعلم ومالك يملك بالملك. فإن قيل: أشاء المشيئة وقدر بالمشيئة وشاء بالعلم؟ فقل:

اللغة: .....

الشرح: وهو سبحانه خالق أيدي عباده، وله وجه كما قال: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[2] وليس كوجوه المخلوقين، وهو سبحانه خالق وجوه عباده، وله سبحانه نفس كما قال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[3] ولكنها ليست كنفوس خلقه، وهو سبحانه خالق النفوس، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[4]. وهنا سأله السائل عن الجواب على من يقول: أي الله تعالى؟ فأخبره الإمام بأن الله تعالى كان موجوداً بلا مكان قبل أن يخلق خلقه، وكان بلا أين ولا خلق ولا شيء، وهو سبحانه خالق كل شيء.

---

(١) سورة الشورى الآية (١١).

(٢) سورة القصص الآية (٨٨).

(٣) سورة آل عمران الآية (٢٨).

(٤) سورة الزمر الآية (٦٢).

.....

تنبيه: لعل هذا من كلام أبي مطيع، وكان الأولى الاقتصار على ما ورد في حديث النبي ﷺ لما قال للجارية: أين الله؟ قالت في السماء. وقد سبق إيراده، فهذا الكلام بطوله مخالف لموجب الحديث المذكور وكان الأولى بالإمام إن كان كلامه أن يقتصر على الإجابة عن السؤال بأين الله، بهذا الحديث، ولا داعي لتكلف الجواب بأشياء قد توقع في الزلل.

وما بعده من كلام لعله كذلك ليس من كلام الإمام، ففيه تكلف وتعسف نربأ به عنه، واستعمال لعبارات ولألفاظ لم يتكلم فيها السلف فيما نعلم، والراجح أن كل هذا ليس من كلامه رحمه الله.

الخلاصة:

صفات الله تعالى ثابتة على الحقيقة، وهي ليست كصفات خلقه.

المناقشة:

س١ ــ هل صفات الله تعالى حقيقية أم لا؟

س٢ ــ هل تشبه صفات الله صفات خلقه؟

باب في الإيمان

فإن قيل: أين مستقر الإيمان؟ يقال: معدنه ومستقره القلب، وفرعه في الجسد فإن قيل: هو في أصبعك؟ فقل: نعم. فإن قيل: فإن قطعت أين يذهب الإيمان منها؟ قال: فقل: إلى القلب. فإن قال: هل يطلب الله من العباد شيئاً؟ فقل: لا. إنما هم يطلبون منه. فإن قال: ما حق الله تعالى عليهم؟ فقل: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، فإذا فعلوا ذلك فحقهم عليه أن يغفر لهم ويثيبهم عليه، فإن الله تعالى يرضى عن المؤمنين لقوله تعالى: ﴿* لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[1] ويسخط على إبليس، ومعنى قوله تعالى: ﴿ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ﴾[2] فهو وعيد منه، وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾[3] أي بصرناهم وبينا لهم.

اللغة: (مستقر) مقر ومنتهى (معدنه) أصله (يثيبهم) يعطيهم الثواب (يسخط) يغضب (وعيد) تهديد، ضد الوعد (العمى) الضلالة.

الشرح: يبين الإمام رحمه الله أن أصل الإيمان ومستقره وجوهره في القلب، وأما ما يكون في الجسد من الأعمال فإنه فرع الإيمان، جريا منه على أصله في أن الإيمان مجرد التصديق والإقرار ويبين أن الإيمان يكون حتى في الإصبع، فإن قطعت عاد إلى القلب، وهذه ألفاظ وطريقة لم تعهد عن السلف رضي الله عنهم، فالعجب كل العجب من

---

(١) سورة الفتح الآية (١٨).

(٢) سورة فصلت الآية (٤٠).

(٣) سورة فصلت الآية (١٧).

.....

الإمام كيف تطرق إليها، ولا أحسب أن كل هذا الكلام من كلام أبي حنيفة، بل هو من كلام ابن مطيع ثم بين أن الله لا يطلب من الناس شيئاً لكنهم هم الذين يطلبون منه، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[1] ويبين أن حق الله على العبد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحقهم عليه الذي أوجبه على نفسه أن لا يعذبهم إن عبدوه، وقد قال ﷺ: «**أتدري ما حق الله على العباد؟ أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدري ما حق العباد على الله؟ أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً**»[2] وذكر أن الله يرضى عن المؤمنين لما ثبت من ذلك في الآيات، ويسخط على إبليس ومن تبعه، وبين أن قوله تعالى: ﴿**اعملوا ما شئتم**﴾ ليس من باب التخيير والإباحة، لكنه من باب التهديد والوعيد، وأما هداية ثمود في الآية فهي هداية البيان والإرشاد، فإن الله تعالى بيَّن لهم على لسان رسوله لكنهم استحبوا الضلالة

(١) سورة فاطر الآية (١٥).

(٢) البخاري (١٣/ ٣٥٩: ٣٦٠) ح٧٣٧٣ في التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله، ومسلم (١/ ٥٩) ح٣٠ في الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا، كلاهما من حديث الأسود بن هلال عن معاذ به.

وقوله تعالى: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[١] فهو وعيد، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٢] أي ليوحدوني، ولكن كلها بتقدير الله تعالى خيرها وشرها حلوها ومرها وضرها ونفعها، وقال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾[٣] وقال الله تعالى: ﴿ * وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[٥] وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾[٦] - أي بمشيئته - ﴿ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾[٧] وقال تعالى: ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾[٨] وقال تعالى ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[٩] - أي بقدر الله سبحانه - وقال شعيب صلوات الله على نبينا وعليه: ﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى

اللغة: (تكره) تجبر، من الإكراه (قبلا) أي رأوه عيانا (الطاغوت) كل ما عبد من دون الله وهو راض.

الشرح: على الهدى، وآثروا الكفر على الإيمان، ثم ساق الإمام رحمه

---

(١) سورة الكهف الآية (٢٩).
(٢) سورة الذاريات الآية (٥٦).
(٣) سورة يونس الآية (٩٩).
(٤) سورة الأنعام الآية (١١١).
(٥) سورة يونس، الآية (١٠٠).
(٦) سورة هود الآيتان (١١٨: ١١٩).
(٧) سورة هود الآية (١١٩).
(٨) سورة النحل الآية (٣٦).
(٩) سورة التكوير الآية (٢٩).

.....

الله تعالى قوله عز وجل: ﴿**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**﴾ وهذا ليس إباحة وتخييراً ولكنه وعيد وتهديد لمن آثر الكفر، ويفهم منه أنه حر في أن يكفر، غير أن عليه أن يتحمل العاقبة عن كفره، ثم ساق الإمام الآية المبينة أن التوحيد وعبادة الله تعالى هو الغاية من خلق الجن والإنس، وساق كذلك آيات كثيرة كلها تدلل على أن مشيئة الله نافذة، وأن كل شيء يحدث بقدرته تعالى ومشيئته، كلها توضح أن من اهتدى فبإذن الله تعالى ومن ضل فكذلك بإذن الله تعالى، فكل شيء بمشيئته تعالى، وذلك لأن الله تعالى هو خالق الناس، وخالق مشيئتهم، وهذا مما يجب الإيمان به، أنه لا يكون شيء في الكون إلا بإذنه تعالى.

ٱللَّهُ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾[1] وقال نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام: ﴿ لا وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ﴾[4] والله أعلم . تم الفقه الأبسط لأبي حنيفة رحمه الله وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

اللغة: (نعود) نرجع (يغويكم) يضلكم (أناب) رجع إلى ربه.

الشرح: وهكذا الآيات التي ساقها الإمام هنا كلها تنحو هذا المنحى، وهو إثبات أن كل شيء كائن فإنما هو بمشيئة الله تعالى، وإثبات أن من ضل فقد ضل بإذن الله تعالى، وأن الله قد يفتن من شاء من عباده، وهذا الباب مما يفيد في إثبات المشيئة الشاملة لكل شيء لله تعالى.

---

(١) سورة الأعراف الآية (٨٩).

(٢) سورة هود الآية (٣٤).

(٣) سورة يوسف الآية (٢٤).

(٤) سورة ص الآية (٣٤).

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
الباب الأول: العقيدة على مذهب الإمام أبي حنيفة، وفيه أربعة فصول:	٩
الفصل الأول: عقيدة الإمام أبي حنيفة مع شرح ميسر لها	١١
المقدمة:	١٣
المبحث الأول: عقيدة الإمام أبي حنيفة في التوحيد	١٥
المبحث الثاني: عقيدة الإمام أبي حنيفة في القدر وإثبات مراتبه	٢٣
المبحث الثالث: عقيدة الإمام أبي حنيفة في الإيمان	٢٧
المبحث الرابع: عقيدة الإمام أبي حنيفة في الصحابة	٢٩
المبحث الخامس: نهيه عن الأهواء والخصومات والابتداع في الدين	٣١
المبحث السادس: نهيه عن الشرك ووسائله	٣٤
الفصل الثاني: الشرح الميسر للفقه الأكبر	٥٧
المقدمة:	٥٩
بيان أصول الإيمان	٦٣
وحدانية الله تعالى	٧٣
الصفات الذاتية والفعلية	٧٥
صفات الله أزلية	٧٧
النقول في الصفات	٨٨
القول في القدر	٩٠
ما فطر الله عليه الناس	٩٢
الطاعات محبوبة لله، والمعاصي مقدورة غير محبوبة	٩٦

القول في عصمة الأنبياء ٩٨
القول في الرسول ﷺ ١٠٠
المفاضلة بين الصحابة ١٠٢
لا يكفر مسلم بذنب ما لم يستحله ١٠٤
ذكر بعض من عقائد أهل السنة ١٠٦
آيات الأنبياء، وكرامات الأولياء حق ١١٢
رؤية الله في الآخرة ١١٤
تعريف الإيمان ١١٦
علاقة الإسلام بالإيمان ١١٨
معرفتنا بالله تعالى ١٢٠
شفاعة الأنبياء والميزان والحوض ١٢٢
الجنة والنار لا تفنيان ١٢٤
عذاب القبر ١٢٦
معنى القرب والبعد ١٢٨
القول في تفاضل آيات القرآن ١٢٩
أبناء رسول الله وبناته ١٣١
أشراط الساعة ١٣٣

الفصل الثالث: شرح العقيدة الطحاوية الميسر ١٣٥
المقدمة: ١٣٧
الفقرة الأولى ١٣٩
الفقرة الثانية ١٤٢
الفقرة الثالثة ١٤٦
الفقرة الرابعة ١٤٩

الفقرة الخامسة ١٥١
الفقرة السادسة ١٥٥
الفقرة السابعة ١٥٧
الفقرة الثامنة ١٦١
الفقرة التاسعة ١٦٣
الفقرة العاشرة ١٦٤
الفقرة الحادية عشرة ١٧٠
الفقرة الثانية عشرة ١٧٢
الفقرة الثالثة عشرة ١٧٤
الفقرة الرابعة عشرة ١٧٨
الفقرة الخامسة عشرة ١٨١
الفقرة السادسة عشرة ١٨٣
الفقرة السابعة عشرة ١٨٦
الفقرة الثامنة عشرة ١٨٧
الفقرة التاسعة عشرة ١٨٩
الفقرة العشرون ١٩٣
الفقرة الحادية والعشرون ١٩٥
الفقرة الثانية والعشرون ١٩٧
الفقرة الثالثة والعشرون ٢٠١
الفقرة الرابعة والعشرون ٢٠٤
الفقرة الخامسة والعشرون ٢٠٦
الفقرة السادسة والعشرون ٢٠٩
الفقرة السابعة والعشرون ٢١٤

الفقرة الثامنة والعشرون ٢١٦
الفقرة التاسعة والعشرون ٢١٩
الفقرة الثلاثون ٢٢١
الفقرة الحادية والثلاثون ٢٢٣
الفقرة الثانية والثلاثون ٢٢٥
الفصل الرابع: الشرح الميسر للفقه الأبسط ٢٢٧
- **المقدمة** ٢٢٩
- من أصول أهل السنة والجماعة ٢٣١
- أفضل الفقه وتعريف الإيمان وأركانه ٢٣٧
- حكم من كذب بالخلق أو أنكر معلوماً من الدين بالضرورة ٢٥١
- تعريف أبي حنيفة للإيمان ٢٥٣
- الجاهل في أرض الشرك لا يكفر ٢٥٤
- الخطأ في التأويل لا يكفر به المرء ٢٥٩
- الأعمال إلى الله تعالى، وكل ميسر لما خلق له
- كلامه عن الاستطاعة ٢٦١
- الرد على من زعم أن الله لم يخلق الشر ٢٦٣
- باب في القدر ٢٦٩
- البغي والخروج على الإمام ٢٧١
- القول فيمن يشك في إيمانه ٢٧٨
- المؤمن قد يعذب بذنوبه ٢٨٤
- الكفار يؤمنون عند المعاينة ٢٨٨
- أثر معاذ ٢٩٤
- وجوب الهجرة في الله ٢٩٨

- إثبات العلو ٣٠٠
- إثبات عذاب القبر ٣٠٢
- تحريم التألي على الله ٣٠٤
- وجوب لزوم القرآن ٣٠٨
- باب المشيئة ٣١٠
- باب آخر في المشيئة ٣١٧
- باب الرد على من يكفر بالذنب ٣٢٠
- الاستثناء في الإيمان ٣٢٢
- باب في الصفات ٣٢٦
- باب فى الإيمان ٣٣٠

جمع الفنون

في شرح جملة متون لعقائد أهل السنة على المذاهب الأربعة

بقلم

د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

الجزء الثاني

دار الإتحاف الدولية للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان

قامت بطباعته وإخراجه

دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع

المركز الرئيسي : الكويت ـ الجهراء ـ مجمع كاظمة التجاري

هاتف : ٤٥٥٧٥٥٩ فاكس : ٤٥٥٧٥٥٨

ص .ب : ١٥١٣ الرمز البريدي : 01017 الجهراء

فرع حولي : شارع الحسن البصري ، ق ٣٧ قسيمة ١٠ ، محل رقم ٣

تلفاكس : ٢٦٤١٧٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] .

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

ثم أما بعد : فهذه نبذ من كلام الإمام مالك رحمه الله تعالى توضح عقيدته في التوحيد والإيمان والقدر والصحابة والصفات وغير ذلك ، كما توضح مدى حرصه رحمه الله على سد منافذ الشرك وإغلاق أبوابه ، وكذلك صور ونماذج من مظاهر الشرك التي حذر منها هو وأتباعه ، ومدى تشدده مع أهل البدع والأهواء والخصومات في الدين .

وقد علقت على بعض هذه الفقرات بما رأيته مناسبًا ، وجعلت لكل فصل خلاصة تجمل ما فيه وأتبعتها بأسئلة للمناقشة تعظم بها الفائدة .

والله أسأل القبول وهو من وراء القصد ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

بقلم

د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

الباب الثاني :
مذهب الإمام مالك بن أنس

وفيه فصلان :

الفصل الأول :
عقيدة الإمام مالك مع شرح ميسر لها

الفصل الثاني :
شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني المالكي الميسر

الفصل الأول :

عقيدة إمام دار الهجرة مالك بن أنس بن مالك ابن أبي عامر الأصبحي «رحمه الله»

(٩٣ ـ ١٧٩هـ)

الدكتور / محمد بن عبد الرحمن الخُميس

المبحث الأول
عقيدته في التوحيد :

لقد تكلم الإمام مالك رحمه الله في توحيد الله تعالى ، وبين أنه أصله إفراد الله تعالى بالعبادة كما بين عقيدته في أسماء الله تعالى وصفاته ، وجرى في ذلك على ما جرى عليه غيره من السلف رضي الله عنهم جميعًا ، وذلك كما في النصوص الآتية عنه .

إن مصطلح التوحيد هو لفظ شرعي ، دلت عليه سورة الإخلاص ودل عليه قوله ﷺ لمعاذ لما أرسله إلى اليمن «فليكن أول ما تدعوهم إليه إلى أن يوحدوا الله . .» .

وقد استخدم السلف هذا المصطلح كما نرى عند الإمام مالك رحمه الله في أول النقول عنه في الباب . حيث ذكر لفظ التوحيد فدل على أنه مصطلح معروف عند السلف متداول بينهم ، وليس لفظًا محدثًا كما ظن البعض .

(١) أخرج الهروي عن الشافعي قال : سُئل مالك عن الكلام والتوحيد ، فقال مالك : «محال أن يظن بالنبي ﷺ أنه علم أمته الاستنجاء ، ولم يعلمهم التوحيد ، والتوحيد ما قاله النبي ﷺ : «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله[١] ، فما عصم به المال والدم حقيقة التوحيد»[٢] .

وهذا يدل على أن حقيقة التوحيد عند الإمام مالك هو إفراد الله تعالى بالعبادة ، وهو معنى كلمة لا إله إلا الله ، أي لا مستحق

(١) أخرجه البخاري كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة (٣/ ٢٦٢) ح(١٣٩٩) ، ومسلم كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله (١/ ٥١) ح(٣٢٤) ، والنسائي كتاب الزكاة ، باب مانع الزكاة (٥/ ١٤) ح(٢٤٤٣) جميعهم من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبي هريرة وأخرجه أبو داود ، كتاب الجهاد باب على ما يقاتل المشركون (٣/ ١٠١) ح(٢٦٤٠) ، من طريق أبي صالح عن أبي هريرة .

(٢) ذم الكلام (ق ـ ٢١٠) .

للعبادة إلا الله تعالى . ولم يفسر التوحيد بأنه الربوبية ، أو بالقدرة على الاختراع والصنع ونحو ذلك .

(٢) وأخرج الدار قطني عن الوليد بن مسلم قال : «سألت مالكًا والثوري والأوزاعي والليث بن سعد عن الأخبار في الصفات فقالوا أمرروها كما جاءت»[١] .

لقد فهم أهل التفويض من مثل هذه النصوص عن السلف أنهم كانوا يفوضون في صفات الله تعالى ، ولا يفهمون ما دلت عليه من المعاني ، وهذا غير صحيح ، فإن السلف كانوا يفهمون حقيقة المعاني ، لكنهم كانوا يفوضون الكيفية لله تعالى ، لأنها غيب لا يدرك بالعقل ، وهذا المنهج واضح جدًا في النص الذي سوف يأت عن الإمام مالك رحمه الله في تفسير الاستواء على العرش .

إثبات الرؤية

(٣) وقال ابن عبد البر : «سئل مالك أيرى الله يوم القيامة؟ فقال : نعم يقول الله عز وجل : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة : ٢٢ ، ٢٣] . وقال لقوم آخرين : ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين : ١٥][٢] .

---

(١) أخرج هذا الأثر الدارقطني في الصفات ص ٧٥ ، والآجري في الشريعة ص ٣١٤ ، والبيهقي في الاعتقاد ص ١١٨ ، وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٤٩) .

(٢) الانتقاء ص ٣٦ .

وأورد القاضي عياض في ترتيب المدارك[١] عن ابن نافع[٢] ، وأشهب[٣] ، قالا : وأحدهم يزيد على الآخر يا أبا عبد الله ﴿وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة﴾ ، ينظرون إلى الله؟ قال : نعم بأعينهم هاتين ، فقلت له : فإن قومًا يقولون لا ينظر إلى الله ، إن ناظرة بمعنى منتظرة إلى الثواب[٤] قال : كذبوا بل ينظر إلى الله ، أما سمعت قول موسى عليه السلام : ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ، أفترى موسى سأل ربه محالا؟ فقال الله : ﴿لن تراني﴾ [الأعراف : ١٤٣] ، أي في الدنيا لأنها دار فناء ، ولا ينظر ما يبقي بما يفنى ، فإذا صاروا إلى دار البقاء نظروا بما يبقى إلى ما يبقى وقال الله : ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ .

القول في الاستواء :

(٤) وأخرج أبو نعيم عن جعفر بن عبد الله قال : «كنا عند مالك بن أنس فجاءه رجل فقال : يا أبا عبد الله ، الرحمن على العرش استوى ، كيف استوى؟

---

(١) (٢/ ٤٢) .

(٢) الذي يروي عن الإمام مالك باسم ابن نافع رجلان ، أما الأول فهو عبد الله بن نافع بن ثابت الزبيري أبو بكر المدني قال عنه ابن حجر : «صدوق مات سنة ٢١٦هـ» ، وأما الثاني فهو عبد الله بن نافع بن أبي نافع المخزومي ، مولاهم أبو محمد المدني ، قال عنه ابن حجر : ثقة صحيح الكتاب في حفظه لين مات سنة ٢٠٦هـ ، وقيل بعدها ، تقريب التهذيب (١/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦) ، وتهذيب التهذيب (٦/ ٥٠ ـ ٥١) .

(٣) هو أشهب بن عبد العزيز بن داوود القيسي أبو عمر المصري ، قال عنه ابن حجر : «ثقة فقيه مات سنة ٢٠٤هـ» ، تقريب التهذيب (١/ ٨٠) أنظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١/ ٣٥٩) .

(٤) في هذا التأويل ورد الإمام مالك عليه ، دليل على أن التأويلات البدعية ، وصرف النصوص عن ظاهرها قد ظهر في عهد هؤلاء الأئمة ، وليس بعدهم كما ظن البعض ، ولو كان هذا التأويل مشروعًا أو سائغًا ما رده الإمام مالك رحمه الله ، ولا كذب أهله ، واالتأويل المشروع عند السلف كان يرد علي أحد معنيين :

الأول : التفسير .

الثاني : عاقبة الشيء وما يؤول إليه . لكن نصوص الصفات أجروها على حقيقتها ، ولم يؤولوها التأويل الذي هو بمعنى صرف اللفظ عن ظاهر معناه .

فما وجد[١] مالك من شيء ما وجد من مسألته ، فنظر إلى الأرض ، وجعل ينكت بعود في يده حتى علاه الرحضاء - يعني العرق - ثم رفع رأسه ، ورمى بالعود وقال : الكيف منه غير معقول ، والاستواء منه غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وأظنك صاحب بدعة ، وأمر به فأخرج»[٢] .

والظاهر أن الإمام مالكًا قد شعر من السائل بأنه صاحب هوى أو يسأل متعنتًا فلهذا أنكر عليه ، وأمر به فأخرج ، ونعته بأنه صاحب بدعة ، وهذا دليل على شدة إنكاره رحمه الله على أهل البدع ، وقوله بأن الكيف غير معقول أي لا يستطيع العقل علم كيفيته ، والاستواء غير مجهول ، أي غير مجهول المعنى ، بل نعرفه من لغتنا التي نزل بها القرآن والإيمان به أي بما دل عليه من إثبات الاستواء الحقيقي لله بمنعي العلو والاستقرار والارتفاع على الكيفية .

القول في القرآن وأنه كلام الله غير مخلوق

(٥) وأخرج أبو نعيم عن يحيى بن الربيع قال : «كنت عند مالك بن أنس ودخل عليه رجل فقال يا أبا عبد الله ، ما تقول فيمن يقول القرآن مخلوق؟

فقال مالك : زنديق[٣] فاقتلوه ، فقال يا أبا عبد الله إنما أحكي كلامًا سمعته ،

---

(١) جاء في لسان العرب (٣/ ٤٤٦) (وجد عليه في الغضب يُجد ويجدُ وجدًا مَوْجِدَة ووجدانًا غضب وفي حديث الإيمان أني سائلك فلا تجد عليّ ، أي لا تغضب من سؤالي) .

(٢) الحلية (٦/ ٣٢٥ ، ٣٢٦) ، وأخرجه أيضا الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث ص١٧ ، ١٨ ، من طريق جعفر بن عبد الله بن مالك وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٥١) من طريق عبد الله بن نافع عن مالك والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٤٠٨ . من طريق عبد الله بن وهب عن مالك قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/ ٤٠٦ ، ٤٠٧) ، إسناده جيد وصححه الذهبي في العلو ص ١٠٣ .

(٣) الزنديق : كلمة معربة عن الفارسية استعملها المسلمون أولا في الدلالة على القائلين بالأصلين النور والظلمة على مذهب المانوية وغيرهم ثم اتسع معناها عندهم فشمل الدهريين والملحدين وسائر أصحاب المعتقدات الضالة بل أطلق على المتشككين وكل متحرر عن أحكام الدين فكرًا وعملاً .

انظر الموسوعة الميسرة (١/ ٩٢٩) وتاريخ الإلحاد لعبد الرحمن بدوي ص١٤ ، ٣٢ .

فقال : لم أسمعه من أحد إنما سمعته منك ، وعظم هذا القول»[١] .

(٦) وأخرج ابن عبد البر عن عبد الله بن نافع قال : «كان مالك بن أنس يقول من قال القرآن مخلوق يوجع ضربًا ويحبس حتى يتوب»[٢] .

فحكم رحمه الله بأن من قال القرآن مخلوق أنه زنديق ، ومرة حكم بقتله ، ومرة حكم بضربه وحبسه حتى يتوب ، وهذا دليل على شدة إنكاره رحمه الله على أهل البدع ، وحرصه على مواجهتها ، والقضاء عليها .

وفيه رد كذلك على الأشعرية والماتريدية وغيرهم ممن زعموا أن القرآن مخلوق وأنه عبارة عن كلام الله النفسي .

(عقيدته في علو الله وأنه تعالى في السماء) .

(٧) وأخرج أبو داوود عن عبد الله بن نافع قال : «قال مالك : الله في السماء وعلمه في كل مكان»[٣] .

هذا كذلك إثبات لما عليه أهل السنة والجماعة من أن الله في السماء ، وعلمه شامل لكل الكائنات ، وليس كما زعم أهل البدع أنه تعالى في كل مكان ، أو أنه لا داخل العالم ولا خارجه .

---

(١) الحلية (٦/ ٣٢٥) وأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٢٤٩) من طريق أبي محمد يحيى بن خلف عن مالك ، وأورده عياض في ترتيب المدارك (٢/ ٤٤٠) .

(٢) الانتقاء ص ٣٥ .

(٣) رواه أبو داوود في مسائل الإمام أحمد ص٢٦٣ ، وأخرجه عبد الله بن أحمد في السنة ص١١ ، الطبعة القديمة ، وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٣٨) .

الخلاصة :

١ ـ التوحيد عند الإمام مالك في أصله إفراد الله تعالى بالعبودية .

٢ ـ يثبت مالك لله تعالى كل ما ثبت من الصفات الحسنى في الكتاب والسنة مع البعد عن التأويل وصرف النصوص عن ظاهرها .

٣ ـ يثبت رحمه الله الاستواء لله ، والرؤية في الآخرة .

٤ ـ القرآن كلام الله غير مخلوق كما نص عليه مالك وغيره .

المناقشة :

س ١ : ما أصل التوحيد عند الإمام مالك؟

س ٢ : ما موقف الإمام مالك رحمه الله من نصوص الصفات؟

س ٣ : تكلم بإيجاز عن رأيه في مسألة الرؤية .

س ٤ : ما قول مالك في القرآن .

المبحث الثاني
عقيدة الإمام مالك في القدر

لقد ثبت عن الإمام مالك نصوص كثيرة في مسألة القدر، وكلها تثبت ما كان عليه رحمه الله من إثبات قدر الله تعالى بجميع مراتبه الأربعة شأنه في ذلك شأن غيره من علماء السلف، فمن ذلك ما:

إثبات المشيئة والخلق:

(١) أخرج أبو نعيم عن ابن وهب[١] قال: «سمعت مالكًا يقول لرجل سألتني أمس عن القدر؟ قال: نعم، قال: إن الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

فلا بد أن يكون ما قال الله تعالى»[٢].

أفعال الخير والشر مخلوقة:

(٢) وقال القاضي عياض: «سئل الإمام مالك عن القدرية: مَن هم؟ قال: من قال: ما خلق المعاصي، وسُئل كذلك عن القدرية؟ قال: هم الذي يقولون إن الاستطاعة إليهم إن شاءوا أطاعوا، وإن شاءوا عصوا»[٣].

---

(١) هو عبد الله بن وهب القرشي مولاهم المصري قال عنه ابن حجر: «الفقيه ثقة حافظ عابد مات سنة ١٩٧هـ»، تقريب التهذيب (١/ ٤٦٠).

(٢) الحلية: (٦/ ٣٢٦).

(٣) ترتيب المدارك (٢/ ٤٨)، وانظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٧٠١).

حكمه في القدرية :

(٣) وأخرج ابن أبي عاصم عن سعد بن عبد الجبار قال : «سمعت مالك بن أنس يقول : رأيي فيهم أن يستتابوا فإن تابوا وإلا قتلوا ـ يعني القدرية - »[١] .

(٤) وقال ابن عبد البر : قال مالك : ما رأيت أحدًا من أهل القدر إلا أهل سخافة وطيش وخفة»[٢] .

(٥) وأخرج ابن أبي عاصم عن مروان بن محمد الطاطري قال : «سمعت مالك بن أنس يسأل عن تزويج القدري؟ فقرأ : ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ﴾ [البقرة : ٢٢١] . . .»[٣] .

رد شهادة أهل البدع والأهواء:

(٦) وقال القاضي عياض : قال مالك : لا تجوز شهادة القدري الذي يدعو[٤] ، ولا الخارجي والرافضي»[٥] .

لا يصلي خلف القدرية:

(٧) وقال القاضي عياض : سُئل مالك عن أهل القدر أنكف عن كلامهم؟ قال : نعم إذا كان عارفًا بما هو عليه ، وفي رواية أخرى قال : لا يصلي خلفهم ، ولا يقبل عنهم الحديث ، وإن وافيتموهم في ثغر فأخرجوهم منه»[٦] .

---

(١) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٨٧ ، ٨٨) ، وأخرجه أيضًا أبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٦) .

(٢) الانتقاء ص ٣٤ .

(٣) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٨٨) الحلية (٦/ ٣٢٦) .

(٤) يدعو إلى بدعته .

(٥) ترتيب المدارك (٢/ ٤٧) .

(٦) ترتيب المدارك (٢/ ٤٧) .

الخلاصة :

١ ـ الإمام مالك رحمه الله يثبت القدر الإلٰهي بجمع مراتبه .

٢ ـ أفعال العباد من خير وشر كلها مخلوقة لله عز وجل .

٣ ـ كان رحمه الله شديداً على القدرية ، فرد شهادتهم ، ولم يجز الصلاة خلفهم .

المناقشة :

س ١ : ما موقف الإمام مالك من مسألة خلق أفعال العباد؟

س ٢ : هل يثبت مالك القدر بجميع مراتبه .

س ٣ : ما موقف الإمام مالك من فرقة القدرية .

***

المبحث الثالث
عقيدة الإمام مالك في الإيمان

الإيمان قول وعمل يزيد وينقص :

تكلم الإمام مالك رحمه الله كغيره من علماء السلف في إثبات أن الإيمان قول وعمل وأنه يزيد وينقص ، وقصدهم بذلك الرد على منكري ذلك من أهل البدع الذين نفوا زيادة الإيمان ونقصانه ، وأخرجوا الأعمال من مسمى الإيمان ، فجعل الأئمة هذا الباب من أصولهم كما نرى هنا ، فقد :

(١) أخرج ابن عبد البر عن عبد الرزاق بن همام قال : «سمعت ابن جريج[١] وسفيان الثوري ومعمر بن راشد وسفيان بن عيينة ، ومالك بن أنس يقولون : الإيمان قول وعمل يزيد وينقص»[٢] .

(٢) وأخرج أبو نعيم عن عبد الله بن نافع قال : «كان مالك بن أنس يقول : الإيمان قول وعمل»[٣] .

رده على المرجئة :

(٣) وأخرج بن عبد البر عن أشهب بن عبد العزيز قال : قال مالك . فقام الناس يصلون نحو بيت المقدس ستة عشر شهرًا ، ثم أمروا بالبيت الحرام قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ [البقرة : ١٤٣] ، أي صلاتكم إلى بيت المقدس ، قال مالك : وإني لأذكر بهذه قول المرجئة : إن الصلاة ليست من الإيمان»[٤] .

---

(١) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الرومي الأموي مولاهم المكي ، قال عنه الذهبي : «الإمام الحافظ فقيه الحرم أبو الوليد» مات سنة ١٥٠هـ ، تذكرة الحفاظ (١/ ١٦٩) ، وانظر ترجمته في تاريخ بغداد (١٠/ ٤٠٠) .

(٢) الانتقاء ص ٣٤ .

(٣) الحلية (٦/ ٣٢٧) .

(٤) الانتقاء ص ٣٤ .

الخلاصة :

يرى الإمام مالك رحمه الله أن الإيمان قول وعمل ، وأنه يزيد وينقص وهذا هو مذهب السلف رحمهم الله تعالى .

المناقشة : س ١ : ما الإيمان عند الإمام مالك؟ وهل يزيد وينقص؟

س ٢ : هات دليلاً من القرآن استدل به مالك على أن العمل من الإيمان .

* * *

المبحث الرابع
عقيدة الإمام مالك في الصحابة

لا حق في الفيء لمبغض الصحابة :

حرص الإمام مالك رحمه الله كغيره من الأئمة على ذكر عقيدته في الصحابة ضمن أصوله التي نص عليها ، وذلك بعد أن ظهر الوقوع في الصحابة ، والقدح فيهم ، والحط من شأن أبي بكر وعمر وغيرهما رضي الله عنهم جميعًا ، وكل ذلك بسبب الباطنية والناصبة ، فمن هنا وجد الأئمة لزامًا عليهم إظهار القول الحق في شأن الصحابة ، وهذا ما فعله الإمام مالك رحمه الله ، كما سنرى فقد أخرج أبو نعيم عن عبد الله العنبري[١] قال : «قال مالك بن أنس : من تنقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ ، أ كان في قلبه عليهم غل ، فليس له حق في فيء المسلمين ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا﴾ [الحشر : ١٠] . فمن تنقصهم أو كان في قلبه عليهم غل ، فليس له في الفيء حق»[٢] .

حكمه فيمن يبغضهم أو ينتقصهم:

(٢) وأخرج أبو نعيم عن رجل من ولد الزبير [٣] قال : «كنا عند مالك فذكروا رجلا يتنقص أصحاب رسول الله ﷺ ، فقرأ مالك هذه الآية :

---

(١) هو عبد الله بن سوار بن عبد الله العنبري البصري القاضي ، قال عنه ابن حجر : «ثقة مات سنة ٢٢٨هـ» ، وقيل غير ذلك ، تقريب التهذيب (١/ ٤٢١) ، وتهذيب التهديب (٥/ ٢٤٨) .

(٢) الحلية (٦/ ٣٢٧) .

(٣) الذي تتلمذ على مالك وسمع منه من ولد الزبير بن العوام هو عبد الله بن نافع بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام ، وقد تقدم التعريف به ومصعب بن عبد الله بن مصعب ، وسيأتي التعريف به .

﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء﴾ حتى بلغ : ﴿ويعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار﴾ [الفتح : ٢٩] . فقال مالك : «من أصبح في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ ، فقد أصابته الآية»(١) .

تفضيله بين الصحابة

(٣) وأورد القاضي عياض عن أشهب بن عبد العزيز قال : «كنا عند مالك إذ وقف عليه رجل من العلويين وكانوا يقبلون على مجلسه فناداه : يا أبا عبد الله فأشرف له مالك ، ولم يكن إذا ناداه أحد يجيبه أكثر من أن يشرف برأسه ، فقال له الطالبي : إني أريد أن أجعلك حجة فيما بيني وبين الله ، إذا قدمت عليه فسألني ، قلت له : مالك قال لي .

ـ فقال له : قُل .

ـ فقال : من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟

ـ قال : أبو بكر ، قال العلوي : ثم مَن؟ قال مالك : ثم عمر . قال العلوي : ثم مَن؟ قال : الخليفة المقتول ظلماً ، عثمان . قال العلوي : والله لا أجالسك أبدًا .

ـ قال له مالك : فالخيار إليك»(٢) .

---

(١) الحلية (٦/ ٣٢٧) .

(٢) ترتيب المدارك (٢/ ٤٤ ، ٤٥) .

الخلاصة :

١ ـ يرى الإمام مالك وجوب محبة الصحابة جميعا ، وعدم انتقاصهم ، وعدم بغض أي منهم .

٢ ـ يفضل مالك الخلفاء الأربعة على غيرهم ، وذلك حسب ترتيبهم في الخلافة .

المناقشة :

س ١ : ما موقف الإمام مالك رحمه الله تعالى من الصحابة؟

س ٢ : ما حكمه فيمن يبغض الصحابة وينتقصهم؟

س ٣ : من هم أفضل الصحابة عند الإمام مالك رحمه الله .

* * *

المبحث الخامس
نهيه عن الخصومات والأهواء والبدع في الدين

نهيه عن علم الكلام

كان الإمام مالك رحمه الله تعالى من أشد الناس نهيًا عن الاشتغال بعلم الكلام وعن مجالسة المتكلمين ، وكان يرى أنه يورث الشك والحيرة والاضطراب ، وأنه يؤدي إلى الزندقة ، وأنه مخالف لما كان عليه الأولون ، فمن هنا كثر نهيه عنه كما ثبت فيما :

(١) أخرج ابن عبد البر عن مصعب بن عبد الله الزبيري[١] قال : «كان مالك بن أنس يقول : الكلام في الدين أكرهه ، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه ، نحو الكلام في رأي جهم والقدر وكل ما أشبه ذلك ، ولا يحب الكلام إلا فيما تحته عمل ، فأما الكلام في دين الله وفي الله عز وجل فالسكوت أحب إليَّ لأني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في الدين إلا فيما تحته عمل»[٢] .

كلام الإمام مالك هذا فيه دليل واضح على أن السلف كانوا يكرهون جدًا كلام الجهم والقدرية والخوض في أمور الكلام المنهي عنه .

وبالرغم من هذا فقد انتشرت آراء جهم وغيره بين بعض المنتسبين في الفروع إلى الأئمة حتى من بعض المنتسبين لمالك رحمه الله تعالى .

الرجاء لمن ترك علم الكلام :

(٢) وأخرج أبو نعيم عن عبد الله بن نافع قال : «سمعت مالكًا يقول : لو أن

---

(١) هو مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي المدني نزيل بغداد قال عنه ابن حجر : «صدوق عالم بالنسب مات سنة ٢٣٦هـ» تقريب التهذيب (٢/ ٢٥٢) ، وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١٠/ ١٦٢) .

(٢) جامع بيان العلم وفضله ص ٤١٥ ، ط/ دار الكتب الإسلامية .

رجلاً ركب الكبائر كلها بعد ألا يشرك بالله ثم تخلى من هذه الأهواء والبدع ـ وذكر كلامًا ـ دخل الجنة»[١] .

هذا يوضح أن مذهب مالك رحمه الله أن الكبائر أهون من الاشتغال بعلم الكلام ، فالكبيرة من تاب منها لم يبق في قلبه أثر لها أما علم الكلام فإنه يورث الشك والارتياب والحيرة والاضطراب .

عاقبة الكلام الزندقة :

(٣) وأخرج الهروي عن إسحاق بن عيسى[٢] قال : «قال مالك : من طلب الدين بالكلام تزندق ، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس ، ومن طلب غريب الحديث كذب»[٣] .

(٤) وأخرج الخطيب عن إسحاق بن عيسى قال : «سمعت مالك بن أنس يعيب الجدال في الدين ويقول : كلما جاءنا رجل أجدل من رجل أرادنا أن نرد ما جاء به جبريل إلى النبي ﷺ»[٤] .

هذا هو حال أهل الكلام كلما جاء رجل أعلم بصنعة الكلام من غيره ، انقادوا له ، فينقض كلام من سبقه ، ولهذا فهم مترددون متخبطون ، فترى ابن رشد ينقض كلام الغزالي ، والرازي ينتقض كلام الآمدي والجويني ، وهكذا .

لعنه لعمرو بن عبيد :

(٥) وأخرج الهروي عن عبد الرحمن بن مهدي قال : «دخلت على مالك

---

(١) الحلية (٦/ ٣٢٥) .

(٢) هو إسحاق بن عيسى بن نجيح البغدادي قال عنه ابن حجر : «صدوق مات سنة ٢١٤هـ» تقريب التهذيب (١/ ٦٠) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١/ ٢٤٥) .

(٣) ذم الكلام (ق ١٧٣ ـ أ) .

(٤) شرف أصحاب الحديث ص ٥ .

وعنده رجل يسأله فقال : لعلك من أصحاب عمر بن عبيد ، لعن الله عمرو بن عبيد ، فإنه ابتدع هذه البدعة من الكلام ، ولو كان الكلام علمًا لتكلم فيه الصحابة ، والتابعون ، كما تكلموا في الأحكام والشرائع»[١] .

هذا اللعن من الإمام مالك لعمر بن عبيد ، وما ثبت عن أبي حنيفة مثله ، إنما هو لشدة خطر بدعة عمرو وأشباهه على المسلمين بما فتحوه من الكلام والبدع ، ومقصوده من الكلام هو ذلك العلم الموروث عن اليونان وغيرهم ، الذي يفتح باب التشكيك في العقائد والغيبيات ، ومن هنا يعلم خطأ من أطلقوا على العقيدة علم الكلام ، حتى إن أقسام العقيدة بعض الجامعات أصبحت تسمى أقسام علم الكلام والفلسفة فالله المستعان على غربة الدين وبعد المسلمين عن دينهم .

حتى أن أحدهم إذا سئل عن مذهبه في الفقه قال حنفي أو مالكي أو غيره ، ويتعصب لإمامه في الفروع ، وهو يخالفه في الأصول والعقائد ، فالله المستعان .

تحذيره من البدع وأهلها :

(٦) وأخرج الهروي عن أشهب بن عبد العزيز قال : «سمعت مالكًا يقول : «إياكم والبدع ، قيل يا أبا عبد الله ، وما البدع؟ قال : أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته ، وكلامه ، وعلمه وقدرته ولا يسكتون عمّا سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان»[٢] .

يقصد رحمه الله بالذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ، الذين يتكلمون بغير علم ويذهبون إلى التعطيل وغيره ، وليس الذين

---

(١) ذم الكلام (ق ١٧٣ ـ ب) .

(٢) ذم الكلام (ق ١٧٣ ـ ب) .

يتكلمون بقصد التقرير والإثبات ، فإن هؤلاء لا يذمون .

(٧) وأخرج أبو نعيم عن الشافعي قال : «كان مالك بن أنس إذا جاءه بعض أهل الأهواء قال : أما إني على بيّنة من ربي ودِيني ، وأما أنت فشاك فاذهب إلى شاك فخاصمه»[١] .

فهذا يوضح أن المتبعين لعلم الكلام دائما أهل حيرة وشك واضطراب ، ويتندمون عند الموت حتى قال قائلهم :

نهاية إقدام العقول عقال

وغاية سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا

وغاية دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا

سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا[٢]

وأما أهل السنة فهم أهل إيمان ويقين ، لا يشكون ولا يتحيرون ، لأخذهم بالسنة وتركهم للأهواء .

موقفه من كتب الكلام :

(٨) روى ابن عبد البر عن محمد بن أحمد بن خويز منداد المصري المالكي قال في كتاب الإجارات من كتابه الخلاف : قال مالك لا تجوز الإجارات في شيء من كتب الأهواء والبدع ، والتنجيم ، وذكر كتبًا ثم قال : وكتب أهل الأهواء والبدع عند أصحابنا هي كتب أصحاب الكلام من المعتزلة ، وغيرهم ،

(١) الحلية (٦/ ٣٢٤) .

(٢) هذا في كلام الرازي في كتابه أقسام اللذات .

وتفسخ اجارة في ذلك»[١] .

إذا كان الإمام مالك رحمه الله يرى عدم جواز الإجارة في كتب أهل الكلام ، فكيف بمن يجعلونها واجبة التدريس على طلاب الجامعات وغيرهم ، ويختبرونهم فيها ، ويعظمون ما فيها؟

فهذه لمحات من موقف الإمام مالك وأقواله في التوحيد والصحابة والإيمان وعلم الكلام وغيره .

الخلاصة :

شدد الإمام مالك في الإنكار على المشتغلين بعلم الكلام ونهى عن مجادلتهم حتى إنه ذهب إلى بطلان الإجارة في كتب المتكلمين ونحوها .

المناقشة :

س ١ : ما موقف مالك من علم الكلام والمتكلمين؟

س ٢ : هل كان مالك يحب مجادلة المتكلمين؟

س ٣ : هل يرى مالك أن علم الكلام يؤدي إلى اليقين والإيمان؟

***

(١) جامع بيان العلم وفضله ص ٤١٦ ، ٤١٧ ط/ دار الكتب الإسلامية .

المبحث السادس
نهيه عن الشرك ووسائله

أولا : نهيه عن وسائل الشرك :

وجاء عن الإمام مالك وبعض أتباعه النهي عما هو من وسائل الشرك :

كتجصيص القبور(١) ، وتعليتها(٢) ، والكتابة عليها(٣) ، والبناء عليها (٤) ، واتخاذها مساجد(٥) ، واستقبالها للدعاء(٦) ، والسجود عليها(٧) ،

---

(١) لما أخرجه مسلم وغيره قال : «نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه بناء» . ولمعرفة موقف مالك رحمه الله وكثير من أتباعه من هذه القضايا راجع المدونة ١/ ١٨٩ كتاب الكافي لابن عبد البر ١/ ٢٨٣ ، وتنوير المقالة ٣/ ٤٠ ، والثمر الداني ٢٣٠ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٨٠ .

(٢) لما أخرجه مسلم وغيره عن جابر : قال : «نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر ، وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه بناء» . ولمعرفة موقف مالك رحمه الله وأتباعه من هذه القضايا راجع المدونة ١/ ١٨٩ ، وتنوير المقالة ٣/ ٤٠ ، والثمر الداني ص ٢٣٠ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٨٠ ، ٣٨١ .

(٣) لما أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما من حديث جابر أن النبي ﷺ : «نهى أن تجصص القبور ، وأن يكتب عليها» ، ولمعرفة موقف الإمام مالك رحمه الله وكثير من أتباعه راجع فتح المجيد ص ٣٢٣ .

(٤) لما أخرجه مسلم عن جابر قال : «نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر ، وأن يقعد عليها ، وأن يبنى عليه بناء» ، ولمعرفة موقف مالك رحمه الله وأتباعه راجع المدونة ١/ ١٨٩ المعيار المعرب ١/ ٣١٧ ، ٣١٨ ، وتنوير المقالة ٣/ ٣٩ ، والثمر الداني ٢٣١ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٧٩ ، فتح المجيد ص٣٢٣ ، تيسير العزيز الحميد ص٣٢٣ ، ٣٢٤ ، والكافي لابن عبد البر ١/ ٢٨٣ .

(٥) قال النبي ﷺ : «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا» متفق عليه . وقال : ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك . أخرجه مسلم وغيره . ولمعرفة موقف المالكية في التمهيد ١/ ١٦٨ ، ٥ ، ٤٥ ، والمنتقى ٧/ ١٩٥ تفسير القرطبي ١٠/ ٣٨٠ ، شرح موطأ مالك للزرقاني ٤/ ٢٣٣ ، ١٢/ ٣٥١ ، وتيسير العزيز الحميد ص ٣٤٠ ، والمنتقى ١/ ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

(٦) أخرج مسلم وغيره أن النبي ﷺ قال : «لا تجلسوا على القبور ، ولا تصلوا عليها» .

ولمعرفة موقف المالكية راجع لكتاب صيانة الإنسان ص٢٦٤ ، وفتح المنان ص ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، وتيسير العزيز الحميد ص٣٥٨ .

(٧) ولمعرفة موقف المالكية راجع التمهيد ٦/ ٣٨٣ ، ١/ ١٦٧ ، ٥/ ٤٥ .

والصلاة عليها[١] ، وشد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة[٢] .

قال القرطبي : «التمسك بسد الذرائع وحمايتها هو مذهب مالك وأصحابه ، وأحمد بن حنبل في رواية عنه ، وقد دل على هذا الأصل الكتاب والسنة»[٣] .

وقال كذلك : «ولهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي ﷺ فأعلوا حيطان تربته ، وسدوا المداخل إليها ، وجعلوها محدقة بقبره ﷺ ، خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة إذ كان مستقبل المصلين فتصور الصلاة إليه بصورة العبادة ، فبنوا جدارين من ركني القبر وحرفهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره»[٤] .

فرحم الله سلف هذه الأمة على ما قدموه من جهد لحماية جناب التوحيد ، وسد كل ذرائع الشرك ، حتى في أدق الأمور .

وقال الإمام مالك : «أكره تجصيص القبور والبناء عليها وهذه الحجارة التي يبني عليها»[٥] .

والكراهية التي يشير إليها الإمام يقصد بها كراهة التحريم لما ورد في النهي عن هذه الأمور كما لا يخفى .

---

(١) أخرج مسلم وغيره أن النبي ﷺ قال : «لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا عليها» ، ولمعرفة موقف المالكية راجع : مقدمة ابن رشد ص ١٧٤ ، والتمهيد ١/ ١٦٧ ، ٥/ ٢٥ ، ٦/ ٢٨٣ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٧٩ .

(٢) لقول النبي ﷺ : «لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد . . .» .

ولمعرفة موقف المالكية ارجع إلى المعلم ١٢/ ٨٢ ، وشرح الزرقاني لمختصر خليل ٣/ ٩٣ ، وتيسير العزيز الحميد ٣٦١ ، وشرح الزرقاني للموطأ ١/ ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٣) تفسير القرطبي ١٢/ ٥٧ ، ٥٨ .

(٤) قرة عيون الموحدين ص ١٣٦ .

(٥) المدونة ١/ ١٨٩ .

وقال ابن أبي شامة : «كان مالك وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد وتلك الآثار في المدينة ، ما عدا قباء وأحد»[١] .

وهذا من شدة احتياطهم في حماية التوحيد ، فإنهم كرهوا كل ما لم يرد فيه نص ، خوفًا من ذرائع الشرك فكيف بمن يذهب إلى المساجد السبعة ، وإلى مسجد القبلتين وغيره .

وقال ابن عبد الباقي في شرح الموطأ : «روى أشهب عن مالك أنه كره لذلك أن يدفن في المسجد قال : «وإذا منع من ذلك فسائر آثاره أحرى بذلك ، وقد كره مالك طلب موضع شجرة بيعة الرضوان مخالفة لليهود والنصارى»[٢] .

والمقصود بالكراهية هنا للدفن هي كراهية التحريم ، وكذلك يتضح تشدده في الأشياء التي فيها مشابهة لليهود والنصارى ، والمقصود ليس ترك التشبه بهم فقط ، ولكنه لما ورد أيضا من العلل والحكم في منع هذه الأشياء حذراً من الشرك وحماية لجانب التوحيد .

وقال القرطبي : «وقال علماؤنا وهذا يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء مساجد»[٣] .

وانظر إلى ما عليه حال الناس اليوم من الافتتان بالأضرحة وأهلها ، فكلما هلك فيهم عالم أو صالح صنعوا له ضريحا ، وبنوا عليه مسجداً ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة .

وقال ابن رشد : إن فات ـ يعني صلاة الجنازة ـ لم يصل عليه لئلا يكون ذريعة

---

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث ص ٩٦ ، ٩٧ ، وكتاب ابن وضاح رقم ١١٣ .

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٣٤٠ .

(٣) تفسير القرطبي ١٠/ ٣٨٠ .

الصلاة على القبور وهو مذهب أشهب وسحنون»[١] .

وقال ابن رشد كذلك : «كره مالك البناء على القبر وجعل البلاطة المكتوبة»[٢] .

قال القرطبي : في شرح حديث النبي ﷺ : لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها» ، أي لا تتخذوها قبلة ، فتصلوا عليها أو إليها كما فعل اليهود والنصارى ، فيؤدي إلى عبادة من فيها كما كان السبب في عبادة الاصنام ، فحذر النبي ﷺ عن مثل ذلك ، وسد الزرائع المؤدية إلى ذلك»[٣] .

إلى أن قال : «وأما تعلية البناء الكثير على نحو ما كان في ا لجاهلية تفعله تفخيمًا وتعظيمًا ، فذلك يهدم ويزال ، فإن فيه استعمال زينة الدنيا في أول منازل الآخرة ، وتشبها بمن كان يعظم القبور ويعبدها»[٤] .

وقال الإمام مالك : «لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ يدعو ، ولكن يسلم ويمضي» ذكره إسماعيل بن إسحاق في المبسوط ، وإسناده صحيح كما في صيانة الإنسان[٥] .

وهذا يوضح مدى احتياط مالك رحمه الله للتوحيد ، وتحذيره من الشرك حتى لو كان يقتضي ذلك التحرز من الغلو في تعظيم قبر النبي ﷺ .

وقال أيضا في المبسوط : «لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج أن يقف على قبر النبي ﷺ ، ويدعو له ولأبي بكر وعمر .

---

(١) مقدمة ابن رشد ص ١٧٤ .

(٢) فتح المجيد ص ٣٢٣ ، ولعله يقصد ما يسمى اليوم بشاهد القبر وهو رخام يكتب عليه اسم الميت ، وتاريخ وفاته ، وغير ذلك . والله أعلم .

(٣) تفسير القرطبي (١٠/ ٣٨٠) .

(٤) تفسير القرطبي (١٠/ ٣٨١) .

(٥) ص ٢٦٤ فتح المنان ص ٣٥٨ .

والمقصود بذلك الدعاء لهم ، وليس قصد استقبال القبر للدعاء ، بل يستقبل قبلة الصلاة ويدعو لما ثبت عن مالك وغيره من النهي عن ذلك والتحذير منه .

قيل له : فإن ناسًا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر ، وربما وقفوا في الجمعة أو في الأيام المرة أو المرتين أو أكثر عند القبر ، فيسلمون ويدعون ساعة ، فقال : لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها ، أنهم كانوا يفعلون ذلك ، ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده»(١) .

وأما الحكاية التي ذكرها القاضي عياض عن محمد بن حميد قال : «ناظر أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين مالكًا في مسجد رسول الله ﷺ ، قال له مالك يا أمير المؤمنين ، لا ترفع صوتك في هذا المسجد ، فإن الله تعالى أدب قومًا وقال :﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات : ٢] .

ثم قال : فهذه الحكاية على هذا الوجه إما أن تكون ضعيفة أو محرفة»(٢) .

أما الحكاية التي رواها القاضي عياض بإسناده عن مالك في قصته مع المنصور وأنه قال لمالك يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعوا؟ أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ قال ولم تصرف وجهك عنه ، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله يوم القيامة بل استقبله ، واستشفع به يشفعه الله فيك»(٣) .

قال صاحب تيسير العزيز الحميد «فهذه الرواية ضعيفة أو موضوعة لأن في إسنادها من يتهم محمد بن حميد»(٤) .

---

(١) ص ٢٦٤ فتح المنان ص ٣٥٨ .

(٢) انظر صيانة الإنسان ص ٢٥٥ ، وفتح المنان ص ٣٥٩ .

(٣) تيسير العزيز الحميد ص ٣٥٨ .

(٤) تيسير العزيز الحميد ص ٣٥٨ .

وهذه طريقة أهل البدع والأهواء يخترعون حكايات وقصصًا لا أصل لها لتأييد ما يفعلونه من البدع ، وما يذهبون إليه من الأهواء الباطلة .

وأما ما روي ابن زبالة وهو في أخبار المدينة عن عمر بن هارون عن سلمة بن وردان ، وهما ساقطان ، قال : رأيت مالك بن أنس يسلم على النبي ﷺ ، ثم يسند ظهره إلى جدار القبر ، ثم يدعوا[1] ، فالرجلان ساقطان كما في تيسير العزيز الحميد .

وأما الحكاية في تلاوة مالك هذه الآية : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [النساء : ٦٤] فهو والله أعلم باطل ، فإن هذه لم يذكره أحد من الأمة فيما أعلم ، ولم يذكر أحد منهم أنه استحب أن يسأل بعد الموت لا استغفاراً ولا غيره ، ولكلامه المنصوص . وأمثال ينافي هذا ، قاله صاحب فتح المنان[2] .

وقال القرطبي «وأما السنة فأحاديث كثيرة ثابتة صحيحة منها حديث عائشة رضي الله عنها ـ أن أم حبيبة وأم سلمة ـ رضي الله عنهن ـ ذكرتا كنيسة رأياها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : «إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح ، فمات بنوا على قبره مسجداً ، وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله» . أخرجه البخاري[3] ، ومسلم .

قال علماؤنا : ففعل ذلك أوائلهم ليتأسوا برؤية تلك الصور ، ويتذكروا أحوالهم الصالحة ، فيجتهدون كاجتهادهم ، ويعبدون الله عز وجل عند قبورهم ، فمضت لهم بذلك أزمان ، ثم أنه خلف من بعدهم خلوف جهلوا

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٣٥٩ .

(٢) ص ٣٦٠ .

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ٢٤٧) ح(١٣٤١) في الجنائز باب بناء المسجد على القبر ومسلم (١/ ٣٧٥) ح(٥٢٨) في المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها .

أغراضهم ووسوس لهم الشيطان أن آباءكم وأجدادكم كانوا يعبدون هذه الصورة فعبدوها ، فحذر النبي ﷺ عن مثل ذلك ، وشدد النكير والوعيد على من فعل ذلك»[١] .

وهذه كانت بداية الشرك في قوم نوح عليه السلام ، كما ثبت عن ابن عباس وغيره في قصة ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر ؛ فتأمل .

وقال ابن الحاج في المدخل : «لا يجوز الطواف حول الأضرحة فإنه لا يطاف إلا بالبيت العتيق ، وكذا لم يشرع التقبيل والاستلام إلا بالبيت العتيق ، وكذا لم يشرع التقبيل والاستلام إلا للحجر الأسود»[٢] .

قلت : الطواف بالقبور ، واستلامها وتقبيلها ، كما يفعل أهل الإشراك والابتداع عند قبر الحسين والبدوي والسيدة زينب وغيرهم ، وكل هذه بدع لا أصل لها في دين الله .

وقال الطرطوشي : «وروى محمد بن وضاح أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ ، لأن الناس كانوا يذهبون تحتها فخاف عمر الفتنة عليهم .

قال : وكان مالك وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد وتلك الآثار التي بالمدينة ما عدا قباء وأحد»[٣] .

وقال الطرطوشي : «قال عمر بن الخطاب إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا كانوا يتبعون آثار أنبيائهم ويتخذونها كنائس وبيعًا فمن أدركته الصلاة منكم في هذه المساجد فليصل ، ومن لم تدركه فليمض ولا يتعمدها»[٤] .

---

(١) تفسير القرطبي ٢/ ٥٨ .

(٢) المدخل كما في المشاهدات المعصومية ص ٧٣ .

(٣) كتاب الحوادث والبدع ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

(٤) كتاب الحوادث والبدع ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

فرضى الله عن عمر ، وكم كان حرصه على حماية التوحيد ، فنهي عن إتيان هذه المساجد خصوصا للصلاة ، وكيف قطع تلك الشجرة خشية أن يفتن بها الناس ، فالواجب على أولياء الأمور في كل مكان أن يقتدوا به رضي الله عنه ، ويسلكوا سبيله .

الخلاصة :

١ ـ اشتد مالك رحمه الله في الاحتياط لجانب التوحيد ، وسد ذرائع الشرك .

٢ ـ رأى مالك وجوب الابتعاد عن كل المحدثات ، وحذر من الغلو المؤدي إلى الإشراك .

٣ ـ اهتم علماء المالكية جداً بالتحذير من وسائل الشرك المتنوعة ، وخاصة الغلو في الصالحين واتباع آثارهم .

المناقشة :

س ١ : اذكر نماذج توضح حرص الإمام على سد منافذ الشرك .

س ٢ : هات بعض النصوص التي توضح حرص علماء المالكية على حماية جانب التوحيد .

* * *

ثانيا : نماذج من الشرك التي حذر منها الإمام مالك وبعض أتباعه

جاء عن الإمام مالك وبعض أتباعه النهي عن أنواع من الشرك الأكبر والأصغر ، ودعاء[١] غير الله والاستغاثة بغير الله[٢] ، والنذر لغير الله[٣] ، والذبح لغير الله[٤] ، واعتقاد أن الأولياء لهم تصرف في الكون مع الله[٥] ،

---

(١) لقوله تعالى : ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ [غافر : ٦٠] ، وقوله تعالى : ﴿ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون﴾ [الأحقاف : ٥] . وقول النبي ﷺ : «إن الدعاء هو العبادة» .

وللمزيد من التعرف على أقوال المالكية انظر : رسالة الشرك لمبارك الميلي (ص ١٩٢) .

والتحرير والتنوير ٢٤/ ١٨١ ، ٢٦/ ١١ .

(٢) قال تعالى : ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم . . .﴾ [الأنفال : ٩] . وقال : ﴿وهما يستغيثان الله ويلك آمن . . .﴾ [الأحقاف : ١٧] . التحرير والتنوير ٩/ ٢٧٤ ، ٢٧٥/ ٢٦/ ٣٩ .

(٣) قال تعالى : ﴿وليوفوا نذورهم . . . .﴾ [الحج : ٢٩] . فالنذر عبادة لا تنبغي إلا لله تعالى ، التحرير والتنوير ١٧/ ٢٤٨ ، وانظر تيسير العزيز الحميد (ص :٢٠٧) ، رسالة الشرك للميلي (ص :٢٦٨) ، ولا يجوز النذر لولي أو نبي أو غيرهما ، وإلا فإن هذا شرك لأنه صرف للعبادة لغير الله تعالى ، لا كما يفعله كثير من الجهال بالنذر لقبر البدوي أو الحسين ، أو الجيلاني أو غيرهم ، فإن هذا شرك بالله تعالى ولا يسوغ أي تأويل لذلك الفعل أو محاولة التلاعب باللفظ والقول بأن «النذر لله والثواب للولي» ، فهذا كلام باطل لا يستجيزه عقل صريح .

(٤) لقوله تعالى : ﴿فصل لربك وانحر﴾ [الكوثر : ٢] ، وقوله تعالى : ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾ [الأنعام : ١٦٢] . فالذبح عبادة لا تنبغي إلا لله ، وعلى اسم الله ، ولا يجوز أكل ما لم يذكر اسم الله عليه .

وانظر : مختصر خليل (٣/ ١٣٠) ، وتفسير القرطبي (٢/ ٢٢٤) ، التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٧٤ .

(٥) وهذا شرك في الربوبية ، وقد نفى الله تعالى كل أنواع التصرف لغيره بقوله : ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما لهم منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ [سبأ : ٢٢ ، ٢٣] . وقد سبق الكلام على هذه الآية بالتفصيل في المبحث الثاني . وانظر : شرح الموطأ للزرقاني (ص ١/ ٣٤٧) ، وشرح الموطأ للباجي (١/ ٣٣٤) . والتحرير والتنوير ٢٢/ ١٨٥ ، ١٩١١ .

أو اعتقاد أن أحد يعلم الغيب[١] ، أو الحلف بغير الله[٢] ، أو اعتقاد أن للكواكب تأثيراً في إنزال المطر[٣] ، والتوكل على غير الله[٤] .

قال ابن العربي : «مقامات الغيب الخمسة التي لا يعلمها إلا الله لا أمارة عليها ولا علامة عليها إلا ما أخبر به الصادق المجتبي لاطلاع الغيب من أمارات الساعة ، والأربع سواها لا أمارة عليها ، فكل من قال : إنه ينزل الغيث غداً فهو كافر ، أخبر عنه بأمارات ادعاها أو بقول مطلق ، ومن قال : إنه يعلم ما في الرحم ، فهو كافر .

وأما من ادعى علم الكسب في مستقل العمر فهو كافر ، أو أخبر عن الكوائن الجملية أو المفصلة فيما يكون قبل أن يكون ، فلا ريبة في كفره أيضًا . فأما من أخبر عن كسوف الشمس والقمر فقد قال علماؤنا : يؤدب ويسجن ، ولا يكفر أما عدم تكفيره فلأن جماعة قالوا : إن أمر يدرك بالحساب ، وتقدير المنازل حسب ما أخبر الله سبحانه في قوله جل وعلا : ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ ﴾ [يس : ٣٩] ، لحسابهم له ، وإخبارهم عنه ، وصدقهم فيه ، توقف علماؤنا عن الحكم بتكفيرهم ، وأما أدبُهم فلأنهم يدخلون الشك على العامة في تعليق

---

(١) لقوله تعالى : ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً﴾ [الجن : ٢٦] ، وقوله تعالى : ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ [النمل : ٦٥] .

وانظر : أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٧٣٨ ، ٧٣٩) . وتفسير القرطبي (١/ ٢٩٠) ، ورسالة الشرك للميلي (ص : ١٣٧) .

(٢) لقوله ﷺ : «من حلف بغير الله فقد أشرك» . وفي لفظ : «فقد كفر» . وانظر التمهيد (١٤/ ٣٦ : ٣٦٧) ، وتفسير القرطبي - ١٠/ ٤٠) وشرح الصغير للدردير (٢/ ٢٠٣) وتفسير القرطبي (١٠/ ٤٠) ، و(٦/ ٢٧٠ : ٢٧١) ، والمقدمات لابن رشد (٣٠٨ : ٣٠٩) ، وشرح رزق على متن الرسالة (٢/ ١٥) ، والمعلم (٢/ ٢٤٠) . شرح الزرقاني على مختصر خليل ٣/ ٥٣ كتاب الكافي في فقه اهل المدينة المالكي ١/ ٤٤٨ .

(٣) المنتقى شرح موطأ مالك ١/ ٣٣٤ ، وشرح الزرقاني لموطأ مالك .

(٤) لقوله تعالى : ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ [الأنفال : ٢]١ .

العلم بالغيب المستأنف ولا يدرون قدر الفرق بين هذا وغيره ، فتتشوش عقائدهم في الدين وتتزلزل قواعدهم في اليقين ، فأدبوا حتى يُسروا ذلك إذا عرفوه ولا يعلنوا»[١] .

ومن هنا يتضح كفر من ادعى علم الغيب عن طريق الفنجان والكف وغيره ، ويتضح كذلك تشدد السلف في حماية جانب التوحيد مما يخدشه .

وقال ابن عبد البر :

«لا يجوز الحلف بغير الله ـ عز وجل ـ في شيء من الأشياء ، ولا على حال من الأحوال ، وهذا أمر مجمع عليه ، وقد روى سعيد بن عبيدة عن ابن عمر فيه حديثًا شديداً أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «من حلف بغير الله فقد أشرك» ذكره أبو داود[٢] وغيره .

وروى محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تحلفوا بآبائكم ، ولا بأمهاتكم ، ولا بالأنداد ، ولا تحلفوا إلا بالله ، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون»[٣] . .»[٤] .

وهذا الحلف بغير الله شرك أصغر إن لم يكن مقترنًا بتعظيم المحلوف به ، فإما إن كان معه تعظيم له فإن يكون شركًا أكبر .

---

(١) أحكام القرآن ٢/ ٧٣٨, ٧٣٩ .

(٢) أحمد ٢/ ٣٤ـ ١٢٥ ، والترمذي ٤/ ١١٠ ح ١٥٣٥ في النذور والإيمان ، وأبو داود ٣/ ٥٧٠ ، ح ٣٢٥١ في الإيمان باب في كراهية الحلف بالآباء ، وابن حبان ٦/ ٢٧٨ ح٤٣٤٣ ، والحاكم ٤/ ٢٩٧ ، وقال صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي وقال الترمذي حديث حسن جميعهم من طريق سعد بن عبيدة عن ابن عمر مرفوعا وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٢/ ١١٦٧ح٦٢٠٤ .

(٣) أخرجه أبو داود ٣/ ٥٦٩ ح٣٢٤٨ في الإيمان باب في كراهية الحلف بالآباء من رواية محمد بن سيرين عن أبي هريرة مرفوعاً .

(٤) التمهيد لابن عبد البر ١٤/ ٣٦٦ ، ٣٦٧ .

وقال ابن رشد : «والمحظور أن يحلف باللات ، والعزى ، والطواغيت ، أو بشيء مما يعبد من دون الله تعالى ، لأن الحلف بالشيء تعظيم له ، والتعظيم لهذه الأشياء كفر بالله تعالى»(١) .

قلت : ليس المقصود هذه المعبودات فقط ، بل ورد النهي عن الحلف بغير الله مطلقا ، سواء حلف بأبيه أو بعمره أو غير ذلك .

وقال القرطبي : «في تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة : ١٧٣] . أي ذكر عليه غير اسم الله تعالى ، وهي ذبيحة المجوسي والوثني والمعطل فالوثني يذبح للوثن ، والمجوسي للنار ، والمعطل لا يعتقد شيئًا فيذبح لنفسه ، ولا خلاف بين العلماء أن ما ذبح المجوسي لناره ، والوثني لوثنه لا يؤكل . . ومنه إهلال الصبي واستهلاله وصياحه عند ولادته ، وقال ابن عباس وغيره : المراد ما ذبح للأنصاب والأوثان . . وجرت عادة العرب بالصياح باسم المقصود بالذبيحة ، وغلب ذلك في استعمالهم حتى عبّر عن النية التي هي علة التحريم ، ألا ترى أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه راعى النية في الإبل ، التي نحرها غالب أبو الفرزدق فقال : إنها مما أهل لغير الله به فتركها الناس ، قال ابن عطية : ورأيت في أخبار الحسن بن أبي الحسن أنه سئل عن امرأة صنعت للعُبها عرسا ، فنحرت جزوراً ، فقال الحسن : لا يحل أكلها فإنها إنما نحرت لصنم»(٢) .

جاء في المدونة كما في شرح الزرقاني لمختصر خليل : «سوق الهدايا لغير مكة ضلال»(٣) .

---

(١) مقدمات ابن رشد ص : ٣٠٩ .

(٢) تفسير القرطبي ٢/ ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٣) شرح مختصر خليل للزرقاني ٣/ ١٣٠ .

أقول : فكيف بمن ينحرون الذبائح لقبور الصالحين ويذبحوها باسمهم ، لا شك أنها لا يحل أكلها ، وأنها مما أهل لغير الله به .

وقال الميلي : «دعاء غير الله . . فهو شرك صريح وكفر قبيح ، وله نوعان : أحدهما غير الله مع الله ، كالذي يقول : يا ربي ، وياشيخي ، يا ربي وجدي ، يالله وناسه ، يا لله وسيدي عبد القادر ، وسمعت كثيراً يحكون أنهم كثيراً ما يسمعون فلانًا يقول : يا ربي يا سيدي يوسف اغفر لي ، ويوسف هذا من أولاد ابن الدرويش إحدى فصائل أولاد العباد . . وإطلاق الشرك على هذا النوع واضح لأن الداعي عطف غير الله على الله بالواو ثابتة أو محذوفة ، وهي تقتضي مشاركة ما بعدها في الحكم ، والحكم المشترك فيه هنا هو عبادة الدعاء .

النوع الثاني : دعاء غير الله من دون الله كالذي يقول : يا رجال الدالة ، يا دوان الصالحين ، وإطلاق الشرك على هذا النوع باعتبار أن الداعي وإن اقتصر على المخلوق في اللفظ لم ينكر الله ولم يتبرأ منه في العقد ، فكأن الله في كلامه مضمر»[1] .

ومن ذلك ما يقوله البعض من المبتدعة ، مدد يا حسين ، يا سيد يا بدوي ، مدد يا عبد القادر أو يقولون عبد القادر يا جيلاني ، يا متصرف في الأكوان . . إلخ هذه الضلالات .

وقال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي : «قد نُهي عن النذر ، وندب إلى الدعاء ، ويظهر به التوجه إلى الله تعالى والتضرع له ، وهذا بخلاف النذر ، فإن فيه تأخير العبادة إلى حين الحصول ، وترك العمل إلى حين الضرورة»[2] .

---

(١) رسالة الشرك ص ١٩٢ .

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٢٠٧ .

قال ابن عبد البر : «يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء والصالحين مساجد»(١) .

وقال ابن عبد البر : «الوثن : الصنم ، وهو الصورة من ذهب كان ، أو من فضة . أوغير ذلك من التمثال ، وكل ما يعبد من دون الله فهو وثن صنمًا كان أو غير صنم ، وكانت العرب تصلي إلى الأصنام وتعبدها فخشى رسول الله ﷺ على أمته أن تصنع كما صنع بعض من مضى من الأمم : كانوا إذا مات لهم نبي عكفوا حول قبره كما يصنع بالصنم فقال ﷺ اللهم لا تجعل قبري وثناً» يصلى إليه ، ويسجد نحوه ، ويعبد ، فقد اشتد غضب الله على من فعل ذلك ، وكان رسول الله ﷺ يحذر أصحابه ، وسائر أمته الذين صلوا إلى قبور أنبيائهم واتخذوها قبلة ومسجداً كما صنعت الوثنية بالأوثان التي كانوا يسجدون إليها ، وذلك الشرك الأكبر فكان النبي ﷺ يخبرهم بما في ذلك من سخط الله وغضبه وأنه مما لا يرضاه خشية عليهم امتثال طرقهم(٢) .

قلت : وهذا يوضح مبلغ حرص النبي ﷺ على حماية جانب التوحيد وسد كل منافذ الشرك ، وإغلاق أبوابه ، أداء منه ﷺ للأمانة التي بعثه الله بها ، وتبليغًا لرسالته ـ فصلوات الله وسلامه عليه .

وقال الميلي : «مساواة هذه الأمة لمن قبلها في حكم السنن الإلهية :

إن ما وقع فيه العرب ومن قبلهم يقع فيه غيرهم بعدهم إذا ما جهلوا مثلهم أصول الدين ، وبالغوا في التبرك بالصالحين ، فإن الله يقول : ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح : ٢٣] . وعلماء الاجتماع يقولون : «التاريخ يعيد نفسه» ، والمتكلمون يحكمون بأن «ما جرى على المثل يجري على المماثل» .

---

(١) التمهيد : ١/ ١٦٨ .

(٢) التمهيد٥/ ٤٥ .

فإذا كان مجموع المسلمين قد انتهوا في الدين إلى جهالة المشركين ، فمحاولة تبرئتهم من الشرك غش وتضليل وجحد للشريعة وتعطيل .

ومن هنا نفهم العلة من النهي عن مشابهة اليهود والنصارى فإن تقليدهم في أقوالهم وأفعالهم يفضي إلى نفس النتائج ما دامت المقدمات واحدة ، فليست هذه الأمة معصومة ، إن وقعت فيما وقع فيه من سبقوها .

صور من الوثنية الحاضرة :

ألست ترى في أوساطهم قبابًا تبذل في شيدها الأموال ، وتشد لزيارتها الرحال ، أم لست تسمع منهم استغاثات وطلب حاجات من الغائبين والأموات؟ أم لم تعلم بدور تنعت بدار الضمان تستري بضمانتها بالأثمان؟ أم لم تجتمع بذرية نسب المرابطين إعطاؤها بقوة غيبية . أم لم تتكرر عليك مناظر مكلفين إباحيين يقدسون بصفتهم مرابطين أو طرقيين هذا إلى اجتماعات تنتهك فيها كل الحرمات باسم الزردات ، أو تحت ستار الاعتقادات والدعوة إلى أوضاع مبتدعة صدت الناس عن اتباع السنة المطهرة . والخبير بحياة أهل عصره العالم بأصول دينه لا يتردد في ظهور الشرك وانتشاره ، وتعدد مظاهره واثاره»[1] .

وقال : وإذا قيل للناس إن هؤلاء الضرائح والمزارات من الأوثان ، قالوا : إنكم تسبون الصالحين ! يا إخواننا افهموا لغة العرب والدين تجدوا أن ذلك ليس من الطعن على الأولياء ، فإن كل ما نصب ليعبد من دون الله فهو وثن أو صنم ، وكل من عبده فهو هالك ، وليس كل معبود من دون الله هالكا . قال تعالى : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء ٩٨ ـ ١٠١] . فتلك المزارات والضرائح من الأوثان وإن كانت منسوبة إلى ولي صالح .

---

(١) رسالة الشرك للميلي ١٠٨ .

قلت : هكذا الحال مع أهل البدع فهم إذا جادلهم أحد ووعظهم قالوا له أنت تكره الأولياء والصالحين ، ظنًا منهم أن حجتهم تقتضي تعظيمهم وعبادتهم من دون الله تعالى .

تعيين مكان في النذر :

وتلك الاجتماعات عليها للزردات هي من أعياد الجاهلية ، فلو فرضنا أحداً نذر لها شيئا فهو عاص بالوفاء به . فإن أضاف إليه التقرُّب من صاحبها فهو مشرك .

وقد أصبح الناس في جهاليتهم الحاضرة ينذرون لمن يعتقدون فيه من الأحياء والأموات والمزارات ، الأموال والثياب والحيوانات والشموع والبخور والأطعمة وسائر المتمولات ، ويعتقدون أن نذرهم سبب يقربهم من رضى المنذور له ، وأن لذلك المنذور له دخلا في حصول غرضهم ، فإن حصل مطلوبهم ازدادوا تعلقا بمن نذروا له واشتدت خشيتهم منه ، وبذلوا أقصى طاقتهم في الاحتفال بالوفاء له ، ولم يستسيغوا لأنفسهم التقصير أو التأخير كما استساغته جاهلية العرب في تعويض الغنم بالظباء ، فالعرب مع أصنامهم أقل هيبة من هؤلاء مع أوليائهم ، وإن تساوى الفريقان في حق من ألهوه أكثر من اعتبار حق الإله الحق ، ذلك أن جاهليتنا على شدة اهتمامها بحق أوليائها منها من لا يبالي مع ذلك بالصلاة أو بالزكاة ، أو بهما معًا ، ومن صلى وزكى لا ينكر على تاركهما ما ينكره على من تراخى في زيادة شيخ طريقة ، أو إقامة زردة أو أداء وعدة ، وكذلك ما حكاه القرآن عن العرب في آياته : ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ [الأنعام : ١٠٠]»[1] .

وقال : «إن الرزية كل الرزية[2] ، والبلية كل البلية ، أم غير ما ذكرنا من التوسل المجرد ، والتشفع بمن له الشفاعة ، وذلك ما صار يعتقده كثير من العوام

---

(١) رسالة الشرك للميلي ص : ٢٦٨ .

(٢) الرزية : المصيبة .

وبعض الخواص في أهل القبور وفي المعروفين بالصلاح من الأحياء من أنهم يقدرون على ما ليقدر عليه إلا الله ، جل جلاله ، ويفعلون ما لا يفعله إلا الله عز وجل حتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم ، فصاروا يدعونهم تارة مع الله ، وتارة استقلالاً ، ويصرخون بأسمائهم ، ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع ، ويخضعون لهم خضوعًا زائدًا على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء»[1] .

وقال : «وقد يعبرون عن هذا الضرب من التبرك بالاستمداد[2] من أرواح الصالحين ، ويعتقدون أنهم أحياء في قبورهم ، ويتصرفون في العالم ، ويقضون حاجات قاصديهم ، ويستدل مستدلهم بما ورد في حياة الأرواح مما قدمنا أصحه وأصرحه . فيتخذون المزارات يبنون عليها البناءات ويرون أن روح الصالح فلان هنالك ، إما لأنه دفن هنالك أو جلس به ، بل تجد بناءات كثيرة على مزارات عديدة كلها منسوبة للشيخ عبد القادر الجيلاني دفين بغداد - رحمه الله ، وهو لم يعرف تلك الأمكنة ولا سمع بها . وهذه المزارات الجيلانية تجدها غربي وطن الجزائر أكثر منها في شرقه . أما أن يكون للصالح الواحد قبران فهذا نعرفه لغير الصالح .

وأشهرهم بوطننا الشيخ محمد بن عبد الرحمن مؤسس الطريقة الرحمانية بمغربنا . ومن مظاهر هذا التبرك الاستمدادي تقبيل الجدران والمسح بالحيطان وكل ما يضاف إلى ذلك المكان»[3] .

وقال : «نهى الرسول ﷺ عن الحلف بالمخلوق فأبى أكثر الناس إلا الحلف به . وأغلظ في النهي حتى بلغ به نهي الشرك والكفر فأجروا هذه اليمين على

---

(١) رسالة الشرك للميلي ص : ٢٦٨ .

(٢) المقصود بالاستمداد : طلب المد والزيارة .

(٣) رسالة الشرك للميلي ص : ٢٤٤ .

ألسنتهم أكثر من اليمين بالله . وأمر من حلف بالله أن يصدق . فتلاعبوا باليمين الشرعية واحترموا اليمين الشركية»[١] .

قلت : وهذا أمر مشاهد في حياتنا اليومية نقابل كثيراً من الناس يحلفون بغير الله ، ويكذبون في الحلف بالله ، ويستهينون بمظاهر الشرك هذه . . .

وقال ابن عاشور : عن خطورة الشرك : «أكبر الاعتداء إذ هو اعتداء على المستحق المطلق العظيم ، لأن من حقه أن يفرد بالعبادة اعتقاداً وعملاً وقولاً ، لأن ذلك حقه على مخلوقاته ، ففي الحديث : «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً[٢] . إلى أن قال : وذلك أن الشرك جميع بين الاعتراف لله بالإلهية والاعتراف لغيره بالربوبية أيضا ، ولما كان الاعتراف لغيره ظلمًا كان إيمانهم بالله مخلوطًا بظلم»[٣] .

---

(١) رسالة الشرك للميلي ص : ٢٧٧ .

(٢) أخرجه البخاري كتاب التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله ١٣/ ٣٤٧ ، ح(٧٣٧٣) من حديث معاذ ابن جبل .

(٣) التحرير والتنوير ٧/ ٣٣٢ ، ٣٣ .

الخلاصة :

جاء عن مالك وأصحابه النهي عن مظاهر وصور الشرك ، سواء في الربوبية كاعتقاد علم الغيب في أحد ، أو اعتقاد التصرف فيه ، أوإسناد شيء من الأمر إليه ، وكذلك في الألوهية كصرف شيء من العبادات لغير الله ، نحو النذر والتقرب وغيره . وكذلك النهي عن بعض صور الشرك الأصغر كالحلف بغير الله .

المناقشة :

س ١ : تكلم عن بعض مظاهر الشرك في الربوبية التي حذر منها مالك وأصحابه .

س ٢ : تكلم عن بعض مظاهر الشرك في الألوهية التي حذر منها مالك وأصحابه .

س ٣ : اذكر صورة من صور الشرك الأصغر التي انكرها مالك واصحابه رحمهم الله جميعًا .

الفصل الثاني :

شرح القيروانية الميسر

مقدمة القيرواني المسمى بمالك الصغير

بقلم

د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(٢) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(٣) .

أما بعد ، فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

ثم أما بعد ، فهذا الكتاب الثاني من سلسلة (عقائد أهل السنة والجماعة) وكان الأول في بيان عقيدتهم على مذهب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه للطحاوي ، وهذا الكتاب في بيان عقيدتهم على مذهب الإمام مالك بن أنس لابن أبي زيد القيرواني ، وذلك حتى يتسنى لأتباع الأئمة الأربعة معرفة عقائدهم حتى يتبعوهم في الأصول كما يتعبونهم في الفروع ، وذلك لأن الواقع يخبر أن كثيراً منهم متابع لإمامه في الفروع مخالف له في الأصول ، هذا مع إننا نقول إن

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٢ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١ .

(٣) سورة الأحزاب ، الآيتان ٧٠ ، ٧١ .

الأئمة الأربعة متفقون في مسائل أصول الدين ، وهذا هو الحق في هذا الباب ، فلم التفرقة بين الأصول والفروع؟ بل الواجب عليكم أن تتبعوهم في مسائل الأصول كما اتبعتموهم في الفروع ، ومن الأدلة على اتفاق الأئمة في مسائل أصول الدين ، أن هذه العقيدة هي نفس ما قرره الطحاوي عن أبي حنيفة وصاحبيه ، اللهم إلا ما ورد في مسألة (مسمى الإيمان) والتي خالف فيها أبو حنيفة الأئمة الثلاثة والحق معهم ، ومع ذلك فقد قال ابن أبي العز إن الخلاف لفظي فقط ، ومؤلف هذا المتن هو الإمام أبو محمد عبد الله بن أبي زيد النقراوي القيرواني المولود سنة ٣١٠هـ شيخ المالكية بالمغرب ، وله باع طويل في العلم ، وانتفع به الناس حتى سمي (مالك الصغير) ، وله مواقف مشهورة ضد أهل البدع ، وقد اشتد نكيره عليهم ، وأثنى عليه كثير من أهل العلم ، وله تصانيف كثيرة ، وكان سلفيا في عقيدته وسلوكه ، توفي في شعبان سنة ٣٨٦هـ ، ودفن بالقيروان رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

ومنهجي في شرح هذا المتن كما سبق في شرح العقيدة الطحاوية حيث أبدأ بذكر المتن ثم الكلام عن الألفاظ المبهمة ، ثم الشرح الميسر ، وبعد ذلك الخلاصة ، فالمناقشة .

والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب وأن يغفر لمؤلفه وشارحه وناشره وقارئه والمنتفع به .

(وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين).

الدكتور

محمد بن عبدالرحمن الخميس

الفقرة الأولى

باب : ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة من واجب أمور الديانات :

* من ذلك الإيمان بالقلب ، والنطق باللسان بأن الله إله واحد لا إله غيره ، ولا شبيه له ، ولا نظير له ، ولا ولد له ، ولا والد له ، ولا صاحبة له ، ولا شريك له .

اللغة : (باب) : الباب من البيت مدخله ، ومن الكتاب القسم يجمع مسائل من جنس واحدة ، (الأفئدة) : القلوب ، (نظير) : النظير هو المثل والمساوي ، (صاحبة) : زوجة ، (شريك) : مشارك له نصيب في الملك والتدبير .

الشرح : هذا بيان الأمور التي تجري على ألسنة الموحدين وتعتقدها قلوبهم من مسائل أصول الدين ، وهي أمور الاعتقاد الآتي ذكرها :

(من ذلك الإيمان بالقلب) : أي التصديق الجازم الواثق الذي لا يخالطه شك أو ريب ويستقر في القلب استقراراً لا يزحزحه شيء (والنطق باللسان) ثم يواطيء اللسان القلب ويوافقه في هذا التصديق ، فيقر ويعترف (بأن الله إله واحد) ، بأن الله ـ عز وجل ـ إله واحد في كل شيء ، فهو واحد في ذاته لا يتعدد ، واحد في ربوبيته فليس لغيره شيء من الملك والخلق والأمر والتدبير والتصريف ، كما قال تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾[2] ، وكذلك فإنه سبحانه واحد في أسمائه

(١) سورة الأعراف ، الآية (٥٤) .

(٢) سورة سبأ ، الآيتان : (٢٢ ,٢٣) .

وصفاته ، لا يشاركه في حقيقة معانيها ، وفي كيفياتها شيء من خلقه ، وهو واحد في استحقاقه للعبودية (لا إله غيره) ، أي لا مستحق للعبادة غيره ، أما المعبودات غيره ، فكثيرة ، لكنها آلهة باطلة لأنها لا تملك شيئًا من الأمر ، كما قال تعالى : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾(١) ، والعبادة الحقة هي عبادة الله وحده : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾(٢) .

(ولا شبيه له ولا نظير له) أي لا شبيه له في ذاته ، ولا في أسمائه ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، كما قال تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(٣) ، فالله ـ تعالى ـ لا مكافيء له في شيء من ذلك على الإطلاق كما قال ـ عز وجل ـ : ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾(٤) ، (ولا ولد له ولا والد له) : كما قال الله ـ عز وجل : ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾(٥) ، وكما قال ـ عز وجل : ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾(٦) ، والآيات في الباب كثيرة تدل على أن الله عز وجل منزه عن الولد والوالد ، وأنه ليس كخلقه في ذلك . (ولا صاحبة له) : أي ليس له صاحبة وهي الزوجة بخلاف خلقه ، وقد نفى ذلك عن نفسه ـ عز وجل ـ فقال : ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾(٧) . (ولا شريك له) ، أي ولا شريك له في شيء مما ذكر سلفًا ، والشرك بكل صوره قد نفاه الله ـ تعالى ـ حتى أدنى تلك الصور كما في الآيات السابقة من سورة

---

(١) سورة النحل ، الآية : (٧٣) .

(٢) سورة الحج ، الآية : (٦٢) .

(٣) سورة الشورى ، الآية : (١١) .

(٤) سورة الإخلاص ، الآية : (٤) .

(٥) سورة الإخلاص ، الآية : (٣) .

(٦) سورة المؤمنون ، الآية : (٩١) .

(٧) سورة الجن ، الآية : (٣) .

سبأ ، وقد حرم الله الإشراك به ، وتوعد عليه بالعذاب المهين الدائم ، وبيّن أنه لا يغفره أبدا لفاعله ، وذلك كما قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾(١) .

الخلاصة :

مما يجب اعتقاده وهو الإقرار به من مسائل أصول الدين :

الإقرار لله تعالى بالوحدانية في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وتنزيهه سبحانه عن الشريك والنظير والشبيه ، والولد والوالد والصاحبة .

المناقشة :

١ ـ هل يكفي اعتقاد الوحدانية بالقلب دون الإقرار باللسان؟

٢ ـ اذكر بعضا من الأمور التي يجب توحيد الله فيها .

٣ ـ اذكر بعضاً مما يجب تنزيه الله عنه .

---

(١) سورة النساء ، الآية : (٤٨) .

الفقرة الثانية

* ليس لأوليته ابتداء ، ولا لآخريته انقضاء ، ولا يبلغ كنه صفته الواصفون ، ولا يحيط بأمره المتفكرون .

اللغة : (كنه) : كنه الشيء حقيقته وماهيته ، (ولا يحيط بأمره) : أي لا يدرك حكمته في أمره ولا حقيقة ذاته وما يتعلق به .

الشرح : (ليس لأوليته ابتداء ، ولا لآخريته انقضاء) : كما قال ـ عز وجل ـ ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾(١) . فهو سبحانه أول بلا بداية ، وقبله كل شيء ، وآخر بلا نهاية ، وبعد كل شيء ، لم يسبقه شيء ، وليس لوجوده بداية أصلاً ، وكذلك يفنى خلقه جميعًا ولا يبقى غير وجهه الكريم ، كما قال تعالى : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾(٢) ، وقال ـ عز وجل ـ : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾(٣) . وفي الحديث : «أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء»(٤) .

(ولا يبلغ كنه صفته الواصفون) : أي مهما اجتهد الناس فلن يستطيعوا معرفة حقيقة صفته وكيفيتها ، وذلك لأنها أمور غيبها الله تعالى عن خلقه ، وأهل الحق أهل السنة والجماعة من سلف هذه الأمة يقتصرون على وصف الله بما وصف به نفسه من دون الدخول في الكيفية ، فإنها مما استأثر الله بعلمه : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾(٥) ، وهم إن كانوا يفهمون معاني الصفات من لغتهم إلا أن كيفية تحقق هذا المعنى في حق الله

(١) سورة الحديد ، الآية : (٣) .

(٢) سورة الرحمن ، الآيتان : (٢٦ ، ٢٧) .

(٣) سورة القصص ، الآية : (٨٨) .

(٤) أخرجه البخاري (٢/ ٤١ ، ٤٢) كتاب التهجد ، باب التهجد بالليل . ومسلم (١/ ٥٣٢) كتاب صلاة المسافرين ، رقم (٧٦٩) .

(٥) سورة طه ، الآية : (١١٠) .

تعالى وهو الكيفية فإنهم لا يخوضون في شأنها ، ويفوضون علمها لله ـ عز وجل :(ولا يحيط بأمره المتفكرون) ، أي مهما تفكَّر المتفكرون في حقيقة أمر الله تعالى ، في ذاته ، في أسمائه ، في صفاته ، في أفعاله ، في حكمته من تشريع كذا وتحريم كذا ، في مراده من إنزال البلاء بشخص معين ، فلن يحيطوا بأمره سبحانه وتعالى كما قال : ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما﴾[1] ، وقال : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ .

* يعتبر المتفكرون بآياته ، ولا يتفكرون في ماهية ذاته ، (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم)[2] .

اللغة : (يعتبر) يتعظ ويستفيد العبرة (ماهية) حقيقة . (ولا يؤوده) لا يشق عليه أو يعجزه .

الشرح : والمتفكرون إنما يعتبرون فقط بآيات الله تعالى في خلقه ، كما قال ـ عز وجل : ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾[3] ، فآيات الله تعالى في خلقه لا تعد ولا تحصى ، في السموات والأرض ، وفي الأنفس وفي كل شيء ، كلها دالة على قدرة الله تعالى ووحدانيته ، وعظمته وحكمته ، والمتفكرون يعتبرون بها ، لكنهم لا يستطيعون معرفة كنه ذاته سبحانه : (ولا يتفكرون في ماهية ذاته) ، ولو فعلوا ما خرجوا بطائل إذ أن ذلك مما لا تدركه العقول ، ولا يمكن أن تصل فيه إلى نتيجة ، والواجب على المسلم أن يتفكر في آيات الله وآلائه ، وأن لا يتفكر في ذاته فيهلك :

---

(١) سورة طه ، الآية : (١١٠) .

(٢) سورة البقرة ، الآية : (٢٥٥) .

(٣) سورة الأعراف ، الآية : (١٨٥) .

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ ، فلا يعلمون شيئًا عن ذاته وأسمائه وصفاته وحكمته إلا ما أعلمهم ، بل ولا يعلمون شيئًا من أمور الدين والدنيا إلا ما شاء أن يعلموه : ﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾[1] ، والكرسي خلق عظيم هائل ، وهو موضع القدمين والسموات والأرض بجواره كحلقة في أرض فلاة ، ولا يعلم حقيقة خلقه إلا الله تعالى : ﴿ولا يؤوده حفظهما﴾ أي لا يشق عليه حفظهما وتدبر أمورهما وخلقهما ولا يعجزه ذلك بأي حال : ﴿وهو العلي العظيم﴾ ، فإنه سبحانه عليّ بذاته عن خلقه ، إذ هو مستو على عرشه فوق السماء ، وهو سبحانه عليّ على خلقه علو قهر وغلبة ، وهو العليُّ في شأنه ومكانته ، وهو المتفرد بكل صفات العظمة والجلال ، سبحانه وتعالى .

الخلاصة :

١ ـ الله تعالى أول قبل كل شيء ، وآخر بعد كل شيء .

٢ ـ لا يحيط أحد من الخلق بالله تعالى علمًا ، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء .

٣ ـ إن كرسي الرحمن قد وسع السموات والأرض ، ولا يعجز الله حفظهما .

٤ ـ من أسمائه ـ تعالى ـ : العلي ، العظيم ، وكذلك : الأول ، الآخر .

المناقشة :

١ ـ هل كان هناك شيء قبل الله تعالى؟ وهل هناك شيء بعده؟

٢ ـ ما هو الكرسي؟ وما مقدار عظمته؟

٣ ـ هل يحيط أحد علمًا بالله تعالى أو بكنه؟

٤ ـ اذكر بعضًا مما درست من الأسماء الحسنى .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : (٢٥٥) .

الفقرة الثالثة

* العالم الخبير ، المدبر القدير ، السميع البصير ، العلي الكبير .

اللغة : . . . . . .

الشرح : (العالم الخبير) إن الله عز وجل هو العالم بكل شيء في السموات والأرض ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾(١) ، وهو الخبير بكل شيء الذي لا تغيب عنه غائبة كما قال تعالى : ﴿مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾(٢) (المدبر القدير) فالله - عز وجل - هو الذي ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾(٣) ، فهو المدبر والذي يجري كل شيء بأمره وعلمه ، والقدير الذي لا يعجزه شيء ، فهو على ما يشاء قدير ، وإذا أراد أمراً أوجده بقدرته (السميع البصير) ، وصفة السمع وصفة البصر صفتان حقيقيتان ثابتتان لله تعالى ، وقد عاب إبراهيم على أبيه أنه عبد إلهًا لا يسمع ولا يبصر ، فقال تعالى حكاية عنه : ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾(٤) ، كما أثبت لنفسه ـ تعالى ـ السمع والبصر ، فقال : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾(٥) ، غير أنه تعالى يسمع لا كسمعنا ويبصر لا كبصرنا ، بل يسمع ويبصر على المعنى اللائق بجلاله وكماله وعظمته ، وهذا منهج أهل الحق إثبات المعاني الحقة التي دلت عليها الصفة ، مع تنزيه الله تعالى عن مشابهة الخلق ، كما قال ـ تعالى ـ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾(٦) ، فتضمنت الآية إثبات الصفة مع التنزيه عن المشابهة والمماثلة (العلي الكبير) : تضمنت تسميته سبحانه بالعلي الكبير ، ووصفه بالعلو من كل جانب في ذاته وشأنه وقهره ، وهو الكبير سبحانه وتعالى الذي هو أكبر من كل شيء إذ إن السموات والأرض إلى جانب كرسيه كحلقة في أرض فلاة .

---

(١) سورة فاطر ، الآية : (٣٨) . (٢) سورة يونس ، الآية : (٦١) . (٣) سورة السجدة ، الآية : (٥) .

(٤) سورة مريم ، الآية : (٤٢) . (٥) سورة النساء ، الآية : (٥٨) . (٦) سورة الشورى ، الآية : (١١) .

*** وأنه فوق عرشه المجيد بذاته ، وهو بكل مكان بعلمه ، خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه ، وهو أقرب إليه من حبل الوريد .**

اللغة : (المجيد) : الوافر المجد . (الوريد) : هو كل عرق يحمل الدم من الجسد إلى القلب .

الشرح : (وأنه فوق عرشه المجيد بذاته) : كلمة (بذاته) لم تعرف عن السلف قبل القرن الثالث الهجري ، والذي دعا المؤلف إلى إطلاق كلمة (بذاته) هو أن المعطلة لما قالوا إن الاستواء مجاز صرح بأنه مستو بذاته مبالغة في إثبات استواء الله عز وجل على عرشه على الحقيقة هذا هو القول الحق ، كما ذكر الله ذلك في سبعة مواضع من كتابه ، أنه استوى على عرشه فقال : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[1] ، وهو سبحانه مستغن عن العرش وما دونه لا يحتاج إلى شيء ، وهذا من المؤلف رد على القائلين بالحلول والاتحاد ، والجحود ، فالحلولية من زعموا أن الله تعالى في كل مكان ، وليس على عرشه فوق السماء ، وأما الاتحادية فزعموا أن الله كل شيء ، وأما الجحودية ، وهم المعتزلة والماتريدية والأشعرية فهم يقولون : إن الله لا داخل العالم ولا خارج ولا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا خلف ولا أمام . فهؤلاء الفرق كلهم ضلوا وأضلوا وأعظمهم ضلالاً وإضلالاً الجحودية ثم الوجودية ثم الحلولية ولذا يقال :

---

(١) سورة طه ، الآية : (٥) .

المشبه يعبد صنمًا والمعطل يعبد عدمًا والوجودية والحلولية يعبدون كل شيء ، والمعطل الجحودي لا يعبد شيئًا بل يعبد معدومًا وممتنعًا ، وكلهم مخالفون للحق .

إن الله تعالى مستو على عرشه فوق السماء السابعة وهذا هو اللائق بعظمته وجلاله ، وهو ما فطرت عليه الأنفس حيث يرفع الداعون أيديهم إلى السماء عند الدعاء (وهو بكل مكان بعلمه) ومع كونه سبحانه فوق عرشه فلا يخلو مكان من علمه وسمعه وبصره كما قال تعالى : ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾(١) ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾(٢) ، يقول : هو يسمعكم ويراكم أينما تكونوا وعلمه لا يفارقكم على كل حال ، فلا تخفى عليه من أموركم خافية ، ولا تنافي بين علو ذاته ، وبين قربه بسمعه وبصره وعلمه .

خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه وهو أقرب إليه من حبل الوريد(٣) ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾(٣) فالله ـ تعالى ـ هو الخالق ويعلم خلقه : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾(٤) ، فيعلم كل ما يخطر ببال الإنسان وكل ما يفكر فيه : ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾(٥) ، وهو أقرب إلى قلب الإنسان من وريده الذي بداخله ، وذلك بعلمه وسمعه وبصره كما سبق .

*** وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الأرض ، ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ، على العرش استوى ، وعلى الملك احتوى .**

---

(١) سورة طه ، الآية : (٤٦) .

(٢) سورة الحديد ، الآية : (٤) .

(٣) سورة ق ، الآية : (١٦) .

(٤) سورة تبارك ، الآية : (١٤) .

(٥) سورة طه ، الآية : (٧) .

اللغة : . . . . . .

الشرح : ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ ، لو وقعت ورقة من شجرة في ظلام الليل فالله يراها ويعلم بشأنها ، ﴿ولا حبة في ظلمات الأرض﴾ ، فما من حبة في باطن الأرض إلا والله يعلمها ويحفظها ، ﴿ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ فليس هناك شيء في ملكه كبر أو صغر إلا وهو يعلمه ويراه ـ سبحانه ـ كما قال سبحانه ـ : ﴿وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾[1] ، وكما قال ـ تعالى ـ : ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[2] .

(على العرش استوى) كما قال ـ تعالى ـ : ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[3] ، وقال ـ عز وجل ـ : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾[4] ، وغير ذلك في مواضع أخرى ، وأهل الحق يقولون : استوى على العرش استواء يليق بكماله وجلاله ، ويفوضون كيفية ذلك إلى الله ، ولا ينفون عن الله صفته التي أثبتها لنفسه ، كما نفاها المعطلة الذين فسروا الاستواء بأنه استيلاء فانتقصوا جلال الله ـ تعالى ـ وحرفوا الكلم عن مواضعه وقالوا على الله تعالى بغير علم قبحهم الله . (وعلى الملك احتوى) فالله ـ تعالى ـ له الملك كله كما قال ـ عز وجل ـ : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾[5] فهو تعالى محيط بملكه ولا يحيط به شيء ـ جلَّ وتعالى ـ عن أن يحيط به شيء من خلقه .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : (٥٩) .

(٢) سورة يونس ، الآية : (٦١) .

(٣) سورة طه ، الآية : (٥) .

(٤) سورة الحديد ، الآية : (٤) .

(٥) سورة المائدة ، الآية : (١٢٠) .

الخلاصة :

١ ـ إن الله تعالى هو العالم الخبير ، المدبر القدير ، السميع البصير ، العلي الكبير .

٢ ـ الله تعالى مستوٍ على عرشه ، وعلمه في كل مكان ، ولا يخفى عليه من عباده خافية .

٣ ـ يعلم غيب السموات والأرض ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة .

المناقشة :

١ ـ اذكر بعضًا من أسماء الله تعالى .

٢ ـ هل الاستواء يقصد به معناه الحقيقي أم لا؟

٣ ـ هل يخفى مثقال ذرة على الله تعالى؟

الفقرة الرابعة

* وله الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، لم يزل بجميع صفاته وأسمائه ، ـ تعالى ـ من أن تكون صفاته مخلوقة وأسماؤه محدثة .

اللغة : (محدثة) كائنة بعد أن لم تكن .

الشرح : (وله الأسماء الحسنى) كما قال ـ تعالى ـ : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾(١) ، فالله ـ تعالى ـ سمَّى نفسه بأسماء وسماه رسوله الكريم بأسماء ، وجب علينا أن نسميه بها ـ سبحانه وتعالى ـ وهي دالة على كل معاني العظمة والجلال والكمال والجمال على الوجه اللائق به ـ سبحانه ، ومن شاركه من خلقه في اسم من أسمائه ، كما يقال : الله سميع بصير ، والإنسان خلق سميعًا بصيرًا ، فإنما هو اشتراك في اللفظ فقط ، وإلا فإن معنى السمع والبصر عند الله يختلف عن معناه عند الإنسان كاختلاف ذات الله عن ذات الإنسان (والصفات العلى) ، وكذلك فإنه سبحانه موصوف بكل صفات الكمال والعظمة، متنزه عن كل صفات النقص والعيب لا نصفه إلا بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسول الله ﷺ ، من دون أن نلحظ في صفاته فننفي ما دلت عليه ، أو نفسرها بغير حقيقتها ، أو نشبه الله بخلقه في صفته ، فإنه من شبه الله ـ تعالى بخلقه ـ كفر : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾(٢) .

(لم يزل بجميع صفاته وأسمائه) أي أن صفاته سبحانه وتعالى وأسماءه أزلية بلا بداية كذاته ـ سبحانه وتعالى ـ ، إذ أن الصفة فرع عن الذات ، وقد يقال : إن هذا في الصفات الذاتية ، وأما الصفات الفعلية فإنها عند جمع من أهل العلم

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : (١٨٠) .

(٢) سورة الشورى ، الآية : (١١) .

أزلية النوع حادثة الآحاد ، والأولى البعد عن هذه الاصطلاحات الحادثة بعد الصدر الأول .

(تعالى على أن تكون صفاته مخلوقة وأسماؤه محدثة) : تقدس ـ تعالى ـ وتنزه عن أن تكون صفاته مخلوقة كصفات المخلوقين وأسماؤه حادثة كأسمائهم بل إنها أزلية بذاته ـ سبحانه وتعالى ـ فرع عن ذاته ، والحادث بعد العدم ناقص والله ـ تعالى ـ لا يطرأ عليه نقص حاشا لله ، بل هو متصف بكل صفات العظمة والكمال ، ومنها صفة الأزلية .

*** كلَّم موسى بكلامه الذي هو صفة ذاته ، لا خلق من خلقه ، وتجلى للجبل فصار دكا من جلاله .**

اللغة : (تجلى) : ظهر .

الشرح : وقوله : (صفة ذاته) . فيه تفصيل وهو :

أن الكلام من حيث إن الله موصوف : أزلاً وأبدًا وهو لم يزل ولا يزال متكلمًا . صفة ذاتية ، ومن حيث إنه يتجدد وأنه يتكلم متى شاء أو كيف شاء صفة فعلية .

(كلم موسى بكلامه الذي هو صفة ذاته) كما قال ـ تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾[1] ، وأكد ذلك بالمصدر الذي هو (تكليما) فهو كلام حقيقي على اللائق بجلال الله ـ تعالى ـ ، ولو لم يكن كلامًا حقيقيًا ما كانت هناك فضيلة لموسى عليه السلام بذلك ، ولا كان له اختصاص بتكليم الله إياه ، وأهل السنة يقولون إن الله تعالى لم يزل متكلمًا وقتما يشاء ، وكيفما يشاء ، بصوت وحرف ، ليس ككلام خلقه ، وكلامه تعالى صفته ، وصفته غير مخلوقة ، ومن زعم أن كلام الله مخلوق فقد كفر ، ومن زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر ، بل

---

(١) سورة النساء ، الآية (١٦٤) .

هو كلام الله على الحقيقة (لا خلق من خلقه) أي أن كلام الله ـ تعالى ـ ليس مخلوقا مثل المخلوقات ، بل هو صفة من صفاته تعالى على الوجه اللائق به .

(وتجلى للجبل فصار دكًا من جلاله(كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾[1] ، لما تجلى الجبار ـ سبحانه وتعالى ـ اندك الجبل واستوى بالأرض من عظمة الله وجلاله ، فإن الله ـ تعالى ـ لا يقوى شيء على رؤيته في الدنيا ، وإنما يراه المؤمنون في الجنة دون بأس كما سيأتي أما في هذه الدنيا فليس شيء يقوى على رؤية الحق ـ عز وجل .

الخلاصة :

١ ـ الله تعالى ـ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، وأسماؤه وصفاته موجودة بوجوده غير محدثة .

٢ ـ صفة الكلام صفة ثابتة لله ـ تعالى ـ حقيقة لا مجازًا .

٣ ـ لا يقوى شيء على احتمال رؤية الله ـ تعالى ـ في الدنيا .

المناقشة :

١ ـ هل أسماء الله وصفاته أزلية أم محدثة؟

٢ ـ هل يتكلم الله تعالى بكلام حقيقي أم لا؟

٣ ـ ما الذي يمكن أن يتحمل رؤية الله تعالى في الدنيا؟

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : (١٤٣) .

الفقرة الخامسة

*وأن القرآن كلام الله ، ليس بمخلوق فيبيد ، ولا صفة لمخلوق فينفد .

اللغة : (يبيد) يهلك وينمحي . (ينفد) : يفرغ وينتهي وينقضي .

الشرح : (وأن القرآن كلام الله) كما قال ـ تعالى ـ : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾(١) ، فالقرآن كلام الله على الحقيقة ، منه بدأ وإليه يعود ، وقد توعد الله من قال بأنه كلام البشر ، فقال في حقه : ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾(٢) ، وقد زعمت الجهمية أن القرآن مخلوق وأنه ليس كلام الله : (ليس بمخلوق فيبيد) الفناء صفة المخلوقات إلا ما شاء الله ، فالمخلوق المحدث يبيد ، والقرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق ، والكلام صفة الله ـ تعالى ـ على الحقيقة ، وصفات الله ليست مخلوقة ، كما أنها لا تبيد ، بل هي باقية ببقاء الله ـ سبحانه وتعالى ـ (ولا صفة لمخلوق فينفد) فالقرآن كلام الله ، والكلام صفة من صفاته فهي باقية ببقائه ، فلم يزل الله متكلماً متى شاء وكيف شاء ، وكلامه لا ينفد كما قال ـ تعالى ـ : ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾(٣) ، وقال : ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾(٤) ، فكلام الله لا ينفد ، وأما كلام المخلوقين فإنه ينفد وينذثر بهلاكهم ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

---

(١) سورة التوبة ، الآية : (٦) .

(٢) سورة المدثر ، الآية : (٢٦) .

(٣) سورة لقمان ، الآية : (٨٧) .

(٤) سورة الكهف ، الآية : (١٠٩) .

الخلاصة :

١ ـ القرآن كلام الله ـ تعالى ـ غير مخلوق .

٢ ـ كلمات الله ـ تعالى ـ غير مخلوقة ، ولا تنفد أبدا .

المناقشة :

١ ـ ما قولك في القرآن؟ هل هو مخلوق؟

٢ ـ هل تنتهي كلمات الله في وقت من الأوقات؟

الفقرة السادسة

* والإيمان بالقدر ، خيره وشره ، حلوه ومره ، وكل ذلك قد قدره الله ربنا ومقادير الأمور بيده ، ومصدرها عن قضائه .

اللغة : .....

الشرح : (والإيمان بالقدر) ، وهذا من أصول أهل السنة والجماعة ، ومن أصول الإيمان الستة كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾(١) ، وقال ـ عز وجل ـ : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾(٢) ، وقال ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾(٣) ، فكل شيء كائن في هذا الكون إنما قدره الله وقضاه ، (خيره وشره ، حلوه ومره) ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾(٤) ، فالخير والشر مقدران وكل ذلك قد قدره الله ربنا ومقادير الأمور بيده ومصدرها عن قضائه فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، ولا يمكن أن يحدث شيء في هذا الكون إلا إذا أراده الله تعالى ـ ، وكون الشيء أي وجوده ـ في حد ذاته دليل على أن الله قدره وقضاه ، هذا وأن الإيمان بالقدر على أربع درجات : الأولى : أن الله علم كل شيء ، وذلك قبل أن يخلق السموات والأرض ، الثانية : الكتابة فالله ـ تعالى ـ كتب كل ما هو كائن من خير أو شر ، صغير أو كبير ، كتبه في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، كما ثبت في الحديث : «أول ما خلق الله القلم ، قال : اكتب . قال : يا رب وماذا أكتب؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»(٥) . والمرتبة الثالثة للإيمان

(١) سورة القمر ، الآية : (٤٩) .
(٢) سورة الفرقان ، الآية : (٢) .
(٣) سورة الأحزاب ، الآية : (٣٨) .
(٤) سورة النساء ، الآية : (٧٨) .
(٥) أخرجه أبو داود في السنة باب في القدر (٤٧٠٠) والترمذي في القدر (١٢٥٦) وفي التفسير (٣٣١٦) . وهو حديث صحيح

بالقدر هي الإيمان بالإرادة المقتضية لكون الشيء ، فالله تعالى أراد أن توجد الأشياء فوجدت كما أراد لا خروج لأحد عن إرادته إلا بإذنه ، فما شاء الله كان وما لم يشأ يكن ، وقد قال ـ تعالى ـ : ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾(١) ، وقال ـ عز وجل ـ : ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٢) ، والآيات في هذا المقام كثيرة لا تحصى .

والمرتبة الرابعة من مراتب الإيمان بالقدر هي الإيمان بأن الله ـ تعالى ـ خلق كل شيء وأوجده على ما علم وكتب وأراد ، فإذا حصل خير فالله ـ تعالى ـ هو الذي خلقه وأوجده ، وإذا وجد شر فالله ـ تعالى ـ قد أراد الشر أو خلقه ، وقالوا إن الإنسان هو الموجد للشر ، فجعلوا الإنسان خالقا مع الله ـ تعالى ـ في نهاية الأمر .

فهذه أربع مراتب للإيمان بالقدر ، من كفر بواحدة منها كان كافراً بالقدر ، ومن كفر بالقدر كان كافراً بالله العظيم ، وهذا من كمال الاعتقاد الحسن في الله العظيم ، أن يعتقد الإنسان بأنه ليس هناك شيء خارج عن إرادة الله ـ تعالى ـ ومشيئته ، من اهتدى فالله هداه بفضله ، ومن ضل فالله اضله بعدله ، وكل شيء جار على ما أراد الله ـ تعالى ـ وقدر : ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾(٣) .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : (٢٥٣) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : (٣٩) .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية : (٢٣) .

* علم كل شيء قبل كونه فجرى على قدره ، لا يكون من عباده قوله ولا عمل إلا وقد قضاه وسبق علمه به : ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ .

اللغة : . . . . . .

الشرح : (علم كل شيء قبل كونه فجرى على قدره) ، وذلك كما سبق ، فإن علم الله ـ تعالى ـ قد أحاط بكل شيء ، فعلم الأشياء قبل خلقها ، وذلك على وجه الإجمال والتفصيل ثم جرت هذه الأشياء ووجدت وكانت وفق علم الله وإرادته وخلقه ، فكل شيء مخلوق بقدر : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾[١] .

(لا يكون من عباده قول ولا علم إلا وقد قضاه وسبق علمه به) ، فلا يمكن أن يحدث شيء في هذا الكون من أقوال أو أفعال صالحة أو غير صالحة إلا وقد سبق قدر الله وعلمه بها ، والله ـ تعالى ـ لم يرد الشر شرعا بل نهى عنه وحذر منه كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾[٢] ، وكما قال ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[٣] ، ولكن الشر مراد حدوثه كونًا وقدرًا ، أي بما قدر الله وأراد في الأزل ، لا شرعًا أي أن الشر غير مراد ولا مطلوب في الشرع ـ الكتاب والسنة ـ ولكنه مراد كونًا لحكمة بالغة قضاها ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[٤] ، ولكن كل شيء كائن عم أمره وقضائه : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[٥] ، والذي ينفي أن الله قد قدر حدوث الشرّ أراده لحكمة ، إنما يدعي أن الله ـ تعالى ـ لم يرده وأن الإنسان قد أحدثه بإرادته ،

---

(١) سورة القمر ، الآية : (٤٩) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : (٢٨) .

(٣) سورة الزمر ، الآية : (٧) .

(٤) سورة الأنبياء ، الآية : (٢٣) .

(٥) سورة النساء ، الآية : (٧٨) .

فغلبت إرادة الإنسان إرادة الخالق ! نعوذ بالله من الخذلان ، ثم إن الذي ينفي العلم إنما ينفي عن الله ـ تعالى ـ صفة كمال ويرميه بضدها من النقص والعياذ بالله : ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[1] .

الخلاصة :

١ ـ يجب الإيمان بالقدر بكل مراتبه ، وهو من أركان الإيمان الستة .

٢ ـ كل شيء حادث في هذا الكون من المخلوقات فإنه مخلوق موجود بإذن الله وقضائه ومشيئته .

المناقشة :

١ ـ ما معنى الإيمان بالقدر؟ وما حكمه؟

٢ ـ تكلم عن مراتب الإيمان بالقدر .

٣ ـ ما حكم من أنكر إحدى مراتب القدر؟

٤ ـ هل يحدث شيء بغير إذن الله تعالى وقضائه؟

---

(١) سورة تبارك ، الآية : (١٤) .

الفقرة السابعة

* يضل من يشاء فيخذله بعدله ، ويهدي من يشاء فيوفقه بفضله ، فكل ميسر بتيسيره إلى ما سبق من علمه ، وقدره من شقي أو سعيد ، تعالى أن يكون في ملكه ما لا يريد ، أو يكون لأحد عنه غنًا ، خالقًا لكل شيء ، ألا هو رب العباد ورب أعمالهم ، والمقدر لحركاتهم وآجالهم .

اللغة : (فيخذله) المقصود أي يحرمه الهداية والتوفيق والتسديد . (غنًا) : استغناء وعدم احتياج .

الشرح : (يضل من يشاء فيخذله بعدله ، ويهدي من يشاء فيوفقه بفضله) ، من أراد الله تعالى أن يخذله وأن يضله ويحرمه الهداية فعل ، وذلك عدل منه ووضع للضلالة في الموضع اللائق بها ، فإن العدل وضع الشيء في موضعه ، ولما سبق لهم في علم الله ـ تعالى ـ وقدره ، ومن اختار الضلالة زاده الله منها ووفقه لأسبابها والاستزادة منها ، وذلك محض العدل منه ـ عز وجل ـ ومن يشاء الله هدايته وفقه للهداية وللأخذ بأسبابها ، وهذا كما أنه عدل أيضًا لأنه وضع للهداية في المحل اللائق بها ، فإنه فضل من الله ، لأنه لو تركه دون رسول أو شرع لضل ضلالاً مبينًا ، ولما عرف كيف يعبد ربه تعالى وكيف يلتمس رضاه ، والهداية والضلال كلاهما من الله كما قال ـ عز وجل ـ : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1] ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[2] .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : (١٢٥) .

(٢) سورة النحل ، الآية : (٩٣) .

(فكل ميسر بتيسيره إلى ما سبق من علمه وقدره من شقي أو سعيد) ، وهذا كما قال النبي ﷺ : «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»(١) ، فكل إنسان يعمل فيما يسبق به علم الله ـ تعالى ـ وقدره ، لا خروج لأحد عما قدره الله ـ تعالى ـ ، وقد ورد في الحديث أن الملك يكتب للإنسان في بطن أمه بأمر الله : شقي أو سعيد»(٢) ، فلا يمكن أن يخرج إنسان عما قدر الله له من السعادة أو الشقاوة ، بل كل إنسان يعمل ويكدح فيما قدر له ، ولا يخرج شيء عن مشيئة الله ـ تعالى ـ : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٣) .

(تعالى أن يكون في ملكه ما لا يريد) : سبحانه وتعالى عن أن يحدث في ملكه شيء رغم إرادته ، فهذا أمر لا يتصور بل إذا شاء الله أمراً كان ، وإن لم يشأ لم يكن .

(أو يكون لأحد عنه غنًى) : كما قال ـ تعالى ـ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾(٤) ، فلا غناء لأحد عن الله طرف عين ، بل إن كل إنسان مفتقر إلى الله ـ تعالى ـ في خلقه وتدبير أموره وهدايته لما فيه مصلحته في الدنيا والآخرة .

(خالق لكل شيء) : كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾(٥) ، فما من شيء في السموات والأرض إلا والله خالقه ، فالشيء إما أن يكون خالقاً أو مخلوقاً ، ولما كان الله هو الخالق لا خالق غيره ، تعين أن يكون ما سواه مخلوقا مربوبا له : (ألا هو رب العباد ورب أعمالهم) ، كما قال تعالى :

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٢١٢) كتاب القدر . ومسلم (٤ , ٢٠٤٠) ، كتاب القدر رقم (٢٦٤٧) .

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٢١٠) كتاب القدر . ومسلم (٤/ ٢٠٣٦) كتاب القدر ، رقم (٢٦٤٣) .

(٣) سورة التكوير ، الآية : (٢٩) .

(٤) سورة فاطر ، الآية : (١٥) .

(٥) سورة الزمر ، الآية : (٦٢) .

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[١] ، فأعمال العباد مخلوقة لله تعالى قدرها وكتبها ، وأرادها وخلقها بقدرته وعلمه وحكمته : (والمقدر لحركاتهم وآجالهم ، فالله ـ تعالى ـ هو الذي قدر الحركات والسكنات وكل شيء وخلقهم ، وهو الذي قدر الآجال للعباد ، وكتب أجل كل مخلوق قبل خلق السموات والأرض : ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾[٢] .

الخلاصة :

١ ـ الله تعالى هو الذي يهدي من يشاء بفضله ، ويضل من يشاء بعدله .

٢ ـ كل إنسان ميسر لما خلق له .

٣ ـ لا يكون شيء في الكون بغير قضاء الله ، ولا يستغني أحد عن الله ـ تعالى .

٤ ـ الله ـ تعالى ـ هو خالق الناس وأعمالهم ، ومقدر الحركات والسكانات .

المناقشة :

١ ـ هل يمكن أن يضل الله أحداً؟

٢ ـ هل يستطيع شيء أن يستغني عن الله ـ تعالى ـ ؟

٣ ـ من الذي خلق أعمال العباد؟ ومن الذي قدر آجالهم؟

---

(١) سورة الصافات ، الآية : (٩٦) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : (٣٤) .

الفقرة الثامنة

* الباعث الرسل إليهم لإقامة الحجة عليهم ثم ختم الرسالة والنذارة والنبوة بمحمد نبيه ﷺ فجعله آخر المرسلين بشيراً ونذيراً وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيراً ، وأنزل عليه كتابه الحكيم ، وشرع بدينه المستقيم وهدى به الصراط المستقيم .

اللغة : (سراجًا منيرًا) : السراج هو المصباح الذي يستضاء به ، (الصراط) الطريق .

الشرح : (الباعث الرسل إليهم لإقامة الحجة عليهم ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾[١] ، فالرسل شهداء على أقوامهم بأنهم أبلغوهم وأقاموا عليهم الحجة ، بحيث لم يعد لهم شبهة إنما هو العناد والاستكبار .

(ثم ختم الرسالة والنذارة والنبوة بمحمد ﷺ فجعله آخر المرسلين بشيراً ونذيراً وداعيًا إلى الله وسراجًا منيرا) كما قال ـ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[٢] ، فالرسول ﷺ هو آخر الرسل كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[٣] ، فكل من ادعى النبوة لنفسه أو لغيره بعد النبي ﷺ كفر وخرج من الإسلام ، وكذلك فالنبي ﷺ شاهد على الناس بالبلاغ ، مبشر لمن أطاعه بالجنة ، ونذير لمن عصاه بالنار ، وهو السراج المنير الهادي إلى

---

(١) سورة النساء ، الآية : (١٦٥) .

(٢) سورة الأحزاب ، الآيتان : (٤٥ ، ٤٦) .

(٣) سورة الأحزاب ، الآية : ٤٠ .

الصراط المستقيم : ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ﴾[١] . ﴿وأنزل عليه كتابه الحكيم﴾ ، وهو القرآن الحكيم الكريم ، الذي فيه الهداية لكل خير في الدين والدنيا ، والتحذير من كل شر في الدين والدنيا ، (وشرع بدينه المستقيم وهدى به الصراط المستقيم) ، فالله ـ تعالى ـ شرع لرسوله أكمل شريعة وأحسنها ، وهداه إلى أقوم الطرق وأعدلها في أمور الدين والدنيا .

الخلاصة :

١ ـ إن الله ـ تعالى ـ بعث الرسل مبشرين ومنذرين لإقامة الحجة على الناس .

٢ ـ آخر الرسل هو محمد ﷺ .

٣ ـ النبي ﷺ هو البشير النذير ، والسراج المنير .

٤ ـ أنزل الله عليه القرآن ، وشرع له أحسن دين وأقوم شرع .

المناقشة :

١ ـ ما مهمة الرسل؟

٢ ـ من آخرهم ؟

٣ ـ ما اسم الكتاب الذي أنزل عليه؟

٤ ـ ما منزلة هذا الكتاب مما قبله من الكتب؟

---

(١) سورة النور ، الآية : ٥٤ .

الفقرة التاسعة

* وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من يموت ، كما بدأهم يعودون .

اللغة : (لا ريب فيها) لا شك فيها .

الشرح : (وأن الساعة آتية لا ريب فيها) الساعة هي القيامة ، وهي اليوم الآخر ، ولا يعلم علمه إلا الله ، كما قال ـ عز وجل ـ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾(١) ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي﴾(٢) . والإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان الستة ، من أنكره فهو كافر بالله العظيم كما قال ـ تعالى ـ : ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ فهو اليوم الآخر لا شك في مجيئه كما قال ـ تعالى :(وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا)(٤) ، (وأن الله يبعث من يموت) ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾(٥) ، وقال ـ عز وجل ـ : ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٦) فالله ـ تعالى ـ يبعث الناس بعد موتهم بأرواحهم وأبدانهم فيحاسبهم على ما عملوا ويجزيهم على أعمالهم ، فيثيب المحسن ويعاقب المسيء ، ومن أنكر البعث كفر لقوله ـ تعالى ـ : ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ

---

(١) سورة لقمان ، الآية : (٣٤) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : (١٨٧) .

(٣) سورة النساء ، الآية : (١٣٦) .

(٤) ، (٥) سورة الحج ، الآية : (٧) .

(٦) سورة النحل ، الآية : (٣٨) .

وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[١] ، (كما بدأهم يعودون) وذلك لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[٢] ، فالناس يبعثون كما خلقوا أول مرة ويأتي الله بهم فيحاسبهم أجمعين ، ولا يعجزه عن ذلك ، بل البعث يسير عليه : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[٣] .

الخلاصة :

١ ـ إن الساعة آتية وهي حق لا ريب فيها .

٢ ـ يبعث الله الموتى بعد موتهم كما بدأهم أول مرة .

المناقشة :

١ ـ ما هي الساعة؟ وما حكم منكرها؟

٢ ـ هل يبعث الله الموتي؟ وكيف يكون ذلك؟

٣ ـ ما حكم من أنكر بعث الأجساد؟

---

(١) سورة التغابن ، الآية : (٧) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : (٢٩) .

(٣) سورة يس ، الآية : (٨٢) .

الفقرة العاشرة

* وأن الله سبحانه ضاعف لعباده المؤمنين الحسنات ، وصفح لهم بالتوبة عن كبائر السيئات وغفر لهم الصغائر باجتناب الكبائر ، وجعل من لم يتب من الكبائر صائراً إلى مشيئته ، ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ .

اللغة : (ضاعف زاد . (صفح) عفا وتجاوز . (غفر) ستر وعفا عن . (اجتناب) البعد عن الشيء .

الشرح : (وأن الله سبحانه ضاعف لعباده المؤمنين الحسنات) كما قال ـ تعالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[١] ، وكما قال : ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾[٢] ، فالله ـ تعالى ـ يثيب المحسن على إحسانه فيجازيه أضعاف حسنته أضعافًا كثيرة فقد قال تعالى : ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾[٣]، وذلك من فضل الله ـ تعالى ـ وصفح لهم بالتوبة عن كبائر السيئات ، وذلك ان المؤمن إذا ارتكب ما ارتكب من المعاصي ، ثم تاب إلى الله تعالى توبة نصوحًا وأحسن الإنابة كفَّر الله عنه سيئاته كما قال ـ تعالى ـ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾[٤] ، وقال : ﴿ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ

(١) سورة الأنعام ، الآية : (١٦٠) .

(٢) سورة البقرة ، الآية : (٢٦١) .

(٣) سورة البقرة ، الآية : (٢٤٥) .

(٤) سورة التحريم ، الآية : (٨) .

صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما﴾[١] . فالتوبة تجب ما قبلها وتمحوه وتكفره ،)وغفر لهم الصغائرباجتناب الكبائر) ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾[٢] ، وكما في الحديث : «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»[٣] .

فاجتناب الكبائر نفسه إحدى مكفرات الصغائر ، وهذا من فضل الله ـ تعالى : (وجعل من لم يتب من الكبائر صائراً إلى مشيئته) ، كما ثبت في الحديث : «ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى أن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه»[٤] ، وهذا هو قول أهل الحق فمن السلف ، أن مرتكب الكبيرة غير المستحل لها ، إن تاب منها تاب الله عليه ، وإن أقيم عليه الحد في الدنيا كان كفارة له ، وإن لم يقم عليه الحد ومات على غير توبة فإنه تحت المشيئة ، إن شاء الله عفا عنه ، وإن شاء عاقبه بذنبه ، لكننا نخاف عليه ولا نحكم له بالخلود في النار كما قالت المعتزلة والخوارج : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[٥] . وهذه الآية نص في المسألة ، ومعناها أن الشرك لا يغفر لصاحبه أبدا ، وأما ما عداه من الكبائر والصغائر فإن الله ـ تعالى ـ يغفرها لمن يشاء .

---

(١) سورة الفرقان ، الآيات : (٦٨ : ٧٠) .

(٢) سورة النجم ، الآية : (٣٢) .

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٢٠٩) ، كتاب الطهارة ، رقم (٢٣٣) .

(٤) البخاري (١/ ٨١) ح١٨ ، في الإيمان باب ١١ من حديث أبي إدريس الخولاني عن عبادة مرفوعًا وأخرجه غيره .

(٥) سورة النساء ، الآية : (٤٨) .

الخلاصة :

١ ـ إن الله يضاعف الحسنات للمؤمنين .

٢ ـ اجتناب الكبائر مكفر للصغائر .

٣ ـ المسلم الذي يموت على غير توبة صائر إلى مشيئة الله .

المناقشة :

١ ـ ما هو ثواب الله للمؤمنين؟

٢ ـ هل اجتناب الكبائر يكفر الصغائر؟

٣ ـ ما حكم المسلم الذي يموت على غير توبة؟

الفقرة الحادية عشرة

* ومن عاقبه الله بناره أخرجه منها بإيمانه فأدخله به جنته ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾ . ويخرج منها بشفاعة النبي ﷺ من شفع له من أهل الكبائر من أمته .

الشرح : (ومن عاقبه الله بناره أخرجه منها بإيمانه فأدخله به جنته) ، فالمسلم العاصي الذي يعاقبه الله بالنار جزاء أعماله ، إذا شاء الله ـ تعالى ـ يخرج من النار بإيمانه فيدخل الجنة مع الموحدين ، وقد ثبت في الحديث أن الله ـ تعالى ـ يقول يوم القيامة : «وعزتي وجلالي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله»[١] ، وذلك لأن معه أصل التوحيد الذي يدخل به الجنة ، لكن لما غلبت سيئاته على حسناته عذب بها حتى نقي وهذب ثم أذن له في دخول الجنة وذلك لأن الله ـ تعالى ـ لا يضيع عمل العالم : ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾[٢] .

(ويخرج منها بشفاعة النبي ﷺ من شفع له من أهل الكبائر من أمته) . وهذه من أنواع الشفاعة الثابتة للنبي ﷺ فإنه يشفع للخلائق يوم القيامة حتى يقضي الله بينهم ، ويشفع لأمته في دخول الجنة ، ويشفع لمن دخل النار من أمته من أهل الكبائر ، فيخرجون منها كما في الحديث : «إذا كان يوم القيامة شفعت فقلت يا رب أدخل الجنة من كان في قلبه خردلة فيدخلون»[٣] .

وقوله : «فأقول يا رب أمتي أمتي فيقول انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجه من النار . . .»[٤] ، وهذا من مكانة النبي ﷺ عند ربه ـ عز وجل .

---

(١) البخاري (١٣/ ٤٩١ : ٤٨٢) ح ٧٥١ ، في التوحيد باب كلام الرب ـ عز وجل ـ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم من حديث معبد بن هلال عن أنس مرفوعًا .

(٢) سورة الزلزلة ، الآية : ٧ .

(٣) البخاري (١٣/ ٤٨١) ، ح ٧٥٠٩ ، في التوحيد باب كلام الرب . . من حديث حميد عن أنس مرفوعًا .

(٤) البخاري (١٣/ ٤٨١ ، ٤٨٢) ح ٧٥١ ، في التوحيد باب كلام الرب ـ عز وجل ـ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم من حديث معبد بن هلال عن أنس مرفوعًا .

الخلاصة :

١ ـ من دخل النار من الموحدين بذنوبه أخرج منها بإيمانه ودخل الجنة .

٢ ـ يخرج أهل الكبائر من النار بشفاعة النبيﷺ .

المناقشة :

١ ـ هل يخلد أحد من الموحدين في النار؟ وهل يخلد أهل الكبائر فيها أم لا؟

الفقرة الثانية عشرة

* وأن الله سبحانه قد خلق الجنة فأعدها دار خلود لأوليائه ، وأكرمهم فيها بالنظر إلى وجهه الكريم ، وهي التي هبط منها آدم نبيه وخليفته في أرضه بما سبق في سابق علمه ، وخلق النار فأعدها دار خلود لمن كفر به وألحد في آياته وكتبه ورسله ، وجعلهم محجوبين عن رؤيته .

اللغة : (خلود) الخلود هو الإقامة الدائمة .

الشرح : (وأن الله سبحانه قد خلق الجنة فأعدها دار خلود لأوليائه) الجنة مخلوقة ، وهي دار الكرامة والثواب والرحمة وقد أعدها الله ـ تعالى ـ للطائعين من عباده دار خلود ومقام ، كما قال ـ تعالى ـ ﴿خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاماً﴾(١) ، وقال ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾(٢) ، وقال ـ عز وجل ـ : ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقاً﴾(٣) .

وأكرمهم فيها بالنظر إلى وجهه الكريم ، وذلك مصداق لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾(٤) ، فالآية صريحة في النظر إلى الله تعالى ، وكذلك قوله ـ عز وجل ـ عن الكفار : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾(٥) ، فلما ذكر حجبهم عن رؤيته دل على أن المؤمنين يرونه ، وقوله

---

(١) سورة الفرقان ، الآية : (٧٦) .

(٢) سورة هود ، الآية : (١٠٨) .

(٣) سورة الطلاق ، الآية : (١١) .

(٤) سورة القيامة ، الآيتان : (٢٢ ، ٢٣) .

(٥) سورة المطففين ، الآية : (١٥) .

ـ عـز وجل ـ : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾(١) ، فـالحسنى هـي الجنة ، والزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى ، وفي الحديث : «إنك ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته»(٢) ، وهذا قول أهل الحق خلافا للمعتزلة وغيرهم من أهل الضلال ممن أنكر الرؤية ، (وهي التي هبط منها آدم نبيه وخليفته في أرضه بما سبق في سابق علمه) كونه خليفة كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾(٣) ، والمقصود أنهم يخلف بعضهم بعضًا في عمارة هذه الأرض ، وأما الجنة التي أهبط منها آدم عليه السلام ، فهل كانت هي جنة الخلد أم غيرها؟ على قولين . وهو علم لا ينفع وجهل لا يضر ، وإنما كان كل ذلك مقدرًا في علم الله ـ تعالى ـ وقضائه ومشيئته ، أعني خروج آدم ، عليه السلام ، من الجنة ، بعد أكله من الشجرة .

(وخلق النار فأعدها دار خلود لمن كفر به وألحد في آياته وكتبه ورسله) ، وذلك كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا ﴾(٤)،وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾(٥) ، وأما الإلحاد فقد يكون بجحد الآيات والكتب والرسل كلها أو بعضها ، كالذي يؤمن ببعض ويكفر ببعض ، وقد يكون بتحريف الآيات لفظًا ، أو تحريفها معنى ، وصرفها عن حقيقتها ، وقد قال ـ تعالى ـ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ﴾(٦) .

---

(١) سورة يونس ، الآية : (٢٦) .

(٢) البخاري (١٣/ ٤٢٩) ٧٤٣٤ ، التوحيد باب قول الله ـ تعالى ـ : ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ ، من حديث قيس عن جرير مرفوع .

(٣) سورة البقرة ، الآية : (٣٠) .

(٤) سورة النساء ، الآية : (١٤) .

(٥) سورة التغابن ، الآية : (١٠) .

(٦) سورة فصلت ، الآية : (٤٠) .

(وجعلهم محجوبين عن رؤيته) : وهذه من أشق وأعظم العقوبات على الكافرين أن يحرموا من رؤية الله ـ تعالى ـ في الآخرة كما قال ـ عز وجل ـ : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[1] ، بينما يراه المؤمنون حقيقة كما سبق .

الخلاصة :

١ ـ الجنة دار المتقين وأعظم نعيم لهم فيها رؤية الله تعالى .

٢ ـ النار دار الكفرة والفجرة والملحدين ، وهم محجوبون عن رؤية الله تعالى .

المناقشة :

١ ـ من هم أصحاب الجنة؟

٢ ـ هل رؤية الله ـ تعالى ـ حق؟ وكيف تكون؟

٣ ـ من أصحاب النار؟ وهل يرون ربهم أم لا؟

---

(١) سورة المطففين ، الآية : (١٥) .

الفقرة الثالثة عشرة

* وأن الله ـ تبارك وتعالى ـ يجيء يوم القيامة والملك صفًا صفا ، لعرض الأمم وحسابهم وتوضع الموازين لوزن أعمال العباد : ﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون﴾ ، ويرون صحائفهم بأعمالهم : (فمن أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابًا يسيراً ومن أوتي كتابه وراء ظهره فأولئك يصلون سعيراً) .

اللغة : . . . . . .

الشرح : (وأن الله تبارك وتعالى يجيء يوم القيامة والملك صفًا صفًا) كما قال ـ تعالى ـ : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[١] ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر﴾[٢] . فصفة المجيء هذه ثابتة لله ـ تعالى ـ بالنص ، وتأتي الملائكة ، ويكون في هذا اليوم من الشدائد والأهوال ما لا يعلمه إلا الله : (لعرض الأمم وحسابهم) ، كما قال تعالى : ﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾[٣] ، وقال ـ عز وجل ـ : ﴿ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾[٤] ، فالناس يعرضون على الله تعالى يوم القيامة فيجازيهم بأعمالهم (وتوضع الموازين لوزن أعمال العباد) ، وقد قال تعالى :﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾[٥] ، فيوضع يوم القيامة ميزان له كفتان لا يعلم عظمتهما إلا الله تعالى وذلك لوزن حسنات المرء وسيئاته ،

(١) سورة الفجر ، الآية : (٢٢) .

(٢) سورة البقرة ، الآية : (٢١٠) .

(٣) سورة الحاقة ، الآية : (١٨) .

(٤) سورة الكهف ، الآية : ٤٩) .

(٥) سورة الأنبياء ، الآية : (٤٧) .

وهو على حسب ما غلب ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[١] أي من ثقلت موازين حسناته فرجحت بموازين سيئاته وغلبتها كان من أهل الجنة الفائزين المفلحين ، بل هذا أعظم الفلاح ، (ويؤتون صحائفهم بأعمالهم) ، كذا بالأصل ولعل الصواب (ويؤتون صحائف أعمالهم) ، أو لعل المقصود يؤتون صحائفهم على قدر أعمالهم وعلى حسبها ، وكل إنسان يعطي صحيفته يوم القيامة كتابًا فيه أعماله ، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[٢] ، وهؤلاء هم أهل الجنة الفائزون الذين يحاسبهم الله تعالى حسابا يسيرا ثم يغفر لهم ويأمر بهم إلى الجنة . ولكن : (من أوتي كتابه وراء ظهره فأولئك يصلون سعيرًا) ، هذا هو الصنف الثاني الذين يؤتون كتبهم يوم القيامة ، ولكنهم لما كانوا أهل خبث ومعصية فإنهم يؤتون كتبهم بشمائلهم من وراء ظهورهم وجزاؤهم كما قال تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾[٣] . نسأل الله العافية من الخذلان .

الخلاصة :

١ ـ مجيء الله ـ تعالى ـ يوم القيامة لحساب الناس حق .

٢ ـ ينصب الميزان يوم القيامة لوزن أعمال العباد .

٣ ـ أصحاب الجنة يأخذون كتبهم بأيمانهم ، وأصحاب النار يأخذون كتبهم بشمائلهم من وراء ظهوره .

المناقشة :

١ ـ هل مجيء الله ـ تعالى ـ لفصل القضاء حق ؟

٢ ـ ما معنى (الميزان) ؟

٣ ـ كيف يأخذ الناس كتبهم يوم القيامة؟

---

(١) سورة المؤمنون ، الآية : (١٠٢) .

(٢) سورة الانشقاق ، الآيتان : (٧ : ٨) .

(٣) سورة الانشقاق الآيات : (٩ ـ ١١) .

الفقرة الرابعة عشرة

*** وأن الصراط حق يجوزه العباد بقدر أعمالهم ، فناجون متفاوتون في سرعة النجاة عليه من نار جهنم ، وقوم أو بقتهم فيها أعمالهم .**

اللغة : (الصراط) يقصد به الجسر على شفير جهنم . (يجوزه) يعبره . (أوبقتهم) أهلكتهم .

الشرح : (وأن الصراط حق يجوزه العباد بقدر أعمالهم) والصراط هو الجسر الذي ينصب على شفير جهنم بين حافتيها ، ويعبر عليها الخلائق ، وقد قال النبي ﷺ : «ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم»[1] ، فمنهم من يجوزه كالبرق الخاطف ، ومنهم من يجوزه كالريح ، ومنهم من يجوزه كأجاويد الخيل ، ومنهم من يجوزه كأشد الرجال ، ومنهم من يمشي مهرولا ، ومنهم من يمشي وينكفيء حتى يعبر عليه ، كل ذلك على حسب أعمالهم وعلى حسب حسناتهم .

(وقوم أوبقتهم فيها أعمالهم) أي ومنهم اقوام أهلكتهم أعمالهم وكانت سببًا في خسارهم وهلاكهم وشقائهم ، حيث تخطفتهم من على الصراط ، كلاليب جهنم فهوت بهم سبعين خريفًا حتى يصلوا إلى قعرها ، وهؤلاء أهل الشقاء والعياذ بالله ـ تعالى ـ .

الخلاصة :

١ ـ الصراط حق يوم القيامة ، وهو جسر على شفير جهنم ، ويجوزه العباد على قدر أعمالهم .

المناقشة :

١ ـ عرف الصراط .

٢ ـ ما هي مراتب الناس في عبور الصراط؟

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٩٥) كتاب الأذان ، باب فضل السجود . ومسلم (١/ ١٦٤) كتاب الإيمان ، رقم (١٨٢) .

الفقرة الخامسة عشرة

* والإيمان بحوض رسول الله ﷺ ترده أمته ، لا يظمأ من شرب منه ، ويزاد عنه من بدل وغير .

اللغة : (ترده) تأتيه وتشرب منه . (يزاد عنه) يبعد ويحجز دونه .

الشرح : (والإيمان بحوض رسول الله ﷺ ترده أمته) وهذا مما يجب الإيمان به وهو أن للنبي ﷺ حوضًا مورودًا ترده أمته يوم القيامة ، كما قال ، عليه الصلاة والسلام : «أنا فرطكم على الحوض . .»[1] ، فهو ينتظر أمته ليسقيهم ، وهذا الحوض شديد الاتساع ، ماؤه أبيض من اللبن ، وأحلى من العسل ، رائحته كرائحة المسك ، وكيزانه كنجوم السماء (لايظمأ من شرب منه) ، كما قال النبي ﷺ : «من شرب منها فلا يظمأ أبدا»[2] ، (ويزاد عنه من بدل وغير) ، أي حرم منه ، ويمنع من الوصول إليه والشرب منه كل من بدل وغير في دين النبي ﷺ ، في أي جوانبه ، وقد قال النبي ﷺ : «ليردن عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم فأقول إنهم مني فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك . فأقول : سحقًا سحقًا لمن غير بعدي»[3] ، وهذا جزاء كل من بدل وغير في دين النبي محمد ﷺ في صغير أو كبير ، في العقائد أو العبادات أو غيرهما ، فالواجب على المسلم الحذر أشد الحذر من الابتداع في الدين بأي صورة .

---

(١) البخاري (١١/ ٤٧١) ح٦٥٧٥ في الرقاق باب في الحوض من حديث شقيق عن عبد الله مرفوعًا .

(٢) البخاري (١١/ ٤٧٢) ح٦٥٧٩ ، في الرقاق باب في الحوض من حديث أبي مليكة عن عبد الله بن عمر مرفوعًا .

(٣) البخاري (١١/ ٤٧٢) ح٦٥٨٤ ، في الرقاق باب في الحوض من حديث النعمان بن أبي عياش عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا .

الخلاصة :

١ ـ حوض النبي ﷺ حق ، ترده أمته ، ومن شرب منه لا يظمأ أبداً .

٢ ـ أهل البدع والمحدثات والتبديل في الدين يحرمون من الشرب من الحوض .

المناقشة :

١ ـ اذكر صفات حوض النبي ﷺ .

٢ ـ هل يشرب المبتدعون من حوض النبي ﷺ؟

الفقرة السادسة عشرة

* وأن الإيمان قول باللسان ، وإخلاص بالقلب ، وعمل بالجوارح ، ويزيد بزيادة الأعمال وينقص بنقصها ، فيكون بها النقص وبها الزيادة ، ولا يكمل قول الإيمان إلا بالعمل ولا قول ولا عمل إلا بنية ، ولا قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة .

اللغة : (الإيمان) لغة : التصديق .

الشرح : (وأن الإيمان قول باللسان ، وإخلاص بالقلب ، وعمل بالجوارح) هذا هو قول جماهير السلف ، أهل الحق ، فالإيمان أصله التصديق ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾[1] ، أي بمصدق لنا ، وقد زعم طوائف من الجهال والضلال بأن الإيمان هو معرفة القلب فقط ، ولكن دلائل الكتاب والسنة تضافرت على تأكيد قول السلف بأن الإيمان تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح ، ودائما يقرن ـ تبارك وتعالى ـ بين الإيمان وعمل الصالحات في مثل قوله : ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم﴾[2] ، فالمؤمن يصدق بقلبه ، ويقر بلسانه ، وذلك هو المقصود من شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والعمل داخل في مسمى الإيمان خلافًا لمن أخرجه كأبي حنيفة رحمه الله وغيره ، أو كالطوائف التي زعمت أن الأعمال ليست من الإيمان ، بل إنها من الإيمان وذلك هو مقتضى نصوص الكتاب والسنة ، وقد عدَّ النبي ﷺ الأعمال من الإيمان في كثير من الأحاديث ، وذلك في مثل قوله عليه الصلاة والسلام : «الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة ، أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان»[3] ، فدلَّ

---

(١) سورة يوسف ، الآية : (١٧) .

(٢) سورة ص ، الآية : (٢٤) .

(٣) مسلم (١/ ٦٣)ح٣٥ ، في الإيمان باب بيان عدد شعب الإيمان من حديث أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعًا .

ذلك وغيره على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان ، وهذا هو القول الحق حفي هذه المسألة ، وهو قول جماهير السلف رضي الله عنهم .

(ويزيد بزيادة الأعمال وينقص بنقصها) ، وهذا هو القول الحق كذلك ، وهو قول السلف الصالح رضي الله عنهم وقد دلت عليه النصوص الكثيرة من مثل قوله ـ تعالى ـ :﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانًا﴾[١] ، وقوله تعالى : ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾[٢] .

والنصوص كثيرة في هذا الباب ، من الكتاب والسنة على أن الإيمان يزيد وينقص ، يزيد بالطاعات ، وينقص بالمعاصي ، وهذا قول جماهير السلف ، وقد خالفهم طوائف زعموا أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، وأنه واحد ، وهكذا قالوا بأنه إما أن يثبت الإيمان بالكلية ، وإما أن يرتفع بالكلية ، فمنهم من كفر كل العصاة ، ومنهم من قال إن المعاصي لا تضر صاحبها ، وكلهم على شعبة من الضلال ، والحق أن الإيمان يتبعض ، وأنه يزيد وينقص ، وأهله متفاوتون فيه ، وهذا هو الحق لا ريب .

(فيكون بها النقص وبها الزيادة) أي الأعمال كلما زادت الأعمال الصالحة زاد الإيمان وكلما نقصت نقص بذلك ، وهكذا يتفاوت أهل الإيمان فيه بحسب تقواهم ، وأعمالهم (ولا يكمل قول الإيمان إلا بعمل) أي لما كان العمل من الإيمان كان الإيمان يزيد أو ينقص بحسبه ، فمن صدق وأقر فإنه لا يكمل إيمانه حتى يأتي بالعمل (ولا قول ولا عمل إلا بنية) ، وذلك لأن النبي ﷺ قال : «إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى»[٣] . فالقول والعمل لا يقبل إلا بالنية الخالصة لله تعالى ، وإذا كان لغير الله فإنه مردود على صاحبه (ولا قول وعمل

---

(١) سورة التوبة ، الآية : (١٢٤) .

(٢) سورة المدثر ، الآية : (٣١) .

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٢) في باب بدء الوحي من حديث علقمة عن عمر مرفوعًا ، وأخرجه غيره .

ونية إلا بموافقة السنة) ، فإذا كان العمل غير مطابق لهدي النبي ﷺ فهو باطل ومردود على صاحبه كذلك لقول النبي ﷺ : «ومن عمل عملاء ليس عليه أمرنا فهو رد»[1] ، فكل عمل على غير الطريقة النبوية فهو باطل ، وكذلك العمل غير الخالص لله ـ تعالى ـ .

الخلاصة :

١ ـ الإيمان تصديق بالقلب ، وقول باللسان ، وعمل بالجوارح ، ويزيد بالطاعات ، وينقص بالمعاصي .

٢ ـ الإخلاص وموافقة السنة شرطان من شروط صحة العمل .

المناقشة :

١ ـ عرف الإيمان عند أهل الحق .

٢ ـ وهل يزيد وينقص؟

٣ ـ اذكر الشرطين الأساسيين لصحة الأعمال .

---

(١) مسلم (٣/ ١٣٤٤) ح١٧١٨ ، في الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة من حديث القاسم عن عائشة مرفوعًا ، وأخرجه البخاري بنحوه .

الفقرة السابعة عشرة

* وأنه لا يكفر أحد بذنب من أهل القبلة .

اللغة : (من أهل القبلة) يقصد من أهل ملة الإسلام .

الشرح : (وأنه لا يكفر أحد بذنب من أهل القبلة) أهل السنة من السلف الصالح يقولون بأن المسلم لا يكفر بارتكابه للمعصية ، صغيرة أو كبيرة ، ما دام مقرًا بحرمتها ويقولون بأنه إن استحلها كفر باستحلاله لها ، لجحده معلومًا من الدين حرمته وليس كفره بالمعصية نفسها ، وقد ضلت طوائف في هذا الباب كالخوارج الذين كفروا مرتكب الكبيرة ، بل إن غلاة منهم كفروا عموم العصاة ، وهذا ضلال بيِّن وقد جر إلى كثير من المفاسد ، والحق ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة رضي الله عنهم من أن العاصي يفسق بمعصيته لكنه ليس كافرًا إلا باستحلالها ، والله ـ تعالى ـ لم ينف الإيمان عن العصاة ، وانظر إلى قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ - إلى قوله تعالى ـ ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾[1] ، فلم ينف عنهم الإيمان رغم اقتتالهم ، والشواهد على ذلك كثيرة فتأمل .

الخلاصة :

١ ـ لا يكفر المسلم بذنب صغير أو كبير ما لم يستحله .

المناقشة :

١ ـ هل يكفر المسلم بالمعصية؟ وما حكم مرتكب الكبيرة؟

---

(١) سورة الحجرات ، الآيتان : (٩ ، ١٠) .

الفقرة الثامنة عشرة

* وأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون ، وأرواح أهل السعادة باقية ناعمة إلى يوم يبعثون ، وأرواح أهل الشقاوة معذبة إلى يوم الدين ، وأن المؤمنين يفتتنون في قبورهم ويسألون : ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ .

اللغة : (ناعمة) متنعمة .

الشرح : (وأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون) كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[1] ، فالشهداء أحياء حياة خاصة بهم عند ربهم ـ عز وجل ـ ، وفي الحديث : «لما أصيب إخوانكم ـ يعني يوم أحد ـ جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش»[2] ، فهذه هي أرواح الشهداء ، رزقنا الله الشهادة في سبيله .

(وأرواح أهل السعادة باقية ناعمة إلى يوم يبعثون) فأرواح المؤمنين منعمة مسرورة كما ثبت في الحديث : «إن نسمة المؤمن طائر يعلق في شجرة الجنة ، حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه»[3] ، وكما ثبت في أحاديث القبر في بيان حال الصالحين والفاسقين ، وهذا مما يجب الإيمان به واعتقاده ، أن روح المؤمن منعمة إلى أن يعيده الله ويبعثه يوم القيامة (وأرواح أهل الشقاوة معذبة إلى يوم

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : (١٦٩) .

(٢) أحمد (١/ ٢٦٦) ، وأبو داود (٢٥٢٠) ، في الجهاد وغيرهما من حديث ابن عباس ، ومسلم (١٨٨٧) ، في الإيمان من حديث ابن مسعود .

(٣) النسائي (٤/ ١٠٨) في الجنائز وابن ماجه ، ومالك وأحمد وغيرهم وهو حديث صحيح .

الدين) ، وذلك كما في مثل قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ[١] ، وكما في مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾[٢] ، فالكفار يعذبون ، والظلمة وأهل الفسوق من شاء الله منهم يعذبون عند الموت ، وفي القبر وإلى يوم القيامة ، وقد دلت على ذلك أحاديث القبر الكثيرة ونصوص الكتاب والسنة (وأن المؤمنين يفتتنون في قبورهم ويسألون ، وقد ثبت في السنة قول النبي ﷺ : «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها . .»[٣] ، فدل ذلك على فتنة القبر ، والنصوص كثيرة متواترة في شأن أحوال القبر وما فيه ، وخلاصتها أن الميت يسأل في قبره عن ثلاثة أمور عن ربه ، ودينه ، ونبيه ﷺ ، فمن وفقه الله تعالى ومنَّ عليه بفضله ثبته عند سؤال الملكين وهما : المنكر والنكير ، فألهمه الجواب ، ومن خذله الله تعالى ، وغضب عليه ، وعامله بعدله ، لم يستطع الجواب ، وطاش عن الصواب ، وذلك قوله ـ تعالى ـ ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾[٤] ، وهذا هو ما يعتقده أهل الحق ، أن القبر ـ وهو حياة البرزخ ـ دار سؤال وفتنة ، ينعم فيها السعيد ، ويعذب فيها الشقي ، إلى أن يبعثهم الله ـ تعالى ـ يوم القيامة للعرض عليه وللوقوف بين يديه .

---

(١) سورة غافر ، الآية : (٤٦) .

(٢) سورة الأنفال ، الآية : (٥٠) .

(٣) أخرجه مسلم (٥/ ٢١٩٩) ح٢٨٦٧ في الجنة وصفة نعيمها باب عرض مقعد الميت من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد مرفوعًا ، وأخرجه أحمد والنسائي وغيرهما .

(٤) سورة إبراهيم ، الآية : (٢٧) .

الخلاصة :

١ ـ الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون .

٢ ـ المؤمنون منعمون إلى يوم القيامة ، والكفار معذبون إلى يوم القيامة .

٣ ـ عذاب القبر وفتنته وسؤاله حق .

المناقشة :

١ ـ ما هي حال الشهداء بعد موتهم ؟

٢ ـ ما هي حال المؤمنين بعد موتهم ؟

٣ ـ ما هي حال الفاسقين بعد موتهم ؟

٤ ـ اذكر طرفاً من أحوال القبر .

الفقرة التاسعة عشرة

* وأن على العباد حفظة ، يكتبون أعمالهم ولا يسقط شيء من ذلك عن علم ربهم ، وأن ملك الموت يقبض الأرواح بإذن ربه .

اللغة : (ولا يسقط) المقصود : ولا يغيب .

الشرح : (وأن على العباد حفظة يكتبون أعمالهم) ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ كِرَامًا كَٰتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾(١) ، وقال ـ تعالى : ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾(٢) ، فقد ثبت في الكتاب والسنة ، أن الحفظة من الملائكة يكتبون على الإنسان كل ما يعمله أو يقوله من خير أو شر ، وذلك بأمر الله ـ تعالى ـ : ﴿ولا يسقط شيء من ذلك عن علم ربهم) ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾(٣) ، وكما قال ـ تعالى ـ : ﴿إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾(٤) ، فالله ـ تعالى ـ لا يخفى عليه شيء من أعمال العباد ، وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾(٥) ، وهو أعلم بخلقه ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾(٦) ، ﴿وأن ملك الموت يقبض الأرواح بإذن ربه﴾ ، أما كون ملك الموت يتوفى الناس فهذا حق لأن الله ـ تعالى ـ يقول : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾(٧) ، وذلك

---

(١) سورة الانفطار ، الآيات (١٠ ، ١٢) .

(٢) سورة ق ، الآية : (١٨) .

(٣) سورة الحاقة ، الآية : (١٨) .

(٤) سورة الجاثية ، الآية : (٢٩) .

(٥) سورة آل عمران ، الآية : (٥) .

(٦) سورة يونس ، الآية : (٦١) .

(٧) سورة السجدة ، الآية : (١١) .

لأنه المباشر للتوفي وقبض الروح ، وإنما كل ذلك بإذن الله ـ تعالى ـ ومشيئته ، ولما كان الفاعل الأصلي للتوفي هو الله ـ تعالى ـ بمشيئته وأمره ، نسب التوفي كذلك إلى الله تعالى حيث قال : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[1] ، هذا هو القول في هذا الباب ، والله الموفق للهدى والصواب .

الخلاصة :

١ ـ الملائكة الحفظة يكتبون أعمال الخلق بإذن الله ، ولا يخفى على الله شيء من ذلك .

٢ ـ ملك الموت هو الموكل بقبض أرواح العباد .

المناقشة :

١ ـ ما هي وظيفة الملائكة الحفظة ؟

٢ ـ من هو الموكل بقبض أرواح الناس؟

---

(١) سورة الزمر ، الآية : (٤٢) .

الفقرة العشرون

* وأن خير القرون الذين رأوا رسول الله ﷺ ، وآمنوا به ، ثم الذين يلونهم وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم ، أجمعين ، وأن لا يذكر أحد من صحابة الرسول إلا بأحسن ذكر ، والإمساك عما شجر بينهم ، وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم المخارج ، ويظن بهم أحسن المذاهب .

اللغة : (القرون) : جمع قرن ، وهو الجيل أو أهل الزمان الواحد أو المائة عام . (الإمساك) : الكف . (شجر) نشأ . والمقصود الكف عما تنازعوا فيه واضطربوا واختلفوا في شأنه .

الشرح : (ون خير القرون الذين رأوا رسول الله ﷺ وآمنوا به ثم الذين يلونهم) ، وقد ثبت أن النبي ﷺ قال : «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»[١] ، فخير هذه الأمة ، القرن الذين اصطفاهم الله ـ تعالى ـ لصحبة رسوله ﷺ واختصهم بمشاهدة التنزيل ورؤية الرسول ، وغير ذلك من الفضائل ، ثم يليهم في الفضل التابعون الذين رأوا الصحابة ، وصحبوهم وأخذوا منهم ثم أتباع التابعين وهذا مقتضى الحديث النبوي السابق (وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون أبو بكر ثم عمر ثم عفان ثم علي رضي الله عنه أجمعين) ، هكذا أوصى النبي ﷺ باتباع الخلفاء الراشدين المهديين ، كما ثبت في الحديث : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي . .»[٢] ، فهؤلاء الأربعة هم خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ ، وترتيبهم في

---

(١) البخاري (٧/ ٥٢) ح ٣٦٥١ ، في فضائل الصحابة في أوله وأخرجه في مواضع أخر من حديث عبيدة عن ابن مسعود مرفوعًا ، وأخرجه غيره .

(٢) الترمذي (٢٦٧٨) في العلم باب ما جاء في الأخذ في السنة ، وابن ماجه وأحمد والدرامي وغيرهم من حديث العرباض بن سارية مرفوعًا وهو حديث صحيح .

الفضل هو على حسب ترتيبهم في الخلافة ، فأفضلهم أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ رفيق النبي ﷺ وصاحبه ، ثم عمر صاحبه الثاني ، وهما اللذان قال النبي ﷺ في حقهما : «اقتدوا باللذين من بعدي : أبي بكر وعمر»(١) ، يليهما في الفضل والمنزلة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ زوج ابنتي رسول الله ﷺ وقد أخبر أنه : «تستحي منه الملائكة»(٢) .

ثم علي رضي الله عنه رابع الراشدين ، وزوج بنت النبي ﷺ وابن عمه ، والذي قال له النبي ﷺ : «ألا يرضيك أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى . . .»(٣) ، (وألا يذكر أحد من صحابة الرسول ﷺ إلا بخير) ، فيحرم أشد الحرمة سب الصحابة أو انتقاصهم أو القدح فيهم ، بل ذلك علامة النفاق والزندقة ، وقد قال النبي ﷺ : «لا تسبوا أصحابي ، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»(٤) ، فلا يجوز لأحد كائنًا من كان أن ينتقص أصحاب النبي ﷺ أو يقع فيهم ، بل من أحبهم فهو مؤمن ، ومن أبغضهم فهو منافق ، كانوا أكثر الناس علمًا وطاعة ، وتقوى وجهاداً ، وبراً ، وإحسانًا ، وأقلهم تكلفًا وأزكاهم نفسًا ، رضي الله عنهم أجمعين ، فلا يذكرون إلا بالثناء والجميل ، والترضي عليهم رضي الله عنهم ، والإمساك عما شجر بينهم ، فيجب علينا أن لا ننشغل بما دار بين الصحابة من اختلاف واقتتال وأن لا نخوض في ذلك ، بل يجب علينا أن نمسك عنه ، وأن نفوض علمه إلى الله ـ تعالى ـ ، وليكن معلومًا أن الله ـ تعالى ـ لن يسألنا من منهم كان محقًا ومن كان

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٦٣٠) ، وقال : حسن غريب ، ويحيى بن سلمة يضعف في الحديث . وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة رقم (١٢٣٣) .

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٦٦) كتاب فضائل الصحابة ، رقم (٢٤٠١) .

(٣) البخاري (٧/ ٨٨) ح٣٧٠٦ ، في فضائل الصحابة باب مناقب علي بن أبي طالب من حديث إبراهيم بن سعد عن أبيه مرفوعًا ، وأخرجه غيره .

(٤) البخاري (٧/ ٢٥) ح٣٦٧٣ ، في فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ : «لو كنت متخذا خليلا» ، من حديث ذكوان عن أبي سعيد مرفوعًا وأخرجه غيره .

مخطئًا؟ فذلك علم لا ينفع ، وجهل لا يضر بل الواجب علينا أن نعلم (وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب) ، فالصحابة أولى الناس أن نلتمس لهم المعاذير ، ونحسن بهم الظن ، فإنهم لم يختلفوا ولم يقتتلوا على الدنيا ، بل منهم من تأول فأصاب وله أجران ، ومنهم من تأول فأخطأ وله أجر ، ولكنهم جميعًا كان هدفهم الخير ، وكانت نيتهم تقوى الله ـ تعالى ـ ، وهذا هو الواجب في حقهم ، أما الطعن فيهم ، فلا ، ثم لا .

وإذا لم يكن الصحابة أولى الناس أن يلتمس لهم المعاذير ، ويحسن بهم الظن ، ونوكل أمرهم إلى الله ونترضى عليهم جميعًا . فمن إذًا؟

الخلاصة :

١ ـ خير القرون أصحاب النبي ﷺ ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم .

٢ ـ خير الصحابة الخلفاء الأربعة على ترتيبهم في الخلافة .

٣ ـ يجب الإمساك عما شجر بين الصحابة والكف عنهم وذكرهم بالخير .

٤ ـ الصحابة أول الناس أن تلتمس لهم المعاذير .

المناقشة :

١ ـ من خير الناس؟

٢ ـ من هم خير الصحابة؟

٣ ـ ما موقفك مما شجر بين الصحابة من تنازع واقتتال؟

الفقرة الحادية والعشرون

* والطاعة لأئمة المسلمين من ولاة أمورهم وعلمائهم ، وأتباع السلف الصالح واقتفاء آثارهم ،والاستغفار لهم ، وترك المراء والجدال في الدين وترك كل ما أحدثه المحدثون ، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعلى آله وأزواجه وذريته وسلم تسليمًا كثيراً .

انتهى .

اللغة : (اقتفاء) : اتباع . (المراء) : الجدال . (ذريته) ؛ نسله وولده .

الشرح : (والطاعة لأئمة المسلمين من ولاة أمورهم وعلمائهم) ، وذلك لقوله - تعالى - : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[1] ، قيل : هم العلماء . وقيل : الأمراء ، وهو يشمل الاثنين ، بل يشمل كل صاحب ولاية ، فالمسلم عليه أن يسمع ويطيع ما دام في المعروف ، وأما إذا أمر بمعصية الله تعالى فلا سمع ولا طاعة ، وفي الحديث : «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ، إلا أن يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[2] ، وهذا هو الواجب ، طاعة ولي الأمر ما دام آمراً بالمعروف ، فبهذا تنتظم أمور الناس وتستقيم حالهم . (وأتباع السلف الصالح واقتفاء آثارهم) ، فالمسلم الحق يجب عليه اقتفاء آثار السلف الصالح - رضي الله عنهم - من الصحابة والتابعين ، وأتباعهم ، فإنهم كانوا على الهدى والحق المبين ، ولقد أشار الله إلى رضائه عن كل من اتبعهم فقال : ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان - رضي الله عنهم - ورضوا عنه وأعد لهم

---

(١) سورة النساء ، الآية : (٥٩) .

(٢) البخاري (١٣/ ١٣٠) ح ٧١٤٤ في الأحكام باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية من حديث نافع عن ابن عمر مرفوعًا ، وأخرجه مسلم وأحمد والنسائي وابن ماجه وغيرهم .

جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً﴾[١] ، فرضوان الله عن الصحابة ومن تبعهم دليل على رضائه عن منهجهم وطريقتهم وعقيدتهم وحالهم ، وما كانوا عليه من الحق والهدى ، ويجب علينا الاستغفار لهم ، فقد قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾[٢] .

(وترك المراء والجدال في الدين فالمراء والجدال في الدين أمر مذموم ، وفي الحديث : «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» ، ثم قرأ قوله ـ تعالى ﴿ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون﴾[٣] ، ولكن يجوز للمسلم أن يجادل أهل الباطل بالحسنى إن رجا منهم الاستجابة للحق والرجوع إليه (وترك كل ما أحدثه المحدثون) ، فإنه قد ثبت في الحديث أن كل محدثة بدعة ، وقد لعن النبي ﷺ من أحدث حدثًا أو آوى محدثًا ، والإحداث في الدين بغير إذن الله تبديل للشريعة ، وفي الكتاب : «أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله»[٤] ، فلا يجوز الابتداع في دين الله ـ تعالى ـ بحال ، بل يجب على الإنسان هجران البدع ولزوم السنن ، فإن الرد على أهل البدع وقمع شبهاتهم وكسر جموعهم وبغضهم وعداوتهم ، ومناصرة السنن ، وأهلها من أعظم الجهاد في سبيل الله ومن أجل الطاعات لله عز وجل ، ولذلك نرى سلف هذه الأمة وأئمة السنة أشداء على أهل البدع درسًا وتدريسًا وتأليفًا لأن اللين على أهل البدع يسبب تقوية شوكتهم ، وظهور أمرهم ورفع رؤوسهم فضلا عن موالاتهم ومناصرتهم .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأزواجه وذريته وسلم تسليمًا كثيرًا . انتهى) . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) سورة التوبة ، الآية : (١٠٠) .

(٢) سورة الحشر ، الآية : (١٠) .

(٣) سورة الزخرف ، الآية : (٥٨) ، والحديث أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٢ ، ٢٥٦) والترمذي وابن ماجه والحاكم وغيرهم من حديث أبي أمامة مرفوعا ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/ ٩٨٤/ ٥٦٣٣) .

(٤) سورة الشورى ، الآية : (٢١) .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
الباب الثاني : مذهب الإمام مالك بن أنس	٧
* الفصل الأول : عقيدة الإمام مالك مع شرح ميسر لها	٩
ـ المبحث الأول : عقيدته في التوحيد	١١
ـ المبحث الثاني : عقيدة الإمام مالك في القدر	١٧
ـ المبحث الثالث : عقيدة الإمام مالك في الإيمان	٢٠
ـ المبحث الرابع : عقيدة الإمام مالك في الصحابة	٢٢
ـ المبحث الخامس : نهيه عن الخصومات والبدع في الدين	٢٥
ـ المبحث السادس : نهيه عن الشرك ووسائله	٣٠
ـ نماذج من الشرك التي حذر منه الإمام مالك	٣٨
* الفصل الثاني : شرح القيروانية الميسر	٤٩
الفقرة الأولى : ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة	٥٣
الفقرة الثانية : ليس لأوليته ابتداء ، ولا لآخريته انقضاء	٥٦
الفقرة الثالثة : العالم الخبير ، المدبر القدير	٥٩
الفقرة الرابعة : وله الأسماء الحسنى والصفات العلى	٦٤
الفقرة الخامسة : وأن القرآن كلام الله على الحقيقة	٦٧
الفقرة السادسة : والإيمان بالقدر ، خيره وشره	٦٩
الفقرة السابعة : يضل من يشاء ، ويهدي من يشاء	٧٣

الفقرة الثامنة : الباعث الرسل إلى الخلق لإقامة الحجة عليهم ٧٦
الفقرة التاسعة : وأن الساعة آتية لا ريب فيها ٧٨
الفقرة العاشرة : وأن الله يضاعف لعباده المؤمنين الحسنات ٨٠
الفقرة الحادية عشرة : ومن عاقب الله بناره من أخل التوحيد أخرجه منها بإيمانه ٨٣
الفقرة الثانية عشرة : وأن الله قد خلق الجنة لمن أطاع وخلق النار لمن كفر ٨٥
الفقرة الثالثة عشرة : وأن الله يجيء يوم القيامة والملك صفًا صفًا . . ٨٨
الفقرة الرابعة عشرة : وأن الصراط حق يجوزه العباد بقدر أعمالهم . . . ٩٠
الفقرة الخامسة عشرة : والإيمان بحوض النبي ﷺ ـ ترده أمته ٩١
الفقرة السادسة عشرة : وأن الإيمان قول باللسان وإخلاص بالقلب وعمل بالجوارح ٩٣
الفقرة السابعة عشرة : وأنه لا يجوز لأحد أن يكفر أحدًا بذنب من أهل القبلة دون الشرك ما لم يستحله ٩٦
الفقرة الثامنة عشرة : وأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون ٩٧
الفقرة التاسعة عشرة : وأن على العباد حفظة يكتبون أعمالهم . . . ١٠٠
الفقرة العشرون : وأن خير القرون الذين رأوا الرسول ﷺ ١٠٢
الفقرة الحادية والعشرون : والطاعة لأئمة المسلمين من ولاة أمورهم وعلمائهم ١٠٥

جمع الفنون

في شرح جملة متون لعقائد

أهل السنة

على المذاهب الأربعة

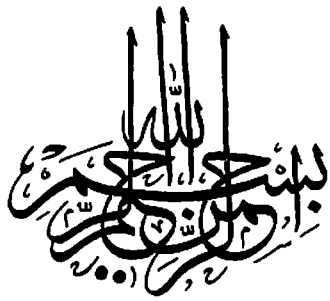

قامت بطباعته وإخراجه

دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع

المركز الرئيسي : الكويت ــ الجهراء ــ مجمع كاظمة التجاري

ص .ب : ١٥١٣ الرمز البريدي : 01017 الجهراء

فرع حولي : شارع الحسن البصري ، ق ٣٧ قسيمة ١٠ ، محل رقم ٣

تلفاكس : ٢٦٤١٧٩٧

جمع الفنون

في شرح جملة متون لعقائد أهل السنة على المذاهب الأربعة

بقلم

د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

الجزء الثالث

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ / ١٩٩٧م

حقوق الطبع محفوظة

لدار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو إعادة طبعه أو تصويره أو اختزان مادته ،
بطريقة الاسترجاع أو نقله بأية صورة دون موافقة كتابية مسبقة من الدار .

الناشر

دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] .

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدَثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

ثم أما بعد :

فهذا هو الكتاب الثالث من سلسلة : «عقائدة أئمة السلف» ، وذلك بعد ذكر عقيدة أبي حنيفة ومالك رحمهما الله تعالى ، وفيه بيان لعقيدة الإمام الشافعي رحمه الله ، في مسائل التوحيد والإيمان والقدر والقرآن والصحابة ،

وذم الكلام والبدع ، ومعه بيان ما حذر منه هو وأتباعه ـ رحمهم الله تعالى ـ من وسائل الشرك وأنواعه ، وقد أتبعت كل مبحث بذكر خلاصة فيها مجمل ما في المبحث ، ومعها أسئلة للمناقشة ؛ لتتم بها الفائدة ، وعسى أن ينفع الله به ، وأن يجعل له القبول إنه جواد كريم وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

بقلم

د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

الباب الثالث :

العقيدة على مذهب

الإمام الشافعي وفيه فصلان

الفصل الأول :

عقيدة الإمام الشافعي

مع شرح ميسر لها

الفصل الثاني :

شرح كتاب الإيمان للمليباري الشافعي

الفصل الأول :

عقيدة الإمام

أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي

(١٥٠ - ٢٠٤هـ)

الدكتور / محمد بن عبد الرحمن الخُمَيِّس

المبحث الأول
عقيدته في التوحيد

تكلم الشافعي رحمه الله تعالى ، كما تكلم غيره من الأئمة في إثبات توحيد الله تعالى بأنواعه ، وكذلك في توحيد الأسماء والصفات علَى ما ثبت به النصوص الصحيحة الثابتة ، وكذلك في إثبات العلو والكلام والاستواء وغيرها من الصفات الإلهية ، كما في النصوص الآتية ، فمنها ما :

(١) أخرج البيهقي عن الربيع بن سليمان قال : «قال الشافعي : من حلف بالله أو باسم من أسمائه فحنث فعليه الكفارة ، ومن حلف بشيء غير الله مثل أن يقول الرجل : والكعبة وأبي وكذا وكذا ما كان ، فحنث فلا كفارة عليه ، ومثل ذلك قوله لعمري . . لا كفارة عليه ويمين بغير الله فهي مكروهة منهي عنها من قَبل قول الرسول ﷺ : «إن الله عزّ وجلَّ نهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حالفًا فلَيحلفْ بالله أو ليسكتَ»[١] . . .»[٢] .

وعلل الشافعي لذلك بأن أسماء الله غير مخلوقة ، فمن حلف باسم الله فحنث فعليه الكفارة[٣] .

هذا ومما يؤسف له أن كثيراً من الناس في هذا الزمان يقع في الحلف بغير الله تعالى ، مع ورود النهي الشديد عنه ، ومع أن جميع الأئمة قد حذروا من ذلك ، ونهوا عنه إثباتًا للنصوص الواردة في ذلك ، والتي تحذر من الحلف بغير الله .

(٢) وأورد ابن القيم في اجتماع الجيوش عن الشافعي أنه قال : «القول في

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الإيمان والنذور ، باب لا تحلفوا بآبائكم (١١/ ٥٣٠) ، ومسلم كتاب الإيمان باب النهي عن الحلف بغير الله (٣/ ١٢٦٦) ح (١٦٤٦) .

(٢) مناقب الشافعي (١/ ٤٠٥) .

(٣) رواه ابن أبي حاتم في آداب الشافعي ص ١٩٣ ، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ١١٢ ، ١١٣) ، والبيهقي في السُّنن الكبرى (١٠/ ٢٨) ، وفي الأسماء والصفات ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، وذكره البغوي في شرح السنة (١/ ١٨٨) ، وانظر العلو ص ١٢١ ، ومختصره ص ٧٧ .

السنة التي أنا عليها ، ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم وأخذت عنهم مثل سفيان ومالك وغيرهما الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن الله تعالى على عرشه في سمائه يَقْرُبَ مَن خلقه كيف شاء ، وأن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كيف شاء»(١) .

ويستفاد من تلك العبارة للشافعي أن كلمة «السنة» كانت تطلق عند السلف كثيراً ، ويراد منها مسائل العقيدة ، التي هي مسائل أصول الدين ، ويستفاد منها كذلك أن مصطلح «أهل الحديث» كان معروفاً كذلك عندهم ، وأنه مرادف لقولنا الآن «أهل السنة والجماعة» ، ولهذا فينبغي على الناس الحرص على إحياء هذا الاسم ، وخصوصا طلبة العلم والباحثين ونحوهم .

(٣) وأورد الذهبي عن المزني قال : «قلت» إن كان أحد يخرج ما في ضميري وما تعلق به خاطري من أمر التوحيد فالشافعي ؛ فصرت إليه وهو في مسجد مصر ، فلما جثوتُ بين يديه قلت : هجس في ضميري مَسألة في التوحيد فعلمت أن أحداً لا يعلم علمك فما الذي عندك؟ فغضب ، ثم قال : أتدري أين أنت؟ قلت : نعم . قال : هذا الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون ، أبَلَغَك أن رسول الله ﷺ أمر بالسؤال عن ذلك؟ قلت : لا ، قال : هل تكلم فيه الصحابة؟ قلت : لا ، قال تدري كم نجمًا في السماء؟ قلت : لا ، قال : فكوكب منها تعرف جنسه ، طلوعه ، أفوله ، ممَ خُلق؟ قلت : لا ، قال : فشيء تراه يعينك من الخلق لست تعرفه تتكلم في علم خالقه؟ ثم سألني عن مسألة في الوضوء فأخطأت فيها ففرعها على أربعة أوجه ، فلم أصب في شيء منه ، فقال : شيء تحتاج إليه في اليوم خمس مرات ، تدع علمه ، وتتكلف علم الخالق إذا هجس في ضميرك ذلك ؛ فارجع إلى قول الله تعالى : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٦٥ ، إثبات صفة العلو ص١٢٤ ، وانظر مجموع الفتاوى (٤/ ١٨١ ، ١٨٣) ، والعلو للذهبي ص ١٢٠ ، ومختصره للألباني ص ١٧٦ .

[البقرة : ١٦٣ ، ١٦٤] . فاستدّل بالمخلوق على الخالق ، ولا تتكلف علم ما لم يبلغه عقلك»[١] .

في هذه القصة فوائد مستنبطة ، منها :

١ ـ أن كلمة التوحيد كانت معروفة ومستعملة عند السلف ، وقد تقدم في الأثر السابق أن كلمة السنة كانت معروفة كذلك .

٢ – أن الشافعي رحمه الله أرشد صاحبه المزني بالاستدلال بالمخلوق على الخالق ، وهذه طريقة الشرع ، كما قال عز وجل : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأعراف : ١٨٥] .

٣ – عدم التكلف والتعمق والبحث في الأمور التي لا يبلغها العقل ، وهذه نصيحة عظيمة من الإمام الشافعي ، لو أن المتكلمين قد عملوا بها ، ولم يتكلفوا علم الغيبات التي لمَ تبلغها عقولهم لكان خيراً لهم ، ولما حصل منهم ذلك الضلال والاضطراب والحيرة والشك .

٤ – على الإنسان طالب العلم أن يشتغل بما يفيده ويترتب عليه العمل ، ولا ينشغل بالبحثَ عما لا طائل وراءه ولا فائدة ترجى منه .

(٤) وأخرج ابن عبد البر عن يونس بن عبد الأعلى[٢] قال : «سمعت الشافعي يقول : إذا سمعت الرجل يقول : الاسم غير المسمى ، أو الشيء غير الشيء ، فاشهد عَليه بالزندقة»[٣] .

ومما هو معلوم أن الكلام في هذه الأمور ، والقول بأن الاسم لله هو غير المسمى ، كل ذلك من محدثات أهل البدع ، وأهل التعطيل ، وقد أنكر ذلك عليهم الشافعي ورماهم بالزندقة كما ترى .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣١) .

(٢) هو يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة الصدفي المصري قال عنه ابن حجر : «ثقة من صغار العاشرة مات سنة ٢٦٤ هـ» ، تقريب التهذب (٢/ ٣٨٥) ، وانظر ترجمته في شذرات الذهب (٢/ ١٤٩) ، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ص ٢٨ .

(٣) الانتقاء ص ٧٩ ، ومجموع الفتاوى (٦/ ١٨٧) .

(٥) وقال الشافعي في كتابه الرسالة : «والحمد لله . . الذي هو كما وصف به نفسه ، وفوق ما يصفه به خلقه»[١] .

(٦) وأورد الذهبي في السير عن الشافعي أنه قال : «نثبت هذه الصفات التي جاء بها القرآن ، ووردت بها السُّنَّة ، وننفي التشبيه عنه كما نفى عن نفسه قال : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى : ١١][٢] .

والشافعي رحمه الله بذلك يسير على خطى من سبقوه من السلف الذين كان منهجهم في توحيد الأسماء والصفات إثبات ما ورد في الكتاب والسنة منها مع تنزيه الله تعالى عن المشابهة ، كما هو مقتضى نصوص الكتاب والسنة .

(٧) وأخرج ابن عبد البر عن الربيع بن سليمان قال : «سمعت الشافعي يقول في قول الله عز وجل : ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين : ١٥] . أعلمنا بذلك أن ثَمَّ قومًا غير محجوبين ينظرون إليه لا يضامون في رؤيته»[٣] .

يرحم الله الإمام الشافعي ، فما أدق هذا الاستنباط منه بهذه الآية على إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة ، كما هي عقيدة أهل السنة والجماعة ، خلافًا لمن أنكرها من المعتزلة والجهمية وغيرهم ، واستنباطه هذا من أدلة أهل السنة على إثبات الرؤية يوم القيامة .

(٨) وأخرج اللالكائي عن الربيع بن سليمان قال : «حضرت محمد بن إدريس الشافعي جاءته رقعة من الصعيد فيها ما تقول في قوله تعالى : ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ . قال الشافعي : فلما حُجِبُوا هؤلاء

---

(١) الرسالة ص : ٧ ، ٨ .
(٢) السير (٢٠/ ٣٤١) .
(٣) الانتقاء ص ٧٩ .

في السخط كان هذا دليلاً على أنه يرونه في الرضا ، قال الربيع : قلت : يا أبا عبد الله وبه تقول؟ قال : نعم به أدين الله»[١] .

(٩) وأخرج ابن عبد البر عن الجارودي[٢] قال : ذكر عند الشافعي إبراهيم بن إسماعيل بن علية[٣] فقال : أنا مخالف له في كل شيء ، وفي قول لاَ إله إلا الله لَست أقول كما يقول ، أنا أقول : لا إله إلا الله الذي كلم موسى عليَه السلام تكليمًا من وراء حجاب ، وذاك يقولَ : لَا إله إلا الله الذي خلق كلامًا أسمعه موسى من وراء حجاب»[٤] .

يرحم الله الشافعي ، فهذا الكلام منه إثبات ؛ لأن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق كما هو اعتقاد أهل السنة والجَماعة خلافًا لمن قال بخلق القرآن من الجهمية والمعتزلة وطوائف من المنتسبين إلى الأشعري والماتريدي .

(١٠) وأخرج اللالكائي عن الربيع بن سليمان ، قال الشافعي : «من قال القرآن مخلوق فهو كافر»[٥] .

ويستفاد من كلامه رحمه الله القول بتكفير من يقول بخلق القرآن ، وهو مذهب السلف ، غير أن التكفير بالعين ينبغي أن يسبقه إقامة الحجة على القائل بهذا الكلام لكي يكون التكفير بعد البينة ولكي لا يكون لَأحد عذر أو حجة .

(١١) وأخرج البيهقي عن أبي محمد الزبيري قال : «قال رجل للشافعي أخبرني عن القرآن خالق هو؟ قال الشافعي : اللهم لا . قال : فمخلوق؟ قال

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٥٠٦) .

(٢) لعله موسى بن أبي الجارود قال عنه النووي : «أحد أصحاب الشافعي والآخذين عنه الرواة عنه» ، وقال ابن هبة الله : «كان يفتي بمكة على مذهب الشافعي ولا يُعلم تاريخ وفاته» ، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٢٠) ، وطبقات الشافعي لابن هداية الله ص ٢٩ .

(٣) هو إبراهيم بن إسماعيل بن علية قال عنه الذهبي : «جهمي هالك كان يناظر ويقول بخلق القرآن مات سنة ٢١٨ هـ» ، ميزان الاعتدال (١/ ٢٠) وأنظر ترجمته في لسان الميزان .

(٤) الانتقاء ص ٧٩ ، والقصة ذكرها الحافظ عن مناقب الشافعي للبيهقي ، واللسان (١/ ٣٥) .

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٢٥٢) .

الشافعي : اللهم لا . قال : فغير مخلوق؟ قال الشافعي : اللهم نعم . قال : فما الدليل على أنه غير مخلوق؟ فرفع الشافعي رأسه وقال : تُقر بأن القرآن كلام الله؟ قال : نعم . قال الشافعي : سبقت في هذه الكلمة قال الله تعالى ذكره : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة : ٦] . ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء ﴿١٦٤﴾] . قال الشافعي : فتقر بأن الله كان وكان كلامه؟ او كان اللَه ولم يكن كلامه؟ فقال الرجل : بل كان الله وكان كلامه . قال : فتبسم الشافعي ، وقال : يا كوفيون إنكم لتأتوني بعظيم من القول إذا كنتم تقرون بأن الله كان قبل القبل وكان كلَامه فمن أين لكم الكلام؟ إَن الكلام الله ، أو سوى الله ، أو غير الله ، أو دون الله؟ قال : فسكت الرجل وخرج»[1] .

يتضح من كلام الشافعي رحمه الله تعالى استدلاله بالقرآن على أن هذا القرآن كلام الله تعالى ، وهو أصرح دليل على ذلك ، إضافة إلى غيره ، وكذلك يذهب رحمه الله إلى أن كلام الله تعالى صفة أزلية قَديمة ، كذلك ينتقد رحمه الله تخبط أهل البدع في كلامهم ، وإتيانهم بالمنكر من العقائد والأقوال .

(١٢) وفي جزء الاعتقاد المنسوب للشافعي من رواية أبي طالب العشاري[2] - ما نصه قال : وقد سُئل عن صفات الله عز وجل وما ينبغي أن يؤمن به ، فقال : «لله تبارك وتعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه وخبَّر بها نبيه ﷺ أمته لا

(١) مناقب الشافعي (١/ ٤٩٧ ، ٤٠٨) .

(٢) هو محمد بن علي العاري شيخ صدوق معروف ، وقد تفرد برواية هذا الجزء وهو مما أدخل عليه فحدث به بسلامة باطن قاله الذهبي في الميزان (٣/ ٦٥٦) ، لكن اعتمد غير واحد من السلف ما هو مثبت في هذه العقيدة كالموفق بن قدامة في كتاب صفة العلو ص ١٢٤ ، وابن أبي يعلي في الطبقات (١/ ٢٨٣) ، وابن القيم في اجتماع الجيوش ص ١٦٥ ، والذهبي نفسه في السير (١٠/ ٧٩) ، ثم إن هذه الرسالة التي سأنقلها بنصها قد قرئت على الإمام الحافظ ابن نصر الدمشقي ونقلها جميعا ابن أبي يعلي في الطبقات وسأثبت الفروق بينهما .

يسع[١] أحـــدًا من خلق الله عـز وجـــل قـامت لديه[٢] الحـــجـة إن القـــــرآن نزل به وصحيح عنـــده[٣] قول النبي ﷺ فيما روي عنه العدل خلافه[٤] ، فإن خالف ذلك بد ثبوت الحجة عليه فهو كافر بالله[٥] عز وجل ، فأما قبل ثبوت الحجة عليه من جهة الخبر فمعذور بالجهل لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالدراية[٦] ، والفكر ونحو ذلك أخبر الله عز وجل أنه سميع ، وأن له يدين بقول عز وجل : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة : ٦٤] . وأن له يمينًا بقول عز وجل : ﴿وَالسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر ﴿٦٧﴾] وإن له وجهًا بقوله عز وجل : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص (٨٨] وقوله : ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن : ٢٧] ، وأن له قدمًا بقوله ﷺ : «حتى يضع الرب عزّ وجل فيها قدمه»[٧] ، يعني جهنم لقوله ﷺ للذي قتل في سبيل الله عز وجل أنه : «لقي الله عز وجل وهو يضحك إليه»[٨] ، وأنه يهبط كل ليلة إلى السماء الدنيا بخبر رسول الله ﷺ ، بذلك وأنه ليس بأعور لقول النبي ﷺ إذ ذكر الدجال فقال : «إنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور»[٩] ، وأن المؤمنين يرون

(١) في الطبقات : (لا يسمع)

(٢) في الطبقات : (عليه) .

(٣) في الطبقات : (عنه بقوله) .

(٤) في الطبقات : (سقطت كلمة خلافة) .

(٥) في الطبقات : (فهو بالله كافر) .

(٦) في الطبقات : (ولا بالرواية) .

(٧) أخرجه البخاري كتاب التفسير باب : وتقول هل من مزيد (٨/ ٥٩٤) ح (٤٨٤٨) ، ومسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٤/ ٢١٨٧) ح (٢٨٤٨) كلاهما من طريق قتادة عن أنس بن مالك .

(٨) أخرجه البخاري كتاب الجهاد باب الكافر يقتل المسلم (٦/ ٣٩) ح (٢٨٢٦) ، ومسلم كتاب الإمارة باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة (٣/ ١٥٠٤) ح (١٨٩٠) كلاهما من طريق الأعرج عن أبي هريرة .

(٩) أخرجه البخاري كتاب الفتن باب ذكر الدجال (١٣/ ٩١) ح (٧١٣١) ومسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ذكر الدجال وصفته (٤/ ٢٢٤٨) ح (٢٩٣٣) كلاهما من طريق قتادة عن أنس بن مالك .

ربهم عز وجل يوم القيامة بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر ، وأن له أصبعًا بقوله ﷺ : «ما من قلب إلا هو بين أصبعين من أصابع الرحمن عز وجل»[١] .

وإن[٢] هذه المعاني التي وصف الله عز وجل بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ ، لا يدَرك[٣] حقه[٤] ذلك بالفكر والدراية[٥] ، ولا يكفر بجهلها أحد ، إلا بعد انتهاء الخبر إليه ، وإن[٦] كان الوارد بذلك خبراً ليقوم في الفهم مقام المشاهَدة في السماع «وجَبت الدينونة»[٧] على سامعه بحقيقته والشهادة عليه كما عاين وسمع من رسول الله ﷺ ، ولكن نثبت[٨] هذه الصفات وننفي[٩] التشبيه كما نفي ذلك عن نفسه تعالى ذكره فقال : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١][١٠] آخر الاعتقاد .

ويستفاد من هذا الاعتقاد مسائل ، منها :

١ ـ أن الشافعي يرى عدم التكفير إلا بعد قيام الحجة على الشخص وتبليغ الجاهل .

---

(١) أخرجه بنحو هذا اللفظ أحمد في المسند (٤/ ١٨٢) ، وابن ماجة في المقدمة باب : فيما أنكرت الجهمية (١/ ٧٢) ح (١٩٩) والحاكم في المستدرك (١/ ٥٢٥) ، والآجري في الشريعة ص (٣١٧) وابن منده في الرد على الجهمية ص ٨٧ ، جميعهم من حديث النواس بن سمعان قال الحاكم : «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» ، وأقره الذهبي في التلخيص ، وقال عنه ابن منده : «حديث النواس بن سمعان حديث ثابت رواه الأئمة المشاهير ممن لا يمكن الطعن على واحد منهم» .

(٢) في الطبقات : (فإن) .

(٣) في الطبقات : (مما لايدرك) .

(٤) في الطبقات : (حقيقته) .

(٥) في الطبقات : (والروية) .

(٦) في الطبقات : (فإن كان) .

(٧) ما بين القوسين : مثبت من الطبقات .

(٨) في الطبقات : (يثبت) .

(٩) في الطبقات : (وينفي) .

(١٠) نقلت هذا الاعتقاد من نسخة مصورة من أصل خطي محفوظ في المكتبة المركزية بجامعة ليدن بهولندا .

٢ ـ أنه رحمه الله يثبت الأسماء والصفات على ما ثبتت في الكتاب والسنة دون تشبيه أو تكييف .

٣ ـ أنه رحمه الله يثبت لله تعالى صفة الوجه واليدين والضحك والقدم والإِصبع وغير ذلك مما ورد به النص الصحيح .

الخلاصة :

١ ـ يثبت الشافعي رحمه الله جميع ما ثبت من الصفات الإِلهية من غير تشبيه .

٢ ـ يثبت رحمه الله أن القرآن كلام الله ومن قال غير ذلك فقد كفر .

٣ ـ يثبت رحمه الله تعالى اسم السنة لمسائل أصول الدين ، كما يثبت اسم أهل الحديث لأصحاب السنة .

٤ ـ يثبت رحمه الله مسألة الرؤية بمقتضى أدلة الكتاب والسنة .

٥ ـ كان رحمه الله يرى عدم جواز تكلف علم ما لم يبلغه العقل .

المناقشة :

س ١ : ما هي عقيدة الشافعي رحمه الله في الصفات الإِلهية؟

س ٢ : هل يثبت الشافعي الرؤية في الآخرة؟ وما دليله؟

س ٣ : اذكر قوله في القرآن مع ذكر أدلته .

س ٤ : هل يجوز أن يتكلف المرء علم الغيبيات التي لا يبلغها عقله؟

المبحث الثاني
عقيدته في القدر

لم يفت الشافعي رحمه الله أن يبين عقيدته في القدر الإلهي شأنه شأن غيره من أئمة السلف ، فتكلم في إثبات قدر الله تعالى بجميع مَراتبه التي وردت بها النصوص ، وذلك كفعل باقَي الأئمة ، فأثبت علم الله تعالى السابق ومشيئته وإرادته وخلقه وتكلم عن أفعال العباد كما سنرى .

(١) أخرج البيهقي عن الربيع بن سليمان ، قال : «سئل الشافعي عن القدر فقال :

مـــا شـــئت كـــان وإن لـم أشـــأ
ومـــا شـــئتُ إن لـم تـشـــأ لـم يـكـن
خـلـقـت الـعـــبـــاد عـلـى مـــا عـلـمـت
فـــفـي الـعـلـم يـجـــري الـفـــتـى والمسـن
عـلـى ذا مـنـنـتَ وهـذا خـــذلـتَ
وهـــذا أعـــنـــت وذا لـــم تـــعـــن
فـــمـنـهـم شـــقـي ومـنـهـم ســـعـيـد
ومـنـهـم قـــبـــيـح ومـنـهـم حـــسـن[1]

(٢) أورد البيهقي في مناقب الشافعي أن الشافعي قال : إن مشيئة العباد هي إلى الله تعالى ، ولا يشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين ، فَإن الناس لم يخلقوا أعمالهم وهي خلق من خلقَ الله تعالى أفعال العباد . وإن القَدر خيره وشره من

(١) مناقب الشافعي (١/ ٤١٢ و ٤١٣) ، شرح اعتقاد أهل السنة (٢/ ٧٠٢) .

الله عز وجل ، وإن عذاب القبر حق ، ومساءلة أهل القبور حق ، والبعث حق ، والحساب حق ، والجنة والنار حق ، وغير ذلك مما جاءت به السُّنن»[١] .

(٣) وأخرج اللالكائي عن المزني قال : «قال الشافعي : تدري ما القدري؟ الذي يقول : إن الله لم يخلق الشيء حتى عمل به»[٢] .

(٤) وأورد البيهقي عن الشافعي حيث قال : «القدرية الذين قال رسول الله ﷺ : «هم مجوس هذه الأمة»[٣] . الذين يقولون إن الله لا يعلم المعاصي حتى تكون»[٤] .

(٥) وأخرج البيهقي عن الربيع بن سليمان عن الشافعي أنه كان يكره الصلاة خلف القدري[٥] .

وكل هذه النصوص السابقة من الشافعي رحمه الله تعالى تثبت أنه يقول بما قال به السلف رحمهم الله تعالى من إثبات مراتب القدر ، وإثبات المشيئة والخلق لله تعالى ، وإثبات العلم السابق ، وأن أفعال العباد كلها مخلوقة ، فهو رحمه الله على مذهب السلف في ذلك ، وكذلك بيانه رحمه الله للقدرية المقصودين في الحديث ، بأنهم الذين ينكرون العلم الإلهي السابق ، ويظهر كذلك أنه رحمه الله تعالى لم يكن يحب الصلاة خلف القدرية .

---

(١) مناقب الشافعي (١/ ٤١٥) .

(٢) اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٧٠١) .

(٣) أخرجه أبو داوود كتاب السنة باب في القدر (٥/ ٦٦) ح (٤٦٠١) والحاكم في المستدرك (١/ ٨٥) ، وكلاهما من طريق أبي حازم عن ابن عمر ، قال الحاكم : «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين إن صح سماع أبي حازم من ابن عمر ولم يخرجاه» وأقره الذهبي .

(٤) مناقب الشافعي (١/ ٤١٣) .

(٥) مناقب الشافعي (١/ ٤١٣) .

الخلاصة :

إن الشافعي رحمه الله مثل باقي علماء السلف في إثبات قدر الله تعالى بجَميع مراتبه ، وإثبات العلم السابق والكتابة والمشيئة اَلشاملة والخلق لجميع الكائنات ، وأفعال اَلعباد كلها مخلوقة وهو لا يرى الصلاة خلف القدرية .

المناقشة :

س ١ : ما هي مراتب القدر التي أثبتها الشافعي رحمه الله تعالى؟

س ٢ : ما قول الشافعي في أفعال العباد؟

س ٣ : ما موقفه رحمه الله من الصلاة خلف القدري؟

المبحث الثالث

عقيدته في الإيمان

جرى الإمام الشافعي رحمه الله على ما سبقه عليه غيره من علماء السلف وأئمتهم في إثبات أن الإيمان قول وعمل ، وأنه يزيد وينقص ، وجعلوا ذلك من أصولهم التي يذكرونها ويجيبون بها أهل البدع ، فمن ذلك :

(١) ما أخرج ابن عبد البر عن الربيع قال : «سمعت الشافعي يقول : «الإيمان قول وعمل واعتقاد بالقلب ، ألا ترى قول الله عز وجل : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة : ١٤٣] . يعني صلاتكم إلى بيت المقدس فسمّى الصلاة إيمانًا وهي قول وعمل وعقد»[١] .

(٢) وأخرج البيهقي عن الربيع بن سليمان قال : «سمعت الشافعي يقول : الإيمان قول وعلم يزيد وينقص»[٢] .

(٣) وأخرج البيهقي عن أبي محمد الزبيري قال : «قال رجل للشافعي : أي الأعمال عند الله أفضل؟ قال الشافعي : ما لا يقبل عملاً إلا به ، قال : وما ذاك؟ قال : الإيمان بالله الذي لا إله إلا هو ، أعلى الأعمال درجة ، وأشرفها منزلة وأسناها حظًا ، قال الرجل : ألا تخبرني عن الإيمان : قول وعمل ، أو قول بلا عمل؟ قال الشافعي : الإيمان عمل لله ، والقول بعض ذلك العمل ، قال الرجل : صف لي ذلك حتى أفهمه ، قال الشافعي : إن للإيمان حالات ودرجات وطبقات فمنها التام المنتهي تمامه ، والناقص البين نقصانه ، والراجح الزائد رجحانه ؛ قال الرجل : وإن الإيمان لا يتم وينقص ويزيد؟ قال الشافعي : إن الله جل ذكره فرض الإيمان على جوارح بني آدم ، فقسمه فيها ، وفرقه عليها ، فليس

(١) الانتقاء ص ٨١ .

(٢) مناقب الشافعي (١/ ٣٨٧) .

من جوارحه جارحة إلا وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها بفرض من الله تعالى :

فمنها : قلبه الذي يعقل به ، ويفقه ويفهم ، وهو أمير بدنه الذي لا ترد الجوارح ولا تصدر إلا عن رأيه وأمره .

ومنها : عيناه اللتان ينظر بهما ، وأذناه اللتان يسمع بهما ، ويداه اللتان يبطش بهما ، ورجلاه اللتان يمشي بهما ، وفرجه الذي الباهُ من قبله ولسانه الذي ينطق به ، ورأسه الذي فيه وجهه .

فرض على القلب غير ما فرض على اللسان ، وفرض على السمع غير ما فرض على العينين ، وفرض على اليدين غير ما فرض على الرجلين ، وفرض على الفرج غير ما فرض على الوجه .

فأما فرض الله على القلب من الإيمان ، فالإقرار والمعرفة والعقد والرضا والتسليم بأن الله لا إله إلا هو وحده لَا شريك لهَ ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، وأن محمدًا ﷺ عبدهَ ورَسوله ، والإقرار بما جاء من عند الله نبي أو كتاب فذلك ما فرض الله جل ثناؤه على القلب وهو عمله :

﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ [النحل : ١٠٦] . وقال : ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد : ٢٨] . وقال : ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة : ٤١] . وقال : ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] . فذلك ما فرض الله على القلب من الإيمان ، وهو عمله ، وهو رأس الإيمان .

وفرض «الله» على اللسان : القول والتعبير عن القلب بما عقد وأقر به ، فقال في ذلك : ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة : ١٣٦] . وقال : ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة : ٨٣] ، فذلك ما فرض الله على اللسان من القول ، والتعبير عن

القلب ، وهو عمله ، والفرض عليه من الإيمان .

وفرض الله على (السمع) : أن يتنزه عن الاستماع إلى ما حرّم الله ، وأن يُغض عما نهى الله عنه ، فقال في ذلك : ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء : ١٤٠] ، ثم استثنى موضع النسيان ، فقال جل وعز : ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي : فقعدت معهم :﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام : ٦٨] ، وقال : ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٨﴾ [الزمر : ١٧ ، ١٨] . وقال : ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ﴾ إلى قوله : ﴿لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ [المؤمنون : ١ ـ ٤] . وقال : ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [القصص : ٥٥] . وقال : ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ [الفرقان : ٧٢] . فذلك ما فرض الله ، جل ذكره ، على السمع من التنزيه عما لا يحل له ، وهو عمله ، وهو من الإيمان .

و«فرض على العينين» : ألا ينظر بهما إلى ما حرم الله ، وأن يغضهما عما نهاه عنه ، فقال تبارك وتعالى في ذلك : ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ﴾ [النور : ٣٠ ، ٣١] الآيتين : ألا ينظر أحدهم إلى فرج أخيه ، ويحفظ فرجه من أن يُنظر إليه .

وقال : كل شيء من حفظ الفرج ، في كتاب الله ، فهو من الزنا إلا هذه الآية ، فإنها من النظر .

فذلك ما فرض الله على العينين من غض البصر ، وهو عملها ، وهو من الإيمان .

ثم أخبر عما فرض على القلب والسمع والبصر ، في آية واحدة ، فقال ، سبحانه وتعالى في ذلك : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء : ٣٦] ، قال : يعني وفرض على الفرج : أن لا يهتكه بما حرم الله عليه : ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾ [المؤمنون : ٥] ، وقال : ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [فصلت : ٢٢] الآية يعني بالجلود : الفروج والأفخاذ فذلك ما فرض الله على الفروج من حفظهما عما لا يحل له ، وهو عملهما .

«وفرض على اليدين» : ألا يبطش بهما إلى ما حرم الله تعالى ، وأن يبطش بهما ، إلى أمر الله من الصدقة وصلة الرحم ، والجهاد في سبيل الله ، والطهور للصلوات ، فقال في ذلك : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ [المائدة ٦] إلى آخر الآية . وقال : ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد : ٤] ، لأن الضرب ، والحرب ، وصلة الرحم ، والصدقة من علاجها .

«وفرض على الرجلين» : ألا يمشي بهما إلى ما حرم الله ، جل ذكره ، فقال في ذلك : ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء : ٣٧) .

«وفرض على الوجه» : السجود لله بالليل والنهار ، ومواقيت الصلاة ، فقال في ذلك : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج : ٧٧] ، وقال : ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن : ١٨] ، يعني بالمساجد : ما يسجد عليه ابن آدم في صلاته ، من الجبهة وغيرها .

قال : فذلك ما فرض الله على هذه الجوارح .

وسمى الطهور والصلوات إيمانًا في كتابه ، وذلك حين صرف الله تعالى وجه نبيه ﷺ من الصلاة إلى بيتَ المقدس ، وأمره بالصلاة إلى الكعبة ، وكان المسلمون قد صلوا إلىَ بيت المقدس ستة عشر شهرًا ، فقَالوا : يا رسول الله ، أرأيت صلاتنا التي كَنا نصليها إلى بيت المقدس ، ما حالها وحالنا؟

فأنزل الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة : ١٤٣] ، فسمى الصلاة إيمنًا ، فمن لقي الله حافظًا لصلواته ، حافظًا لجوارحه ، مؤديًا بكل جارحة من جَوارحه ما أمر الله به وفرض عليه ـ لقي عليها ـ لقي الله مستكمل الإيمان من أهل الجنة ، ومن كان لشيء منها تاركا متعمدًا مما أمر الله به ـ لقي الله ناقَص الإيمان . قال : وقد عرفت نقصانه وإتمامه ، فمن أين جاءت زيادته؟

قال الشافعي : قال الله ، جل ذكره : ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ [التوبة : ١٢٤ ، ١٢٥] ، وقال : ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف : ١٣] .

قال الشافعي : ولو كان هذا الإيمان كله واحدا لانقصان فيه ، ولا زيادة ـ لم يكن لأحد فيه فضل ، واستوى النَاس ، وبطل التفضيل . ولكن بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنة ، وبالزيادة في الإيمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عندَ الله في «الجنة» ، وبالنقصان من الإيمان دخَل المفرطون النار .

قال الشافعي : إن الله جل وعز ، سابق بين عباده كما سُوبق بين الخيل يوم الرهان . ثم إنهم علَى درجاتهم من سبق عليه ، فجعل كل امرئ على درجة

سبقه ، لا ينقصه فيها حقه ، ولا يقدم مسبوق على سابق ، ولا مفضول على فاضل . وبذلك فضل أول هذه الأمة على آخرها . ولو لم يكن لمن سبق إلى الإيمان فضل على من أبطأ عنه للحق آخر هذه الأمة بأولها[1] .

رحم الله الشافعي على هذا الكلام النفيس ، الذي يفصل فيه القول لإثبات دخول الأعمال في مسمى الإيمان ، وكذلك إثباته لأن الإيمان قول وعمل ، واستدلاله بدلالات الكتاب والسنة ، وكذلك بإثباته لزيادة الإيمان ونقصانه ، كما هو اعتقاد السلف رحمهم الله تعالى ، وكذلك تفاضل المؤمنين في الدرجات ، فهو بهذا على اعتقاد السلف رحمهم الله تعالى ، بل هو من كبار أئمة السلف وشيوخهم فرضي الله عنه وأرضاه .

الخلاصة :

١ ـ الإيمان عند الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ قول وعمل ، ويزيد وينقص ، كما هو مقتضى النصوص في الباب .

٢ ـ المؤمنون يتفاضلون في الثواب والمنزلة على حسب استكمالهم لأمور الإيمان .

المناقشة :

س ١ : ما هو الإيمان عند الشافعي؟

س ٢ : هل يعد الشافعي العلم من الإيمان؟ وما دليله؟

س ٣ : ما قوله في مسألة تفاضل المؤمنين؟

---

(١) مناقب الشافعي (١/ ٣٨٧ ـ ٣٩٣) .

المبحث الرابع
عقيدته في الصحابة

إن حرص أهل العلم على إدراج مسألة الصحابة في أصولهم إنما ظهرت بعد أن أظهر أهل البدع الباطلة القول بعدم إمامة أبي بكر وعمر ، والطعن في الصحابة ، وانتقاصهم والقدْح فيهم ، فمن هنا حرص الأئمة على بيان عقيدتهم في شأن الصحابة ، ومن هؤلاء الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ كما نرى ، فقد :

(١) أورد البيهقي عن الشافعي أنه قال : «أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله ﷺ في القرآن والتوراة والإنجيل ، وسبق لهم على لسان رسول الله ﷺ من الفضل ما ليس لأحد بعدهم ، فرحمهم الله ، وهنأهم بما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين ، فهم أدوا إلينا سُنن رسول الله ﷺ وشاهدوه والوحي ينزل عليه ، فعلموا ما أراد رسولَ الله ﷺ عامًا وخاصًا وعزمًا وإرشادًا ، وعرفوا سنته ما عرفنا وجهلنا ، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد ، وورعَ وعقل ، وأمر استدرك به علم ، واستنبط به وآراؤهم لنا أحمد وأوْلى بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا والله أعلم»[١] .

(٢) وأخرج البيهقي عن ربيع بن سليمان قال : «سمعت الشافعي يقول في التفضيل : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي»[٢] .

(٣) وأخرج البيهقي عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم[٣] قال : «سمعت

(١) مناقب الشافعي (١/ ٤٤٢) .

(٢) مناقب الشافعي (١/ ٤٣٢) .

(٣) هو محمد بن عبدالله بن عبد الحكم المصري أبو عبدالله ، قال عنه الشيرازي : «صحب الشافعي وتفقه به وحمل في المحنة إلى بغداد إلى ابن أبي دؤاد ولم يجب إلى ما طلب منه ورد إلى مصر . . مات في سنة اثنتين وستين ومائتين» ، طبقات الفقهاء ص ٩٩ وانظر ترجمته في طبقات الشافعية لابن هداية الله ص ٣٠ وشذرات الذهب (٢/ ١٥٤) .

الشافعي يقول : أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي رضي الله عنهم»[١] .

(٤) وأخرج الهروي عن يوسف بن يحيى البويطي قال : «سألت الشافعي أأصلي خلف الرافضي؟ قال : لا تصل خلف الرافضي ، ولا القدري ، ولا المرجئ ، قلت : صفهم لنا ، قال : من قال : الإيمان قول فهو مرجئ ، ومن قال : إن أبا بكر وعمر ليسا بإمامين فهو رافضي ، ومن جعل المشيئة إلى نفسه فهو قَدري»[٢] .

يرحم الله الشافعي على هذه النصوص القيمة ، والتي يظهر فيها فضل الصحابة رضي الله عنهم ، وسابقتهم في الإسلام ، ومبلغ ورعهم وعمق علمهم ، وكذلك إثبات لإمامة الشيخين الجَليلين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وكذلك تفَضيله لأَبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهما جميعا ، على ما هو مذهب أهل السنة ـ رحمهم الله تعالى ـ في هذا الباب ، وكذلك يبدو من النص الأخير نهيه ـ رحمه الله ـ عن الصلاة خلف الرافضة الذين ينتقصون الشيخين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، فرضي الله عنه وأرضاه .

---

(١) مناقب الشافعي (١/ ٤٣٣) .

(٢) ذم الكلام (ق ـ ٢١٥) وأورده الذهبي في السير (١٠/ ٣١) .

الخلاصة :

١ ـ يعتبر الشافعي أن الصحابة هم أفضل الأمة وأن انتقاصهم طعن في الدين؟

٢ ـ يفضل الشافعي بين الصحابة فيفضل الأربعة الخلفاء على حسب ترتيبهم في الخلافة .

٣ ـ نهى رحمه الله عن الصلاة خلف من ينتقص الصحابة .

المناقشة :

س ١ : ما قول الشافعي في الصحابة رضي الله عنهم؟

س ٢ : من أفضل الصحابة عند الشافعي؟

س ٣ : ما هو مذهبه في الصلاة خلف من ينتقض الصحابة؟

المبحث الخامس
نهيه عن الابتداع والخصومات في الدين

إن الشافعي رحمه الله كغيره من علماء السلف الذين كرهوا علم الكلام وذَموه وذموا المشتغلين به ، بل إنه رحمه الله كان يرى وجوب معاقبة المتكلمين والتشهير بهم والتحذير منهم ، كما رأى أن كتبهم لا تعد من كتاب العلم ، وأن ما اشتغلوا به ليس علمًا على الإطلاق ؛ من هنا كان يعتبر أن الكلام خطيئة ، وأنه أعظم من الكبائر ، وذلك ثابت عَنه كما سيأتي .

(١) أخرج الهروي عن الربيع بن سليمان قال : «سمعت الشافعي يقول : . . . لو أن رجلاً أوصى بكتبه من العلم لآخر ، وكان فيها كتب الكلام ، لم تدخل في الوصية لأنه ليس من العِلْم»[١] .

(٢) وأخرج الهروي عن الحسن الزعفراني قال : «سمعت الشافعي يقول : ما ناظرت أحدًا في الكلام إلا مرة وأنا أستغفر الله من ذلك»[٢] .

(٣) وأخرج الهروي عن الربيع بن سليمان قال : «قال الشافعي : لو أردت أن أضع على كل مخالف كتابًا كبيراً لفعلت ، ولكن ليس الكلام من شأني ، ولا أحب أن ينسب إليّ منه شيء»[٣] .

(٤) وأخرج ابن بطة عن أبي ثور قال : «قال لي الشافعي : ما رأيت أحدًا ارتدى شيئا من الكلام فأفلح»[٤] .

(٥) وأخرج الهروي عن يونس المصري قال : «قال لي الشافعي : لأن يبتلي الله المرء بما نهى الله عنه خلا الشرك بالله خير من أن يبتليه بالكلام»[٥] .

(١) ذم الكلام (ق ـ ٢١٣) وأورده الذهبي في السير (١٠/ ٣٠) .
(٢) ذم الكلام (ق ـ ٢١٣) وأورده الذهبي في السير (١٠/ ٣٠) .
(٣) ذم الكلام (ق ـ ٢١٥) .
(٤) الإبانة الكبرى ص ٥٣٥ ، ٥٣٦ .
(٥) مناقب الشافعي لابن أبي حاتم ص ١٨٢ .

فهذه أقوال الإمام الشافعي رحمه الله في مسائل الدين ، وهذا موقفه من علم الكلام ، وتبين منه أنه رحمه الله ، شأنه كغيره من السلف ، يكرهون علم الكلام لما يورثه من الشك في العقائد ، والحيرة والاضطراب ، ويكرهون أهله ، وينهون عن مخالطتهم ويبدعونهم ، ويرونهم وبالا على الإسلام والمسلمين ، ويرون أن عاقبة الكلام تؤول إلى الضلال والانحراف ؛ فرحمه الله ورضي عنه .

الخلاصة :

١ ـ كان الشافعي رحمه الله تعالى ينهي عن الاشتغال بعلم الكلام ، وكان يذم أهله وينهي عن كلامهم .

٢ ـ كان الشافعي حريصا على ألا ينسب إلى الكلام بأي شكل من الأشكال .

٣ ـ يرى ـ رحمه الله ـ أن كتب أهل الكلام ليست من كتب العلم في شيء .

المناقشة :

س ١ : ما هو موقف الشافعي من علم الكلام ومن المتكلمين؟

س ٢ : هل عُرِفَ الشافعي بعلم الكلام ومن المتكلمين؟

س ٢ : هل عُرِفَ الشافعي بعلم الكلام في وقت ما؟

س ٣ : هل يعتبر الشافعي الكلام علمًا؟

المبحث السادس

نهيه عن الشرك ووسائله

أولا : وسائل الشرك :

إن الإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ كان من أكثر الناس حرصًا على حماية جناب التوحيد ، والتحذير من وسائل الشرك ، وأشدهم نهيًا عنها ، وكذلك أتباعه ، وقد وردت عنهم في ذلك نصوص كثيرة منها :

جاء عن الإمام الشافعي : وأتباعه النهي عن ما هو من وسائل الشرك كتجصيص القبور[١] وتعليتها[٢] والبناء عليها[٣] والكتابة عليها[٤] ، وإسراجها[٥] واتخاذها مساجد[٦] .

---

(١) لما أخرجه مسلم وغيره قال : «نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه بناءٌ» . ولمعرفة موقف الإمام الشافعي وكثير من أتباعه في هذه القضايا راجع المهذب ١/ ٤٥٦ ، وروضة الطالبين ١/ ٦٥٢ ، والمجموع ٥/ ٢٦٦ . والسراج الوهاج ١/ ١١٤ ، وشرح مسلم للنووي ٧/ ٣٧ ، ٣٨ ، والعقد الثمين ص ١٨٦ .

(٢) ولمعرفة موقف الشافعية انظر : روضة الطالبين (١/ ٦٥٢) والزواجر (١/ ١٩٥)

(٣) لمعرفة موقف الشافعي رحمه الله تعالى وأتباعه انظر المهذب ١/ ٤٥٦ ، وروضة الطالبين ١/ ٦٥٢ ، والمجموع ٥ ، ٢٦٦ ، والسراج الوهاج ١/ ١١٤ ، وشرح مسلم للنووي ٧/ ٣٠٧ .

(٤) لما أخرجه أبو داوود والترمذي وغيرهما من حديث جابر أن النبي ﷺ : «نهى أن تجصص القبور وأن يكتب عليها» . ولمعرفة موقف الإمام الشافعي وأتباعه انظر : الأم ١/ ٢٧٨ ، روضة الطالبين ١/ ٦٥٢ ، والمهذب ١, ٤٥١ ، والمجموع ٥/ ٢٦٦ ، والسراج الوهاج ١/ ١١٤ ، والعقد الثمين ص ١٨٦ .

(٥) لقول النبي ﷺ : «لعن الله زورات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج» . ولمعرفة موقف الشافعية انظر الزواجر ١/ ١٩٤ فتح المجيد ص ١٨٦ .

(٦) قال النبي ﷺ : «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا» متفق عليه وقال : ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد إني أنهاكم عن ذلك» . أخرجه مسلم وغيره ، ولمعرفة موقف الإمام الشافعي وأتباعه ، انظر الأم ١/ ٢٧٨ ، شرح مسلم للنووي ٥/ ١١ ـ ١٤ ، والزواجر ١/ ١٩٤ .

والصلاة إليها[١] ، واستقبالها للدعاء[٢] ، والطواف بها[٣] ، والقعود عليها[٤] ، وتقبيلها ، ومسحها باليد[٥] أو يضرب عليها مظلة[٦] ، أو أن يقول : والله وحياتك[٧] أو يقول : ما شاء الله وشئت[٨] .

وقال الشافعي : «وأكره أن يبنى على القبر مسجد ، وأن يسوى أو يصلى عليه وهو غير مسوى ، أو يصلى إليه[٩] .

واستعماله رحمه الله للفظ الكراهة إنما يقصد به التحريم ، كما هو مقتضى النصوص الشرعية ، وليس المقصود بكلامه الكراهة باصطلاح الفقهاء .

قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى : «يكره أن يجصص القبر ، وأن يكتب عليه اسمَ صاحبه ، أو غير ذلك ، وأن يبنى عليه»[١٠] .

---

(١) لما أخرجه مسلم وغيره أن النبي ﷺ ، قال : «لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا عليها» . ولمعرفة موقف الإمام الشافعي وأتباعه انظر : الأم ١/ ٤٦ ، وشرح مسلم للنووي ٧/ ٣٨ ، والزواجر ١/ ١٩٤ .

(٢) تقدم ذكر الدليل في الفقرة السابق لمعرفة موقف الشافعية ، واجع الموضوع ٨/ ٢٥٧ .

(٣) قال تعالى ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ [الحج : ٢٩] ، فالطائف بقبر إنما يشبه في الحقيقة ببيت الله الحرام الذي يطوف به المسلمون . ولمعرفة موقف الشافعية راجع المجموع ٨/ ٢٥٧ ، الزواجر ١/ ١٩٤ ، وتطهير الجنان ص ٣٧ .

(٤) لما أخرجه مسلم وغيره عن جابر قال : «نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه بناءٌ» .

(٥) من المعروف أن الله تعالى لم يشرع لنا تقبيل بقعة معينة سوى الحجر الأسود ، ولم يشرع لنا مسح شيء واستلامه سوى الحجر والركن اليماني ، أما فعل هؤلاء عند القبور فهو من الغلو الموقع في الشرك والبدع الغليظة لأنه مساواة بين المشاعر المقدسة وبين القبور ، وهذا فعل من ضلوا ويحسبون أنهم مهتدون» . ولمعرفة موقف الشافعية ، انظر المجموع ٨/ ٢٥٧ .

(٦) تقدم ذكر الدليل في الفقرات السابقة . ولمعرفة موقف الشافعية انظر : المجموع ٥/ ٢٦٦ .

(٧) لقول النبي ﷺ : «من حلف بغير الله فقد أشرك» . انظر : تفسير ابن كثير ١/ ١٠١ .

(٨) لقول النبي ﷺ : «أجعلتني لله ندّاً» ، لمن قال له : «ما شاء الله وشئت» انظر : تفسير ابن كثير الشافعي ١/ ١٠١ .

(٩) الأم ١/ ٢٧٨ ولعله لا يقصد بالتسوية القبر بالأرض فإنها مأمور بها لكن لعله يقصد جعل القبر مستوي الأسطح والحواف وغير ذلك بحيث لا يكون فيه نتوءات ولا بروز . والله أعلم .

(١٠) المجموع ٥/ ٢٦٦ .

وقال أيضًا : «ورأيت من الولاة من يهدم ما بني فيها ، ولم أرَ الفقهاء يعيبون عليه ذلك ، ولأن في ذلك تضييقا على الناس»[١] . «وأكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجداً مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس»[٢] .

وقال النووي : «ويكره تجصيص القبر ، والبناء ، والكتابة عليه ، ولو بنى في مقبرة مُسبّلة هدم»[٣] .

وقال ابن حجر المكي الهيثمي : «الكبيرة الثالثة ، والرابعة ، والخامسة ، والسادسة ، والسابعة ، والثامنة ، والتسعون اتخاذ القبور مساجد ، وإيقاد السرج عليها ، واتخاذها أوثانًا ، والطواف بها ، واستلامها ، والصلاة إليها . . ثم قال : تنبيه : عدّ هذه ستة من الكبائر ، وقع في كلام بعض الشافعية ، كأنه أخذ ذلك مما ذكرته من هذه الأحاديث ووجه أخذ القبر مسجداً منها واضح لأنه ـ يعني النبي ﷺ ـ لعن من فعل ذلك ، وجعل من فعل ذلك بقبور صلحائه شر الخلق عند الله يوم القيامة ، ففيه تحذير لنا كما في رواية : «يحذر ما صنعوا»[٤] ، أي يحذر أمته بقوله لهم ذلك من أن يصنعوا كصنع أولئك ، فيلعنوا كما لعنوا واتخاذ القبر مسجدا ، معناه الصلاة عليه أو إليه ، وحينئذ فقوله : والصلاة إليها مكرر إلا أن يراد باتخاذها مساجد الصلاة عليها فقط ، نعم إنما يتجه هذا الأخذ إن كان القبر معظمًا من نبي أو ولي كما أشارت إليه الرواية : «إن كان فيهم الرجل الصالح[٥] . .» ، ومن ثم قال أصحابنا : تحرم الصلاة إلى قبور الأنبياء والأولياء

---

(١) المجموع ٥/ ٢٦٦ .

(٢) المهذب ١/ ٤٥٦ .

(٣) السراج الوهاج ١/ ١١٤ .

(٤) البخاري ٧/ ٧٤٧ ح ٤٤٤٣ في المغازي باب مرض النبي ﷺ ، مسلم ١/ ٣٧٧ ، ح ٥٣١ في المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور من حديث عباد الله بن عبدالله عن عائشة وابن عباس مرفوعاً .

(٥) مسلم (١/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦) ح (٥٢٨) في المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً .

. . ومثلها مثل : الصلاة عليه ، والتبرك والإعظام ، وكون هذا الفعل كبيرة ظاهرة ، ظاهر من الأحاديث المذكورة ، وكأنه قَاس على ذلك كل تعظيم للقبر ، كإيقاد السرج عليه تعظيمًا له وتبركًا به ، والطواف به كذلك ، وهو أخذ غير بعيد سَيما وقد صرَّح في الحديث المذكور آنفاً بلعن من اتخذ على القبر سرجًا ، وأما اتخاذها أوثانًا فجاء النهي عنه بقوله ﷺ : «لا تتخذوا قبري وثنا يعبد بعدي»(١) أي لا تعظموه تعظيم غيركم لأوثانهم بالسجود له ، أو بنحوه إلى أن قال : فإن أعظم المحرمات وأسباب الشرك الصلاة عندها ، واتخاذها مَساجد أو بناءَها عليها ، والقول بالكراهة محمول على غير ذلك ، إذ لا يظن بالعلماء تجويز فعل تواتر عن النبي ﷺ ، لعن فاعله ، ويجب المبادرة لهَدمها وهدم القباب التي على القبور ، إذ هي أضر من مسجد الضرار ؛ لأنها أسست على معصية الرسول ﷺ ؛ لأنه نهَى عن ذلك وأمر ﷺ بهدم القبور المشرفة ، وتجب إزالة كل قنديل أو السراج على القبر ، ولا يصح وقفه ونذره»(٢) .

وقال النووي : «ولا يجوز أن يطاف بقبره ﷺ ، ويكره لصاق البطن والظهر بجدار القبر ، قاله أبو عبيد الله الحليمي وغيره ، قالوا ويكره مسحه باليد ، وتقبيله ، بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه من حضره في حياته ﷺ .

هذا هو الصواب الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه ولا يغتر بمخالفة كثير من العوام وفعلهم كذلك ، فإن الاقتداء والعمل إنما يكون بالأحاديث الصحيحة وأقوال العلماء ولا يلتفت إلَى محدثات العوام وَغيره وجهالاتهم . . ومن خطر بباله أن المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته ؛ لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع ، وكيف يبتغي الفضل في مخالفة الصواب؟»(٣) .

---

(١) أخرجه بنحو هذا اللفظ أحمد ٢/ ٢٢٦ حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً ومالك مرسلاً (١/ ١٧٢) ح (٨٥) وعبد الرزاق في المصنف مرسلاً (٨/ ٤٦٤) من طرق صفوان بن سليم عن سعيد بن أبي سعيد المهري .

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر : ١/ ١٩٥

(٣) المجموع ٨/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨ .

وكلام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ فيه دليل على أن أكثر ما يفعله الجهال من العوام في زماننا هو من المحدثات المخالفة للشرع الحنيف ، والتي لا ينبغي ولا يجوز التعويل عليها ، أو الاحتجاج بها ، ولا بركة فيها لمخالفتها لشرع الله تعالى .

وقال البغوي : «يكره أن يضرب على القبر مظلة ؛ لأن عمر ـ رضي الله عنه ـ رأى مظلة على قبر فأمر برفعها ، وقال : دعوه يظله عمله»[١] .

وجاء في المنهاج وشرحه لابن حجر ما ملخصه :

«ويكره تجصيص القبر والبناء عليه . . والكتابة عليه للنهي الصحيح عن الثلاثة ، سواءً كتابة اسمه وغيره في لوح عند رأسه ، أو في غيره ، نعم بحث الأذرعي حرمة كتابة القرآن للامتهان بالدوس والتنجيس بصديد الموتى عند تكرار الدفن ، ووقع المطر ، وندب كتابة اسمه لمجرد التعريف به على طول السنين ، لا سيما بقبور الأنبياء والصالحين . . قال : ليس العمل عليه الآن ، فإن أئمة المسلمين من المشرق للمغرب مكتوب على قبورهم ، فهو عمل قد أخذ به الخلف عن السلف ويرد بمنعه هذه الكلية ، وبفرضها ، فالبناء على قبورهم أكثر من الكتابة عليها في المقابر المسبلة كما هو مشاهد لا سيما بالحرمين ومصر ونحوهما وقد علموا بالنهي عنه ، فكذا هي ، فإن قلت : هو إجماع فعل وهو حجة كما صرحوا به قلت : ممنوع بل هو أكثريّ إذ لم يحفظ ذلك حتى عن العلماء الذي يرون منعه ، وبفرض كونه إجماعًا فعَليًا فعمل حجيته كماهو ظاهر عند صلاح الأزمنة ، بحيث ينفذ فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد تعطل ذلك منذ أزمنة ، ولو بني نفس القبر لغير حاجة مما مر كما هو ظاهر ـ إلى أن قال : وقد أفتى جمع بهدم كل ما بقرافة[٢] مصر من البناء حتى قبة إمامنا الشافعي رضي الله عنه التي بناها بعض الملوك ، وينبغي لكل أحد هدم ذلك ما

(١) المجموع ٥/ ٢٦٦ .

(٢) هي المكان الذي يقبر فيه .

لم يخش منه مفسدة فيتعين الرفع للإمام[١] .

ولتنظر أيها القارئ إلى مبلغ احتياط هؤلاء العلماء في حماية جانب التوحيد حتى أفتى جمع منهم بهدم القبة التي على قبر الشافعي رحمه الله ، وهو من كبار أئمة أهل السنة ، فكيف بمن دونه في العلم والفضل ، حتى لقد بنيت قباب على قبور أناس غير معروفي الأصل ، وليسوا من أهل العلم والفضل ، كما حدث عند السيد البدوي وغيره ممن لهم قباب معروفة مشهورة .

وقال البيضاوي ـ كما في حاشية السيوطي على سنن النسائي : «لما كان اليهود والنصارى يسجدون لقبور أنبيائهم ، ويتوجهون إليها تعظيمًا لشأنهم ويجعلونها قبلة يتوجهون في الصلاة والدعاء نحوها واتخذوها أوثانًا لعنهم الله ، ومنع المسلمين من مثل ذلك . وأصل الشرك إنما حدث من تعظيم القبر والتوجه إليه»[٢] .

وقال السويدي الشافعي : فتراهم يرفعوها فوق كل رفيع ، ويكتبون عليها الآيات القرآنية ، ويعملون لها التوابيت من خشب الصندل والعاج ، ويضعون فوقها ستور الحرير المحلاة بالذهب العقيان والفضة الخالصة ، ولم يرضهم ذلك حتى أداروا عليها شبابيك من الفضة وغيره ، وعلقوا عليها قناديل الذهب ، وبنوا عليها قبابا من الذهب ، أو الزجاج المنقوش ، وزخرفوا أبوابها ، وجعلوا لها الأقفال من الفضة وغيرها خوفًا عليها من اللصوص ، كل ذلك مخالف لدين الرسل ، وعين المحادة لله ورسوله ، فإن كانوا متبعين فلينظروا إليه ﷺ كيف كان يفعل بأصحابه الذين هم أفضل الأصحاب ، وينظروا إلى قبره الشريف ، وما علمت الصحابة فيه»[٣] .

---

(١) . كما في العقد الثمين ص ١٨٦ .

(٢) حاشية سنن النسائي ٢/ ٤٢ .

(٣) العقد الثمين ص ١٨٥ .

وقال النووي : «إنما نهى النبي ﷺ عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجداً خوفا من المبالغة في تعظيمهم والافتتان به ، فربما أدَّى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثير من الأمم الخالية ، ولما احتاجت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والتابعون إلى الزيادة في مسجد رسول الله ﷺ ، حين كثر المسلمون ، وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه ، ومنها حجرة عائشة رضي الله عنها فدفن رسول الله ﷺ وصاحباه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما بنوا على القبر حيطانا مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر في المسجد ، ويؤدي إلى المحذور ، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا حتى لا يمكن أحد من استقبال القبر[١] .

وجاء في الباعث في إنكار البدع والحوادث:

ص ١٠٣ : «فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمون من شأنها ويرجون البراء والشفاء من قبلها ، وينوطون بها المسامير والخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها» .

شبهة وجوابها :

لقد استدل القبورية على جواز بناء المساجد على القبور بقصة أصحاب الكهف حيث اتخذ قومهم لهم مسجداً وأجاب عن هذه الشبهة الحافظ ابن كثير بجوابين :

الأول : أن هذا عمل الكفار والمشركين فليس بحجة .

والثاني : على فرض أن هذا عمل المسلمين ، ولكن هم غير محمودين في هذا العمل[٢] .

---

(١) شرح صحيح مسلم ٥/ ١٣ـ ١٤ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٧٨ .

ومن كل ما سبق يتبين مدى حرص أئمة الشافعية كغيرهم من باقي علماء المذاهب الأخرى ، على حماية التوحيد مما يخدش ، وكذلك حرصهم على إبعاد كل مظاهر الشرك ، وإغلاق أبوابها ، فحرموا كل ما يؤدي إليه من تعظيم القبور بأي شكل كان ، والحلف بغير الله ، ونحو ذلك ، فالعجب ممن ينتسب إلى الشافعي من أدعياء العلم ، أو غيرهم ، ثم يفعل مثل هذه المنكرات ، ويدعو إليها ويزينها للناس ويبيحها لهم فما أجرأ هؤلاء على مخالفة النصوص ، وعلى مخالفة الأئمة الكبار رحمهم الله تعالى .

الخلاصة :

١ ـ كان الشافعي رحمه الله هو وأتباعه من أشد الناس نهيًا عن الوسائل المؤدية إلى الشرك .

٢ ـ ثبت عنهم النصوص الكثيرة في التحذير من الغلو في المقبورين بأي شكل من الأشكال . وكذلك تعظيم القبور بأي صورة من الصور .

٣ ـ ثبت كذلك نهيهم الشديد عن الحلف بغير الله تعالى .

المناقشة :

س ١ : هل اهتم الشافعي ـ رحمه الله ـ هو وأتباعه ببيان وسائل الشرك والتحذير منها؟

س ٢ : أذكر بعض وسائل الشرك التي حذر منها الإمام الشافعي وأتباعه؟

س ٣ : هل يجوز الحلف بغير الله تعالى؟

ثانيا : نماذج من الشرك التي حذر منها الإمام الشافعي وبعض أتباعه

لقد اهتم الإمام الشافعي رحمه الله وأتباعه ببيان صور الشرك في الربوبية والألوهية ، وغيرها ، وحذروا منها أشد التحذير ، كما ثبت في الفصل السابق ، وكما سيتبين كذلك في هذا المبحث إن شاء الله تعالى ، مما يوضح تحذيرهم من الشرك الأكبر والأصغر فأقول :

جاء عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى وبعض أتباعه النهي عن أنواع من الشرك الأكبر والأصغر : كالدعاء والاستغاثة بغير الله[1] . والسجود لغير

---

(١) لقوله تعالى : ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم﴾ [الأنفال : ٩] ، ولقوله تعالى : ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ [غافر : ٦٠] . و ،قوله تعالى : ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون﴾ [الأحقاق : ٥] . وقول النبي ﷺ : «إن الدعاء هو العبادة» .

ولمزيد من التعرف على أقوال الشافعية انظر الإعلام بقواطع الإسلام لابن حجر المكي ص ٩٥ ، ٧١ والعقد الثمين ص وتطهير الجنان ص ٣٨ .

وأما ما حكى بعضهم عن الشافعي أنه قال : «إذا نزلت بي شدة أجيء فأدعوا عند قبر أبي حنيفة فأجاب» قال الألوسي الحنفي : هذا كذب معلوم كذبه عند من له معرفة بالنقل فإن الشافعي لما قدم بغداد لم يكن ببغداد قبر ينتاب للدعاء عنده البتة ، بل ولم يكن عند عهد الشافعي معروفاً وقد رأى الشافعي بالحجاز واليمن والشام والعراق ومصر من قبور الأنبياء والصحابة والتابعين من كان أصحابها عنده وعند المسلمين أفضل من أبي حنيفة وأمثاله ، من العلماء ، فما باله لم يتوخ الدعاء إلا عنده؟ ثم أصحاب أبي حنيفة الذين أدركوه مثل أبي يوسف ومحمد وزفر والحسن بن زياد وطبقتهم لم يكونوا يتحرون الدعاء لا عند قبر أبي حنيفة ولا عند قبر غيره ، ثم إن الشافعي قد صرح في بعض كتبه بكراهة تعظيم القبور خشية الفتنة بها ، وإنما يضع مثل هذه الحكايات من يقل علمه ودينه وإما أن يكون المنقول من هذه الحكايات عن مجهول لا يعرف ونحن ولو روي لنا مثل هذه الحكايات المسيبة أحاديث عمن لا ينطق عن الهوى لم جاز التمسك بها حتى تثبت بطرق أهل الحديث فكيف بالمنقول عن غيره . ومنها ما قد يكون صحابي قاله أو فعله باجتهاد يخطىء ويصيب أو قاله بشرط وقيود كثيرة على وجه لا محذور فيه فحرف النقل عنه كما أن النبي ﷺ : لما أذن في زيادة القبور بعد النهي فهم المبطلون أن ذلك هو الزيارة التي يفعلونها من حجها للصلاة عندها والإستغاثة بها ثم سائر هذه الحجج دائرة بن نقل لا يجوز إثبات الشرع به ، أو قياس لا يجوز استحباب العبادات بمثله مع العلم بأن الرسول ﷺ لم يشرعها» . فتح المنان ص ٣٧٢ ، ٣٧٣ .

الله[١] ، والركوع لغير الله[٢] ، والنذر لغير الله[٣] ، والذبح لغير الله [٤] ، أو اعتقاد أن أحداً يعلم الغيب[٥] ، والحلف بغير الله[٦] ، وقول ما شاء الله وشئت [٧] ، واعتقاد أن السحر له تأثير بذاته [٨] .

قال الشافعي : «ومن حلف بشيء غير الله جل وعز مثل أن يقول الرجل :

---

(١) لقوله تعالى : ﴿يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾ [آل عمران : ٤٣] ، ولمعرفة موقف الشافعية انظر روضة الطالبين ٧/ ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، والجمل على شرح المنهج ٥/ ١٢٤ ، ومغني المحتاج ٤/ ١٣٦ ، والإعلام بقواطع الإسلام ٩٥ ، ٦٣ ، ١٩ ، ٩٣ ، ٩٨ ، ٢٠ ، ٢١ وتطهير الجنان ص ٣٧ .

(٢) لقوله تعالى : ﴿يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾ [آل عمران : ٤٣] ، ولمعرفة موقف أئمة الشافعية انظر الجمل على شرح المنهج ٥/ ١٢٤ .

(٣) لقوله تعالى : ﴿وليوفوا نذورهم﴾ [الخ :٢٩] . فالنذر عبادة لا تنبغي إلا لله تعالى . ولمزيد التعرف على أقوال الشافعية انظر : المجموع ٨/ ٤٣٥ ، ومغني المحتاج ٤/ ٣٧١ ، وتطهير الجنان ص ٣١ ، ٣٧ ، والعقد الثمين ص ٢١٩ ، وفتح المجيد ص ٢١٣ ، وقرة عيون الموحدين ص ٩٦ ، ٨٦ .

(٤) لقوله تعالى : ﴿فصل لربك وانحر﴾ [الكوثر : ٢] وقوله تعالى : ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾ [الأنعام : ١٦٢] . فالذبح عبادة لا تنبغي إلا لله وعلى اسم الله ولا يجوز أكل ما لم يذكر اسم الله عليه . ولمعرفة أقوال أئمة الشافعية انظر : روضة الطالبين ٧/ ٢٨٤ ، والزواجر ١/ ١٦٧ ، والعقد الثمين ص ٢٢٢ ، وتطهير الجنان ص ٣٧ .

(٥) لقوله تعالى : ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً﴾ [الجن : ٢٦] . وقوله تعالى : ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ [النمل : ٦٥] . ولمعرفة أقوال الشافعية : انظر الإعلام بقواطع الإسلام ص : ٦٩ ، ٧١ ، العقد الثمين ص والبغوي : ٤/ ٤٠٥ ، ٤٠٦ .

(٦) لقوله ﷺ : «من حلف بغير الله فقد أشرك» وفي لفظ : «فقد كفر» . ولمعرفة أقوال الشافعية : انظر الأم ٧/ ٦١ المجموع ص ١٩ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، شرح السنة ١٠/ ٩ ، وإحكام الأحكام لابن دقيق العيد ٤/ ١٤٤ ، حلية العلماء ٧/ ٢٤٦ ، ومغني المحتاج ٤/ ٣٢٤ ، والجمل على شرح المنهج ٥/ ٢٨٨ ، وفتح الباري ١١/ ٥٣٠ ، ٥٣١ .

(٧) لقول النبي ﷺ : «أجعلتني لله ندا؟ قل ما شاء الله وحده» وذلك لمن قال له ما شاء الله وشئت . ولمعرفة موقف الشافعية : انظر شرح السنة ١٢/ ٣٦٠ ، ٣٦١ .

(٨) لقول تعالى : ﴿فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم﴾ [الأعراف : ١١٦] ، وقوله تعالى : ﴿إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ [طه : ٦٩] . وانظر موقف الشافعية في كتاب الإعلام بقواطع الإسلام ص٩٨ .

والكعبة ، وأبي ، وكذا وكذا مكان ، فحنث فلا كفارة عليه ، ومثل ذلك قوله : لعمري لا كفارة عليه ، وكل يمين بغير الله فهي مكروهة منهي عنها من قبل قول رسول الله ﷺ : «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليسكت»[١] .

أخبرنا ابن عيينة ، قال : حدثنا الزهري قال : حدثنا سالم عن أبيه قال : سمع النبي ﷺ عمر يحلف بأبيه فقال : ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم قال : عمر رضي الله عنه : والله ما حلفت بها بعد ذلك»[٢] . وقال الشافعي رحمه الله : فكل من حلف بغير الله كرهت له ، وخشيت أن تكون يمينه معصية»[٣] .

وقال ابن حجر الهيثمي المكي : «الكبيرة السابعة والستون بعد المائة : الذبح باسم غير الله على وجه لا يكفر به ، بألا يقصد تعظيم المذبوح له ، كنحو التعظيم بالعبادة والسجود إلى أن قال : وجعل أصحابنا مما يحرم الذبيحة أن يقول : باسم الله واسم محمد أو محمد رسول الله بجر اسم الثاني أو محمد إن عرف النحو فيما يظهر ، أو يذبح كتابي لكنيسة أو لصليب أو لموسى أو لعيسى ومسلم لكعبة أو لمحمد ﷺ أو تقرب بالسلطان أو غيره أو للجن فهذا كله يحرم المذبوح وهي كبيرة»[٤] .

أقول : في كلامه هذا نظر ، فكيف يكون الذبح على غير اسم الله ولا يكون

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ٥٣٠) ح (٦٦٤٦) في الأيمان والنذور باب لا تحلفوا بآبائكم ، ومسلم في الأيمان (٣/ ١٢٦٦) باب النهي عن الحلف بغير الله ، والنسائي (٧/ ٤) في الأيمان باب الحلف بالآباء . وأبو داود ٣/ ٥٦٩) ح (٣٢٤٩) ، في الأيمان باب في كراهية الحلف .

(٢) أخرجه أبو داود ٣/ ٥٧٠ ح ٣٢٥٠ ، في الأيمان باب في كراهية الحلف بالآباء ، النسائي كتاب الأيمان باب الحلف بالآباء (٧/ ٤) ح (٢٧٦٦) وابن ماجة في الكفارات (١/ ٦٦٧) ح (٢٠٩٤) من رواية سالم عن أبيه عن عمر رضي الله عنه .

(٣) كتاب الأم ٧/ ٦١ .

(٤) الزواجر : ١/ ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

معه تعظيم للمذبوح له وهذا الكلام قريب من كلام المتكلمين فالشرك عند أهل الكلام لابد أن يكون مقصودًا به تعظيم هذا المعبود من دون الله ، وأما صرف العبادة له دون تعظيم فهذا لا يسمى شركًا عندهم ، وهذا الكلام فيه نوع تناقض .

وقال الرافعي في شرح المنهاج : «وأما النذر للمشاهد التي على قبر ولي أو شيخ أو على اسم من حلها من الأولياء أو تردد في تلك البقعة من الأولياء والصالحين فإن قصد الناذر بذلك ـ وهو الغالب أو الواقع قصود العامة ـ تعظيم البقعة أو المشهد أو الزاوية أو تعظيم من دفن بها أو نسبت إليه أو بني على اسم ، فهذا النذر باطل غير منعقد ؛ فإن معتقدهم أن لهذه الأماكن خصوصيات ويرون أنها مما يدفع بها البلاء ، ويستجلب بها النعماء ، ويستشفى بالنذر لها من الأدواء حتى إنهم ينذرون لبعض الأحجار لما قيل لهم إنه استند إليه عبد صالح ، وينذرون لبعض القبور السرج والزيت ، ويقولون : القبر الفلاني أو المكان الفلاني يقبل النذر ، يعنون بذل : أنه يحصل به الغرض المأمول من شفاء مريض : أو قدوم غائب ، أو سلامة مال ، وغير ذلك أنواع نذر المجازات ، فهذا النذر على هذا الوجه باطل لا شك فيه ، بل نذر الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطل مطلقًا ، ومن ذلك نذر الشموع الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر الخليل ، عليه السلام ، ولقبر غيره من الأنبياء والأولياء ، فإن الناذر لا يقصد بذلك الإيقاد على القبر إلا تبركًا وتعظيمًا ظانًا أن ذلك قربة ، فهذا مما لا ريب في بطلانه ، والإيقاد المذكور محرم سواء انتفع به هناك منتفع أم لا»[1] .

وقال النووي : إذا نذر المشي إلى مسجد غير المساجد الثلاثة ، وهي : المسجد الحرام ، والمدينة ، والأقصى ؛ لم يلزمه ولا ينعقد نذره عندنا»[2] .

---

(١) فتح المجيد ص ٢١٣ .

(٢) المجموع ٨/ ٤٧١ .

وقال ابن حجر المكي في شرح المنهاج :

«لا يقول باسم الله واسم محمد» قال ابن حجر : يحرم عليه ذلك للتشريك ؛ لأن من حق الله تعالى أن يجعل الذبح باسمه فقط كما في اليمين باسمه ، نعم إن أراد الذبح باسم الله والتبرك باسم محمد كره فقط» .

وقال أحمد بن حجر آل بوطالمي الشافعي :

«أي لا ينذروا لغير الله ، ولا يطوفوا بغير البيت العتيق ، فلا يجوز النذر للأولياء ولا للصالحين ، ولا الطواف بقبورهم كما يفعله الجاهلون بقبر الجيلاني ، والحسين ، والبدوي ، والدسوقي ، وغيرهم فإن هذا شرك لا مراء فيه ، وكثير من المبتدعين الجاهلين ينذر للصالحين ، وبعضهم يرسل أموالا . . للسدنة ولتعمير القباب كما يفعل ذلك الكثير من الهنود والباكستانيين بنذرهم لعبد القادر الجيلاني اموالاً طائلة ، وإرسالهم إلى ضريحه أموالاً وافرة ، هذا ممن زعم أنه من أهل السنة ، وأما شيعة الهنود والباكستانيين والإيرانيين فإنهم ينذرون أموالاً بقبور أهل البيت في النجف وكربلاء وخراسان وقم ، ويشدون الرحال من مختلف الأقطار إلى تلك القبور للطواف بها ، والاستغاثة بساكنيها ، وطلب قضاء الحاجات وتفريج الكربات ، مما لا يقدر عليه إلا خالق الأرض والسماوات ، وكذلك لا يجوز النذر لقبول الأولياء والصالحين ، فكذا لا يجوز الوقف من بيوت وعقار على قبورهم ، فمن نذر لغير الله فلا يجب عليه الوفاء ، بل يستغفر الله ، ويتوب إليه ، ويأتي بالشهادتين ؛ لأنه مرتد إن علم أن النذر لغير الله شر ، ومن وقف عقاراً أو حيواناً على قبور الأولياء فوقفه باطل ، أو وصى لها فوصيته باطلة ، وذلك العقار أو الحيوان لازال على ملك صاحبه ، نسأل الله لنا ولهم التوفيق . وقول بعضهم : إن النذر لله والثواب للولي كلام باطل وضلال عاطل ، فأي شيء أدخل الولي هنا؟ إن كان قصده الصدقة فليتصدق على الفقراء عن نفسه ، وعن أبويه وأقاربه ، وما يدريه بأن صاحب هذا القبر ولي !

والأمور بخواتيمها فقد يكون ظاهره صديقًا ، وباطنه زنديقًا ، ويظهر كذبهم وضلالهم أنهم يأخذون الأغنام ويذبحونها عند القبر ، فإذا أنكرت عليهم قالوا الذبح لله والثواب للولي ، وليس القصد من هذا إلا تلبيس وقلب الحقائق ، وهم لا يقصدوا إلا الولي على أنالعلماء قد صرحوا أن لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله ، للحديث عن ثابت ابن الضحاك قال : «نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة فسأل النبي ﷺ فقال : «هل كان فيه وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا : لا ، فقال رسول الله ﷺ «أوْف بنذرك ، فإنه لا وفاء للنذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك ابن آدم»[1] . . .»[2] .

وقد أجاب أحمد بن حجر آل بوطامي الشافعي عن شبهات القبورية وهي :

الأولى : قول بعض الجاهلين : إن هؤلاء - يعني القبوريين - يقرون بالخالق ، ويعتقدون بشرائع الإسلام وبيوم الجزاء ، وغاية ما هنالك أنهم يتوسلون بهؤلاء الصالحين ، ولا يرضون بلقب الشرك ، بل ينفرون منه ، فكيف يمكن أن يقال : بأنهم مشركون؟

الثانية : أن المشركين كان كفرهم من أجل إنكارهم للربوبية لا من حيث صرف العبادة لغير الله مستدلين بقوله تعالى : ﴿قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾[الفرقان:٦٠] وبقوله : ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد : ٣٠] .

أجاب بما يأتي :

الجواب عن الشبهة الأولى : قال : فالجواب عن تسميتهم مشركين أن الكفر والشرك شعب وأنواع ، كما أن الإيمان له شعب ، فإذا ما أتى بكثير من شعب

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب الأيمان والنذور باب ما يؤم به من الوفاء بالنذر (٣/ ٦٠٧) ح (٣٣١٣) والبيهقي في السنن ١٠/ ٨٣ والطبراني في الكبير ح (١٣٤١) من حديث ثابت بن الضحاك وصححه الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير ٤/ ١٨٠ .

(٢) تطهير الجنان ص ٣١ ، ٣٢ .

الإيمان وأتى معه بشيء من شعب الشرك ، فيقال له : مشرك ، مثلاً لو صلى وصام واعتقد بالرسالة والقيامة واتصف بالزهد ومكارم الأخلاق لكنه اعتقد في كوكب بأن له تأثيراً ، أو أن بيده نفعًا أو ضرًا ، أو اعتقد في ملك أو رسول ما لا يجوز اعتقاده إلا في الله فنسميه مشركا ، وإن أتى بجميع خصاله وأنواعه ، وتوسلهم لاعتقادهم بأنهم مذنبون ، وهؤلاء أقرب عند الله فيوسطونهم بينهم وبين الإله ، هذا هو شرك العرب بعينه . . وأما تشهدهم بالشهادتين فهو منتقض بأعمالهم المنافية لهما : كالحدث بعد الوضوء ، وإقرارهم بالخالق لا يفيد ؛ لأن المشركين كانوا مقرين بالربوبية ، ولم يدخلهم في الإسلام .

وأما قول من يقول : بأن مشركي العرب كانوا منكرين للبعث .

فالجواب : أن هذا الاعتقاد من جملة المكفرات ، والرسول ﷺ كفرهم وأباح دماءهم لأمور كثيرة ، أعظمها عبادتهم للأوثان ، ومنها إنكارهم للبعث ، ولا يقبل من الإنسان أن يؤمن ببعض ويكفر ببعض ، بل واجب عليه أن يذعن معتقداً بكل ما أتى به القرآن وجاء به الرسول ﷺ ويعمل بهما ، فمن آمن ببعض ولم يؤمن بالبعض الآخر فهو كافر ، كما قال الله تعالى مخبراً عنهم : ﴿ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ [النساء :١٥٠] ، ولا ينفعهم مجرد النطق بكلمة الشهادتين حتى يعمل بمقتضاها من البراءة ، مما يعبد من دون الله ، وصرف جميع العبادات كائنة ما كانت إلى الله . . ولكن هل يحكم على الشخص المعين أو الطائفة المخصوصة المتلوثة بتلك الخصال المنافية للتوحيد بالشرك والكفر؟ مع أنها مؤمنة بالله والرسول ، وآتية بسائر الشرائع؟

الجواب : يقال هذا العمل شرك وكفر ، مثلاً كالسجود للولي والطواف بقبره ، أو النذر له ، ولكن الشخص المعيَّن أو الطائفة المخصوصة لا نبادرها بالتكفير بل الواجب تبليغها بآيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ المبينة للشرك

والمحذرة عنه ، وأن ليس لصاحبه نصيب من الجنة ، وأن هذه الأعمال هي شرك فإذا أصر الشخص المعين أو الطائفة المخصوصة وعاندت ولم تقبل ، فعند ذلك يحل عليها إطلاق الشرك أو عليه إن كان فردًا معينًا ، وليكن الشخص ذا تفرقة بين الشرك الأصغر والشرك الأكبر ، كالرياء فإنه شرك أصغر ، والسجود والنذر لغير الله أكبر . . فإن قيل : يلزم من كلامكم تكفير الأكثرية من الأمة المحمدية حيث إنهم يعلمون ما تقولون بأنه شرك مثل النذر للأولياء والنحر لهم :

فالجواب :

أولا : أن القول بالعموم مغاير للقول بالخصوص .

ثانيا : غلبة الجهل ، وقلة العلم بالتوحيد والسنة المطهرة ، ومعرفة الشرك وأقسامه ذرائع في كثير من الأماكن والبلدان هو المانع من الحكم بالشرك على المعين إلا من بلغته النصوص وقامت عليه الحجة ثم أصر معانداً فذاك يحكم عليه بالشرك»[1] .

الجواب عن الشبهة الثانية:

أن الآية الأولى : فيها استفهام عن الرحمن والاستفهام عن الشيء لا يكون جحدًا له ، على أننا لقلنا استفهام إنكاري فإنه إنكار للتسمية بالرحمن لا غير ، كما يوضحه كتابه صلح الحديبية .

والآية الثانية : فيها الكفر بالرحمن ، والكفر بالشيء لا يكون إنكارًا له تقول لمن فعل فعلاً كفريًا : كفر فلان ، وهذا يدل على أنه منكر للرب ، على أنه معارض بالآيات المنبئة عن اعترافهم بالربوبية»[2] .

ومن هنا يتبين لنا مدى تحذير علماء الشافعية من الشرك وعاقبته الوخيمة في

---

(١) العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية (ص ٣٧ : ٤٠) .

(٢) المصدر السابق نفسه ص : ٤٤ .

الدنيا والآخرة . وبيان ما يوقعه في المسلمين من الخسارة والخذلان ، ويتضح لنا أنهم من أكثر الناس كلامًا في هذا الباب ، وأنهم رحمهم الله تعالى ساروا على ما سار عليه السلف من الحرص على حماية التوحيد ، والقضاء على كل مظاهر الشرك ، فرضي الله عنهم جميعًا .

الخلاصة :

١ ـ كثرت النصوص المنقولة عن الشافعي ـ رحمه الله ـ هو وأتباعه في بيان صور الشرك الأكبر والأصغر والتحذير منها .

٢ ـ وردت عنهم نصوص تحذر من دعاء غير الله واستعانته والحلف به ، وتعظيمه والاعتقاد في السحر ، وغير ذلك .

٣ ـ يرى الشافعي وأتباعه أن النذر في معصية باطل ، لا يجب الوفاء به ، وأنه ما ذبح على اسم غير الله لا يجوز أكله ، سواء ذكر الله معه أم لا .

المناقشة :

س ١ : هل اهتم الشافعي رحمه الله بالتحذير من الشرك الأصغر والأكبر أم لا؟

س ٢ : اذكر عددا من صور الشرك التي حذر منها هو وأتباعه مع ذكر دليل واحد لكل منها .

س ٣ : ما حكم النذر في معصية الله؟ وهل يجوز الوفاء به؟

س ٤ : رجل ذبح باسم الله وأشرك اسم محمد ﷺ تبركًا هل يجوز الأكل من تلك الذبيحة؟ وما السبب؟

الفصل الثاني :

الشرح الميسر على كتاب الإيمان للمليباري الشافعي

تأليف د . محمد بن عبد الرحمن الخميس

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] .

أما بعد ، فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ، ثم أما بعد .

فكنت بحمد الله تعالى قد فرغت من بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه ، وذلك في كتابي الموسوم بـ (شرح العقيدة الطحاوية الميسر) .

ثم بيان اعتقادهم رحمهم الله على مذهب الإمام مالك رحمه الله ، وذلك في كتابي الموسوم بـ(شرح القيروانية الميسر) ، وذلك من فضل الله تعالى بشرح : مقدمة ابن أبي زيد القيرواني .

وها أنا ذا أقدم للقراء بيان اعتقاد أهل السنة رحمهم الله على مذهب الشافعي رحمه الله ، وذلك من خلال شرح (باب الإيمان وباب الردة) ، من كتاب (إرشاد

العباد إلى سبيل الرشاد) ، ومؤلفه هو : زين الدين بن عبد العزيز بن زين الدين بن علي بن أحمد المحبري المليباري ، فقيه شافعي ، من أهل مليبار ، وهي إقليم كبير في بلاد الهند .

وهو من علماء القرن العاشر الهجري ، له مشاركة في كثير من العلوم ، من أهل البيت علم ودين وله تصانيف نافعة ، منها (فتح المعين بشرح قرة العين) له :

- ومختصر في أحاديث ذكر الموت .

- وإرشاد العباد إلى سبيل الرشاد .

وكلها مطبوعة متداولة ، توفى رحمه الله سنة ٩٨٧هـ .

وعسى أن يكون هذا الكتاب امتدادا لما بدأته في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ، وبيان أن أئمة المذاهب الأربعة متفقون في مسائل أصول الدين كلها تقريبا ، لولا خلاف بعضهم في مسألة الإيمان .

ومنهجي في إعداد هذا الكتاب هو نفس النهج الذي جريت عليه في (شرح السحاوية الميسر) ، و(شرح القيروانية الميسر) ، والله أسأل أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

باب الإيمان

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة : ٢١ ، ٢٢] . .

وقال تعالى : ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾ [الفتح : ١٣] .

اللغـــة

(اعبدوا) توجهوا بالعبادة واصرفوها إلى (ربكم) الرب هو المالك المتصرف . (تتقون) تجعلون بينكم وبين غضبه وعذابه وقاية (أندادًا) جمع ند وهو النظير والمماثل والمكافئ . (اعتدنا) أعددنا (سعيرًا) هو نار جهنم .

الشرح : في الآية الأولى يأمر الله عباده جميعًا بعبادته وإفراده بها ، وصرفها بكل أنواعها إليه ، مذكرًا إياهم بأنه هو الذي خلقهم وخلق جميع الناس ، وبأنه ربهم ، وأنهم إن فعلوا ذلك اتقوا عذابه واجتنبوا غضبه ، ثم يبين الله تعالى لهم بعضًا من مظاهر ربوبيته وقيوميته ، فهو الذي سخر لهم الأرض وجعلها لهم فراشًا وجعل لهم السماء بناء وسقفًا محفوظًا ، وأنزل من السماء ماء فجعله سببًا لحياة النبات والثمار ، وهكذا أخرج لهم من الأرض صنوف النبات رزقًا لهم ، وغير ذلك من مظاهر نعمه على عباده ، فلما كان الله تعالى هو المتفرد بالخلق والرزق والتدبير ، كان هو المستحق للعبادة إذ لا ينبغي صرف خالص حقه من العبادة إلى ما سواه من الأنداد والأضداد ، من هنا نهاهم أن يجعلوا لله أندادا ونظراء ، وشركاء ، لأنهم ما داموا مقرين بربوبيته ، فإن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية ، إذ كيف يليق صرف العبادة لمن لا يملك شيئا؟

وفي الآية الثانية ، يتوعد الله من كفر به وبرسوله وأعرض عن الإيمان يتوعده بأن الله تعالى قد أعد له سعيراً وهي نار متأججة شديدة الحر ، يصلاها جزاء كفره وإعراضه .

الخلاصة :

المتفرد بالخلق والرزق والتدبير هو الله تعالى وحده ، ومن هنا فلا ينبغي ولا يجوز صرف العبادة لغيره ، ومن كفر به وأعرض عن الإيمان به وبرسوله فإن مصيره إلى النار .

المناقشة :

س ١ : من الذي تفرد بالخلق والرزق والتدبير؟

س ٢ : من هو المستحق أن يفرد بالعبادة؟

س ٣ : ما معنى أن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية؟

س ٤ : ما جزاء المعرض عن الإيمان بالله ورسوله؟

حديث جبريل

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي ﷺ ، فأسندر ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد ! أخبرني عن الإسلام . فقال رسول الله ﷺ : «الإسلام : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ، قال : صدقت . قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال فأخبرني عن الإيمان . قال : أن تؤمن بالله ، وملائكته وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال : صدقت . قال : فأخبرني عن الإحسان قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال : فأخبرني عن الساعة . قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل . قال : فأخبرني عن أماراتها . قال : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة يتطاولون في البنيان . قال : ثم انطلق ، فلبثت مليًا ، ثم قال لي : «يا عمر ! أتدري من السائل؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»[1] .

اللغة : (الإسلام) الاستسلام والانقياد . (تشهد) الشهادة هي الإخبار عن علم . (تقيم) تؤدى . (تؤتى) تعطى . (عجبنا) دهشنا . (الإيمان) التصديق . (الساعة) القيامة . (أماراتها) جمع أمارة وهي العلامة . (ربتها) سيدتها . (العالة) الفقراء . (يتطاولون في البنيان) أي يرتفعون في البناء . (لبث مليًا) انتظرت برهة من الزمن .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم (١/ ٣٦) ح ٨ في الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان من حدث ابن عمر عن عمر رفوعا ، وأخرجه البخاري (١/ ١٤٠) ح٥ في الإيمان باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان ، ومسلم (١/ ٣٩) ح٩ في الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام كلاهما من حديث أبي زرعة عن أبي هريرة مرفوعا .

الشرح : يخبر عمر بن الخطاب رضي عنه أنهم كانوا جلوسًا عند النبي ﷺ يومًا ، فطلع عليهم رجل أبيض الثياب ناصعها ، أسود الشعر فاحمه ، ولا يظهر عليه أي أثر من آثار السفر ، أو غباره ، أو غير ذلك ، كأنما هو من المدينة ، ومن العجيب أن أحدا لا يعرفه من الجالسين ، وهذا من غرائب الأمور ، فدنا من النبي ﷺ حتى أسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذي النبي ﷺ كما ثبت في بعض طرق الحديث ، وهي جلسة المتعلم ، كما ذكر أهل العلم ، ثم سأل النبي ﷺ عن الإسلام ، فعرفه له النبي ﷺ بقوله : (الإسلام – أي حقيقة الإسلام – أن تشهد أن لا إله إلا الله) والشهادة هي الإخبار عن علم ، كما قال تعالى : ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) والمقصود أن حقيقة الإسلام أن تقر وتعترف وتشهد ظاهراً وباطنًا على الحقيقة بأنه لا مستحق للعبادة إلا الله تعالى ، إذ هو المتفرد بالخلق والرزق والملك والتدبير ، فلما كان الأمر كذلك فلا مستحق للعبادة غيره ، كما قال تعالى : « ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ (٢) » ، فهناك آلهة تعبد من دونه ، لكنها لا تستحق العبادة ، لأنها لا تملك شيئًا ، ثم قوله (وأن محمدًا رسول الله) ﷺ تشمل الإقرار والاعتراف بنبوة محمد ﷺ ورسالته ، وتشمل كذلك الإقرار بأن الله قد اصطفاه على خلقه ، والإقرار بصدقه ، فيما أخبر عن الله عز وجل والإقرار بأنه لا يهدي إلا إلى الخير وغير ذلك ، مما يتعلق بحقوقه ﷺ ، وقوله (**وتقيم الصلاة**) أي تؤدي الصلاة المفروضة محافظا عليها في أوقاتها ، محافظا على أركانها وواجباتها وسننها ، مجتنبا لما يبطلها وينقص ثوابها ، محافظًا على الخشوع فيها ، والقيام بحقوقها ، ومتابعة النبي ﷺ في كل أفعالها وآدابها ، مخلصًا لله تعالى فيها ، وذلك مراعاة لحقها وحرمتها ، ومكانتها ، وقوله (وتؤتي الزكاة) أي تخرج الزكاة التي افترضها الله تعالى في صنوف المال ، تخرجها إذا حان وقتها ، واستوفت شروطها من

(١) سورة الزخرف الآية (٨٦) .

(٢) سورة الحج الآية (٦٢) .

بلوغ النصاب ، ونوه ، وتخرجها لمستحقيها من الأصناف الثمانية التي ذكرها الله في كتابه عند قوله عز وجل : ﴿ * إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ . . .»[1] ، وقوله : ﴿وتصوم رمضان﴾ أي تؤدي ما فرض الله عليك من صيام شهر رضمان ، وذلك على الصفة الواردة في الشرع ، محافظا على سلامة الصيام مما يبطله أو ينقص أجره ، وقوله «وتحج البيت ان استطعت إليه سبيلا» ، أي تؤدي فريضة الحج على ما أمر الله تعالى في وقتها المحدد ، مع المحافظة على أركانها وواجباتها وسننها ، والحذر مما قد يبطلها أو ينقص أجرها ، وذلك لعظم حقها ومنزلتها ، وذلك لمن ملك الزاد والراحلة ، فإن هذا هو معنى الاستطاعة ، ولما أخبره النبي ﷺ بكل هذا قال له الرجل : صدقت . وهنا تعجب الصحابة ، لأن سؤاله يقتضي عدم علمه بما سأل عنه ، وتصديقه للنبي ﷺ يقتضي علمه ، فمن هنا تعجب الصحابة رضي الله عنهم ، ثم إنه سأل النبي ﷺ عن الإيمان ، فقال له النبي ﷺ مجيبا له ومعرفًا بالإيمان وذاكرًا لأركانه ، قال : أن تؤمن بالله ومعنى الإيمان بالله على الوجه الصحيح ، الإقرار والتصديق بوحدانيته في ربوبيته ، وقيوميته ، وملكه ، وفي ألوهيته ، واستحقاقه لعبادة ، وفي أسمائه وصفاته .

وأما الإيمان بالملائكة فإنه الركن الثاني من الأركان الستة المذكورة في الحديث ، وهذه الأركان كلها يأتي الكلام عليها تباعًا وتفصيلا ، ثم الإيمان بالملائكة الكرام وهذا هو الركن الثاني ، ثم الإيمان بالكتب السماوية ، ثم الإيمان بالرسل الكرام ، من علمنا منهم ومن لم نعلم ، ثم الإيمان باليوم الآخر ، وما يكون فيه من الشدائد العظام ، والأهوال الجسام ، وأخيرًا الإيمان بالقدر ، خيره وشره ، وذلك بالمراتب الأربعة المعروفة وهي العلم ، والكتابة ، والإرادة ، والخلق ، ولا يكمل الإيمان بالقدر إلا باستكمال هذه الأركان كلها ، ولما بين النبي ﷺ هذه الأركان الستة صدقه جبريل فيما قال ، ثم سأله بعد ذلك عن المرتبة الثالثة من مراتب الدين ، وهي مرتبة الإحسان ، فقال له النبي ﷺ مبينًا له حقيقة معنى الإحسان

(١) سور التوبة الآية (٦٠) .

(أن تعبد الله كأنك تراه) أي اعبده بخشوع وإحسان ومراقبة كأنما هو أمام عينيك ، كأنك تراه أمامك ، (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) أي إذا كنت لا تراه فاعلم أنه هو يراك ، ويعلم سر أمرك وعلانيته فاعبده على هذا الأساس بالخوف والمحبة والرجاء والتذلل ، ثم سأل جبريل رسول الله ﷺ عن الساعة فبين له النبي ﷺ أنها غيب وأنه لا يعلم عنها أكثر مما يعلمه السائل ـ أي جبريل ـ عليه السلام ، وهنا سأله جبريل عن أماراتها ـ أي علاماتها ـ فبين له النبي ﷺ بعضًا من علاماتها ، فمنها أن تكثر السرارى والإماء حتى تنجب الأمة من سيدها ولدا يكون لها بمنزلة السيد كأبيه ، وهذا هو معنى قوله عليه الصلاة والسلام (أن تلد الأمة ربتها) ، ومن هذه العلامات أيضا أن تفتح الدنيا على العرب ، حتى يصبح الأعراب الذين كانوا فقراء عالة حفاة ، يرعون الأنعام ، يصحبون أهل مال وثراء ، ويبنون المباني الضخمة العالية ، فيتسابقون فيها ، وهذا من أمارات نبوة النبي ﷺ ، فكل ذلك قد وقع كما أخبر ﷺ ثم أن ذلك الرجل الغريب قد انطلق ، وبعد فترة من الزمن لاق النبي ﷺ لعمر : (أتدري من السائل) ، هل تعرف ذلك الرجل الغريب؟ فبين عمر أنه لا يدري وأن العلم عند الله تعالى ، وأن الرسول ﷺ بما يوحي إليه ، ربه أعلم بحقيقة الأمر ، قال النبي ﷺ مبينًا حقيقته ، «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» ، أن أن كل ما سمعته من كلام هو شامل لجميع أمور الدين ومسائله ، ومبانيه العظام ، ولأجل ذلك أتى جبريل خصوصًا لكي يسأل عنها مع علمه بها ، قاصدًا بذلك بيانها للناس ، حتى يكونوا على علم بحقيقة دينهم ، وبكل مسائله .

الخلاصة :

الدين اسم جامع لمعاني الإسلام والإيمان والإحسان وكلها مراتب لهذا الدين ، وللإسلام خمسة أركان ، وللإيمان ستة أركان ، أما الإحسان فهو ركن واحد .

المناقشة :

س ١ : عرف كلاً من : الإسلام ـ الإيمان ـ الإحسان . . كما في الحديث .

س ٢ : كم عدد أركان الإسلام والإيمان في الحديث .

س ٣ : اذكر بعضًا من أشراط الساعة الواردة في الحديث .

(وجوب التلفظ بالشهادتين)

قال التاج السبكي : الإسلام : أعمال الجوارح ، ولا يعتبر إلا مع الإيمان ، والإيمان : تصديق بالقلب ، ولا يعتبر إلا مع التلفظ بالشهادتين .

ونقل النووي في (شرح مسلم) اتفاق أهل السنة ، على أن من آمن بقلبه ، ولم ينطق بلسانه مع قدرته ، كان مخلدا في النار .

واعلم أنه يشترط في إسلام كل كافر التلفظ بالشهادتين ، ويشترط فهم معنى ما تلفظ به ، وهو انه لا معبود في الوجود إلا الله المتفرد بالألوهية ، ويزيد المشرك : كفرت بما كنت أشركت به ، وأنا بريء من كل دين يخالف دين الإسلام .

(اللغة) : (الجوارح) جمع جارحة ، وهي أعضاء الإنسان . (لا يعتبر) لا يعتد به . (الألوهية) العبودية . (بريء) البريء من الشيء هو الذي لم يتلبس به ولم يقارفه .

الشرح : نقل المؤلف رحمه الله كلام الإمام السبكي لبيان أن الإسلام هو أعمال الجوارح الظاهرة ، وذلك لأن النبي ﷺ لما سئل عن الإسلام عرفه بأنه الشهادتان والصلاة والزكاة والصوم والحج ، وكلها من أعمال الجوارح ، كما أن الإسلام معناه الاستسلام والانقياد والخضوع ، وهذا إنما يظهر على الجوارح ويعرف من انقيادها لحكم الله تعالى ورسوله ﷺ ، غير أن هذا الاستسلام الظاهر لا ينفع ولا يعتد به ما لم يكن هناك إيمان باطن ، وتصديق وإقرار ، بوحدانية الله تعالى في ذاته ، وأسمائه وصفاته ، واستحقاقه للعبودية ، فيكون هذا الانقياد الظاهر نابعا من الإيمان الحقيقي ، والتصديق الفعلي ، فبهذا يكون انقياداً صادقًا ، والإيمان أصلاً تصديق بالقلب ، وإقرار واعتراف ، بكل مسائل الإيمان ، وأركانه ، غير أن هذا التصديق لا يعتبر ولا يعتد به ما لم يقترن به تلفظ بالشهادتين ، فهذا هو مقتضى الأحاديث الصحيحة التي تضافرت كلها على بيان وجوب التلفظ

بالشهادتين باللسان ، والنطق بكلمة التوحيد .

ثم نقل المؤلف كلام الإمام النووي حيث نقل في شرحه لصحيح مسلم ، نقل اتفاق أهل السنة على أن من آمن وصدق بقلبه ، وجب عليه النطق بكلمة التوحيد بلسانه ، ما دام قادرا فإن النبي ﷺ قال : «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله»[١] ، من هنا يتضح أنه مع الكفر بالطواغيت التي تعبد من دون الله فلابد من التلفظ بكلمة التوحيد ، ومن لم يتلفظ بها برغم قدرته كان مخلداً في النار وأما إن منعه مانع كالأبكم ، فإنه يقولها بقلبه ، وهو معذور عند الله عز وجل ، فلابد من اتفاق القلب في إقراره وتصديقه ، مع اللسان في تلفظه وتصديقه ، ثم بعد ذلك لابد من العمل كذلك كما يأتي بيانه . أي يشترط لصحة إسلام الكافر أن ينطق الشهادتين بلسانه ويتلفظ بهما ، ففي الحديث أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله . .»[٢] ، وفي حديث آخر : «حتى يقولوا لا إله إلا الله . . .»[٣] ، وكذلك قال ﷺ : «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله»[٤] ، غير أنه لابد أن يفهم الإنسان معنى الشهادتين اللتين تلفظ بهما ، فالأولى تقتضي منه فهم معناها ، وهو أنه لا مستحق للعبادة في الوجود إلا الله تعالى ، فهو المتفرد بالألوهية ، استحقاقا لها ، وذلك بمقتضى تفرده بالربوبية والملك ، والخلق والرزق ، وأما ذكره المصنف من أن المشرك لابد

---

(١) أخرجه مسلم ١/ ٥٣) ح٢٣ في الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، من حديث أبي مالك عن أبيه مرفوعاً .

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٩٤ :٩٥) ح٢٥ في الإيمان باب : «فإن تابوع وأقاموا الصلاة . .» ومسلم (١/ ٥٣) ح٢٢ ، في الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولا لا إله إلا الله ، كلاهما من حديث محمد بن زيد بن عبدالله بن عمر عن ابن عمر مرفوعاً .

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ١٣٠) ٢٩٤٦ في الجهاد وباب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ومسلم (١/ ٥٢) ح ٢١ في الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله . كلاهما من حديث سعيد بن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً .

(٤) سبق تخريجه .

أن يقول : (كفرت بما كنت أشركت به ، وأنا بريء من كل دين يخالف دين الإسلام) ، فهذا والله أعلم تحكم لا دليل عليه ، وظاهر الأحاديث الصحيحة لا يدل على لزومه ، أو اشتراطه أو حتى وجوده ، فإن النبي ﷺ دعا المشركين إلى قول لا إله إلا الله محمد رسوله الله ، ورضي منهم بهما ، وحكم بصحة إسلامهم بذلك مع الإقرار بمقتضاهما ومعناهما . والله أعلم .

الخلاصة :

لا ينفع الإسلام بغير الإيمان ، ولابد من التلفظ بالشهادتين لأجل صحة الإسلام ، ما لم يعجز عن النطق بهما ولا يصح إسلام الكافر إلا إذا تلفظ بالشهادتين .

المناقشة :

س ١ : هل يصح إسلام بغير إيمان؟

س ٢ : ما حكم التلفظ بالشهادتين عند الإسلام؟ وهل يصح إسلام الكافر بغير تلفظ بالشهادتين؟

(معنى الإيمان بالله)

واعلم أن الإيمان بالله : اعتقاد أنه واحد لا نظير له في ذاته وصفاته ، ولا شريك له في الألوهية وهي : استحقاق العبادة ، وأنه قديم لا ابتداء لوجوده ، وباقٍ لا انتهاء لأبديته .

اللغة : (لا نظير) هو المثيل والمكافئ . (شريك) هو من له نصيب في الشيء .

الشرح : شرع المصنف في الكلام عن أركان الإيمان ، وبدأ بأعظمها وهو الإيمان بالله تعالى ، وبدأ في بيان معنى الإيمان بالله ، وهذا الإيمان له أقسام .

أولها : الإيمان بتفرده سبحانه بربوبيته ووحدانيته في خلقه ، فهو المنفرد بالخلق والرزق كما قال تعالى : « هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ »(١) ، وهو المتفرد بالتدبير والتصريف ، وذلك كما قال تعالى : « إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦ »(٢) ، بل وحتى الكفار لم ينكروا ربوبية الله سبحانه وانفراده بالخلق ، كما قال تعالى : « وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ »(٣) ، ولم يعرف عن طائفة أو أمة أنها أنكرت وجود الله تعالى إلا ما كان من فرعون لما ادعى الربوبية ، وعلى الرغم من ذلك فقد حكى الله عنه أنه كان مقراً في نفسه ، غير أنه أنكرها جحوداً واستكباراً ، قال تعالى : ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا »(٤) ، وهكذا فإن تفرد الله بربوبيته مسألة لا تحتاج إلى كثير إثبات ولا تقرير ، بل هي أمر مستقر في الفطر السليمة .

ثانيها : الإيمان بتفرده سبحانه في أسمائه وصفاته ، فهو سبحانه المستحق لكل

---

(١) سورة فاطر الآية (٣) .
(٢) سورة فاطر الآية (٤١) .
(٣) سورة لقمان الآية (٢٥) .
(٤) سورة النمل الآية (١٤) .

معاني الكمال والجلال ، وهو المستحق للأسماء الحسنى والصفات العلى ، ومن هذا إثبات الأسماء والصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه في كتابه ، أو أثبتها له رسوله ﷺ من غير أن نشبه الله بخلقه فإن الله تعالى قال : « لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ »(١) ، وكذلك لا نمثل صفات الله تعالى أو نكيفها بما عهدناه من صفات المخلوقين ، فإن هذا تشبيه للخالق بالمخلوق ، بل نثبت الاسم والصفة لله تعالى ولكننا نرجع علم الكيفية إلى الله عز وجل ، إذ لم يرد في الشرع كلام عن الكيفية ولا ذكر لها ، فنقول بما قال الله ورسوله به ، ونسكت عما سكت الله ورسوله عنه .

على أنه ينبغي عند تنزيه الله تعالى عن المشابهة أن لا يؤدي ذلك إلى نفي الاسم أو الصفة ، فإن منهج أهل السنة (إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل) ، فلا ننفي عن الله ، ما وصف به نفسه ولا نؤوله بما يخرجه عن حقيقته فإن ذلك من الإلحاد في أسماء الله عز وجل بل الواجب الإثبات مع اعتقاد التنزيه عن المشابهة ورد الكيفية إلى علم الله تعالى .

ثالثها : الإيمان بأن الله تعالى مستحق للعبادة دون سواه ، وذلك لأنه المتفرد بالربوبية وإفراده بالألوهية من لوازم الإيمان بالربوبية ، إذ كيف يكون هو الخالق والرازق والمدبر ، ثم تصرف العبادة لغيره ، فإن هذا ظلم مبين ، كما قال عز وجل : « إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ »(٢) ، وعوة الناس إلى إفراد الله بالعبودية هي دعوة الرسل جميعا ، كما قال تعالى : « وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ »(٣) ، وقال عز وجل : « وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ »(٤) .

وقصص القرآن في حق الرسل مليئة بإثبات ذلك ، وقد أنكر الله سبحانه

(١) سورة الشورى الآية (١١) .
(٢) سورة لقمان الآية (١٣) .
(٣) سورة النحل الآية (٣٦) .
(٤) سورة الأنبياء الآية (٢٥) .

وتعالى على من علم أن الله بيده كل شيء ثم يصرف العبادة لغيره ، قال تعالى : « قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ . . . »[1] ، فالله سبحانه وتعالى هو المستحق للعبادة دون سواه ، لأنه هو المنفرد بالخلق والرزق والتدبير ، وتوحيد العبودية هو معنى قولنا : «لا إله إلا الله» ، فإن معناها لا مستحق للعبادة إلا الله تعالى ، وإنما لم نكتف بالقول لا معبود إلا الله ، لأن هناك آلهة تعبد من دون الله ، ولكنها باطلة ، لا تستحق ، كما قال تعالى : « ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ »[2] فتوحيد العبودية أو الألوهية يعني الإقرار بأنه لا مستحق للعبادة في الحقيقة إلا الله تعالى ، ثم صرف العبادة كلها لله تعالى ، لا يصرف ذرة منها لغيره ، فهذه هي حقيقة دعوة الرسل التي دعوا إليها أقوامهم وخاصموهم فيها ، وهي آكد وأهم الواجبات على العبد .

وقد اشتملت كلمة التوحيد على نفي وإثبات ، فـ «لا إله» فيها نفي استحقاق الألوهية عن كل الطواغيت المعبودة من دون الله ، و(إلا الله) فيها إثبات استحقاق الألوهية لله وحده دون سواه .

---

(١) سورة الأنعام الآية (٦٥) .

(٢) سورة الحج الآية (٦٢) .

الخلاصة :

معنى الإيمان بالله : اعتقاد وحدانيته في ذاته ، وأفعاله ، وأسمائه ، وصفاته ، واستحقاقه للعبودية ، وانه مستحق لكل كمال متنزه عن كل نقص .

المناقشة :

س ١ : اذكر معنى الإيمان بالله تعالى .

س ٢ : لماذا كان الله تعالى مستحقا للعبادة دون سواه؟

س ٣ : ما هو المعنى الحقيقي لكلمة التوحيد؟

س ٤ : ما معنى أن يقال إن (لا إله إلا الله) نفي وإثبات؟

(الإيمان بالملائكة)

وبالملائكة : اعتقاد أنهم مكرمون ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، صادقون فيما أخبروا به .

اللغة : . . . . . .

الشرح : هذا هو الركن الثاني من اركان الإيمان ، وهو الإيمان بالملائكة الكرام ، وهم خلق نوراني اصطفاهم الله عز وجل ، فهم قائمون على تنفيذ أمره سبحانه ، فوجب الإيمان بهم ، واعتقاد أنهم خلق مكرمون ، كما قال سبحانه : « وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ »(١) ، وكذلك قال تعالى في شأنهم : « وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ »(٢) . وقال : « كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ »(٣) .

وكذلك يجب على المسلم أن يعتقد أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، كما قال جل شأنه : « عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ »(٤) وقال تبارك وتعالى : «لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون» .

وكذلك فإن الملائكة صادقون فيما يخبرون به عن الله تعالى من أمر الوحي وغيره ، كما قال تعالى في حق صاحب الوحي : « مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ »(٥) .

ويجب الإيمان بكل من ورد تعيينه من الملائكة ، فمنهم جبريل صاحب الوحي ، ومنهم ميكائيل الموكل بالرياح والمطر وغيرها ، وقد قال تعالى :

---

(١) سورة الأنبياء الآيتان (٢٦ :٢٧) .
(٢) سورة الإنفطار الآيتان (١٠ :١١) .
(٣) سورة عبس الآية (١٦) .
(٤) سورة التحريم الآية (٦) .
(٥) سورة التكوير الآية (٢١) .

«مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ»(١)، ومنهم إسرافيل صاحب الصور، ومنهم الملكان الموكلان بكتابة الأعمال كما قال عز وجل: «مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾»(٢).

ومنهم الحفظة، كما قال جل جلاله: «وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً»(٣)، وقال تعالى: «وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾»(٤).

ومنهم منكر ونكير الموكلان بسؤال القبر، والمسند إليهما ما يكون فيه من المسائل. ومنهم مالك خازن النار: «وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ»(٥). ومنهم خزنة النار، كما قال تعالى: «وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ ..»(٦). ومنهم خزنة الجنة، قال تعالى في شأنهم: «وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾»(٧). ومنهم ملك الموت: «* قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ»(٨). وغير ذلك ممن ذكر الله منهم في كتابه، أو رسوله ﷺ في سنته.

---

(١) سورة البقرة الآية (٩٨).
(٢) سورة ق الآية (١٨).
(٣) سورة الأنعام الاية (٦١).
(٤) سورة الإنفطار الآيات (١٠ :١٢).
(٥) سورة الزخرف الآية (٧٧).
(٦) سورة الزمر الآية (٧١).
(٧) سورة الزمر الآية (٧٣).
(٨) سورة السجدة الآية (١١).

الخلاصة :

الملائكة خلق كريم ، خلقهم الله لطاعته والقيام على أمره ، والإيمان بهم واجب ، ونؤمن بهم إجمالا وبمن ورد به النص تفصيلا .

المناقشة :

س ١ : من هم الملائكة؟ وما وظيفتهم؟

س ٢ : ما حكم الإيمان بهم؟

س ٣ : اذكر بعضا ممن ورد بهم النص تفصيلاً من الملائكة .

(الإيمان بالكتب)

وبالكتب : اعتقاد أنها كلام الله ، وأن كل ما تضمنته حق ، وأن الله تعالى أنزلها على بعض رسله .

اللغة : (تضمنته) احتوته واشتملت عليه . (رسله) جمع رسول ، وهو من أرسل مبلغًا بوحي الله تعالى .

الشرح : هذا هو الركن الثالث من أركان الإيمان ، وهو الإيمان بالكتب التي أنزلها الله على بعض رسله ويشتمل على الإيمان بأنها وحي من الله تعالى ، وأن كل مافيها حق ، إلا ما دخلته يد التحريف من الكتب السابقة على القرآن ، كما قال تعالى في حق بني إسرائيل مع كتبهم : « يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ »(١) .

فهذه الكتب التي أنزلها الله تعالى على بعض رسله وجب علينا الإيمان بها كلها ، خصوصا ما ذكره الله تعالى على وجه التفصيل ومنها : التوراة التي أنزلها الله تعالى على رسوله موسى عليه السلام ، كما قال تعالى: « إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ »(٢) .

ومنها : الإنجيل الذي أنزل على عيسى ، كما قال تعالى : « وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ »(٣) .

ومنها : الزبور الذي أنزل على داود ، قال تعالى : « وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا »(٤) .

ومنها : القرآن وهو آخرها وأفضلها كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾(٥) .

---

(١) سورة المائدة الآية (٤١) .
(٢) سورة المائدة الآية (٤٤) .
(٣) سورة الحديد الآية (٢٧) .
(٤) سورة النساء الآية (١٦٣) .
(٥) سورة المائدة الآية (٤٨) .

وقال تعالى : «وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ»(١) . ويجب اعتقاد أنه كلام الله كما قال عز وجل : « وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ»(٢) .

وهو حق لا يأتيه الباطل ، كما قال تعالى : « وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ »(٣) . ويجب اعتقاد أنه اشتمل على بيان كل خير كما قال تعالى : « وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ »(٤) . كما يجب اعتقاد وجوب العمل به ، وتحليل حلاله ، وتحريم حرامه ، والعمل بمحكمه والإيمان بمتشابهه .

الخلاصة :

الإيمان بالكتب واجب ، وقد أنزلها الله تعالى على بعض رسله ، ونؤمن بها إجمالا وبما ورد به النص منها تفصيلا .

المناقشة :

س ١ : ما حكم الإيمان بالكتب؟

س ٢ : على من نزلت الكتب؟

س ٣ : اذكر بعضًا من الكتب التي ورد به النص تفصيلا؟

---

(١) سورة آل عمران الآية (٤).

(٢) سورة التوبة الآية (٦).

(٣) سورة فصلت الآيتان (٤١ : ٤٢).

(٤) سورة النحل الآية (٨٩).

(الإيمان بالرسل)

وبالرسل : اعتقاد أن الله أرسلهم إلى الخلق ، ونزههم عن كل وخيمة ونقص ، فهم معصومون من الصغائر والكبائر ، قبل النبوة وبعدها .

اللغة : (نزههم) شرفهم وكرمهم وأعلاهم (وخيمة) صفة ردية . (معصومون) أي معافون ولا يجوز أن تصدر منهم (كبائر) جمع كبيرة ، وهي كل ما ورد في شأنه وعيد شديد في الكتاب والسنة .

الشرح : الإيمان بالرسل هو الركن الرابع من أركان الإيمان ، ويتضمن الإيمان بأن الله تعالى اختار رسلاً من الناس كما قال تعالى : «ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ»(١) .

منهم من علمنا حيث قصهم الله علينا في كتابه ، ومنهم من لم نعلم ، حيث قال الله عز وجل : وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ »(٢) .

وأولهم نوح عليه السلام وآخرهم وأفضلهم محمد ﷺ ، وقد أرسلهم الله تعالى إلى الناس ليدعوهم إلى عبادة الله تعالى ويبشرون من أطاعهم بالجنة ، وينذروا من عصاهم بالنار ، قال تعالى : «رسلاً مبشرين ومنذرين لئلايكون للناس على الله حجة بعد الرسل» . وقد نزههم الله تعالى عن العيوب والنقائص التي تقدح في أهليتهم للرسالة والبلاغ عن الله تعالى ، كالكذب والخيانة ، وغيرها ، ونزههم عن الآفات المنفرة التي تنفر الناس منهم ، ومسألة عصمتهم من الذنوب فيها تفصيل عند أهل العلم ، أما ما رجحه كثير من المحققين منهم ، هو أن الأنبياء معصومون من الشرك ، ومن الكبائر ، وأما الصغائر فقد يتصور وقوعها منهم من غير تعمد ولا عزم عليها ولا سبق إصرار ، والعلم عند الله تعالى .

---

(١) سورة الحج الآية (٧٥) .

(٢) سورة النساء الآية (١٦٤) .

الخلاصة :

الإيمان بالرسل واجب ، على وجه الإجمال ، وبمن ورد به النص تفصيلاً ، وهم مبلغون عن الله رسالاته معصومون من الشرك والكبائر ، وفي عصمتهم من الصغائر خلاف .

المناقشة :

س ١ : ما حكم الإيمان بالرسل؟

س ٢ : اذكر بعضا ممن ورد بهم النص تفصيلاً من الرسل .

س ٣ : تكلم عن مسألة عصمة الأنبياء من الذنوب .

الإيمان باليوم الآخر

وباليوم الآخر : اعتقاد وجوده وما اشتمل عليه من سؤال الملكين ، ونعيم القبر أو عذابه ، والبعث والجزاء ، والحساب ، والميزان ، والصراط ، والجنة ، والنار .

اللغة : (اليوم الآخر) يوم القيامة . (البعث) الإحياء بعد الموت . (الصراط) الطريق والمراد به جسر جهنم .

الشرح : إن الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان ، وهو في الحقيقة أهم الأركان بعد الإيمان بالله تعالى ، ولهذا فكثيرا ما يقرن الله تعالى بين هذين الركنين في كتابه ، كما في مثل قوله تعالى : «لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ»(١)، وكذلك النبي ﷺ حيث كان كثيرا ما يقول «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليفعل كذا أو فليقل كذا» . .

وهذا الركن مهم جدا لأنه يضبط سلوك الإنسان ويجعله مستقيما على منهج الله رجاء الأجر والثواب ، وخوفا من الوزر والعقاب .

فيجب على الإنسان أن يعتقد بوجود اليوم الآخر وبأنه حق لا ريب فيه .

ويدخل فيه الإيمان بما يتقدمه من سؤال الملكين في القبر ، وهو ثابت بالأحاديث الصحيحة منها قوله ﷺ : «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه ، وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل؟ لمحمد ﷺ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله . فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار . قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة ، فيراهما جميعا . (قال قتادة : وذكر لنا أنه يفسح له في قبره) ، وأما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول : لا أدري . . كنت أقول ما يقول الناس . فيقال لا دريت ولا تليت ، ويضرب بمطارق من حديد ضربة ، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين»(٢) .

---

(١) سورة الأحزاب الآية (٢١) .

(٢) البخاري (٣/ ٢٧٥) ح ١٣٧٤ في الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر ، مسلم (٤/ ٢٢٠٠) ج ٢٨٧٠ في الجنة وصفة نعيمها باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ، كلاهما من حديث قتادة عن أنس مرفوعاً .

فهذا الحديث وغيره نص في إثبات سؤال القبر ، ونعيمه وعذابه ، والأحاديث في شأن القبر متواترة كما ذكر بعض العلماء .

ومن الإيمان باليوم الآخر ، الإيمان بالبعث وبأن الله يحيي الناس بعد موتهم فيحاسبهم كما قال تعالى : « يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا »(١) . وقوله تعالى : « زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ »(٢) .

ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجزاء ، كما قال تعالى : « ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ »(٣) ، فالحسنة بعشر أمثالها أو يزيد ، والسيئة بمثلها أو يعفو ، كما قال تعالى : « مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ »(٤) .

ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالميزان كما قال تعالى : « وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا »(٥) وهو ميزان عظيم له كفتان ، توزن به الحسنات والسيئات فمن رجحت كفة حسناته فهو من أهل السعادة ، ومن رجحت كفة سيئاته فهو من أهل الشقاوة .

ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجنة والنار ، فالجنة دار المتقين الصالحين ، كما قال تعالى : « وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ »(٦) . وقال تعالى : « ومن

---

(١) سورة المجادلة الآية (٦) .

(٢) سورة التغابن الآية (٧) .

(٣) سورة غافر الآية (١٧) .

(٤) سورة النمل الآيتان (٨٩ : ٩٠) .

(٥) سورة الأنبياء الآية (٤٧) .

(٦) سورة النحل الآيتان (٣٠ : ٣١) .

يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ (١) .

والنار هي دار العصاة الفجرة ، والكفرة ، كما قال تعالى : « وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ »(٢) . وقال تعالى أيضا : « إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ »(٣) .

فالجنة والنار هما الداران اللتان لابد للمرء من سكني إحداهما يوم القيامة ، وهما موجودتان مخلوقتان الآن ، ولا تفنيان بل الإنسان إما في نعيم سرمدي لا ينقطع ، وإما في عذاب أبدي لا ينتهي .

الخلاصة :

الإيمان باليوم الآخر واجب ، ويدخل فيه الإيمان بأحوال القبر ، وشدائد القيامة ، والحساب ، والجزاء ، والجنة والنار ، وغير ذلك .

المناقشة :

س ١ : ما حكم الإيمان باليوم الآخر؟

س ٢ : ما أثر الإيمان به على سلوك المسلم؟

س ٣ : اذكر بعضا من مسائل الإيمان باليوم الآخر التي تعرفها .

---

(٢) سورة النساء الآية (١٣).

(٣) سورة النساء الآية (١٤).

(٤) سورة الكهف الآية (١٠٢).

(الإيمان بالقدر)

وبالقدر : اعتقاد أن ما قدره الله في الأزل لابد من وقوعه ، وما لم يقدره يستحيل وقوعه ، وأنه تعالى قدر الخير والشر قبل خلق الخلق ، وأن جميع الكائنات بقضائه وقدره .

اللغة : (القدر) قدر الشيء حده ومكانه وزمانه ، والمراد هنا المقادير التي يقضيها الله على عباده . (الأزل) القدم . (لابد) لا مفر . (يستحيل) يمتنع ولا يمكن .

الشرح : الإيمان بالقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان ، وهو من أهمها كذلك ، والإيمان به لا يتحقق إلا بتحقق أربع مراتب له وهي :

أولا : العلم ، ومعناه أن الله تعالى علم كل شيء يكون في هذا الكون قبل خلقه ، على وجه التفصيل ، ولم يخف عليه من خلقه خافية ، كما قال تعالى : «إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ»(١) ، وقال تعالى : «وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ»(٢) ، فيجب على العبد الإيمان بالعلم الأزلي السابق لكل شيء ، صغير أو كبير .

ثانيا : الكتابة ، ومعناها الإيمان بأن الله تعالى كتب كل شيء قبل أن يخلق الخلق ، قال تعالى : « مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ »(٣) وقال ﷺ : «إن أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب . قال : يا رب وما أكتب؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة ، من مات على غير هذا فليس مني»(٤) .

(١) سورة آل عمران الآية (٥) .

(٢) سورة يونس الآية (٦١) .

(٣) سورة الحديد الآية (٢٢) .

(٤) أخرجه أبو داود (٥/ ٧٦) ح ٤٧٠٠ في السنة باب القدر من حديث عبادة مرفوعا ، وصححه الألباني في (صحيح الجامع الصغير) [١/ ٤٠٥] ح ٢٠١٨ .

فلا يصح الإيمان بالقدر حتى يؤمن المرء بأن الله تعالى كتب كل شيء يكون في هذا الكون قبل خلقه .

ثالثا : الإرادة ومعناها الإيمان بأن الله تعالى أراد خلق كل شيء ، فكل شيء سوى الله وأسمائه وصفاته وأفعاله مخلوق ، والخير والشر مخلوقان لله تعالى ، وإذا لم يرد الله أمرا فلن يقع ، فما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ومشيئة الله نافذة ، قال عز وجل : « إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ »[١] . وقال عز وجل : « وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ »[٢]. فكل شيء موجود في هذا الكون، إنما وجد بمشيئة الله ، وكل شيء معدوم فلأن الله لم يرد وقوعه ، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وذلك خلافا لمن أنكر بعض ذلك من القدرية وغيرهم .

رابعا : الخلق : ومعناه الإيمان بأن الله تعالى خلق كل شيء ، فما من شيء كائن إلا والله هو الذي خلقه ، حتى أعمال العباد من خير وشر ، الله تعالى هو الذين خلقها ، كما قال عز وجل «وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ»[٣] . وقال تعالى : « ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ »[٤] .

فهذه أربع مراتب ، إذا عدمت إحداها ، عدم الإيمان بالقدر ، وإذا عدم الإيمان بالقدر ، عدم الإيمان بالله تعالى ، ولا يصح إيمان عبد حتى يؤمن بها كلها .

---

(١) سورة الحج الآية (١٨) .

(٢) سورة التكوير الآية (٢٩) .

(٣) سورة الصافات الآية (٩٦) .

(٤) سورة الزمر الآية (٦٢) .

الخلاصة :

الإيمان بالقدر واجب ، وله مراتب أربع . وهي : العلم ، الكتابة ، الإرادة ، الخلق ، ولا يصح الإيمان عند فقد واحدة من هذه الأربع .

المناقشة :

س ١ : ما حكم الإيمان بالقدر؟

س ٢ : تكلم عن مراتب الإيمان بالقدر بالتفصيل .

س ٣ : ما حكم من زعم أن الله لم يخلق الشر؟

(تجديد الإيمان)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «جددوا إيمانكم . قيل : وكيف نجدد إيماننا يا رسول الله؟ قال : أكثروا من قول : لا إله إلا الله» .

اللغة : (جددوا) اجعلوه جديدا غضًا بتعاهدكم إياه وتفقدكم له حتى لا يخلق .

الشرح : ذكر المصنف حديث أبي هريرية رضي الله عنه مرفوعاً : جددوا إيمانكم . .»[1] .

وهذا الحديث يستفاد منه أن قول لا إله إلا الله تجديد للإيمان ، وهو تجديد للإيمان لأن الإنسان قد تنتابه لحظات غفلة ، أو قد يتقادم عليه العهد ، ويطول عليه الأمد فيقسو قلبه ولا يعود إيمانه بذلك القدر الذي ينبغي ، فيجب عليه أن يجدده بالإكثار من قول لا إله إلا الله مع استحضار معناها وتدبره ، فحينئذ يتجدد إيمانه ونشاطه لعبادة الله تماما ، كما أن الكافر عند أول إسلامه وتلفظه بالشهادة واستحضاره معناها يكون إيمانه جديدا غضًا طريًا .

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٩) والحاكم (٤/ ٢٥٦) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وعقب الذهبي بقوله وصدقه ضعفوه ، والبراز (١/ ٣١٩) كشف الأستار ، وأبو نعيم في (الحلية) (٢/ ٣٥٧) من رواية سمير أو شتير بن نهار عن أبي هريرة مرفوعا قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) (١/ ٥٢) رواه أحمد وإسناده جيد وقال في (٢/ ٢١١) : ومداره على صدقة بن موسى الدقيقي ضعفه ابن معين وغيره وقال مسلم بن ابراهيم حدثنا صدقة الدقيقي وكان صدوقا» اهـ وقال في (١٠/ ٨٢) رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات ، وقال العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٣٢) رقم ١٠٦٨ ، رواه أحمد والحاكم والنسائي والطبراني بسند حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه .

الخلاصة :

من تجديد الإيمان أن يكثر الإنسان من قول : لا إله إلا الله .

المناقشة :

س ١ : كيف تجدد إيمانك؟

س ٢ : اذكر واحدة من فضائل لا إله إلا الله .

(تحريم النار على الموحدين)

وعن عتبان بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله قد حرم على النار من قال : لا إله إلا الله ، يبتغي بذلك وجه الله» .

اللغة : (يبتغي) يطلب ويلتمس .

الشرح : أورد المصنف رحمه الله حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً : «إن الله قد حرم على النار من قال : لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»[1] .

ويستفاد منه أن من قال لا إله إلا الله مخلصا من قلبه ، يريد بها وجه الله سبحانه وتعالى فإن النار محرمة عليه ، هذا مع القيام بحقها من صرف العبادة لله تعالى ، وإخلاص الدين له سبحانه ، وطاعته فيما يأمر ، واجتناب معصيته ، وعدم الإتيان بما يناقضها .

وتحريمه على النار إما أن يكون تحريما ابتداء فلا يدخلها أصلا ، وإما لو دخلها بسبب ذنوبه فإنه لا يخلد فيها .

والظاهر من الحديث المعنى الأول ، ولكن يحمل على ما لو كان قد فقه معناها ، وعمل بمقتضاها ولم يأت بما يناقضها .

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٧٣) ح ١١٨٦ في التهجد باب صلاة النوافل جماعة ، ومسلم (١/ ٤٥٥) ح ٦٥٨ في المساجد ومواضع الصلاة باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر ، كلاهما من حديث محمود بن الربيع عن عتبان مرفوعا .

الخلاصة :

حرم الله تعالى النار على كل من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه .

المناقشة :

س ١ : اذكر بعضا من فضائل لا إله إلا الله .

س ٢ : ما معنى تحريم النار على من قال لا إله إلا الله؟

(أفضل الذكر وأفضل الدعاء)

وعن جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «أفضل الذكر : لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء : الحمد لله» .

اللغة : (الذكر) مصدر ذكر والمقصود هنا أفضل ما يذكر به المرء ربه . (الدعاء) مصدر دعا أي توجه بطلب الخير .

الشرح : أورد المصنف رحمه الله حديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً : «أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وافضل الدعاء الحمد لله»[1] .

وهذا الحديث فيه فضيلة كبرى لقول لا إله إلا الله ، فهي كلمة التوحيد ، وكلمة الإخلاص وكلمة التقوى ، وهي أصل الإسلام ، ولا يصبح الكافر مسلمًا إلا بقولها والتلفظ بها وهي كذلك الكلمة التي قاتل النبي ﷺ أصناف المشركين حتى ينطقوا بها ، ويعملوا بمقتضاها ، فهي أعظم كلمة يقولها إنسان ، وهي أحب الكلام إلي الله لأنه فيها إقرارا له باستحقاق العبودية ، وفيها كفر بكل ما يعبد من دونه ، وخلع للأنداد والآلهة الباطلة .

وفي الحديث أيضا فضيلة للحامدين ، وفضيلة لقول الحمد لله ، فهي اعتراف لله تعالى بأنه صاحب النعم ومواليها ، وتوجه له سبحانه بالشكر وحده ، وطلب لمرضاته سبحانه بالإقرار له بذلك .

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٢٠٨) ح ١٠٦٦٧ في عمل اليوم والليلة باب ١٩٩ أفضل الذكر وأفضل الدعاء والترمذي (٥/ ٤٦٢) ح ٣٣٨٣ في الدعاء باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة ، وقال حسن غريب ، وابن ماجة (٢/ ١٢٤٩) ح ٣٨٠٠ باب فضل الحامدين ، وابن حبان (٢/ ١٠٤) ح ٨٤٣ (إحسان) والحاكم (١/ ٤٩٨ ، ٥٠٣) وصححه ووافقه الذهبي ، كلهم من طريق طلحة بن خراش عن جابر مرفوعا . وحسنه الألباني في (صحيح الجامع الصغير) (١/ ٢٤٨) رقم ١١٠٤ .

الخلاصة :

كلمة لا إله إلا الله هي أفضل الذكر ، وكلمة الحمد لله أفضل الدعاء .

المناقشة :

س ١ : ما هو أفضل ذكر يذكر به الإنسان ربه؟

س ٢ : أذكر أفضل دعاء .

(من فضائل لا إله إلا الله)

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : «قال موسى : يا رب علمني شيئا اذكرك به وادعوك به؟ قال : قل : لا إله إلا الله . قال : يا رب كل عبادك يقول هذا ، إنما أريد شيئا تخصني به . قال يا موسى لو أن السموات السبع والارضين السبع في كفة ، ولا إله إلا الله في كفة ، مالت بهن لا إله إلا الله» ، وعن معاذ أن رسول الله ﷺ قال : «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» .

اللغة : (تخصني به) تجعله لي خالصًا دون غيري وتفضلني عليه .

الشرح : مازال المؤلف يبين فضل لا إله إلا الله ، فأورد حديث موسى عليه السلام : «يا رب علمني شيئا . .»[1] . وفي هذا الحديث بيان لفضل هذه الكلمة وأنها ترجح بالسموات والأرض لو وزنت بهن ، وأن كل صالحي الخلق من النبيين والصديقين والصالحين والملائكة وغيرهم ، كلهم يتقربون إلى الله تعالى ، بهذه الكلمة العظيمة ، وأنها أفضل ما يتلفظ به العبد ، وخير ما يلهج به الذاكرون .

وساق كذلك في الباب حديث معاذ رضي الله عنه مرفوعاً : «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»[2] ، فهذا الحديث كذلك مما يبين فضل لا إله إلا الله ، ومنزلتها ، وأن من ختم له بها ، وكانت آخر كلامه من الدنيا ، دخل الجنة ، وقد يكون المقصود دخولها ابتداء ، أو دخولها بعد المعاقبة بذنوبه والأظهر الأول ، وأن من أراد الله به الخير ، وتجاوز عن ذنوبه ، وكتب له الجنة ابتداء ، جعل من فضله هذه الكلمة هي آخر ما يتلفظ به من هذه الدنيا .

---

(١) أخرجه ابن حبان (٨/ ٣٥) ح ٦١٨٥ (إحسان) والحاكم (١/ ٥٢٨) وصححه ووافقه الذهبي ، وأبو نعيم في (الحلية) (٨/ ٣٢٨) والبيهقي في (الأسماء والصفات) (ص١٢٨) وأبو يعلى في مسنده (٢/ ١٣٥) ح ١٣٨٩ ، والحكيم الترمذي في (النوادر) (ص ٣٣٧) كلهم من طريق أبي الهيثم عن أبي سعيد مرفوعا ، قال الهيثمي في (المجمع ١٠/ ٨٢) : رجاله وثقوا ، وفيهم ضعف .

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٣) وأبو داود (٣/ ٤٨٦) ح ٣١١٦ في الجنائز في التلقين ، والحاكم (١/ ٣٥١) وصححه ووافقه الذهبي ، لهم من حديث كثيرمرة عن معاذ مرفوعا ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١١٠٥) برقم ٦٤٧٩ .

فصل في الردة

هي أفحش أنواع الكفر ، قال الله تعالى : «إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا» . وقال تعالى : «إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ، وما للظالمين من أنصار» . وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «من بدل دينه فاقتلوه» .

اللغة : (الردة) الرجوع إلى الكفر بعد الإسلام . (أفحش) أخطر وأفظع . (ما دون ذلك) ماهو أقل من ذلك . (ضلالا) الضلال هو البعد عن الحق والانحراف عنه (أنصار) . جمع نصير وهو المعين . (بدل) غيّر .

الشرح : إنما كانت الردة أفحش أنواع الكفر لأنها رجوع إلى الكفر بعد معرفة الحق ، وضلالا بعد هدى وغي بعد رشاد ، فلذلك كانت أفحش من الكفر الذي لم يتقدمه معرفة الحق .

ثم أورد المصنف بعضا من النصوص في شأن الردة موضحة لخطر شأنها وفحشها ، منها قوله تعالى : «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيدا»(١) .

وتوضح الآية أن الشرك بالله تعالى : ومنه الردة - لا يغفره الله عز وجل لفاعله أبدا ، وأنه ضلال ليس بعده ضلال ، لأنه إضاعة لخالص حق الله تعالى ، وصرف له إلى غيره ، وأما ما سواه من المعاصي وإن كبرت ، فإن أمرها قريب ، والله تعالى يغفرها لمن أراد به الخير من عباده .

وأتى كذلك بقوله تعالى : « إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ »(٢) ، وتوضح الآية كذلك غلظ تحريم الشرك ، وأن فاعله لا يدخل الجنة ولا يشم ريحها ، فهي محرمة عليه أبد الآبدين ، بل إن

(١) سورة النساء الآية (١١٦) .

(٢) سورة المائدة الآية (٧٢) .

جهنم هي مقره ومثواه ، وذلك لأنه ظالم أشد الظلم بصرفه خالص حق الله إلى غيره ، كما قال تعالى : « إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ »[١] .

ثم أتى المصنف بما يبين حكم الله تعالى في المرتد ، وما ينبغي أن يعاقب به ، وهو القتل ، إذا استتيب فلم يتب ، ولم يرجع إلى دين الإسلام ، وذلك في قوله ﷺ : «من بدل دينه فاقتلوه»[٢] .

ومقصود الحديث ليس عموم تبديل الدين ، إنما المراد منه التحول عن دين الإسلام إلى غيره بعد إسلامه .

الخلاصة :

الردة هي أفحش أنواع الكفر على الإطلاق ، وقد وردت النصوص الكثيرة في بيان شناعتها .

المناقشة :

س ١ : عرف الردة .

س ٢ : لماذا كانت الردة أفحش أنواع الكفر؟

---

(١) سورة لقمان الآية (١٣) .

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ١٧٣) ح ٣٠١٧ في الجهاد باب لا يعذب بعذاب الله و (١٢/ ٢٧٩) ح ٦٩٢٢ في استتابة المرتدين باب حكم المرتد من حديث عكرمة عن ابن عباس مرفوعا .

(من أنواع الردة)

واعلم أن من أنواعها : أن يعزم مكلف مختار على الكفر في زمن قريب أو بعيد فيكفر حالا ، وأن يعتقد قدَم العالم ، أو الروح ، أو حدوث الصانع ، أو ينفي ما هو ثابت لله تعالى بالإجماَع كالعلم والقدرة ، أو يعتقد وجوب غير واجب كصلاة سادسة ، أو صوم غير رمضان ، وكأن يسجد لمخلوق كصنم أو شمس أو يلقي ورقة فيها شيء من القرآن ، أو العلم الشرعي ، أو اسم الله تعالى ، أو اسم نبي ، في مستقذر أو ينكر نبوة نبي أجمع عليها ، أو إنزال كتاب ، كذلك كالتوراة والإنجيل ، أو ينكر وجوب واجب ، أو تحريم حرام علم من الدين ضرورة ، أو ينكر إعجاز القرآن ، أو البعث ، أو الجنة ، أو النار ، وكأن يفضل الولي على النبي ، أو يجوز بعثه نبي بعد نبينا ﷺ . وكأن يقول إنه رأى الله عيانًا في الدنيا ، أو أن الله يحل في صورة حسنة ، أو أسقط عنه الحلال والحرام ، أو استخف بالأذان ، او قال شبعت من القرآن ، أو الصلاة ، أو لا أخاف القيامة أو قال أي شيء هذا الشرع؟ أو قال : مطرنا بنجم كذا ، مريدا أن للنجم تأثيرا فيه ، أعاذنا الله من الكفر ، وحمانا مما يجر إليه .

اللغة : (يعزم) يصمم وينوي . (مكلف) يجري عليه القلم وهو المسلم البالغ العاقل . (حالاً) للتو . (قدم) أبدية . (مستقذر) ما تستقذره النفوس كالحشوش - أي الخلاء - وغيرها . (ينكر) يجحد ويكذب . (إعجاز) مصدر أعجز أي أعيا الناس أن يأتوا بمثله . (الولي) هو كل مؤمن تقي صالح . (عيانا) أي معاينة بعيني رأسه (يحل) يتجسد . (يجر) يؤدي إليه ويوقع فيه .

الشرح : الدخول فيه وبعد انشراح الصدر للإسلام .

* ثم شرع المصنف رحمه الله في بيان بعض من أشكال الارتداد عن الإسلام ، ونواقضه ، فذكر منها عزم المكلف على الكفر فيكفر حالا ، وذلك لأنه نوى وصمم ووطن نفسه على أن يكفر بالله تعالى ، فهذا يكفر للحال لأنه كما قال

تعالى : «وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ»(١) . فهذا يكفر بمجرد العزم على الكفر ويصبح مرتداً خارج عن الإسلام ، وهو مؤاخذ بمجرد العزم والإرادة ، هنا لأنه وطن النفس على الفعل .

* ومن أنواع الردة أن يعتقد الإنسان قدم العالم ، فيظن أن هذا الكون قديم لا أول له ، إذ إن هذا معناه أنه ليس بمخلوق ، والله تعالى يقول : «ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ»(٢) ، وكل مخلوق محدث .

* وكذلك من اعتقد قدم الروح ، والقول فيها كالقول في المسألة التي قبلها .

* ومنها من اعتقد حدوث الصانع سبحانه وتعالى ، فإن هذا مناقض لقوله تعالى : «هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ»(٣) . فالله تعالى أول بلا ابتداء ، فلو قيل بالحدوث لكان حادثاً وكائناً بعد أن لم يكن ، وهذا من أمحل المحال وأبطل الباطل ، وأعظم مظاهر الكفر .

*ومن أعظم أنواع الردة أن ينفي الإنسان عن الله تعالى ما ثبت في حقه بالإجماع من صفات الكمال ، كالعلم والقدرة ، قال تعالى : «عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ »(٤) . وقال تعالى : « إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ »(٥) وقال عز وجل : «إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾»(٦) . وقال : « وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا»(٧) .

(١) سورة النحل الآية (١٠٦) .
(٢) سورة الزمر الآية (٦٢) .
(٣) سورة الحديد الآية (٣) .
(٤) سورة سبأ الآية (٣) .
(٥) سورة آل عمران الآية (٥) .
(٦) سورة البقرة الآية (٢٠) .
(٧) سورة فاطر الآية (٤٤) .

فالنافي لهذه الصفات متهم لله تعالى بالعيب والتقصير نافٍ لما يجب له من الكمال .

ومن أنواع الردة عن الإسلام التي ذكرها المؤلف رحمه الله ، أن يعتقد الإنسان أن الله قد أوجب شيئا ليس بواجب في الدين ، كوجود صلاة سادسة مع الصلوات الخامسة ، أو أن يعتقد وجوب صيام غير صيام رمضان ، فهذا يكفر لأنه شرع من عنده بغير تشريع الله تعالى ، وقد قال الله تعالى : «وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ»(١) . وقال عز وجل: « أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ »(٢) .

* ومن مظاهر هذه الردة كذلك أن يسجد المرء لغير الله تعالى ، فالسجود عبادة لا تنبغي إلا لله عز وجل ، وصرفها لغيره سبحانه إشراك في عبادته ، قال تعالى : « يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ »(٣). فالسجود لغير الله تعالى عبادة ، أو تعظيماً ، إشراك به عز وجل وارتداد عن الإسلام .

* ومن مظاهر الردة عن الإسلام هذه أن يلقي المرء ورقة فيها اسم الله أو كلامه ، أو اسم نبي أو علم شرعي أن يلقيها في مستقذر كبيت الخلاء مثلا ، وذلك إذا كان محتقرا لها ، أو إذا كان مستهزئا لأن الواجب على المسلم تعظيم الله تعالى وكلامه ، وتعظيم العلم الموصل إليه ، والرسل الداعين له ، فإذا أتى بما ينافي هذا التعظيم من تحقير واستهزاء فهو مرتد عن الإسلام ، وقد قال الله تعالى في كتابه : « قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ »(٤) ، وينبغي كذلك أن يكون متعمدا فإنه لو سقطت منه الورقة بغير

(١) سورة النحل الآية (١١٦) .

(٢) سورة الشورى الآية (٢١) .

(٣) سورة آل عمران الآية (٤٣) .

(٤) سورة التوبة الآيتان (٦٥ :٦٦) .

تعمد لم يكفر بذلك ، وقد قال تعالى : «رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا»[١] . وقال أيضا : «وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ»[٢] .

وكذلك من أنواع الردة التي ساقها المؤلف ، إنكار نبوة نبي من الأنبياء ممن ورد النص أو الإجماع بإثبات نبوته ، كإبراهيم عليه السلام ، أو موسى أوعيسى أو غيرهم صلوات الله عليهم جميعا ، فإن هذا تكذيب لخبر الله تعالى وخبر رسوله ﷺ .

* ومنها إنكار إنزال كتاب معين من كتب الله تعالى كالتوراة والإنجليل ، فإن هذا إنكار لكتاب الله تعالى وتكذيب لخبره ، حيث قال سبحانه وتعالى : «وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ»[٣] .

* ومن أنواع الردة إنكار وجوب واجب كالصلاة أو الزكاة ، فهو تكذيب للنص والإجماع ، قال تعالى: «وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ»[٤]، وهكذا كل ما ثبت وجوبه نصًا أو إجماعًا .

* ومنها كذلك إنكار تحريم ما علم من الدين ضرورة تحريمه ، كالزنا والخمر والسرقة والربا وغيرها مما وردت النصوص بتحريمه ، وأجمعت الأمة على القول بحرمته ، بل كل الشرائع والأمم اتفقت على تحريمه وفحشه .

* ومنها إنكار إعجاز القرآن ، فإنه تكذيب لخبر الله حيث قال : «قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾»[٥] .

(١) سورة البقرة الآية (٢٨٦) .
(٢) سورة الأحزاب الآية (٥) .
(٣) سورة آل عمران الآيتان (٣-٤) .
(٤) سورة المزمل الآية (٢٠) .
(٥) سورة الإسراء الآية (٨٨) .

* ومنها إنكار البعث ، قال تعالى : «زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ »(١) .

* ومنها إنكار وجود الجنة أو النار ، قال تعالى : «إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا(٢) . وقال : «إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ »(٣) .

* ومنها كذلك تفضيل الولي على النبي ، فإن الواجب اعتقاد تفضيل نبي واحد على جميع الأولياء وقد قال تعالى : «ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ»(٤) . وقال أيضا : « إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ »(٥) .

* ومنها جوَّز بعثة نبي بعد نبينا محمد ﷺ ، فإن هذا مناقض لقوله تعالى : «مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ»(٦) .

فمن زعم النبوة لنفسه أو لغيره بعد رسول الله ﷺ فهو كافر بالله العظيم .

ومن أنواع الردة كذلك من قال إنه قد رأى ربه بعينيه في هذه الدنيا ، فإن الله عز وجل قال : «لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ »(٧)، ولما سأل موسى عليه السلام ربه الرؤية قال له : «لَن تَرَىٰنِي»(٨) . فالمؤمنون يرون ربهم في الجنة بأعينهم ، أما في الدنيا فلا يراه أحد .

* ومنها من زعم أن الله يتمثل في صورة حسنة ، لأن الله تعالى قال : «لَيْسَ

(١) سورة التغابن الآية (٧) .

(٢) سورة الكهف الآية (١٠٧) .

(٣) سورة الكهف الآية (١٠٢) .

(٤) سورة الحج الآية (٧٥) .

(٥) سورة آل عمران الآية (٣٣) .

(٦) سورة الاحزاب الآية (٤٠) .

(٧) سورة الأنعام ، الآية (١٠٣) .

(٨) سورة الأعراف الآية (١٤٣) .

كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»[١] . ومن ادعى التشابه بين الخالق والمخلوقين في شيء فقد كفر .

* ومنها من زعم أن الله تعالى أسقط عنه تكاليف الحلال والحرام ، فإن هذا إنكار لدلالة الكتاب والسنة ، ومخالفة للإجماع ، وافتراء على الله تعالى .

* ومنها الاستخفاف بالأذان لأنه استهزاء بشعائر الله ، قال تعالى : « قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ »[٢] .

* ومنها أن يقول الإنسان شبعت من القرآن ، أو من الصالة ، إذ معنى هذا أنه لا يريد القرآن ولا الصلاة ، ولا يريد الدين أيضا .

* ومنها من قال لا أخاف القيامة ، فإنه إن قصد أنه لا يخاف منها أصلا تهوينا لشأنها كفر ، لأن الله تعالى أمرنا بأن نخاف من يوم القيامة وأنتحذره ووصف المؤمنين بأنهم : « يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ »[٣] . وإن قصد أنه آمن من يوم القيامة فإن الله تعالى قال في كتابه : « أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ »[٤] .

* ومنها من قال : أي شيء هذا الشرع؟ إذا كانت على وجه الانتقاص أو الاستهزاء أو التحقير أو الاستهانة ، فكلها كفر لأنها قدح في كمال الله تعالى في شرعه .

* ومنها من قال : «مطرنا بنجم كذا» . مريداً أن للنجم تأثيرا فيه ، فإن هذا مدع للمخلوق ما لا يقدر عليه إلا الله ، وقد قال تعالى في الحديث القدسي : «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله وبرحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»[٥] .

---

(١) سورة الشورى الآية (١١) .

(٢) سورة التوبة الآيتان (٦٥ :٦٦) .

(٣) سورة النور الآية (٣٧) .

(٤) . سورة الأعراف الآية (٩٩) .

(٥) أخرجه البخاري (٢/ ٣٨٨) ح ٨٤٦ في الأذان يستقبل الإمام الناس إذا سلم ومسلم (١/ ٨٣ :٨٤) ح ٧١ في الإيمان باب بيان كفر من قال مطرنا بالنور ، كلاهما من حديث عبدالله بن عبدالله عن زيد خالد مرفوعاً .

فكل هذه الصور المذكورة مما يكفر به المرء ويخرج به من الإسلام والعياذ بالله تعالى . غير أنه لابد من التنبيه إلى أن هناك موانع تمنع التكفير كمن فعل شيئا مكرها ، أو جاهلا أو غير ذلك ، وهي مسألة فيها تفصيل .

الخلاصة :

للردة أنواع ومظاهر كثيرة يجب على المسلم معرفتها والحذر منها ، حتى لا يقع فيها وحتى لا يحبط عمله .

المناقشة :

س ١ : هل يحبط عمل المرتد أم لا؟

س ٢ : اذكر بعضًا من مظاهر الردة المخرجة من الملة .

س ٣ : ما حكم من فعل شيئا مما ذكر جاهلاً أو مكرهًا؟

الثبات على العقيدة الصحيحة

عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال : «كان ملك فيمن كان قبلكم ، وكان له ساحر فلما كبر قال للملك : إني قد كبرت ، فابعث إليّ غلامًا أعلمه السحر ، فبعث إليه غلامًا يعلمه فكان في طريقه إذا سلك راهب ، فقعد إليه ، وسمع كلامه فأعجبه ، فكان إذا أتى الساحر مرَّ بالراهب وقعد إليه ، فإذا أتى الساحر ضربه ، فشكا ذلك إلى الراهب ، فقال : إذا خشيت الساحر فقل : حبسني أهلي ، وإذا خشيت أهلك فق : حبسني الساحر ، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس ، فقال : اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجرا فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها ، ومضى الناس ، فأتى الراهب فأخبره ، فقال له الراهب : أي بني ، أنت اليوم أفضل مني ، قد بلغ من أمرك ما أرى ، وإنك ستبتلى ، فإن ابتليت فلا تدل عليّ .

وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ، ويداوي الناس من سائر الأدواء ، فسمع جليس للملك كان قد عمى فأتاه بهدايا كثيرة ، فقال : ما ها هنا لك أجمع إن أنت شفيتني . فقال : إني لا أشفي أحدا ، إنما يشفي الله ، فإن أنت آمنت بالله ، دعوت الله فشفاك . فآمن بالله ، فشفاه الله فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس ، فقال له الملك : من ردَّ عليك بصرك؟ قال : ربي قال : ولك رب غيري؟ قال : ربي وربك الله . فأخذه ، فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الغلام فجيء بالغلام ، فقال له الملك : أي نبي قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص ، وتفعل وتفعل فقال : إني لا أشفي أحدا ، إنما يشفي الله . فأخذه ، فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الراهب ، فجيء بالراهب ، فقيل له : ارجع عن دينك . فأبى ، فدعا بالمئشار ، فوضع المئشار في مفرق رأسه ، فشقه حتى وقع شقاه ، ثم جيء بجليس الملك ، فقيل له : ارجع عن دينك . فأبى ، فوضع المئشار

في مفرق رأسه ، فشقه به حتى وقع شقاه ، ثم جيء بالغلام ، فقيل له : ارجع عن دينك . فأبى ، فدفعه إلى نفر من أصحابه ، فقال : اذهبوا به الى جبل كذا وكذا ، فاصعدوا به الجبل ، فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه ، فذهبوا به فصعدوا به الجبل ، فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت ، فرجف بهم الجبل فسقطوا ، وجاء يمشي إلى الملك ، فقال له الملك ما فعل أصحابك؟ فقال : كفانيهم الله . فدفعه إلى نفر من أصحابه ، فقال : اذهبوا به ، فاحملوه في قرقور ، فتوسطوا به البحر ، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه ، فذهبوا به ، فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت ، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ، وجاء يمشي إلى الملك ، فقال له الملك : ما فعل أصحابك؟ قال : كفانيهم الله . فقال للملك : إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به . قال : وما هو؟ قال : تجمع الناس في صعيد واحد ، وتصلبني على جذع ، ثم خذ سهما من كنانتي ، ثم ضع السهم في كبد القوس ، ثم قل باسم الله رب الغلام ، ثم ارمني ، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني . فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ، ثم أخذ سهما من كنانته ، ثم وضع السهم في كبد القوس ، ثم قال : باسم الله رب الغلام ، ثم رماه ، فوقع السهم في صدغه ، فوضع يده في صدغه في موضع الصدغ ، فمات . فقال الناس : آمنا برب الغلام ، آمنا برب الغلام ، آمنا برب الغلام . فأتى الملك فقيل له : أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرك ، قد آمن الناس . فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخدت واضرم النيران ، وقال : من لم يرجع عن دينه فاحموه فيها ، أو قيل له : اقتحم ، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها ، فقال لها الغلام : يا أمه !! *اصبري فإنك على الحق*» .

اللغة : (ساحر) هو المشتغل بالسحر ويظهر الإتيان بالخوارق . (راهب) عابد (سلك) مشى (حبسني) أخَّرني (ستبتلى) ستختبر (الأكمه) من ولد أعمى (الأبرص) من به برص ، وهو مرض جلدي يصيب الجلد ببقع بيضاء . (تبريء)

تشفي . (المئشار) المنشار . (مفرق) موضع انفراق الشعر . (ذروته) أعلاه . (قرقور) سفينة صغيرة . (انكفأت) انقلبت . (كنانتي) حقيبة سهامي . (صعيد) أرض بارزة . (كبد القوس) مقبضها عند الرمي . (الصدغ) جانب الرأس ما بين الخد والأذن والعين والجبهة . (حذرك) ، ما كنت تخافه . (الأخدود) شق عظيم في الأرض (أفواه السكك) أبواب الطرق (احموه) ارموه (تقاعست) تباطأت وترددت .

الشرح : هذا الحديث الصحيح يحكي لنا فيه النبي ﷺ قصة ذلك الغلام الذي أريد له أن يكبر ساحرا ، ولكن تداركته رحمة الله تعالى ، فاختلف إلى ذلك الراهب الصالح وعرف منه الدين الصحيح فتمسك به ، ثم ازداد يقينه بما رآه من قدرة الله يوم أن رمى الدابة العظيمة فقتلها ، وما منَّ الله به عليه بعد ذلك من شفاء المرضى ومعالجتهم من كل الأمراض حتى انتشر خبره ، ولكن الملك الخبيث لم يعجبه ذلك ، ولم يرض بأن تظهر دعوة الحق في بني قومه ، فقتل الراهب الذي كان أصل الدعوة ، ثم ثنى بعد ذلك بقتل جليسه ـ جليس الملك ـ الذي كان أول من آمن بالغلام ، ثم حاول قتل الغلام بكل وسيلة ، لكن الله تعالى منعه وحماه ، فلم يقدر عليه ، غير أن الغلام أراد أن يضحي بنفسه في سبيل نشر دعوة الحق ، وحتى يؤمن الناس بالله ، وقد تحقق ذلك بالفعل ، غير أن الملك أراد منهم أن يرتدوا فأبوا ، فخدلهم الأخدود وأحرقهم بالنار حتى يرجعوا عن دينهم فأبوا عليه ، وتمسكوا بدين الحق ، وهكذا دعوة الحق إذا خالطت بشاشتها القلوب لم يردها شيء على أعقابها .

وقد أورد المصنف هذا الحديث في باب الردة لمناسبة ان الملك اراد من الناس ان يرتدوا عن دينهم فأبوا وثبتوا على دينهم الحق ، وهذا الحديث العظيم يستفاد منه فوائد كثيرة نذكر منها ما يلي :

١ ـ أن الحق قد يخفى على عامة الناس ولا يعرفه إلا القليل .

٢ ـ أن الظالمين دائمًا يحاولون رد الناس عن الحق بمختلف الوسائل .

٣ ـ أن الداعية إلى الله لابد أن يثبت على الحق ولا يترخص .

٤ ـ أن الأخذ بالعزيمة في مثل هذه الحالات خير من الترخص بإظهار الرجوع عن الدين .

٥ ـ وجوب الثبات على العقيدة الصحيحة .

إلى غير ذلك من الفوائد الكثيرة .

تنبيهات على باب الردة

احدها : أن من ارتكب مكفرا يحبط جميع أعماله ، ويجب عليه قضاء الواجب منها ، وينفسخ النكاح حالا ولو بعد الدخول عن جماعة من الأئمة كأبي حنيفة ، وعند الشافعي أن ثواب العمل يحبط ، ولكن لا يحبط نفس العمل ، أي من حيث إنه لا يجب القضاء ، وأن النكاح ينفسخ حالا وإن كان قبل الدخول ، وبعد العدة إن كان بعده .

اللغة : (مكفرا) عملا يتسبب في كفره (يحبط) يبطل

الشرح : دل ظاهر الكتاب على أن المرتديحبط عمله كله ، فلا ينتفع منه بشيء ، كما قال تعالى : « وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ »(١)

ولكن قد اختلف أهل العلم ، فبعضهم قال إن العمل يحبط بمجرد الإرتداد حتى ولو تاب وأسلم وبعضهم قال إنه لا يحبط إلا إذا مات على الكفر ، واستدل بقوله تعالى : « وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ (٢) » ، وهذا هو الأظهر في نظري وأما مسألة قضاء الواجب من الأعمال ففيها خلاف ، هل يجب عليه القضاء أم لا؟ فأوجب بعضهم القضاء وبعضهم لم يوجبه تنزيلا له منزلة الكافر إذا أسلم فلا يجب عليه قضاء شيء من الأعمال الواجبة وأما النكاح فإنه ينفسخ ولا شك بالردة ، إذ لا يحل شرعاً نكاح المسلمة للكافر ، ولا الكافر للمسلمة ، وإذا قد ارتد أحد الزوجين فقد انفسخ عقد النكاح ، قال تعالى : « لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ »(٣)

(١) سورة الزمر الآية (٦٥) .

(٢) سورة البقرة الآية (٢١٧) .

(٣) سورة الممتحنة الآية (١٠)

الثاني : يجب على الإمام أو نائبه استتابته فوراً ، ويحرم إمهاله ، فإن تاب قبل منه ، وإلا فيقتله بضرب عنقه ولا يدفن في مقبرة المسلمين .

الثالث : أنه يشترط في صحة توبته النطق بالشهادتين ، ويزيد من كفر بإنكار معلوم من الدين بالضرورة اعترافه بما كفر بإنكاره ، وندب لكل مرتد الاستغفار .

اللغة : «استتابته» دعوته للتوبة «إمهاله» تأخيره «ضرب عنقه» قطع رأسه .

الشرح : إذا ارتد مسلم فيجب على ولي الأمر ونائبه أن يستدعيه ويستتيبه ، فيدعوه إلى التوبة إلى الله ، والرجوع عن الكفر إلى الإسلام ، ولا يؤجل في ذلك ، بل يستتاب على الفور بمجرد الحكم عليه بالردة ، فيستتاب ثلاثة أيام ، فإذا تاب قبل منه ، وأوكل أمره إلى الله تعالى ، وإن أحد ضربت عنقه بالسيف ، فيموت مرتداً كافراً ، وعلى هذا لا يدفن في مقابر المسلمين ، إذ أنه والحالة هذه ليس منهم .

وأيضا فإن المرتد لا بد لكي تصح توبته أن يتلفظ بالشهادتين ، لأنه بمثابة الكافر الذي يدخل في الإسلام لأول مرة ، فيلزمه النطق بالشهادتين .

وإذا كان قد كفر نتيجة إنكاره معلوماً من الدين بالضرورة ، كإنكار وجوب الصلاة وتحريم الزنا والخمر لزمه مع التوبة أن يقر ويعترف بما أنكره وكفر بسببه ، كما أنه يندب لكل مرتد الإستغفار مما وقع فيه من عظيم الجرم بالردة عن الإسلام ، ولعل الله أن يغفر له ويقبله .

الخلاصة:

إذا ارتد مسلم حبط عمله ، وانفسخ نكاحه ، ويستتاب ثلاثا فإن تاب وإلا ضربت عنقه فمات كافراً ، ويجب عليه عند التوبة تجديد التلفظ بالشهادتين ، والإقرار بما حجده وأنكره .

المناقشة:

س١ : اذكر ما تعرفه في مسألة حبوط العمل بالردة .

س٢ : هل ينفسخ نكاح المرتد أم لا؟

س٣ : ما الواجب على الإمام تجاه المرتد؟

س٤ : ما هو حد الردة في الإسلام؟

س٥ : هل يشترط التلفظ بالشهادتين لمن تاب من الردة؟

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
عقيدة الإمام الشافعي في التوحيد	١١
عقيدته في القدر	٢٠
عقيدته في الإيمان	٢٣
عقيدته في الصحابة	٢٩
نهيه عن الابتداع والخصومات في الدين	٣٢
نهيه عن الشرك ووسائله	٣٤
نماذج من الشرك التي حذر منها الإمام الشافعي	٤٢
الشرح الميسر على كتاب الإيمان للمليباري	٥١
المقدمة	٥٣
باب الإيمان	٥٥
حديث جبريل	٥٧
وجوب التلفظ بالشهادتين	٦٢
معنى الإيمان بالله	٦٥
الإيمان بالملائكة	٦٩
الإيمان بالكتب	٧٢
الإيمان بالرسل	٧٤

الإيمان باليوم الآخر ٧٦
الإيمان بالقدر ٧٩
تجديد الإيمان ٨٢
تحريم النار على الموحدين ٨٤
أفضل الذكر وأفضل الدعاء ٨٦
من فضائل لا إله إلا الله ٨٨
فصل في الردة ٨٩
من أنواع الردة ٩١
الثبات على العقيدة الصحيحة ٩٨
تنبيهات على باب الردة ١٠٢

جمع الفنون

في شرح جملة متون لعقائد أهل السنة على المذاهب الأربعة

بقلم

د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

الجزء الرابع

دار الإمام الدولة للنشر والتوزيع والإعلام والترجمة

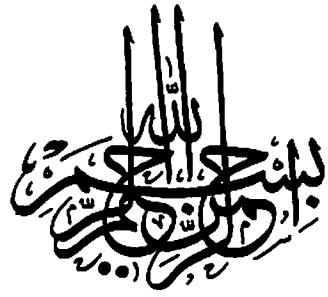

قامت بطباعته وإخراجه

دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع

المركز الرئيسي : الكويت ـ الجهراء ـ مجمع كاظمة التجاري

هاتف : ٤٥٥٧٥٥٩ فاكس : ٤٥٥٧٥٥٨

ص .ب : ١٥١٣ الرمز البريدي : 01017 الجهراء

فرع حولي : شارع الحسن البصري ، ق ٣٧ قسيمة ١٠ ، محل رقم ٣

تلفاكس : ٢٦٤١٧٩٧

الباب الرابع: العقيدة على مذهب الإمام أحمد بن حنبل

الفصل الأول: عقيدة الإمام أحمد بن حنبل من خلال كتبه وأقواله

الفصل الثاني: القواعد الأربع للإمام محمد بن عبدالوهاب التميمي مع شرحها الميسر

الفصل الثالث: رسالة معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه للإمام محمد بن عبد الوهاب التميمي مع شرحها الميسر

الفصل الرابع: تفسير كلمة التوحيد للإمام محمد بن عبدالوهاب التميمي مع شرحها الميسر

الفصل الخامس: كشف الشبهات للإمام محمد بن عبدالوهاب التميمي مع شرحه الميسر

الفصل الأول:

عقيدة الإمام أحمد بن حنبل
من خلال كتبه وأقواله

تأليف
د. محمد بن عبدالرحمن الخميس

المبحث الأول:
عقيدته في التوحيد

(١) «إن الإمام أحمد سُئل عن التوكل، فقال: قطع الاستشراق بالإياس من الخلق»[١].

(٢) وجاء في كتاب المحنة[٢] لحنبل أن الإمام أحمد قال: «لم يزل الله عز وجل متكلماً والقرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق وعلى كل جهة، ولا يوصف الله بشيء أكثر مما وصف به نفسه عز وجل».

(٣) وأورد ابن أبي يعلى عن أبي بكر المروزي قال: «سألت أحمد بن حنبل عن الأحاديث التي تردها الجهمية في الصفات والرؤية والإسراء وقصة العرش فصححها وقال: تلقتها الأمة بالقبول وتمر الأخبار كما جاءت»[٣].

(٤) قال عبدالله بن أحمد في كتاب السُّنَّة: إن أحمد قال: «من زعم أن الله لا يتكلم فهو كافر إلا أننا نروي هذه الأحاديث كما جاءت»[٤].

(٥) وأخرج اللالكائي عن حنبل[٥] أنه سأل الإمام أحمد عن الرؤية فقال: «أحاديث صحاح نؤمن بها ونقر، وكل ما روي عن النبي ﷺ، بأسانيد جيدة نؤمن به ونقر»[٦].

---

(١) طبقات الحنابلة (١/ ٤١٦).

(٢) كتاب المحنة ص (٦٨).

(٣) طبقات الحنابلة (١/ ٥٦).

(٤) السُّنَّة ص (٧١ ط دار الكتب العلمية).

(٥) هو حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال بن أسد أبو علي الشيباني ابن عم أحمد بن حنبل قال عنه الخطيب: «ثقة ثبت» مات سنة «٢٧٣هـ» تاريخ بغداد (٨/ ٢٨٦، ٢٨٧).
وانظر ترجمته في طبقات الحنابلة (١/ ١٤٣).

(٦) شرح اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٢/ ٥٠٧).

(٦) وأورد ابن الجوزي في المناقب كتاب أحمد بن حنبل لمسدد[١] وفيه: «صفوا الله بما وصف به نفسه، وانفوا عن الله ما نفاه عن نفسه...»[٢].

(٧) جاء في كتاب الرد على الجهمية للإمام أحمد قوله: «وزعم . جهم بن صفوان . أن من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه في كتابه أو حدّث عن رسوله كان كافراً وكان من المشبهة»[٣].

(٨) وأورد ابن تيمية في قول الإمام أحمد: «نحن نؤمن بأن الله على العرش كيف شاء وكما شاء بلا حدّ ولا صفة يبلغها واصف أو يحده أحد، فصفات الله منه وله وهو كما وصف نفسه لا تدركه الأبصار»[٤].

(٩) وأورد ابن أبي يعلى عن أحمد أنه قال: «من زعم أن الله لا يرى في الآخرة فهو كافر مكذب بالقرآن»[٥].

(١٠) وأورد ابن أبي يعلى عن عبدالله بن أحمد قال: «سألت أبي عن قوم يقولون: لما كلّم الله موسى لم يتكلم بصوت فقال أبي: تكلم الله بصوت وهذه الأحاديث نرويها كما جاءت»[٦].

(١١) وأخرج اللالكائي عن عبدوس بن مالك العطار قال: سمعت أبا عبدالله أحمد بن حنبل يقول: «..والقرآن كلام الله وليس بمخلوق ولا تضعف أن تقول ليس بمخلوق فإن كلام الله منه وليس منه شيء مخلوق»[٧].

---

(١) هو مسدد بن مسرهد بن مسربل الأسدي البصري قال عنه الذهبي: «الإمام الحافظ الحجة» مات سنة (٢٢٨) هـ، سير أعلام النبلاء (١٠/٥٩١).
وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١٠/١٠٧).

(٢) مناقب الإمام أحمد ص ٢٢١.

(٣) الرد على الجهمية ص ١٠٤.

(٤) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٣٠).

(٥) طبقات الحنابلة (١/ ٥٩، ١٤٥).

(٦) طبقات الحنابلة (١/ ١٨٥).

(٧) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (١/ ١٧٥).

المبحث الثاني:
عقيدته في القدر

(١) أورد ابن الجوزي في المناقب كتاب أحمد بن حنبل لمسدد وفيه: «ويؤمن بالقدر خيره وشره وحلوه ومُرّه من الله»[١].

(٢) وأخرج الخلال عن أبي بكر المروزي قال: «سُئل أبو عبدالله فقال: الخير والشر مقدر على العباد؟ فقيل له: الله خلق الخير والشر، قال: نعم، الله قدره»[٢].

(٣) وجاء في كتاب السُّنَّة للإمام أحمد قوله: «والقدر خيره وشره وقليله وكثيره، وظاهره وباطنه، وحلوه ومُرّه، ومحبوبه ومكروهه، وحسنه وسيئه، وأوله وآخره من الله قضاء قضاه على عباده وقدر قدره، ولا يعدو واحد منهم مشيئة الله عز وجل ولا يجاوز قضائه»[٣].

(٤) وأخرج الخلال عن محمد بن أبي هارون عن أبي الحارث قال: «سمعت أبا عبدالله يقول: فالله عز وجل قدر الطاعة والمعاصي، وقدر الخير والشر، ومن كتب سعيداً فهو سعيد، ومن كتب شقياً فهو شقي»[٤].

(٥) قال عبدالله بن أحمد سمعت أبي وسأله علي بن جهم عمن قال بالقدر(*) يكون كافراً؟ قال: «إذا جحد العلم إذا قال: إن الله لم يكن عالماً حتى خلق علماً فعلم فجحد علم الله فهو كافر»[٥].

---

(١) مناقب الإمام أحمد ص ١٦٩، ١٧٢، ط / دار الآفاق الجديدة.
(٢) السُّنَّة للخلال (ق - ٨٥).
(٣) السُّنَّة ص ٦٨.
(٤) السُّنَّة للخلال (ق - ٨٥).
(٥) السُّنَّة لعبدالله بن أحمد ص ١١٩.
(*) أي يكفر بالقدر ويقول بقول القدرية في منكري القدر.

(٦) فقال عبدالله بن أحمد: «سألت أبي مرة أخرى عن الصلاة خلف القدري، فقال: إن كان يخاصم فيه ويدعو إليه فلا تصل خلفه»[١].

(١) السُّنَّة ص (١/ ٣٨٤).

المبحث الثالث
عقيدته في الإيمان

(١) أورد ابن أبي يعلى عن أحمد قال: «من أفضل خصال الإيمان الحب في الله والبغض في الله»[١].

(٢) وأورد ابن الجوزي عن أحمد قال: «الإيمان يزيد وينقص كما جاء في الخبر: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»[٢]....»[٣].

(٣) وأخرج الخلال عن سليمان بن أشعث[٤] قال: «إن أبا عبد الله قال: الصلاة والزكاة والحج والبر من الإيمان والمعاصي تنقص الإيمان»[٥].

(٤) قال عبدالله بن أحمد: «سألت أبي عن رجل يقول: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص ولكن لا يستثني أمرجئ؟ قال: أرجو ألا يكون

---

(١) طبقات الحنابلة (٢/ ٢٧٥).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٢٥٠) وأبو داوود في كتاب السُّنَّة باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (٥/ ٦٠) ح (٤٦٨٢)، والترمذي في الرضاع باب ماجاء في حق المرأة على زوجها (٣/ ٤٥٧) ح (١١٦٢) جميعهم من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة، وقال عنه الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(٣) مناقب الإمام أحمد ص ١٧٣، وانظر أيضاً ص ١٥٣، ١٦٨.

(٤) هو أبو داوود سليمان بن أشعث بن إسحاق السجستاني صاحب السُّنن، قال عنه الذهبي: «الإمام الثبت سيد الحفّاظ» مات سنة «٢٧٥هـ»، تذكرة الحفّاظ (٢/ ٥٩١)، وانظر ترجمته في تاريخ بغداد (٩/ ٥٥).

(٥) السُّنَّة للخلال (ق - ٩٦).

مرجئاً. سمعت أبي يقول: الحجة على ما(*) لا يستثني قول رسول الله ﷺ، لأهل القبور: «وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون»(١)....»(٢).

(٥) قال عبدالله بن أحمد: «سمعت أبي . رحمه الله . سُئل عن الإرجاء فقال: نحن نقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، إذا زنى وشرب الخمر نقص إيمانه»(٣).

(١) أخرجه مسلم كتاب الجنائز باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها (٢/ ٦٦٩) ح (٩٧٤) من طريق عطاء عن عائشة رضي الله عنها.
(٢) السُّنَّة لعبدالله (١/ ٣٠٧، ٣٠٨)، ط/المحققة.
(٣) السُّنَّة لعبدالله بن أحمد (١/ ٣٠٧).
(*) أي على من لا يرى الاستثناء في الإيمان.

المبحث الرابع:
عقيدته في الصحابة

(١) جاء في كتاب السُّنَّة للإمام أحمد ما يأتي: «ومن السُّنَّة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ، كلهم أجمعين، والكف عن ذكر مساوئهم والخلاف الذي شجر بينهم، فمن سبّ أصحاب رسول الله ﷺ، أو أحداً منهم فهو مبتدع، رافضي خبيث، مجلف، لا يقبل الله منه صرفاً، ولا عدلاً، بل حبهم سُنَّة، والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة». ثم قال: «ثم أصحاب رسول الله ﷺ، بعد الأربعة خير الناس، ولا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا بنقص، فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته، ليس له أن يعفو عنه»[١].

(٢) أورد ابن الجوزي رسالة أحمد إلى مسدد وفيها: «وأن تشهد للعشرة أنهم في الجنة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبدالرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجرّاح ومن شهد له النبي ﷺ، شهدنا له بالجنة»[٢].

(٣) قال عبدالله بن أحمد: «سألت أبي عن الأئمة فقال: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي»[٣].

(٤) وقال عبدالله بن أحمد: «سألت أبي عن قوم يقولون: إن علياً ليس بخليفة، قال هذا قول سوء ردي»[٤].

---

(١) كتاب السُّنَّة للإمام أحمد ص (٧٧ - ٧٨).
(٢) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ١٧٠، ط دار الآفاق الجديدة.
(٣) السُّنَّة ص ٢٣٥.
(٤) السُّنَّة ص ٢٣٥.

(٥) وأورد ابن الجوزي عن أحمد قال: «من لم يثبت الخلافة لعلي فهو أضل من حمار أهله»[١].

(٦) وأورد ابن أبي يعلى عن أحمد قال: «من لم يربع علي بن أبي طالب الخلافة فلا تكلموه، ولا تناكحوه»[٢].

(١) مناقب الإمام أحمد ص ١٦٣، ط/ دار الآفاق.
(٢) طبقات الحنابلة (١/ ٤٥).

المبحث الخامس:
نهيه عن الابتداع والخصومات في الدين

(١) أخرج ابن بطة عن أبي بكر المروزي قال: «سمعت أبا عبدالله يقول: من تعاطى الكلام لم يفلح، ومن تعاطى الكلام لم يخل أن يتجهم»[(١)].

(٢) وأورد ابن عبدالبر في جامع بيان العلم عن أحمد قال: «إنه لا يفلح صاحب كلام أبداً ولا تكاد ترى أحداً نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل»[(٢)].

(٣) وأخرج الهروي عن عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: «كتب أبي إلى عبيدالله بن يحيى بن خاقان[(٣)] لست بصاحب كلام، ولا أرى الكلام في شيء من هذا، إلا ما كان في كتاب الله أو في حديث رسول الله ﷺ، فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود»[(٤)].

(٤) وأخرج ابن الجوزي عن موسى بن عبدالله الطرسوسي قال: «سمعت أحمد بن حنبل يقول: لا تجالسوا أهل الكلام وإن (ذابوا) عن السُّنَّة»[(٥)].

---

(١) الإبانة (٢/ ٥٣٨).

(٢) جامع بيان العِلْم وفضله (٢/ ٩٥) ط / دار الكتب العلمية.

(٣) هو أبو الحسن عبيدالله بن يحيى بن خاقان التركي ثم البغدادي، قال عنه الذهبي: «الوزير الكبير.. وزير للمتوكل وللمعتمد... وحظي عند المتوكل وكان سمحاً جواداً»، وقال ابن أبي يعلى: «نقل عن إمامنا أشياء منها أنه قال: سمعت أحمد يقول: «أنزه نفسي عن مال السلطان وليس بحرام»، مات سنة (٢٦٣هـ)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٩)، طبقات الحنابلة (١/ ٢٠٤).

(٤) ذم الكلام (ق - ٢١٦ - ب).

(٥) مناقب الإمام أحمد ص ٢٠٥.

(٥) وأخرج ابن بطة عن أبي الحارث الصايغ قال: «من أحب الكلام لم يخرج من قلبه، ولا ترى صاحب كلام يفلح»[١].

(٦) وأخرج ابن بطة عن عبيدالله بن حنبل قال: «حدثني أبي قال: سمعت أبا عبدالله يقول: عليكم بالسُّنَّة والحديث وينفعكم الله به، وإياكم والخوض والجدال والمراء فإنه لا يفلح من أحب الكلام، وكل من أحدث كلاماً لم يكن آخر أمره إلا إلى بدعة، لأن الكلام لا يدعو إلى خير، ولا أحب الكلام ولا الخوض ولا الجدال، وعليكم بالسُّنن والآثار والفقه الذي تنتفعون به، ودعوا الجدال وكلام أهل الزيغ والمراء، أدركنا الناس ولا يعرفون هذا، ويجانبون أهل الكلام، وعاقبة الكلام لا تؤول إلى خير، أعاذنا الله وإياكم من الفتن وسلمنا وإياكم من كل هلكة»[٢].

(٧) أورد ابن بطة في الإبانة عن أحمد قال: «إذا رأيت الرجل يحب الكلام فاحذره»[٣].

فهذه أقواله - رحمه الله - في مسائل أصول الدين وهذا موقفه من عِلْم الكلام.

---

(١) الإبانة لابن بطة (٢/ ٥٣٩).
(٢) الإبانة لابن بطة (٢/ ٥٣٩).
(٣) الإبانة لابن بطة (٢/ ٥٤٠).

المبحث السادس:
نهيه عن الشرك ووسائله

أولا: وسائل الشرك

لقد اهتم الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - أشد الاهتمام بمسألة سد الذرائع، وذلك ثابت عنه كما قال القرطبي - رحمه الله -: «والتمسك بسد الذرائع وحمايتها هو مذهب الإمام مالك وأصحابه، وأحمد بن حنبل»[(١)].

وجاء عن الإمام أحمد - رحمه الله - وبعض أتباعه، النهي عما هو من وسائل الشرك. كتجصيص القبور والبناء عليها[(٢)]، وتعليتها[(٣)]،

---

(١) تفسير القرطبي (٢/ ٥٧، ٥٨).

(٢) لما أخرجه مسلم وغيره عن جابر قال: نهى رسول الله عن تجصيص القبر، وأن يقعد عليه وأن يبني عليه بناء. قال ابن قدامة في المغني «ولأن ذلك من زينة الدنيا فلا حاجة بالميت إليه» ولمزيد من التعرف على موقف الحنابلة في هذا الباب انظر: كشاف القناع (٢/ ١٣٩) الكافي (١/ ٢٧٠) المبدع (٢/ ٢٧٣) المقنع (١/ ٢٨٥) المعتمد (١/ ٢٤٩). المغنى ٣/ ٤٣٩ - ٤٤٠.

(٣) يدل على تحريم ذلك الحديث السابق، وحديث أبي الهياج الأسدي الذي أخرجه مسلم والنسائي وغيرهما أن عليًا رضي الله عنه قال له: ألا أبعثك على مابعثني عليه رسول الله ﷺ ألا تدع قبراً مشرفاً إلا سويته، ولا تمثالاً إلا طمسته» وفي لفظ: ولاصورة. وللتعرف على موقف الحنابلة في هذه المسألة راجع: كشاف القناع (٢/ ١٣٨) المبدع (٢/ ٢٧٢) المعتمد (١/ ٢٤٩) والمغنى (٣/ ٤٣٥) قال ابن قدامة (المشرف مارُفع كثيراً بدليل قول القاسم في صفة قبر النبي ﷺ وصاحبيه لا مشرفة ولانطة».

والكتابة عليها[١]، واتخاذها مساجد[٢]، واستقبالها للدعاء[٣]، والسجود عليها، والصلاة عندها[٤]، وتقبيلها[٥]، وتبخيرها[٦]، وإسراجها[٧]، والجلوس عليها[٨]، ووضع الفسطاط والخيمة عليها[٩]، وكسوة القبر[١٠]،

---

(١) لما أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما من حديث جابر أن النبي ﷺ «نهى أن تجصص القبور وأن يكتب عليها».
ولمزيد من الفائدة راجع: المقنع (١/ ٢٨٥) الكافي (١/ ٢٧٠) كشاف القناع (٢/ ١٣٩) المبدع (٢/ ٢٧٣) المعتمد (١/ ٢٤٩) والمغني (٣/ ٤٣٩ - ٤٤٠).

(٢) لقوله ﷺ: «لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ماصنعوا متفق عليه، وقال: «ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك» أخرجه مسلم.
وانظر: الكافي (١/ ٢٦٧) كشاف القناع (٢/ ١٤٠) المعتمد (١ج٢٥٠) والمغني ٢/ ٤٧٥.

(٣) لما أخرجه أبو يعلى الموصلي عن علي بن الحسين أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فنهاه وحدثه بقوله عليه الصلاة والسلام: «لاتتخذوا قبري عيداً..» وحسنه السخاوي في القول البديع (ص١٥٥) وانظر: كشاف القناع (٢/ ١٥٠: ١٥١).

(٤) للحديث الذي أخرجه مسلم وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم «لاتجلسوا على القبور ولاتصلوا عليها». وانظر: كشاف القناع (٢/ ١٥٠: ١٥١) المبدع (٢/ ٢٧٤) والمغني (٣/ ٤٤١) قال ابن قدامة «ولأن تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها والتقرب إليها. وقد روينا أن ابتداء عبادة الأصنام تعظيم الأموات باتخاذ صورهم ومسحها والصلاة عندها.

(٥) انظر: كشاف القناع (٢/ ١٤٠) المعتمد (١/ ٢٤٩) المغني ٥/ ٤٦٨.

(٦) انظر: المعتمد (١/ ٢٤٩).

(٧) للحديث الوارد) «لعن رسول الله، ﷺ، زائرت القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج». أخرجه الترمذي وابن ماجه وغيرهما قال ابن قدامة في المغنى «ولو أبيح لم يلعن النبي ﷺ، من فعله ولأن فيه تضييعاً للمال وإفراطاً في تعظيم القبور أشبه تعظيم الأصنام». ولمزيد من الاستزادة راجع: كشاف القناع (٢/ ١٤١) والمبدع. (٢/ ٢٧٤) والمعتمد (١/ ٢٥٠) والمغنى ٣/ ٤٤٠.

(٨) للحديث المتقدم في رقم (١) وانظر الكافي (١/ ٢٧٠) المبدع (٢/ ٢٧٤) كشاف القناع (٢/ ١٣٩: ١٤٠)، والمغني ٣/ ٤٤٠ وذكر لأحمد أن مالكاً يتأول حديث النبي، ﷺ أنه نهى من يجلس على القبر أي للخلاء فقال: ليس هذا بشيء لم يعجبه رأي مالك.
والجلوس عليها ليس من أسباب الشرك بل النهي عن الجلوس عليها لأجل توهين المقبور فالأولى أن يقال: والجلوس عندها، وهو العكوف والمجاورة عند القبور.

(٩) انظر: المبدع (٢/ ٢٧٣) كشاف القناع (٢/ ١٣٩) المغني ٣/ ٥١٦) كره الإمام أحمد أن يضرب على القبر فسطاط وأوصى أبو هريرة حين حضره الموت أن لاتضربوا عليَّ فسطاط.

(١٠) انظر: كشاف القناع (٢/ ١٣٩).

والطواف به[١]، والاستشفاء بتربته من الأمراض[٢] والتمسح به[٣]، وشد الرحال إليه[٤].

(١) إذ يقول الله تعالى: ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ سورة الحج الآية (٢٩) فمن طاف بغير البيت الحرام فقد شبهه بالبيت الحرام وذلك تعظيم لما لم يأذن الله بتعظيمه، وتشريع في الدين بما لم يأذن به الله ومفضاة إلى الإشراك بالله تعالى وتبديل دينه.
ولمزيد من التعرف على موقف الحنابلة في هذه المسألة انظر: كشاف القناع (٢/ ١٤٠).

(٢) إن الشافي هو الله تعالى، وطالب الشفاء ينبغي له أن يطلبه من الله مع الأخذ بالأسباب المشروعة لطلب الشفاء، والمستشفى بالتراب - تراب المقبور - مبتدع ما لم يأذن به الله، معتقد للشفاء والبركة بما لم يرد في شأنه دليل شرعي، ويخشى عليه من الإشراك بالله حيث إنه بذلك معتقد لإمكانه التأثير نفعاً وضراً في التراب ومن ثم في المقبور نفسه، وهذا شرك خطير، وللاستزادة راجع: كشاف القناع (٢/ ١٤٠).

(٣) لأن في ذلك تشبيها للقبر بالحجر الأسود الذي شرع الله تعالى مسحه، وهذا شرع في الدين بغير إذنه تعالى، والمزيد من التعرف على موقف الحنابلة راجع: كشاف القناع (٢/ ١٥٠) والمغني ٥/ ٤٦٧.

(٤) شد الرحال محرم لغير المساجد الثلاثة وذلك لقوله عليه الصلاة والسلام: «لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى». متفق عليه.
وانظر: شرح الزركشي على مختصر الخرقي (٧/ ٢١١) كشاف القناع (٢/ ١٥٠). المغنى ٣/ ١١٧.

ثانياً: نماذج من الشرك التي حذر منها الإمام أحمد وبعض أتباعه.

جاء عن الإمام أحمد وبعض أتباعه النهي عن أنوع من الشرك الأكبر والأصغر: كدعاء غير الله[١]، والاستغاثة بغير الله[٢]، والنذر لغير الله[٣]، والحلف بغير الله[٤]، والتوكل على غيره[٥]، والسجود لغير الله[٦]، والذبح لغير الله[٧]، واعتقاد أن أحداً غير الله يعرف الغيب[٨]،

---

(١) قال تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ (سورة غافر، الآية: ٦٠)، وقال تعالى: ﴿ولاتدع من دون الله مالا ينفعك ولايضرك﴾ (سورة يونس، الآية: ١٠٦). وانظر: الفروع (٦/ ١٦٥) المقنع (٤/ ١٥٢: ١٥٣) كشاف القناع (٦/ ١٦٨).

(٢) قال تعالى: ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم﴾ (سورة الأنفال، الآية: ٩)، ولمزيد من التعرف على أقوال الحنابلة راجع المصادر السابقة.

(٣) إذ يقول الله تعالى: ﴿وليوفوا نذورهم﴾ (سورة الحج، الآية: ٢٩)، والنذر عبادة، والعبادة لاتنبغي إلا لله، فالنذر لغير الله إشراك به سبحانه. وانظر: كشاف القناع (٢/ ١٥١) المعتمد (٢/ ٥٠٣: ٥٠٤).

(٤) لقوله ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» أخرجه أحمد (٢/ ٦٧، ١٢٥) وغيره وانظر: شرح الزركشي على مختصر الخرقي (٧/ ٧٦ و ٦٤) المقنع (٤/ ٢٠١) الإفصاح (٢/ ٣٢٠، ٣٢٣) الكافي (٤/ ٣٧٦) الفروع (٦/ ٣٤٠) والمعتمد (٢/ ٤٨٣، ٤٨٤).

(٥) قال تعالى: ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾سورة ابراهيم، الآية: ١١). وقال: ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾ (سورة المائدة، الآية: ٢٣). فالتوكل على غير الله صرف للعبادة لغيره تعالى وهذا شرك به - عز وجل - وللاستزادة ارجع إلى: الفروع (٦/ ١٦٥) المقنع (٤/ ١٥٢، ١٥٣) كشاف القناع (٦/ ١٦٨).

(٦) قال تعالى: ﴿يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾ (سورة آل عمران، الآية: ٤٣)، فالسجود لغير الله إشراك به سبحانه وصرف للعبادة لغيره - عز وجل -، وانظر: المبدع (٩/ ١٧٢) المقنع (٤/ ١٥٢: ١٥٣) الفروع (٦/ ١٦٥) كشاف القناع (٦/ ١٦٩).

(٧) قال تعالى: ﴿فصل لربك وانحر﴾ (سورة الكوثر، الآية: ٢)، وانظر: الكافي (١/ ٤٧٩، ٤٨٢) المغني (٨/ ٥٦٨) شرح الزركشي على مختصر الخرقي (٦/ ٦٦٧، ٦٦٩، ٦٧٠).

(٨) لقوله تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً﴾ (سورة الجن، الآية: ٢٦). وللاستزادة من أقوال الحنابلة ارجع إلى: المقنع (٤/ ١٦٢) كشاف القناع (٦/ ٦٩) المعتمد (٢/ ٤٤٩) والمغنى ١٢/ ٣٠٥.

أو اعتقاد أن لأحد غير الله تصرفاً في الكون[١]، أو اعتقاد أن الكوكب له تأثري والتقرب إلى الكواكب[٢].

قال في الإقناع وشرحه «من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم كفر إجماعاً لأن ذلك كفعل عابدي الأصنام»[٣].

وقال الإمام أبو الوفاء علي بن عقيل الحنبلي[٤]: «إن من يعظم القبور ويخاطب الموتى بقضاء الحوائج ويقول: يا مولاي ويا سيدي عبدالقادر افعل لي كذا فهو كافر بهذه الأوضاع ومن دعا ميتاً وطلب قضاء الحوائج فهو كافر»[٥](*).

وقال أيضاً: «لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم وهم عندي كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها يا مولاي افعل بي كذا وكذا وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبداللات والعزى»[٦].

وقال أيضاً في كتاب الفنون «لقد عظم الله الحيوان لاسيما ابن آدم، حيث أباحه الشرك عند الإكراه، فمن قدم حرمة نفسك على حرمته حتى أباحك أن تتوقى عن نفسك بذكره بما لا ينبغي له سبحانه لحقيق أن

---

(١) قال تعالى: ﴿**قل ادعوا الذين زعمتهم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير. ولاتنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له**﴾ (سورة سبأ، الآيتان ٢٢: ٢٣) وانظر: المقنع (٤/ ١٩٥) المغني ١٢/ ٣٠١.

(٢) لقوله تعالى في الحديث القدسي: ﴿**وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**﴾ أخرجه البخاري ومسلم.
والتقرب إلى الكواكب هو تقرب لغير الله تعالى باعتقاد أن له نفعاً وضراً وتأثيراً وهذا من أكثر الكفر. وانظر: الإفصاح لابن هبيرة (٢/ ٢٢٦) والمغني (١٢/ ٣٠١).

(٣) (٦/ ١٦٨).

(٤) هو علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الحنبلي وكنيته أبو الوفاء، قال عنه الذهبي (الإمام العلامة البحر شيخ الحنابلة) توفي سنة ٥١٣هـ، سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٤٣ - ٤٥١.

(٥) كتاب «حكم الله الواحد الصمد» ص (٤٤).

(٦) عقيدة الموحدين ص ٦٤.

(*) أي بعد أن أقيمت عليه الحجة واتضحت لديه المحجة.

تعظم شعائره وتوقر أوامره وعظم عرضك بإيجاب الحد بقذفك وعظم مالك بقطع يد مسلم في سرقته وأسقط شطر الصلاة في السفر لأجل مشقتك وأقام مسح الخف مقام غسل الرجل إشفاقاً عليك من مشقة الخلع واللبس وأباحك الميتة سدًّا لرمقك وحفظاً لصحتك وزجرك عن ماضرك بحد عاجل ووعيد آجل، وخرق العوائد لأجلك، وأنزل الكتب إليك، أيحسن لك مع هذا الإكرام أن يراك على ما نهاك منهمكاً، ولما أمرك تاركاً، وعلى ما زجرك مرتكباً وعن داعيه معرضاً، ولداعي عدوه فيك مطيعاً يعظمك وهو هو، وتهمل أمره وأنت أنت، وهو حط رتبة عباده لأجلك، وأهبط إلى الأرض من امتنع عن سجدة يسجدها لأبيك، هل عاديت خادماً طالت خدمته لك لترك صلاة، هل نفيته من دارك للإخلال بفرض أو لارتكاب نهي ما فإن لم تعترف اعتراف العبد للمولى، فلا أقل أن تقتضي نفسك إلى الحق سبحانه اقتضاء المساوي المكافي ما أفحش ما تلاعب الشيطان بالإنسان، بينا هو بحضرة الحق سبحانه وملائكة السماء سجود له، ترامى به الأحوال والجهات إلى أن يوجد ساجداً لصورة في حجر، أو لشجرة من الشجر، أو لشمس أو لقمر، أو لصورة ثور خار، أو لطاير صفر، ما أفحش زوال النعم وتغير الأحوال بعد الكور، لا يليق بهذا الحي الكريم الفاضل على جميع الحيوانات أن يرى إلا عابداً لله في دار التكليف أو مجاوراً لله في دار الجزاء والتشريف وما بين ذلك فهو واضع نفسه في غير موضعها»[١].

قال ابن رجب[٢]: «إن قول العبد لا إله إلا الله يقتضي أن لا إله له

---

(١) كتاب الفنون كما في عقيدة الموحدين ص ٦٤، ٦٥.

(٢) هو زين الدين عبد الرحمن بن الشيخ الإمام المقرىء المحدث شهاب الدين أحمد بن الشيخ الإمام المحدث أبي أحمد رجب عبد الرحمن البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب قال عنه ابن العماد: «الإمام العالم العلامة الزاهد القدوة البركة الحافظ العمدة الثقة الحجة الحنبلي المذهب»، توفي سنة ٧٩٥ هـ.
شذرات الذهب (٦/ ٣٣٩ - ٣٤٠).
والدرر الكامنة لابن حجر (٢/ ٤٢٧ - ٤٢٨).

غير الله، والإله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة وإجلالاً، ومحبة وخوفاً ورجاءً، وتوكلاً عليه، وسؤالاً منه، ودعاءً له، ولا يصلح ذلك كله إلا لله - عز وجل -، فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية، كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قوله لا إله إلا الله ونقصاً في توحيده، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك، وهذا كله من فروع الشرك، ولهذا ورد إطلاق الكفر[١] والشرك على كثير من المعاصي التي منشؤها من طاعة غير الله أو خوفه أو رجائه، أو التوكل عليه والعمل لأجله، كما ورد إطلاق الشرك على الرياء،[٢]، وعلى الحلف بغير الله[٣]، وعلى التوكل على غير الله، والاعتماد عليه، وعلى من سوى بين الله وبين المخلوق في المشيئة، مثل أن يقول: ما شاء الله وشاء فلان[٤]، وكذلك قوله: مالي إلا الله وأنت وكذلك ما يقدح في التوحيد، وتفرد الله بالنفع والضر، كالطيرة[٥]، والرقى

---

(١) كما ورد في الحديث: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر» أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٦) وابن أبي شيبة في الإيمان (٤٦) والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم وغيرهم من حديث بريدة رضي الله عنه مرفوعاً وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٧٦٠/ ٤١٤٣).
وكما ثبت: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» أخرجه البخاري (١/ ١٣٥) ح ٤٨ في الإيمان باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله من حديث أبي وائل عن ابن مسعود مرفوعاً، وأخرجه كذلك مسلم وغيره.
وورد أيضاً: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» أحمد (١/ ١٢٥) أبو داود (٣/ ٥٧٠) والترمذي (٤/ ١١٠) والحاكم (١/ ٥٢) وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٦٧/ ٦٢٠٤).

(٢) كما ورد في الحديث: «من صلى يراني فقد أشرك، ومن تصدق يراني فقد أشرك» أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦) والطبراني في الكبير (٧/ ٣٣٧) والحاكم (٤/ ٣٢٩) وصححه كلهم من حديث شداد بن أوس.

(٣) راجع التخريج السابق تحت رقم (١).

(٤) كما قال النبي، ﷺ، لمن قال له: «ماشاء الله وشئت. قال: أجعلتني لله عدلاً، لا بل ما شاء الله وحده» أحمد (٣/ ٢٥٣) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح وأخرجه ابن ماجه (١/ ٦٨٤). والطبراني في الكبير (١٢/ ٢٤٤).

(٥) كما في مثل قوله، ﷺ: «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك» أخرجه أحمد (٢/ ٢٢٠). والطبراني وغيرهما وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٧٥/ ٦٢٦٤) وهو من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعا.

المكروهة[١]، وإتيان الكهان وتصديقهم بما يقولون[٢]، وكذلك اتّباع هوى النفس فيما نهى الله عنه قادح في تمام التوحيد وكماله[٣].

إلى أن قال: فمن أحب شيئاً مما كرهه الله أو كره شيئاً مما يحبه الله لم يكمل توحيده وصدقه في قول لا إله إلا الله، وكان فيه من الشرك الخفي بحسب ما كرهه مما يحبه الله وما أحبه مما يكرهه الله[٤]، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾[٥]، قال الليث عن مجاهد في قوله: ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾[٦]، قال: «لا يحبون غيري».

وفي صحيح الحاكم[٧] عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء»[٨]، وأدناه أن تحب على شيء من الجور أو تبغض على شيء من العدل، وهل الدين إلا الحب والبغض؟ قال الله - عز وجل -: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾»[٩]، وهذا نص في أن محبة ما

---

(١) كما في الحديث: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك» أحمد (١/ ٣٨١) وأبو داود (٤/ ٢١٢) وابن ماجه (٢/ ١١٦٧) والحاكم (٤/ ٢١٧) وصححه من حديث ابن مسعود مرفوعاً.

(٢) كما أتى في الحديث: «من أتى عرافاً أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» أحمد (٢/ ٤٢٩).
والحاكم من حديث أبي هريرة مرفوعاً وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٣١/ ٥٩٣٩).

(٣) قال تعالى: **﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون﴾** (سورة الجاثية، الآية: ٣٣).

(٤) وفي الحديث: «من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان» أبو داود (٥/ ٦٠) ح ٤٦٨١ في السنة باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، والضياء وغيرهما من حديث أبي أمامة مرفوعاً. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٣٤) (٥٩٦٥).

(٥) سورة محمد، الآية: ٢٨.

(٦) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٧) في إطلاق ذلك اللفظ تجوز كبير فإن كتاب الحاكم فيه الصحيح وغير الصحيح.

(٨) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٩) الحاكم (٢/ ٢٩١) من حديث عروة عن عائشة وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه قال الذهبي في تلخيصه، عبد الأعلى قال الدارقطني ليس بثقة. وصحح أوله الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٩٣/ ٣٧٣٠).

يكرهه الله، وبغض ما يحبه متابعة للهوى، والموالاة على ذلك المعاداة فيه من الشرك الخفي»[١] أ.هـ

وقد ذكر العلامة (أبو بكر بن محمد خوقير)[٢] في كتابه (ما لابد منه) نماذج من الشرك التي حذر منها النبي ﷺ لحماية جناب التوحيد وهي:

١ - الرقى والتمائم من غير القرآن[٣].

٢ - التبرك بالأشجار والأحجار ونحوه[٤].

٣ - الذبح لغير الله[٥].

---

(١) كلمة الإخلاص. ضمن مجموعة الرسائل الكمالية (١٨/ ١٩/ ٢٢: ٢٣).

(٢) هو أبو بكر بن محمد عارف بن عبد القادر بن محمد بن علي خوقير المكي الكتبي الفقيه الحنبلي ولد بمكة سنة ١٢٨٢هـ وتوفى بها سنة ١٣٤٩هـ.
انظر: ترجمته في الأعلام (٢/ ٧٠) ومعجم المؤلفين (٣/ ٧٣).

(٣) وفي الحديث: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك» سبق تخريجه. وقد قال الإمام أحمد - رحمه الله: - «التعليق كله يكره والرقى ما كان من القرآن فلا بأس به». وانظر مسائل الكوسج (٢/ ١٦٩). وقال في علاج المجنون من الصرع بالرقى والعزائم: «ما أحب لأحد أن يفعله، وتركه أحب إلي» راجع الأحكام السلطانية (ص٣٠٨).

(٤) التبرك بالأشجار والأحجار ونحوه من ذرائع الشرك وقد قال النبي، ﷺ، لما أراد الصحابة اتخاذ شجرة يعلقون فيها أسلحتهم مثل المشركين. فقال لهم: «الله أكبر إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قال أصحاب موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة..» أخرجه الترمذي (٤/ ٤٧٥) ح ٢١٨٠ في الفتن باب ماجاء لتركبن سنن.. وقال: حسن صحيح، وابن حبان في صحيحه (٨/ ٢٤٨) ح ٦٦٦٧ وأبو يعلى في مسنده (٢/ ١٥٩) والحميدي في مسنده (٢/ ٣٧٥) ح ٨٤٨ وابن جرير في التفسير (٩/ ٤٥) والطيالسي (١٣٤٦) وابن أبي عاصم في السنة / ١/ ٣٧) رقم ٧٦ واللالكائي في أصول الاعتقاد (١/ ١٢٤) رقم ٢٠٤، ٢٠٥ والطبراني في الكبير وغيرهم جميعهم من حديث أبي واقد الليثي مرفوعاً وهو حديث صحيح.
وقد أنكر الإمام أحمد على من مسح جسده بيده - أي جسد الإمام - ثم مسح جسده بها يتبرك بذلك، فغضب وقال: عمن أخذتم هذا، وأنكره إنكاراً شديداً. وانظر طبقات الحنابلة (١/ ٢٢٨) المنهج الأحمد (١/ ٤٢٨).

(٥) وقد قال النبي، ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله...» أخرجه مسلم (٣/ ١٥٦٧) ح ١٩٧٨ في الأضاحي باب تحريم الذبح لغير الله من حديث أبي الطفيل عن على وأخرجه غيره.
وقد منع الإمام أحمد أكل ما ذبح لغير الله وشدد في ذلك، وانظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة (١٢٩: ١٣١).

٤ - النذر لغير الله تعالى[١].

٥ - الاستعاذة بغير الله تعالى[٢].

٦ - الاستغاثة بغير الله تعالى ودعاء غيره[٣].

٧ - الاستشفاع بغيره (بمعنى طلب الشفاعة من الغير)[٤].

٨ - الغلو في الصالحين بالإطراء[٥].

٩ - عبادة الله عند قبر رجل صالح[٦].

١٠ - السحر والكهانة[٧].

---

(١) من المعلوم أن النذر عبادة، ولاينبغي أن تصرف العبادة إلا لله تعالى وقد قال - عز وجل: ﴿يوفون بالنذر﴾ (سورة الإنسان، الآية: ٧)، وقال: ﴿ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم﴾ (سورة الحج، الآية: ٢٩).

(٢) الاستعاذة هي الالتجاء والتحصن، ولاتجوز إلا في حق الله عز وجل، وقد قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ (سورة النحل، الآية: ٩٨)، وقال أيضا: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم﴾ (سورة فصلت، الآية: ٣٦). وقالت مريم عليها السلام: ﴿إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيًّا﴾ (سورة مريم، الآية: ١٨).

(٣) لاتجوز الاستغاثة بالمخلوق فيما لايقدر عليه إلا الله، قال تعالى: ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم﴾ (سورة الأنفال، الآية: ٩). وقال - عز وجل -: ﴿وهما يستغيثان الله ويلك آمن﴾ (سورة الأحقاف، الآية: ١٧)، وكذلك لا يدعى غير الله تعالى، فإن الدعاء هو العبادة كما ثبت، وقد قال تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ (سورة غافر، الآية: ٦٠).

(٤) قال الله تعالى: ﴿ولاتنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ (سورة سبأ، الآية: ٢٣)، وقال أيضاً: ﴿قل لله الشفاعة جميعاً﴾ (سورة الزمر، الآية: ٤٤).

(٥) كما نهى النبي، ﷺ عن إطرائه فقال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله» أخرجه البخاري (٦/ ٥٥١) ح ٣٤٤٥ في أحاديث الأنبياء باب قول الله: ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾ من حديث ابن عباس عن عمر مرفوعاً، فلما حرم إطراء النبي، ﷺ، حرم في حق غيره من باب أولى.

(٦) ويرد في هذا الباب أحاديث النبي عن اتخاذ القبور مساجد ولعن من فعل ذلك واتخذ قبور الأنبياء مساجد وهي ثابتة في الصحيحين وغيرهما.

(٧) قال الله تعالى في السحر: ﴿وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر﴾ (سورة البقرة، الآية: ١٠٢)، والكاهن وهو الذي يدعي علم الغيب كافر لأنه لايعلم الغيب إلا الله، قال =

١١ - النشرة والتطير[١].

١٢ - الاستسقاء بالأنواء[٢].

١٣ - محبة غير الله كمحبته والخوف منه[٣].

١٤ - الرياء وإرادة الدنيا بالعمل[٤].

١٥ - طاعة العلماء والأمراء في معصية الله أو تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم[٥].

= تعالى: ﴿قل لايعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ (سورة النمل، الآية: ٦٥).
وقد سئل الإمام أحمد - رحمه الله -: الكاهن شر أو الساحر؟ قال: كلٌ شرٌ. أورده الخلال في أحكام أهل الملل (ص ٢٠٨)، وسئل - رحمه الله - عن الساحر فقال: إذا عرف بذلك فأقر يقتل. وانظر مسائل عبد الله بن أحمد ص (٤٢٧) وأحكام أهل الملل (ص ٢٠٧) وقال: الكاهن يدعي الغيب والساحر يعقد، راجع أحكام أهل الملل (٢٠٨).

(١) وقد ورد في الحديث: «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك». سبق تخريجه، والتطير هو التشاؤم بشيء معين كيوم معين أو طير معين أو رقم معين أو غير ذلك.

(٢) وفي الحديث: «وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب» أخرجه البخاري (٢/ ٣٨٨) ح ٨٤٦ في الأذان باب يستقبل الإمام الناس، مسلم (١/ ٨٣/ ٨٤) ح ١٧ في الإيمان باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، كلاهما من حديث عبيد الله بن عبدالله عن زيد بن خالد الجهني مرفوعاً وهو حديث قدسي.

(٣) محبة غيرالله كمحبته من الشرك، قال تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله﴾ سورة البقرة، الآية: ١٦٥)، وكذلك الخوف من غير الله تعالى كمخافة الله شرك كذلك، قال تعالى: ﴿فلا تخشوا الناس واخشون﴾ (سورة المائدة، الآية: ٤٤). وقال تعالى: ﴿فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ (سورة آل عمران، الآية: ١٧٥). وأما الخوف الطبيعي مع اعتقاد أن النفع والضر بيد الله وحده ليس بشرك ولاشيء فيه. وقد قال تعالى في حق موسى عليه السلام: ﴿فخرج منها خائفا يترقب﴾ (سورة القصص، الآية: ٢١).

(٤) وفي الحديث: «من صلى يرائي فقد أشرك ومن صام يرائي فقد أشرك ومن تصدق يرائي فقد أشرك» سبق تخريجه، وقد قال تعالى في حق من أارد الدنيا بعمله: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون. أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾ (سورة هود، الايتان: ١٥ - ١٦).

(٥) قال تعالى: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا

١٦ - اتخاذ الأضداد[١](*).

١٧ - الحلف بغير الله[٢].

١٨ - قرن مشيئة الله بمشيئة المخلوق كنحو: ما شاء الله وشاء فلان[٣].

١٩ - سب الدهر[٤].

٢٠ - التسمي بقاضي القضاة[٥].

٢١ - الهزل بشيء فيه ذكر الله[٦].

٢٢ - الاستشفاع بالله على أحد من خلقه.. أ.هـ[٧].

= إلها واحداً لا إله إلا هو﴾ (سورة التوبة، الآية: ٣١)، وذلك لأنهم أحلوا لهم ما حرم الله وحرموا عليهم ما أحل فأطاعوهم فكانت تلك عبادتهم إياهم من دون الله تعالى، وفي الحديث: «إنما الطاعة في المعروف» متفق عليه من حديث علي مرفوعاً.

(١) وهم من يضادون الله تعالى في حكمه أو شرعه أو أمره أو غير ذلك فيسويهم بالله تعالى ويطيعهم.

(٢) وفي الحديث: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» سبق تخريجه.

(٣) وقد قال النبي، ﷺ لمن قال له ذلك: «أجعلتني لله عدلاً؟ قل ما شاء ثم شئت» سبق تخريجه كذلك.

(٤) وقد ورد في الحديث القدسي: «يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار» متفق عليه من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

(٥) وذلك لأن قاضي القضاة هو الله تعالى، لا راد لقضائه، وقد جوَّز بعض العلماء إطلاقها مقيدة كأن يقال: قاضي قضاة اليمن، أو نحو ذلك.

(٦) قال تعالى: ﴿قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ (سورة التوبة، الآيتان ٦٥، ٦٦). فالاستهزاء بشيء فيه ذكر الله أمر خطير جداً.

(٧) وفي الحديث: «.. إنه لايستشفع بالله على أحد...» أخرجه أبو داود وغيره من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه في قصة طويلة، لكنه حديث فيه ضعف.
راجع الكلام في كتاب (مالابد منه) ص ٢٧ : ٢٩.

(*) وهم الأنداد.

الفصل الثاني:

شرح القواعد الأربع لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب التيمي الحنبلي

بقلم
د. محمد بن عبدالرحمن الخميس

تمهيد

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مباركاً أينما كنت، وأن يجعلك ممن إذا أُعطِيَ شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإن هذه الثلاث عنوان السعادة.

اللغة: (يتولاك) يتخذك ولياً بالمحبة والتوفيق والتسديد.

الشرح: بدأ رحمه الله تعالى بالدعاء وسؤال المولى عز وجل، الكريم، رب العرش العظيم أن يتولى القارئ لهذا الكتاب، في الدنيا والآخرة، أما التولي في الدنيا فبالمحبة، والهداية والتسديد والنصرة، وأما التولي في الآخرة فإنه يكون بالرحمة والمغفرة، والوقاية من النيران، ودخول جنة الرضوان، ثم دعا له كذلك بالبركة أينما كان، وبأن يجعله الله تعالى مستوفياً لمظاهر العبودية ومقاماتها، وهي ثلاث:

الأول: شكر النعمة: عند العطاء، كما قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗا﴾[1] وكما قال ﴿وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡ﴾[2] وكما في قوله: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾[3].

وشكر النعمة يكون بالقلب إقراراً واعترافاً وامتناناً، وباللسان تحدثاً بالنعمة وحمداً عليها، وبالجوارح عملاً بمرضاة المنعم سبحانه.

الثاني: الصبرعلى البلاء: والمصائب والمكروهات التي تنزل بالإنسان ابتلاءً واختباراً من الله، والواجب فيها الصبر، وهو حبس القلب عن التسخط والقنوط وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عما

---

(١) سورة سبأ الآية (١٣).
(٢) سورة الزمر الآية (٧).
(٣) سورة البقرة الآية (١٥٢).

ينافي الصبر ويناقضه، وقد قال تعالى ﴿واصبر على ما أصابك﴾[١] وقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[٢].

الثالث: الاستغفار عند الذنب: إذ كل بني آدم خطاء، ولكن الواجب على الإنسان إذا وقع في معصية أن يسارع بالاستغفار والتوبة، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

فهذه الأمور الثلاثة: شكر النعمة، والصبر على البلاء، والاستغفار عند الذنب.

مَن وجدت فيه كان من أهل السعادة ولاشك، بل إن السعادة مرتبطة بهذه الثلاث أكثر من غيرها، وكلها فيها معاني التوحيد والانقياد والإذعان والإقبال على الله تعالى.

فهذه الأمور الثلاثة: شكر النعمة، والصبر على البلاء، والاستغفار عند الذنب من وجدت فيه كان من أهل السعادة ولاشك، بل إن السعادة مرتبطة بهذه الثلاث أكثر من غيرها، وكلها فيها معاني التوحيد والانقياد والإذعان والإقبال على الله تعالى.

(١) سورة لقمان الآية.
(٢) سورة البقرة الآية (١٥٥).
(٣) سورة آل عمران الآية (١٣٥).

المبحث الأول
أصل الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام

اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين كما قال تعالى :﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت، كالحدث إذا دخل في الطهارة.

اللغة: (الحنيفية) أصل الحنيف هو المائل عن الشرك المستقيم على التوحيد

الشرح :بدأ الشيخ رحمه الله ببيان أصل الحنيفية، وهي ملة إبراهيم عليه السلام، وأساسها ما قاله سبحانه وتعالى داعياً الناس إلى اتباع إبراهيم عليه السلام :﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾[1] وقال تعالى :﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[2] فأصلها إفراد الله تعالى بالعبادة وإخلاصها له، كما قال عز وجل :﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[3] فالله تعالى ما خلق الإنسان إلا لعبادته، والعبادة لا يصدق عليها هذا الاسم إلا بالتوحيد لأنه من شروط صحتها، إخلاصها لله تعالى، تماماً كما أن الصلاة لا يصدق عليها اسم الصلاة إلا بالطهارة، لأنها شرط في وجودها، وإلا فإن الشرط إذا انعدم انعدم المشروط ودخول الشرك على العبادة يبطلها ويفسدها، كما أن طروء الحدث يفسد الطهارة ويبطلها

---

(١) سورة النساء الآية (١٢٥).
(٢) سورة الأنعام الآية (١٦١).
(٣) سورة الذاريات الآية (٥٦).

فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها، وأحبط العمل، وصار صاحبه من الخالدين في النار، عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك، لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة، وهي الشرك بالله، الذي قال الله تعالى فيه: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه.

اللغة: (أحبط) أبطل (ما دون ذلك) أي ما هو أقل من الشرك من المعاصي وغيرها.

الشرح: فإذ قد تبين أن الشرك يفسد العبادة إذا خالطها، فيضيع أجرها، وترد على صاحبها ويحبط العمل، كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1] واستحق الواقع في هذا الشرك، الفاعل له، استحق الخلود في النار، كما قال تعالى في كتابه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾، وكما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ **حينئذ يتضح أن أهم ما يجب على العبد معرفته هو كيف يوحد الله تعالى، وكيف يجتنب الشرك به لعله أن يفلت من هذه الشبكة الشيطانية التي وضعها الشيطان ليضل الناس عن ربهم ويوقعهم في الإشراك به، وهو ما لا يغفره الله تعالى، كما قال عز وجل:** ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[4].

ولا يتم ذلك إلا بمعرفة القواعد الأربع الآتية، والتي ذكرها الله في كتابه.

---

(١) سورة الزمر الآية (٦٥).
(٢) سورة التغابن الآية (١٠).
(٣) سورة المائدة الآية (٧٢).
(٤) سورة النساء الآية (١١٦).

الخلاصة:

١ - أصل ملة إبراهيم عليه السلام إخلاص العبادة لله تعالى وعدم الإشراك به.

٢ - الشرك يفسر العبادة ويحبط العمل، وصاحبه مخلَّد في النار.

٣ - أهم ما يجب على العبد معرفته، معرفة التوحيد للعمل به، ومعرفة الشرك لاجتنابه.

المناقشة:

س١: ما أصل ملة إبراهيم عليه السلام؟ وما الدليل؟

س٢: وضح أثر الشرك على العبادة، وماذا يشبه؟ مع التمثيل.

س٣: ما أهم ما يجب على العبد تعلمه ومعرفته؟

المبحث الثاني
القاعدة الأولى

القاعدة الأولى: أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بأن الله تعالى هو الخالق المدبر، وأن ذلك لم يدخلهم في الإسلام، والدليل قوله تعالى: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾.

اللغة: (مقرون) معترفون (المدبر) المصرف (تتقون) تجعلون بينكم وبين ما تخافونه وقاية وحاجزاً.

الشرح: أولى هذه القواعد العلم بأن المشركين على عهد رسول الله ﷺ من كفار مكة وغيرهم، كانوا مقرين ومعترفين بأمر الربوبية، وهي انفراد الله تعالى بالخلق والتدبير والتصرف في الكون، لم يشركوا معه في ذلك غيره، والأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ.. إلى قوله: فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[1] وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ...﴾[2].

والآيات الدالة على هذا كثيرة جداً، وكلها توضح أن المشركين أقروا لله تعالى بالانفراد بالخلق والرزق والتصريف والتدبير، لكنهم أشركوا في العبادة، فلم ينفعهم ذلك الإقرار، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام، ولم يحرم دماءهم وأموالهم، بل قاتلهم النبي ﷺ، واستحل دماءهم وأموالهم

---

(١) سورة يونس الآية (٣١).
(٢) سورة لقمان الآية (٢٥).

بذلك، ولم يحكم عليهم بالإسلام لمجرد إقرارهم بالربوبية، بل جعل قيامهم بتوحيد الألوهية إقراراً وعملاً شرطاً للحكم لهم بالإسلام، والكف عنهم، وحقن دمائهم.

الخلاصة:

١ - إن المشركين على عهد الرسول ﷺ كانوا مقرين بتوحيد الربوبية.

٢ - الإقرار بالربوبية لا يكفي لإثبات حكم الإسلام للشخص.

المناقشة:

س١: ما موقف المشركين في عهد الرسول ﷺ من توحيد الربوبية؟ هات ثلاث آيات تدلل بها على ما تقول.

س٢: ما موقف الرسول ﷺ من هؤلاء المشركين في عهده؟

س٣: هل الإقرار بالربوبية يكفي لثبوت حكم الإسلام؟ دلل على ما تقول.

المبحث الثالث
القاعدة الثانية

القاعدة الثانية: أنهم يقولون: ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة فدليل القربة قوله تعالى :﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾ ودليل الشفاعة قوله تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ والشفاعة شفاعتان: شفاعة منفية، وشفاعة مثبتة.

اللغة :(زلفى) قربى (شفعاؤنا) جمع شافع وشفيع وهو من يتوسط لجلب نفع أو دفع ضر.

الشرح :وهؤلاء الكفار احتجوا لدعائهم وعبادتهم آلهة أخرى من دون الله، بأنهم ما دعوهم ولا توجهوا إليهم إلا لسببين: الأول: أن يقربهم هؤلاء المعبودون إلى الله تعالى، والثاني: أن يشفعوا لهم عند الله. والدليل على الأول قوله تعالى :﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[1] أي إنما دعوناهم وعبدناهم كي يكونوا سببا في تقربنا إلى الله تعالى ونيل المنزلة عنده، والدليل على الثاني قوله تعالى :﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[2] أي إنما عبدناهم ليشفعوا لنا عند الله تعالى في جلب النفع، ودفع الضر. ثم بين الشيخ أن الشفاعة نوعان في كتاب الله تعالى: الأول شفاعة نفاها القرآن وأنكرها ومنع حصولها. والنوع الثاني شفاعة مثبتة اثبت القرآن وقوعها يوم القيامة بالدليل الواضح

---

(١) سورة الزمر الآية (٣).

(٢) سورة يونس الآية (١٨).

فالشفاعة المنفية: ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، والدليل قوله تعالى :﴿ياأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولاخلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون﴾ والشفاعة المثبتة هي التي تطلب من الله، والشافع مكرم بالشفاعة، والمشفوع له من رضى الله قوله وعمله بعد الإذن، كما قال تعالى :﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾.

اللغة :(خلة) محبة

الشرح :أما الشفاعة التي نفاها الله تعالى في كتابه حيث قال :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾[1].

فهي الشفاعة التي يطلب فيها من غير الله شيء لا يقدر عليه إلا الله، كمن يطلب من غير الله أن يدخله الجنة مثلاً أو ينجيه من النار، وكذلك يدخل في الشفاعة المنفية الشفاعة لمن لم يأذن فيه الله كالكفار، أو الشفاعة ممن لم يأذن له الله.

وأما الشفاعة المثبتة فهي التي تطلب من الله وتكون بإذنه، فالذي يشفع يكرمه الله تعالى بالشفاعة، والمشفوع له هو الذي يرى الله تعالى قوله وعمله بعد إذنه تعالى بالشفاعة، كما قال تعالى :﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[2] و الشفاعة الحق المثبتة لا تكون إلا بعد توافر شرطين:

الأول: الإذن للشافع أن يشفع، كما في الآية السابقة.

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٥٤).

(٢) سورة البقرة الآية (٢٥٥).

الثاني: الرضى عن المشفوع فيه، وذلك كما في قوله تعالى :﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾[1].

وبهذا تكون الشفاعة كلها بإذن الله تعالى وبيده، وبأمره، كما قال تعالى :﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾[2].

الخلاصة:

١ - الكفار عبدوا غير الله تعالى طلباً للقربة والشفاعة عند الله.

٢ - النية الطيبة لا تكفي بدون اتباع السنة.

٣ - لشفاعة نوعان: مثبتة ومنفية.

٤ - شروط الشفاعة: الإذن للشافع، والرضى عن المشفوع فيه.

المناقشة:

س١: ما الذي حمل الكفار على عبادة غير الله؟ دلل على ما تقول.

س٢: ما هي أنواع الشفاعة؟ اذكر دليلاً واحداً لكل نوع.

س٣: ما هي شروط الشفاعة المثبتة؟

---

(١) سورة الأنبياء الآية (٢٨).

(٢) سورة الزمر الآية (٤٤).

المبحث الرابع
القاعدة الثالثة

القاعدة الرابعة: أن النبي ﷺ ظهر على أناس متفرقين في عبادتهم: منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار ومنهم من يعبد الشمس والقمر، وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرق بينهم والدليل قوله تعالى :﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾.

ودليل الشمس والقمر قوله تعالى :﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون﴾.

اللغة: (فتنة) الفتنة هي الشرك (آيات) علامات ودلائل.

الشرح: إن النبي ﷺ قد بعث إلى أقوام متفرقين في عبادتهم، متنوعين في أديانهم، منهم من يعبد الملائكة، أو الأنبياء والصالحين، أو الأشجار والأحجار أو الشمس والقمر، فشرع الله تعالى لنبيه ﷺ أن يقاتلهم، بل أمره بذلك، دونما تفريق بينهم، أمره بقتالهم جميعاً حتى يكون الدين لله، وحتى يظهر الإسلام على ما عداه من الملل، فقال تعالى :﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾[1] فقاتلهم ﷺ كلهم حتى أنزلهم على حكم الإسلام وشرائع الإسلام ومما يدل على وجود من يعبد الشمس والقمر، ونهي الله لهم عن ذلك قوله تعالى:﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[2].

---

(١) سورة الأنفال الآية (٣٩)

(٢) سورة فصلت الآية (٣٧).

ودليل الملائكة قوله تعالى :﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً﴾ ودليل الأنبياء قوله تعالى :﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب﴾ ودليل الصالحين قوله تعالى: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾.

ودليل الأحجار والأشجار قوله تعالى :﴿أفرأيتم اللات والعزى. ومناة الثالثة الأخرى﴾ وحديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال :«خرجنا مع النبي ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم

اللغة :(يبتغون) يطلبون (حدثاء عهد) قريبو زمن (سدرة) شجرة سدر وهو النبق (ينوطون) يعلقون.

الشرح: ومما يدل على وجود من كان يعبد الملائكة ونهي الله لهم عن ذلك قوله تعالى :﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾[1] ومما يوضح وجود عبّاد للأنبياء وإبطال عبادتهم تلك قوله تعالى، ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ فتبرأ عليه السلام من عبادتهم إياه وحكم ببطلانها، ومما يدل على وجود عبادة الصالحين والحكم ببطلانها قوله تعالى :﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ

---

(١) سورة آل عمران الآية (٨٠).

(٢) سورة المائدة الآية (١١٦).

يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط» الحديث.

عَذَابَهُۥ﴾[١]. قال بعض المفسرين: كان طائفة من العرب يعبدون ناساً من الجن، فأسلم أولئك الجن، ولا يدري بهم من عبد يبين الله لهم أن هؤلاء الذين تعبدونهم هم أنفسهم يتقربون إلى الله تعالى ويرجون رحمته ويخافون عذابه ومما يدل على وجود عبادة الأحجار قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾[٢] وهي الآلهة التي كان مشركوا مكة يعبدونها. أصناما صنعوها وعبدوها من دون الله، ومما يدل على وجود عبادة للأشجار

الشرح: حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه لما خرجوا مع النبي ﷺ إلى حنين، وكانوا حديثي عهد بكفر، لم يسلموا إلا من قريب فرأوا سدرة للمشركين يقال لها ذات أنواط، كان المشركون يتبركون بها، ويعلقون بها أسلحتهم، فطلبوا من النبي ﷺ أن يجعل لهم ذات أنواط مثلها، فكبّر وغضب وأغلظ القول لهم ونهاهم عن ذلك، وقال لهم: «قلتم والذي نفسي بيده كما قال أصحاب موسى لموسى: «اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون»[٣] فدلّ الحديث على وجود عبادة من المشركين للأشجار، كما دل أيضاً على أن الاعتقاد في الأشجار كفر، ودل على أن فضلاء الناس وعلماءهم قد يقعون في الشرك وهم لا يشعرون، ودل على أن المرء إذا قال كلمة كفر غير عالم بكونها كفراً ولا قاصداً لذلك

---

(١) سورة الإسراء الآية (٥٧).

(٢) سورة النجم الآيتان (١٩، ٢٠).

(٣) أخرجه: أحمد (٥/٢١٨) وعبد الرزاق (٢٠٧٦٣) والطيالسي (١٣٤٦) والحميدي (٨٤٨) والترمذي (٢١٨٠) وقال: حسن صحيح. وغيرهم من حديث أبي واقد الليثي.

لا يكفر حتى يعلم. فأبطل الله تعالى كل أنواع العبادة هذه، وأمر رسوله ﷺ بقتال كل أولئك الناس دون تفريق بينهم.

الخلاصة:

١ - بعث النبي ﷺ إلى أناس متفرقين مللهم شتى.

٢ - قاتل النبي ﷺ كل هؤلاء الناس دون تفريق بينهم.

٣ - لا يكفر المسلم بكلمة الكفر إذا قالها غير عالم ولا متعمدٍ.

٤ - الحق قد يخفى على أكابر الناس فضلاً عن العوام.

المناقشة:

س١: اذكر بعضاً من أنواع العبادة التي كانت موجودة عن بعثته ﷺ مع ذكر دليل واحد لكل نوع منها.

س٢: هل فرق النبي ﷺ بين أصحاب هذه الملل؟

س٣: ماذا تستفيد من حديث الباب المذكور؟

المبحث الخامس
القاعدة الرابعة

القاعدة الرابعة: أن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين، لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، ومشركو زماننا شركهم دائماً في الرخاء والشدة، والدليل قوله تعالى :﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾.

تمت. وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

اللغة: (أغلظ) أعظم وأشد (الرخاء) اليسر وحال النعمة (الشدة) العسر وحال نزول البلاء

الشرح: هذه هي القاعدة الرابعة والأخيرة، وهي أن المشركين في زماننا، الذين يصرفون شيئاً من العبادة لغير الله تعالى كالصالحين من المقبورين وغيرهم، هؤلاء أعظم شركاً وأغلظ كفراً من المشركين الأولين، وذلك لأن المشركين الأولين كانوا يشركون في حال الرخاء فقط، وأما في حال الشدة فقد كانوا يخلصون الدعاء لله، ويعلمون أنه لا ينجيهم غيره، وأن آلهتهم لن تغني عنهم شيئاً، ومما يدل على ذلك قوله تعالى :﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[1] وقوله تعالى :﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ

---

(١) سورة العنكبوت الآية (٦٥).

قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾[1] فدلّت الآيات على أنهم كانوا يشركون في السراء فقط، وأما في الضراء فلا.

أما مشركو زماننا فإنهم يشركون في كلتا الحالين، إن أصابتهم نعمة وسراء هرعوا إلى القبور يقدمون لها القرابين ويذبحون عندها، ويقدمون الشكر للمقبورين فيها، ويسبحون بحمدهم.

وإن نزلت بهم مصيبة هرعوا عليها يستغيثون بهم، ويدعونهم، وينذرون لهم كذا وكذا إذا ارتفعت عنهم المصيبة، كما نراه جلياً عند الأضرحة المعبودة من دون الله كضريح الحسين والسيدة زينب وعبدالقادر الجيلاني والسيد البدوي وغيرهم فتبين بذلك أن شرك هؤلاء المتأخرين أعظم من شرك الأولين، لأنه شرك متواصل في كل حال. وبهذا يتم المقصود من هذه الرسالة، والحمد لله رب العالمين.

الخلاصة:

١ - المشركون الأولون كانوا يشركون حال السراء ويخلصون عند الشدة.

٢ - مشركو هذا الزمان يشركون بالله في كلتا الحالين.

٣ - مشركو زماننا أغلظ شركاً من المشركين الأولين.

المناقشة:

١ - ما الفرق بين مشركي زماننا والمشركين الأولين؟

٢ - أيهما أعظم شركاً: الأولون أم مشركو زماننا؟

٣ - ما الدليل على أن الأولين كانوا يشركون في الرخاء دون الشدة؟

---

(١) سورة الأنعام الآيتان (٦٣: ٦٤).

الفصل الثالث:

شرح رسالة معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه

لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب التميمي الحنبلي

بقلم
د. محمد بن عبدالرحمن الخميس

المبحث الأول
أول واجب على الإنسان

اعلم رحمك الله تعالى أن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله، والدليل قوله تعالى :﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾.

اللغة: (فرض) أوجب (الطاغوت) فاعول من طغى، وهو كل من تجاوز حده وطغى.

الشرح: بدأ الشيخ رحمه الله رسالته ببيان أول شيء افترضه الله تعالى على الإنسان وذلك أخذاً من كتاب الله تعالى.

وذلك الفرض هو الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله تعالى، كما قال عز وجل :﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[1].

فأول شيء الكفر بالطاغوت، وهو كل ما عبد من دون الله راضياً بالعبادة، وخلع كل الآلهة التي تعبد من دون الله تعالى، من شجر وحجر، وشمس وقمر: وملك وبشر، وغير ذلك، فهي لا تستحق العبادة من دون الله تعالى، لأنها لا تملك شيئاً من الأمر.

ثم بعد ذلك إخلاص الدين كله لله تعالى، وعبادته وحده، وإثبات استحقاقه لها دون غيره، وهذا الواجب - الكفر بالطاغوت والإيمان بالله - هو حقيقة معنى لا إله إلا الله، فإنها نفي وإثبات (لا إله) تنفي

---

(١) سورة النحل الآية (٣٦).

استحقاق العبودية عن غير الله تعالى، وهذا هو الكفر بالطاغوت. (إلا الله) تثبت العبودية لله تعالى وحده دون غيره، وبهذا يتبين أول واجب على العبد فإنه ليس النظر العقلي ولا غيره، كما زعم طوائف من المتكلمة وغيرهم وإنما هو ما ذكر من الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله تعالى.

الخلاصة:

١ - أول واجب على العبد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله تعالى.

٢ - الطاغوت كل ما عبد من دون الله وهو راضٍ بالعبادة.

٣ - زعم طوائف من المتكلمة أن النظر العقلي هو أول واجب على المكلف.

المناقشة:

س١: ما أول واجب على الإنسان؟ اذكر الدليل.

س٢: ما معنى كلمة الطاغوت؟

س٣: بين حقيقة معنى لا إله إلا الله، وما المقصود بأنها نفي وإثبات؟

س٤: من الذي خالف في أول واجب على المكلف؟ وما مذهبهم؟

المبحث الثاني
معنى الكفر بالطاغوت والإيمان بالله

فأما صفة الكفر بالطاغوت فهو أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها وتكفر أهلها وتعاديهم، وأما معنى الإيمان بالله فهو أن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون من سواه، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه

اللغة:

الشرح: أما صفة الكفر بالطاغوت فهي أن يعتقد الإنسان بطلان عبادة غير الله تعالى، كما قال عز وجل: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَـٰطِلُ﴾[1] وأن يترك الإنسان هذه العبادة فلا يقربها ولا يشرك فيها مع الله أحداً، وأن يبغض الكفر وعبادة الطاغوت ويكرهها، كما قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[2] وأن يحكم على أهلها بالكفر، ويعاديهم فلا يواليهم ولا يحبهم، ولا يناصرهم.

ومعنى الإيمان بالله تعالى أن يعتقد المرء أن الله تعالى هو الإله المعبود المستحق للعبادة دون سواه فلا مستحق للعبادة غيره، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾[3].

وكذلك يخلص جميع أنواع العبادة لله تعالى، من صلاة وصيام وزكاة وحج، ودعاء، ونذر وتوكل ورغبة ورهبة وغيرها، فينفيها عن كل

---

(١) سورة الحج الآية (٦٢).
(٢) سورة الزمر الآية (٧).
(٣) سورة الحج الآية (٦٢).

معبود غيره، ويخلصها لله وحده، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾[1] فلا يجوز صرف نوع منها أو شيء منها لغير الله، وإلا فهو الشرك.

(١) سورة الزمر الآية (١٤).

وتحب أهل الإخلاص وتواليهم، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم، وهذه ملة إبراهيم التي سفه نفسه من رغب عنها، وهذه هي الأسوة التي أخبر الله بها في قوله :﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاءمنكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده﴾.

اللغة: (سفه) استغفل وأساء إليها وظلمها (الأسوة) القدوة (بدا) ظهر.

الشرح: ويدخل في الإيمان بالله محبة أهل الإخلاص لله تعالى وأهل التوحيد، وموالاتهم بمحبتهم ونصرتهم ومودتهم، وكذلك بغض أضدادهم من أهل الشرك ومعاداتهم، وترك موالاتهم وقد قال ﷺ: «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله»[(١)].

وهذا الذي سبق بيانه هو ملة إبراهيم عليه السلام، التي قال الله تعالى عنها :﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾[(٢)] وقد بين تعالى موقف إبراهيم عليه السلام ومن تبعه من المؤمنين من أقوامهم وأهلهم الكفار فقال مؤكداً أن هذه هي الأسوة التي يجب علينا التأسي بها، والاقتداء بها ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ.....﴾[(٣)].

فتبرآوا منهم، وكفروا بهم وبما يعبدون من دون الله، وصرحوا لهم

---

(١) أخرجه الطبراني في (الكبير) (١١/ ٢١٥) والبغوي في شرح السنة (١٣/ ٥٣) وأخرج نحوه أحمد (٤/ ٢٨٦) وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٩٩٨) لشواهده.

(٢) سورة البقرة الآية ((١٣٠).

(٣) سورة الممتحنة الآية (٤).

بالعدواة والبغضاء وقطع المودة حتى يخلصوا الإيمان لله تعالى، ويفردوه بها دون غيره، ويخلعوا هذه الآلهة الباطلة.

الخلاصة:

١ - صفة الكفر بالطاغوت هي اعتقاد بطلان عبادته، وتكفير أهلها ومعاداتهم.

٢ - من الإيمان بالله إخلاص العبادة له، ومحبة أهل الإيمان وموالاتهم.

٣ - هذان الأصلان هما اصل ملة إبراهيم عليه السلام.

المناقشة:

س١: ما أصل ملة إبراهيم عليه السلام؟

س٢: تكلم بإيجاز عن صفة الكفر بالطاغوت.

س٣: هل هناك علاقة بين الإيمان بالله وبين محبة أهل الإيمان وموالاتهم؟

المبحث الثالث
معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه

الطاغوت عام، فكل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت، والطواغيت كثيرة ورؤوسهم خمسة:

الأول: الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله، والدليل قوله تعالى: ﴿ألم

اللغة: .....

الشرح: يشير رحمه الله إلى أن كلمة الطاغوت عبارة عن أنواع معينة، فهي عامة، وليست خاصة بشخص معين أو ذات معينة، بل كل ما عبد من دون الله أو أُتبع من دون الله، أو أطيع في معصية الله ورسوله ورضي بتلك العبادة وبهذه الطاعة والأتباع فهو طاغوت، وهؤلاء الطواغيت المتصفون بهذا الوصف كثيرون، لأن هذا الوصف كما قلنا عام لا ينحصر في ذات معينة، ولكن أعظم هذه الأنواع خمسة هي رؤوس الطاغوت.

الأول: الشيطان فإنه أعظم من دعا إلى عبادة غير الله، وهو راض بأن يعبد من دون الله تعالى، بل إنه يدعوا إلى ذلك، والدليل على أنه قد عبد من دون الله قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[1] فصرح القرآن بأنهم عبدوا الشيطان وذلك بطاعتهم له من دون الله تعالى، واتباعهم له

---

(١) سورة يس الآية (٦٠).

الثاني: الحاكم الجائر المغير لأحكام الله تعالى، والدليل قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً﴾.

الثالث: الذي يحكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالى :﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾.

اللغة: (الجائر) الظالم.

الشرح: والرأس الثاني من رؤوس الطاغوت الخمسة، هو الحاكم الظالم الذي يغير ويبدل في حكم الله تعالى، كما فعلت اليهود، وذلك إما انتقاصاً من حكم الله تعالى، أو تفضيلاً لغيره عليه، استحواذاً من الشيطان على ذلك الحاكم المبدل المغير، ومما يدل على هذا النوع الآية الكريمة المذكورة :﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[1] فوصف دعواهم الإيمان بأنها زعم، تكذيباً من الله تعالى لهم في ذلك، لأنهم أرادوا التحاكم إلى غير الله، إعراضاً منهم عن حكم الله تعالى، وذلك بعد أن أمروا بالكفر بالطاغوت عدم التحاكم إليه، ولكم الشيطان استحوذ عليهم فأضلهم عن صراط الله.

فهذا النوع الثاني من رؤوس الطاغوت، كل حاكم ظالم مبدل لحكم الله تعالى مستبدل به غيره.

الثالث: والنوع الثالث من رؤوس الطاغوت، هو الذي يحكم بغير ما

---

(١) سورة النساء الآية (٦٠).

أنزل الله تعالى، كما قال عز وجل :﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُـمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1] وسواء كان قاضياً =

(١) سورة المائدة الآية (٤٤).

الرابع: الذي يدعي علم الغيب من دون الله، والدليل قوله تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً. إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً﴾ وقال تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾.

اللغة: (لا يظهر) لا يطلع (مبين) بين واضح.

الشرح: = أو ملكاً أو رئيساً أو غيره، فكل من حكم بغير ما أنزل الله تعالى عاملاً عالماً فهو طاغوت، وإن زعم ما زعم، فإن الله تعالى قد كفرّه، غير أن بعض السلف لم يكفر من حكم بغير ما أنزل الله في قضية مثلاً لقرابة أو رشوة ونحوها، مع أنه يحكم أصلاً بما أنزل الله ويقضي به في الناس، فهو لم يحكم بغيره مطلقاً.

الرابع: أي النوع الرابع من رؤوس الطاغوت الخمسة من ادعى علم الغيب من دون الله تعالى فإن الله تعالى قد انفرد بعلم الغيب عن خلقه، فقال عز وجل: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا. إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[2] فالله تعالى منفرد بعلم الغيب، لا يطلع عليه احد بغير إذنه تعالى، ولا يعلم الخلق شيئاً من علم الغيب ما يكون في غدٍ، فمن ادعى علم الغيب لنفسه أو لغيره كفر بالله تعالى وأشرك به فيما لا ينبغي إلا له تعالى وحده.

---

(١) سورة الجن الآيتان (٢٦: ٢٧).

(٢) سورة الأنعام الآية (٥٩).

الخامس: الذي يعبد من دون الله وهو راض بالعبادة، والدليل قوله تعالى :﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين﴾.

الخامس: أي الرأس الخامس والأخير من رؤوس الطاغوت، من عبد من دون الله تعالى وهو راض بذلك، وهذا يجمع تحته أنواعاً كثيرة، والدليل على ذلك قوله تعالى :﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

فهذا حكم من الله تعالى على ذلك الطاغوت الذي دعا لعبادة نفسه، ونصّب نفسه إلهاً من دون الله تعالى، كما فعل فرعون عليه لعنة الله، وكما فعل غيره.

فهذه الرءوس الخمسة التي ذكرت هي أهم رءوس أنواع الطاغوت، وله أنواع أخرى غير ما ذكر.

الخلاصة:

١ - الطاغوت هو كل ما عبد وأطيع من دون الله وهو راضٍ بالعبادة.

٢ - أنواع الطاغوت كثيرة، وأهمها الأنواع الخمسة المذكورة.

المناقشة:

س١: هل كلمة الطاغوت معناها عام أم خاص؟

س٢: ما هي أهم رءوس الطاغوت؟

س٣: ما هو الدليل على أن الشيطان طاغوت؟

س٤: ما حكم من يدعي الغيب؟ اذكر الدليل.

---

(١) سورة الأنبياء الآية (٢٩).

المبحث الرابع
الكفر بالطاغوت شرط لصحة الإيمان

واعلم أن الإنسان ما يصير مؤمناً بالله إلا بالكفر بالطاغوت، والدليل قوله تعالى: ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾ الرشددين محمد ﷺ، والغيّ دين أبي جهل، والعروة الوثقى شهادة ألا إله إلا الله، وهي متضمنة للنفي والإثبات، تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله تعالى، وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لاشريك له.

اللغة: (استمسك) بالغ في التمسك (انفصام) انفصال (الغي) الزيغ والضلال.

الشرح: والإيمان بالله تعالى لا يكون إلا بعد الكفر بالطاغوت أولًا، إذ لا يجتمع الإيمان والشرك بالله في قلب واحد، فإنهما نقيضان، فيخلع عبادة غير الله أولًا، ثم يثبت العبادة لله وحده، كما قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1] فبدأ بالكفر بالطاغوت أولًا ثم الإيمان بالله بياناً وتأكيداً لما ذكر، والرشد هو دين محمد ﷺ، دين التوحيد وإفراد الله تعالى بالعبادة، وإخلاص الدين له، والغي هو دين ابي جهل، الإشراك بالله تعالى وصرف العبادة إلى غيره، واتخاذ الأنداد من دونه، والعروة الوثقى هي شهادة، ألا إله إلا الله، فهي وإثبات، (لا إله) تنفي استحقاق أي نوع من أنواع العبودية

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٥٦).

عن غير الله تعالى، فإنهم لا يستحقونها وليس لهم من الملك شيء، (إلا الله) إثبات لأن الله تعالى مستحق لجميع أنواع العبادة على اختلافها فإنه المنفرد بالخلق والملك والتصرف فكان مستحقاً لكل أنواع العبادة دون غيره.

الخلاصة:

١ - الكفر بالطاغوت شرط لصحة الإيمان.

٢ - الرشد هو التوحيد والغي هو الشرك.

٣ - لا إله إلا الله متضمنة للنفي والإثبات.

المناقشة:

س١: أيهما يسبق أولاً: الكفر بالطاغوت أم الإيمان بالله؟

س٢: اذكر معنى ما يأتي (الرشد - الغي - العروة الوثقى)؟

س٣: ما معنى القول بأن (لا إله إلا الله) نفي وإثبات؟

الفصل الرابع:

تفسير كلمة التوحيد
لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب
التميمي الحنبلي

مقدمة المؤلف
سبب تأليف الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لوليه، والصلاة والسلام على نبيه سئل الشيخ محمد رحمه الله تعالى عن معنى لا إله إلا الله، فأجاب بقوله:

اللغة: (الحمد) الثناء على الجميل الإختياري (الصلاة) لغة الدعاء.

الشرح: بدأ الشيخ رحمه الله بالبسملة تبركاً باسم الله تعالى، وجرياً على عادة أهل العلم في البدء باسم الله تعالى في كل عمل، ثم ثنى بالحمد لله تعالى فقال: (الحمد لوليه) أي الحمد لصاحب النعمة ومولیها، والمنعم بها المستحق لأن يحمد عليها، كما قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1] فهو المستحق للحمد ظاهراً وباطناً، لنعمه على خَلقه، ولصفاته البالغة غاية الجمال والكمال، وأفعاله الدالة على كمال الحكمة والعلم، ثم أتبع الحمد بذكر الصلاة والسلام على نبي الله ﷺ فقال ﴿والصلاة والسلام على نبيه﴾ أي محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[2] ثم عطف على ذلك بذكر السبب الباعث على وضع هذه الرسالة، فقد سئل الشيخ رحمه الله تعالى من قبل بعض أهل زمانه عن معنى كلمة التوحيد، كلمة لا إله إلا الله فأجاب رحمه الله تعالى ورضي عنه على هذا السؤال بقوله:

---

(١) الفاتحة (٢).
(٢) الأحزاب (٥٦).

المبحث الأول
معنى كلمة التوحيد ومنزلتها

اعلم رحمك الله تعالى أن هذه الكلمة هي الفارقة بين الكفر والإسلام، وهي كلمة التقوى، وهي العروة الوثقى، وهي التي جعلها إبراهيم عليه السلام كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون، وليس المراد قولها باللسان مع الجهل بمعناها،

اللغة: (الفارقة) الفاصلة (الوثقى) الوثيقة (عقبه) ذريته.

الشرح: بدأ الشيخ رحمه الله تعالى بذكر منزلة هذه الكلمة، فذكر أنها الفارقة بين الكفر والإسلام وذلك أنا أُمِرْنا بالكف عن المشرك إذا قالها حتى يتبين لنا حقيقة أمره، وقد قاتل النبي ﷺ الناس لأجل هذه الكلمة، وظل طيلة دعوته يدعوا الناس إليها وهي كلمة التقوى كما قال تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾[1] قالوا: هي كلمة لا إله إلا الله.

وهي العروة الوثقى كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾[2] وقال: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾[3]، وهي التي جعلها إبراهيم عليه السلام كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون قال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[4]، ثم بين رحمه الله أنه ليس المراد من تكليف العباد بها النطق بها فقط مع الجهل بمعناها، أو ترك العمل بمقتضاها، وبين أن

---

(١) سورة الفتح الآية (٢) البقرة (٢٥٦)
(٣) لقمان (٢٢) (٤) الزخرف (٢٨)

فإن المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار في الدرك الأسفل من النار، مع كونهم يصلون ويتصدقون، ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب، ومحبتها ومحبة أهلها، وبغض من خالفها ومعاداته، كما قال النبي ﷺ: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً»

اللغة: (الدرك) المنزل في النار (بغض) كراهية (مخلصاً) صادقاً.

الشرح: المنافقين يقولونها - لا إله إلا الله - وعلى الرغم من ذلك فإنهم تحت الكفار في النار، في أسفل دركاتها وأخس طبقاتها، كما قال سبحانه وتعالى عنهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[1] فهم في أحط درجاتها وأسفلها، وذلك على الرغم من أنهم كانوا يصلون مع النبي ﷺ، ويتصدقون، وهكذا هم في كل زمان ومكان، يظهرون الإسلام، ويتظاهرون بأفعال المسلمين، وهم في حقيقة أمرهم كفار مشركون، والمطلوب أن يقولها المرء بلسانه، مع معرفة معناها بقلبه واعتقاد ما دلت عليه من إفراد الله بالوحدانية والعبودية، ومحبة هذه الكلمة ومحبة أهلها لأنهم أهل التوحيد والإيمان، وبغض من خالفها من أهل الشرك والفسوق والعصيان ومعاداتهم، كل بحسب مخالفته لها، يبغض ويعادي بقدر ما خالفها، كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ....﴾[2]، وقد بين النبي ﷺ أنه ليس المقصود مجرد قولها فقط باللسان قال: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً»[3] فلم يقتصر على مجرد القول، بل اشترط الإخلاص

---

(١) النساء (١٤٥).

(٢) المجالدة (٢٢)

(٣) رواه الترمذي (٣٩٥٠) عن أبي هريرة. وأحمد (٥/٢٣٦) والحميدي (٣٦٩) عن معاذ بن جبل وهو حديث حسن.

وفي رواية «خالصاً من قلبه» وفي رواية «صادقاً من قلبه» وفي حديث آخر: «من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله» إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة، فاعلم أن هذه الكلمة نفي وإثبات: نفي الإلهية عما سوى الله سبحانه وتعالى من المرسلين حتى محمد ﷺ، ومن الملائكة حتى جبريل فضلاص عن غيرهما من الأنبياء الصالحين، وإثباتها لله عز وجل.

اللغة: (الإلهية) كونه معبوداً أو مستحقاً للعبودية.

الشرح: في قول هذه الكلمة، وفي رواية أنه قال: ﴿**خالصاً من قلبه**﴾[١] فاشترط الإخلاص من القلب وهذا يتضمن تمام العلم بمعناها، وكذلك قوله: ﴿**صادقاً من قلبه**﴾[٢]، وفي قوله ﷺ: «من قال ألا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله»[٣] فلم يقف عند حد القول فقط إنما اشترط الكفر بما يعبد من دون الله، وخلع الأنداد والنظراء والتبرؤ منهم، فكل هذا من تمام الصدق في قول هذه الكلمة، وكثير من هذه الأحاديث تدل على جهل الناس بحقيقة معناها، حيث ظنوا أن المطلوب قولها فقط والحق أنها نفي وإثبات: فهي نفي لاستحقاق العبودية عما سوى الله تعالى، من المرسلين ولا حتى إمامهم وخيرهم محمد ﷺ، ومن الملائكة ولا حتى كبيرهم جبريل عليه لاسلام وهذا نفي للألوهية عنهم، ومن باب أولى عن غيرهم أيضاً من الملائكة والأنبياء، والصالحين وإثبات استحقاق هذه العبودية لله تعالى دون خلقه، لأنه تعالى هو الخالق الرازق المدبر المتصرف، ولهذا قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾[٤]

---

(١) أخرجه البخاري كتاب العلم باب الحرص على الحديث ح(٩٩) وفي الرقاق ح(٦٥٧٠) من حديث أبي هريرة.

(٢) البخاري كتاب العلم ح(١٢٨) وأحمد (٤/ ٤٠٢-٤١١)، (٥/ ٢٢٩).

(٣) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ح(٢٣) من طريق أبي مالك الأشجعي عن أبيه.

(٤) الحج (٦٢).

الخلاصة:

١ - كلمة لا إله إلا الله هي الفارقة بين الإسلام والكفر، وهي العروة الوثقى.

٢ - لا يكفي التلفظ بها دون فهم معناها، ودون العمل بمقتضاها.

٣ - كلمة لا إله إلا الله نفي للعبودية عما سوى الله تعالى، وإثباتها لله وحده.

المناقشة:

س١: ما هي العروة الوثقى؟ وما هي كلمة التقوى؟

س٢: لماذا كان المنافقون في الدرك الأسفل من النار؟

س٣: ما معنى القول بأن لا إله إلا الله نفي وإثبات؟

المبحث الثاني
معنى الألوهية الثابتة لله وحده

إذا فهمت ذلك فتأمل الألوهية التي اثبتها الله تعالى لنفسه، ونفاها عن محمد ﷺ وجبريل وغيرهما أن يكون لهم منها مثقال حبة من خردل، فاعلم أن هذه الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا السر والولاية. والإله معناه الولي الذي فيه السر وهو الذي يسمونه الفقير والشيخ، وتسميه العامة: السيد، وأشباه هذا، وذلك أنهم يظنون أن الله جعل لخواص الخلق عنده منزلة يرضى أن يلتجئ الإنسان إليهم ويربوهم ويستغيث بهم ويجعلهم واسطة بينه وبين الله.

اللغة: (منزلة) مكانة (يلتجئ) يحتمي ويعوذ (يرجو) يؤمل.

الشرح: هنا يبين الشيخ رحمه الله تعالى معنى الألوهية التي أثبتها الله تعالى لنفسه، ونفاها عن جميع خلقه حتى عن رسوله المصطفى محمد، وعن جبريل المختار من الملائكة الأصفياء، فهم لا يملكون منها مثقال حبة من خردل، إذ ليس لهم من الأمر شيء ولا مثقال حبة من خردل وهذه الألوهية التي أثبتها الله تعالى لنفسه هي ما يسميه العامة في زمن الشيخ وبعده: السر والولاية فالإله عندهم هو الولي الذي فيه السر، وهذا السر هو روح الإله أو منزلة أو منزلة خاصة عند الله، وقد يسموه هذا الولي الفقير أو الشيخ، أو السيد، وغير ذلك، وهم يظنون أن الله تعالى جعل لبعض الخلق عنده منزلة ومكانة بحيث إنهم يقدرون على النفع والضر - بزعمهم - فيجوز الالتجاء إليهم ودعاؤهم - عند هؤلاء الجهال - ويظنون أن الله يرضى منهم بذلك، وأنهم يجوز لهم اتخاذهم وسائط من دون الله تعالى وكل هذه اعتقادات شركية تنقل عن الملة الإسلامية، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

فالذين يزعم أهل الشرك في زماننا أنهم وسائطهم الذين يسميهم الأولون الآلهة والواسطة هو الإله، فقول الرجل: لا إله إلا الله إبطال للوسائط، وإذا أردت أن تعرف هذا معرفة تامة فذلك بأمرين:

الأول: أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ وقتلهم وأباح أموالهم واستحل نساءهم كانوا مقرين لله سبحانه بتوحيد الربوبية، وهو أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولا يدبر الأمور إلا الله وحده. كما قال تعالى: ﴿قل من يرزقكم

اللغة: (يزعم) يدعي (مقرين) معترفين.

الشرح: فهؤلاء الذين يسميهم هؤلاء المبتدعة المشركون في زمان الشيخ وبعده، يسمونهم الوسائط، هم أنفسهم الذين كان المشركون الأولون يعبدونهم ويسمونهم آلهة، فأما شهادة ألا إله إلا الله فهي إبطال لهذه الوسائط لأن فيها إفراداً لله تعالى بكل أنواع العبودية وصرف هذه العبادات له وحده دون من سواه، والذي يوضح هذا بجلاء أمران:

الأول: أن يعرف المرء أن هؤلاء الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم وسبى نساءهم، لم يكونوا مشركين في أمر الربوبية بل كانوا موحدين في ذلك، مقرين بأن الله عز وجل هو المنفرد وحده بالخلق والرزق والإحياء والإماتة، والتدبير والتصريف، وغير ذلك، فليس لأحد غيره شيء من الملك أو الأمر، ومما يدل على أنهم كانوا مقرين بذلك قول الله تعالى: ﴿قُلْ

من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله﴾ وهذه مسألة عظيمة جليلة، مهمة وهي أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ شاهدون بهذا كله ومقرون به، ومع هذا لم يدخلهم ذلك في الإسلام ولم يحرم دماءهم ولا أموالهم، وكانوا أيضاً يتصدقون ويحجون ويعتمرون ويتعبدون ويتركون أشياء من المحرمات خوفاً من الله عز وجل. ولكن الأمر الثاني هو الذي كفرهم وأحل دماءهم وأموالهم، وهو: أنهم لم

اللغة: (جليلة) عظيمة (شاهدون) مقرون معترفون.

الشرح: ﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ . . .﴾[1] الآية. فهم مقرون بأن كل هذا ليس إلا من عند الله فقط، وهو القادر على ذلك كله، الفاعل له دون غيره، وهذا أمر في غاية الأهمية، وهو أن هؤلاء الكفار قد أقروا بكل أفعال الربوبية وخصائصها إقراراً حقيقياً، ورغم ذلك لم يصيروا مسلمين بهذا الإقرار ولا حرمت دماؤهم ولا أموالهم به، بل قاتلهم ﷺ واستباح ذلك منهم، كما هو متواتر عنه ﷺ، وكانوا كذلك يتصدقون، ويحجون البيت، ويعتمرون، ويتعبدون لله، ويتركون أشياء من المحرمات خوفاً من الله تعالى لعلمهم أنه حرمها، ولأنهم كانوا يعرفون أن الله تعالى شديد العقاب، ويخافونه، ويحذرون معاجلته لهم بالعقوبة، ولكن رغم ذلك لم يعصم ذلك دماءهم وأموالهم، بل الأمر الثاني هو الذي كفرهم وأحل دماءهم وأموالهم ونساءهم، وهذا الأمر الثاني هو أن هؤلاء الكفار لم يشهدوا

---

(١) سورة يونس الآية (٣١).

يشهدوا لله بتوحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية هو أن لا يدعي ولا يرجى إلا الله وحده لا شريك له، ولا يستغاث بغيره، ولا يذبح لغيره، ولا ينذر لغيره، لا لملك مقرب ولا نبي مرسل، فمن استغاث بغيره فقد كفر، ومن ذبح لغيره فقر كفر، ومن نذر لغيره فقد كفر، واشباه ذلك. وتمام هذا أن تعرف أن المشركين الذين قاتلهم رسوله الله ﷺ كانوا يدعون الصالحين - مثل الملائكة وعيسى وأمه وعزير وغيرهم من الأولياء -

---

اللغة: .....

الشرح: ولم يقروا لله تعالى بتوحيد الألوهية، وهو استحقاق العبادة دون غيره، ومن هذا التوحيد أن لا يدعي غير الله كما قال تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾[1] ولا يرجى غير الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾[2] ولا يستغاث بغيره فيما لا يقدر عليه إلا هو، كما قال عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ....﴾[3]. وكذلك لا يذبح لغيره، كما قال عز وجل: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾[4] ولا ينذر لغيره، فإن النذر عبادة لا ينبغي إلا لله تعالى، فلا يصرف شيء من هذه العبادات لغيره عز وجل، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل وكل من صرف شيئاً ولو يسيراً من هذه العبادات فدعا غير الله أو استغاث به أو نذر له أو ذبح له أو رجاه فقد كفر وأشرك بالله تعالى. ومما يوضح ذلك أيضاً أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم النبي ﷺ كانوا يدعون الصالحين من دون الله، كالملائكة لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ

---

(١) سورة مريم الآية (٤٨) (٢) سورة الإسراء الآية (٥٧)
(٣) سورة الأنفال الآية (٩) (٤) سورة الكوثر الآية (٢)

لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا . . .﴾[1] منهم من عبد المسيح وأمه أو العزير كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾[2]

(١) سورة سبأ الآية (٤٠)

(٢) سورة التوبة الآية (٣٠)

فكفروا بهذا مع إقرارهم بأن الله سبحانه هو الخالق الرازق المدبر. إذا عرفت هذا عرفت معنى «لا إله إلا الله» وعرفت أن من نخا نبياً أو ملكاً أو ندبه أو استغاث به فقد خرج من الإسلام، وهذا هو الكفر الذي قاتلهم عليه رسول الله ﷺ.

اللغة: (نخا) دعا ورجا (ندبه) استصرخه.

الشرح: فهؤلاء المشركون كفروا بذلك - أي بدعائهم غير الله تعالى - مع إقرارهم بأن الله سبحانه هو الخالق الرازق المدبر، وذلك كما سبق بيانه، فحينئذ يتبين معنى (لا إله إلا الله) ويتضح أن من دعا غير الله تعالى ورجاه واستغاث به واستصرخه فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد كفر وخرج من الإسلام، وهذا هو بعينه نوع الكفر الذي لأجله قاتلهم النبي ﷺ.

الخلاصة:

١ - أهل الشرك في هذا الزمان يتخذون وسائط يسبقون عليها صفات الألوهية ويصرفون لها العبادة من دون الله.

٢ - الكفار الأولون أقروا لله تعالى بتوحيد الربوبية.

٣ - إقرارهم بالربوبية لم يدخلهم في الإسلام بسبب شركهم في الألوهية.

٤ - قاتلهم النبي ﷺ واستباحهم لأجل إشراكهم في مسألة الألوهية.

المناقشة:

س١: ماذا يقصد العامة في زمن الشيخ بكلمة السيد، الشيخ، الفقير؟

س٢: هل أقر الأولون بتوحيد الربوبية؟ ولماذا لم يدخلهم ذلك في الإسلام؟

س٣: لماذا قاتلهم النبي ﷺ واستباحهم؟

المبحث الثالث
(شبهة للمشركين وردها)

فإن قال قائل من المشركين: نحن نعرف أن الله هو الخالق الرازق المدبرو لكن هؤلاء الصالحون مقربون ونحن ندعوهم وننذر لهم، وندخل عليهم، ونستغيث بهم ونريد بذلك الوجاهة والشفاعة وإلا فنحن نفهم أن الله هو الخالق الرازق المدبر. فقل: كلامك هذا مذهب أبي جهل وأمثاله فإنهم يدعون عيسى وعزيراً والملائكة والأولياء، يريدون ذلك، كما قال تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ وقال تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ فإذا تأملت هذا تأملاً جيداً وعرفت أن الكفار يشهدون لله بتوحيد الربوبية - وهو تفرده بالخلق والرزق والتدبير - وهم ينخون

اللغة: (الوجاهة) الجاه والمنزلة والمكانة.

الشرح: يورد المشركون شبهة مفادها أنهم مقرون بأمر الربوبية تماماً، غير أنهم لعلمهم بقرب هؤلاء الصالحين من الله تعالى، فقد دعوهم ونذروا لهم واستغاثوا بهم ليقربوهم إلى الله تعالى، ويشفعوا لهم عنده، وهم مقرون مع ذلك بالربوبية، ويجاب عليهم بأن هذا هو بعينه كلام أبي جهل وأمثاله فقد أقروا لله تعالى بأمر الربوبية تماماً، لكنهم اتخذوا وسائط من دون الله بدعوى أنها تقربهم إليه وتشفع لهم عنده، كما قال تعالى حاكياً ذلك عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[1] وقال أيضا:

---

(١) سورة الزمر الآية (٣)

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[1] فهذا كان حقيقة شركهم بالله تعالى، فإذا تبين أن هؤلاء المشركين كانوا مقرين بأمر الربوبية، لكنهم دعوا ورجوا غير الله تعالى، مثل عيسى

(١) سورة يونس (١٨)

عيسى والملائكة والأولياء يقصدون أنهم يقربونهم إلى الله زلفى ويشفعون لهم عنده، وعرفت أن من الكفار - خصوصاً النصارى منهم - من يعبد الله الليل والنهار، ويزهد في الدنيا ويتصدق بما دخل عليه منها معتزلاً في صومعة عن الناس، وهو مع هذا كافر عدو لله مخلد في النار بسبب اعتقاده في عيسى أو غيره من الأولياء يدعوه أو يذبح له أو ينذر له - تبين لك كيف صفة الإسلام الذي دعا إليه نبيك محمد ﷺ، وتبين لك أن كثيراً من الناس عنه بمعزل، وتبين لك معنى قوله ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ».

اللغة: .....

الشرح: وغيره من الملائكة والأنبياء يزعم أنهم يشفعون لهم عند الله تعالى ويقربونهم إليه زلفى، ولو نظرت إلى حال الكفار لرأيت طائفة منهم خصوصاً من النصارى من يعبدون الله ليلاً ونهاراً ويستقلون من الدنيا زهداً فيها ويتصدقون بما ينالون منها معزلين عن الناس في صومعة، ومع كل هذه الخصال فالواحد فيها كافر عدو لله تعالى مخلد في النار لأنه اتخذ من دون الله إلهاً، كما قال تعالى على لسان عيسى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[1]. حينئذ يظهر لك صفة الإسلام الذي دعا إليه النبي ﷺ، واتضح أن كثيراً من الناس بمعزل عنه، لصرفهم العبادة لغير الله تعالى، وتبين حينئذ معنى قوله ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ»[2] فقد استغرب الكفار قديماً عبادة إله واحد، واليوم يتكرر نفس الشيء.

---

(١) سورة المائدة الآية (٧٢)

(٢) أخرجه مسلم (١٤٥) وابن ماجه (٣٩٨٦)

الخلاصة:

١ - الكفار أقروا بتوحيد الربوبية، لكنهم اتخذوا وسائط للشفاعة والقربة لله فكفروا بذلك.

٢ - العمل الصالح مهما بلغ لا ينفع صاحبه المشرك.

المناقشة:

١ - هل ينتفع الكافر بعمله الصالح؟

٢ - لماذا حكمنا بكفر الكافرين مع إقرارهم بالربوبية.

الخاتمة

فالله الله ياإخواني تمسكوا بأصل دينكم، وأوله وآخره، وأسه ورأسه شهادة ألا إله إلا الله، واعرفوا معناها وأحبوها وأحبوا أهلها واجعلوهم إخوانكم ولو كانوا بعيدين، واكفروا بالطواغيت وعادوهم وأبغضوهم وأبغضوا من أحبهم أو جادل عنهم أو لم يكفرهم، أو قال ما عليّ منهم، أو قال: ما كلفني الله بهم، فقد كذب هذا على الله وافترى، فقد كلفه الله تعالى بهم وافترض عليه الكفر بهم والبراءة منهم ولو كانوا إخوانهم وأولادهم، فالله الله يا إخواني تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم وأنتم لا تشركون به شيئاً. اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين.

اللغة: (أس) أصل ولب.

الشرح: يناشد المؤلف إخوانه بالله تعالى بالتمسك بأصل دينهم وأساسه ولبه والشهادة التي توجب عليهم إخلاص الدين لله تعالى، ويدعوهم إلى تعلم معناها وحبها وحب أهلها فإن ذلك من الواجب عليهم، ويدعوهم إلى الكفر بأعدائها وبغضهم ومعاداتهم، وبغض كل من والاهم أو لم يكفرهم أو لم يثبت وجوب الكفر بهم وبغضهم، فإن الله قد افترض ذلك فقال: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[1] ثم يدعوهم إلى التمسك بكل ذلك حتى يلقوا الله تعالى مؤمنين به موحدين، ويدعو لهم بحسن الختام على الإسلام ودرجات الصالحين

---

(١) المجادلة (٢٢)

ولنختتم الكلام بآية ذكرها الله تعالى في كتابه تبين لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم من كفر الذين قاتلهم رسول الله ﷺ. قال الله تعالى: ﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً﴾ فقد ذكر الله تعالى عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر تركوا السادة والمشايخ فلم يدعوا أحداً منهم ولم يستغيثوا به، بل يخلصون لله وحده لا شريك له، ويستغيثون به وحده فإذا جاء الرخاء أشركوا، وأنت ترى المشركين من أهل زماننا ولعل بعضهم يدعي أنه من أهل العلم وفيه زهد واجتهاد وعبادة - إذا مسه الضر قام يستغيث بغير الله مثل معروف أو عبد القادر الجيلاني وأجل من هؤلاء مثل زيد بن الخطاب والزبير، وأجل من هؤلاء مثل رسول الله ﷺ فالله المستعان وأعظم من ذلك وأطم أنهم يستغيثون بالطواغيت والكفرة والمردة مثل شمسان وإدريس الذي يقال له

اللغة: (أطم) أدهى وأعظم.

الشرح: يختم رحمه الله كلامه بما يوضح أن الكفار في زمانه أعظم شركاً من متقدمي المشركين، فإن الأقدمين كانوا يشركون في السراء ويوحدون في الضراء كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾[1] أما مشركو زماننا فإنهم يشركون في كل حال، في السراء وفي الضراء فإذا أصابهم الضر قاموا - ومنهم من ينسب إلى العلم والزهد - فاستغاثوا بغير الله من الصالحين كمعروف وعبد القادر أو من هو أفضل منهم كالزبير وزيد بن الخطاب، أو

---

(١) الإسراء الآية (٦٧)

الأشقر ويوسف وأمثالهم، والله سبحانه وتعالى أعلم، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين آمين.

من هو أفضل منهم كالنبي ﷺ بل والأدهى أن منهم من يقوم فيستغيث بالطواغيت والكفرة مثل شمسان وإدريس الذي يقال له الأشقر ويوسف وغيرهم، فهل هناك ضلال أشد من هذا. ثم ختم رحمه الله كلامه بحمد الله والصلاة والسلام على النبي وآله وصحبه.

الفصل الخامس

كشف الشبهات للإمام محمد بن عبدالوهاب التميمي الحنبلي مع شرحه الميسر

بقلم
د. محمد بن عبدالرحمن الخميس

المبحث الأول
معنى التوحيد وخطأ المشركين في فهمه

بسم الله الرحمن الرحيم

إعلم رحمك الله أن التوحيد هو افراد الله سبحانه بالعبادة وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به الى عباده، فأولهم نوح عليه السلام أرسله الله الى قومه لما غلوا[1] في الصالحين، وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً وآخر الرسل محمد ﷺ وهو كسر صور هؤلاء الصالحين أرسله الله إلى الناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً لكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله، يقولون نريد منهم

اللغة: (غلوا) تجاوزوا الحد وبالغوافي التعظيم (صور) أي تماثيل.

الشرح: إن التوحيد - توحيد الألوهية - وهو افراد الله تعالى بالعبادة، وصرفها له دون سواه، أياً كان نوعها هو دين الرسل جميعاً الذي أرسلهم الله به، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ

---

(١) أقول هذا جواب شبهة القبورية وهي أنهم يقولون: إن المشركين كانوا يعبدون الأحجار والأشجار والأصنام أما نحن فندعو الأنبياء والأولياء ونستغيث بهم، فالأحجار والأشجار لا كرامة لها عند الله وأما الأولياء والأنبياء فلهم منزلة عند الله تعالى، والله لا يرد شفاعتهم فينا فلا يصح قياس موحد يستغيث بالأولياء على مشرك يعبد الأحجار إلى آخر كلامهم. انظر البراهين للقضاعي ٣٨٧ - ٣٩٠، والتوسل لابن مرزوق ٣٧، ٩٢ والبراءة له ١٠٦ - ٢٥٦، وحقيقة التوسل لموسى محمد علي ١٣٧ - ١٤٥، وتبديد الظلام للكوثري ٢٨، وصلح الإخوان لابن جرجيس ١٣٦ - ١٤٤، وسعادة الدارين للسهنودي ١/٣٠٤، ٣٠٧، وكشف الارتياب للعاملي ٢٩٣ - ٢٩٦، وكشف النقاب للنقوى ٤٥ - ٥٠، وفصل الخطاب للقباني ١٢، ١٨، ٧٢، ٩١-٩٨، وفصل الخطاب لعبد الرؤوف ٢٧، وشواهد الحق للنبهاني ٢٥١ - ١٥٢ والدار السنيه لدحلان ٣٨، والبصائر للداجوى ١٦٧ - ١٦٩، وشفاء السقام للسبكي ١٤٦.

إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[١] وأول هؤلاء الرسل نوح، لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾[٢].

وقد أرسل إلى قومه لما غلوا في الصالحين منهم فبنوا على قبورهم، ثم عملوا لهم تماثيل ولما طال عليهم الأمد عبدوهم، كما أخبر ابن عباس وغيره، وآخر الرسل محمد ﷺ كما قال تعالى في حقه: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[٣] وهو الذي كسر تماثيل وصور هؤلاء يوم الفتح لما دخل الكعبة ودفعها بعود في يده فسقطت.

(١) سورة الأنبياء الآية (٢٥).
(٢) سورة النساء الآية (١٦٣)
(٣) سورة الأحزاب الآية (٤٠)

التقرب الى الله، ونريد منهم شفاعتهم عنده، مثل: الملائكة، وعيسى، ومريم، وأناس غيرهم من الصالحين؛ فبعث الله محمداً ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم - عليه السلام -، ويُخبرهم: أن هذا التقرُّب والاعتقاد محضُ حق الله، لا يصلح منه شيء لغير الله، لا لَملك مقرَّب، ولا لنبي مُرسَل، فضلاً عن الخالق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي إلا هو، ولا يُميت إلا هو، ولا يُدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السموات السبع ومن فيهن، والأرضين السبع ومن فيهن، كلهم عبيده، وتحت تصرفه وقهره.

اللغة: (محض) خالص (قهره) غلبته

الشرح: وقد كان هؤلاء المشركون يحجون، ويتصدقون ويتعبدون بعبادات مختلفة ولكنهم جعلوا بينهم وبين الله وسائط يقربونهم إليه - بزعمهم - كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[1][2] فمنهم من عبد الملائكة، ومنهم من عبد عيسى بن مريم وأمه، ومنهم من عبد أصناماً من الصلحين فأرسل الله إليهم محمدا ﷺ مجدداً لملة ابراهيم عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾[3]

---

(١) هذا جواب لشبهة القبورية وهي: أن المشركين كانوا يشركون ألهتهم في ربوبية الله وخالقيته ومالكيته بخلافنا نحن فإننا لا نعتقد من الأولياء التصرف والقدرة الذاتية والربوبية والخالقية إلى آخر هذيانهم.
انظر براهين القضاعي ٣٨١، ٣٧٨ - ٣٩٠، ٤٣٩، والفرقان ١١٣-١١٤ والتوسل لابن مرزوق ٢٠، ٣٠، ٣١، ٣٧ والبراءة له ٨٩، ٩٩، ١٠٠ العقيل للسبكي مع تبديد الظلام للكوثرى ٢٧-٢٨، والبراهين للطباطبائي ٣٣٣-٣٣٤ والكشف للعاملي ١٠٦، ٢٩٣-١٩٦ وسعادة الدارين، للسهنودي ٣٠٤/١ - ٣٠٧، وردود النوري ٢٤٣ والمفاهيم للمالكي ٢٦ - ٢٧.

(٢) سورة الزمر الآية (٣)

(٣) سورة النساء الآية (١٢٥)

وبين لهم أن التقرب محض حق الله لا يصلح لغيره ﴿ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾[١] **وأن اتخاذ وسائط معه إشراك في عبادته سبحانه، وقد كان هؤلاء المشركون مقرين بانفراده تعالى بالخلق والملك والتدبير** ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾[٢] و ﴿ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ... فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾[٣]. فقد كانوا مقرين بكل أمور الربوبية، غير أنهم اشركوا مع الله في ألوهيته، فعبدوا غيره مع الله في ألوهيته، فعبدوا غيره.

(١) سورة الزمر الآية (٤٤)
(٢) سورة لقمان الآية (٢٥)
(٣) سورة المؤمنون الآيات (٨٤:٨٩)

فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء المشركين، الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بهذا، فاقرأ قوله - تعالى -: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [سورة يونس، الآية: ٣١].

وقوله: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [سورة المؤمنون، الآيات: ٨٤ - ٨٩] وغير ذلك من الآيات.

فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا، وأنه لم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ، وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة، الذي يسميه المشركون في زماننا (الاعتقاد)، كما كانوا يدعون الله - سبحانه - ليلاً ونهاراً.

ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله؛ ليشفعوا . . إلخ، أو يدعو رجلاً صالحاً مثل: اللات، أو نبياً مثل: عيسى.

اللغة: (جحدوه) أنكروه

الشرح: من هذه المعبودات التي لا تستحق أن تعبد لأنها ليس لها من الأمر شيء والآيات التي ذكرها المؤلف رحمه الله صريحه وواضحة في تقرير ماذكره من إقرار المشركين بتوحيد الربوبية، ولكن ذلك لم يدخلهم في التوحيد الذي دعا إليه النبي ﷺ، والنبيون من قبله، وهو توحيد العبادة أي بافراد الله عز وجل بكل أنواع العبادة، لا يشرك معه فيها

أحد من خلقه فهؤلاء كانوا يدعون الله ويدعون معه غيره من الأنبياء والصالحين، يزعم أنهم يقربونهم من الله تعالى، أو أنهم يشفعون لهم عنده.

الخلاصة:

١- كان المشركون مقرين لله تعالى بأمر الربوبية.

٢- كان شرك الأولين بسبب اتخاذهم وسائط من دون الله للقربه والشفاعه.

٣- الإقرار بالربوبية لا يكفي للحكم بالإسلام.

المناقشة:

س١ - هل كان المشركون الأولون يجعلون لله شركاً في أمر الربوبية؟ ماالدليل؟

س٢ - لماذا اتخذوا وسائط من دون الله تعالى؟

س٣ - هل يكفي الإقرار بالربوبية ليصبح المرء مسلماً؟

المبحث الثاني
حقيقة التوحيد الذي دعت إليه الرسل

وعرفت أن رسول الله قاتلهم على هذا الشرك، ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده، كما قال - تعالى -: ﴿ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [سورة الجن، الآية: ١٨].

وقال: ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ ﴾ [سورة الرعد، الآية: ١٤].

وتحققت أن رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله لله، والنذر لله، والذبح لله، والاستغاثة كلها بالله،وجميع أنواع العبادة كلها لله. وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، وأن قصدهم الملائكة، أو الأنبياء، أو الأولياء، يريدون شفاعتهم، والتقرب إلى الله بذلك؛ هو الذي أحل دماءهم وأموالهم.

اللغة: (أحل) أباح

الشرح: والنبي ﷺ قاتلهم رغم إقرارهم بالربوبية، قاتلهم لصرفهم محض حق الله في العبودية الى غيره، ودعاهم الى اخلاص العبادة لله وحده، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾[١] وقال :﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾[٢] فقد قاتلهم ليصرفوا العبادة لله وحده من دعاء ﴿ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾[٣] ونذر كما قال تعالى

---

(١) سورة الزمر الآية (١١)
(٢) سورة البينة الآية (٥)
(٣) سورة الجن الآية (١٨)

:﴿ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ ﴾[١]، والذبح كما قال تعالى :﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾[٢] والاستغاثة كما قال تعالى :﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾[٣]، وهكذا جميع أنواع العبادة لاينبغي أن تكون إلا لله وحده، وهكذا فإقرارهم بالربوبية لم يدخلهم الإسلام، وصرفهم شيئاً من العبادة لغيره،هو الذي كان سبباً في كفرهم، وإباحة دمائهم وأموالهم كما قال تعالى :﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾[٤].

(١) سورة الحج الآية (٢٩)
(٢) سورة الكوثر الآية (٢)
(٣) سورة الأنفال الآية (٩)
(٤) سورة التوبة الآية (٢٩)

عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأبي عن الإقرار به المشركون.

. . . وهذا التوحيد هو معنى قولك: (لا إله إلا الله).

فإن الإله - عندهم - هو الذي يُقصد لأجل هذه الأمور، سواء كان ملكاً، أو نبياً، أو شجراً، أو قبراً، أو جنّياً.

لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر، فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده - كما قدمت له -، وإنما يعنون بالإله ما يعن المشركون في زماننا بلفظ (السيد).

فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد، وهي (لا إله إلا الله).

والمراد من هذه الكلمة: معناه، لا مجرد لفظها[1].

والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو: إفراد الله - تعالى - بالتعلق، والكفر بما يعبد من دون الله، والبراءة منه، فإنه لما قال لهم: «قولوا: لا إله إلا الله» قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [سورة ص، الآية: ٥].

اللغة: (لا إله إلا الله) لا معبود بحق إلا الله.

الشرح: إن التوحيد الذي دعت إليه الرسل، ورفضه المشركون، وهو معنى قولنا (لا إله إلا الله) فإن معناها لا مستحق للعبادة إلا الله تعالى،

---

(١) هذا جواب عن شبهة للقبورية: أن الوهابية يكفوون من قال: (لا إله إلا الله). وقصدهم بذلك: أن القبورية الذين يستغيثون بالأولياء وينذرون لهم ويهتفون بأسمائهم لا حرج عليهم لأنهم يقولون (لا إله إلا الله).

انظر «التوسل» لابن مرزوق (٣٦ - ٣٧) و«البراءة» له (١٠٥ - ١٠٦). فرد عليهم الإمام بأن مجرد التلفظ لا ينفعهم بدون فهم معناها.

وذلك لأن هناك آلهة تعبد من دونه، ولكنها عبدت بالباطل لأنها لا تملك شيئا، كما قال تعالى :﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَـٰطِلُ﴾(١).

والكفار المتقدمون قد عرفوا أن الإله هو المعبود، ولم يعتقدوا أبداً أن الإله هو الخالق، بل هم قد عرفوا أن هذا غير هذا، أما المشركون في زماننا فإنهم لجهلهم يظنون أن الإله معناه الخالق، ويرون لذلك أن كلمة لا إله إلا الله معناها لا خالق إلا الله، فظنوا أن المطلوب مجرد النطق بكلمة التوحيد، لكنهم لم يفهموا معناها الحق، أما المشركون المتقدمون فإنهم قد فهموا معنى هذه الكلمة، وأن المراد منها افراده تعالى بالعبادة والتعلق، ولهذا تعجبوا عندما عرفوا دعوة النبي ﷺ وقالوا :﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾(٢).

(١) سورة الحج الآية (٦٢)

(٢) سورة ص الآية (٥)

فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدّعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني. والحاذق منهم يظن أن معناها: لا يخلق ولا يرزق إلا الله، ولا يدبر الأمر إلا الله.

فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى (لا إله إلا الله).

اللغة: الحاذق: الذكي الفطن

الشرح: ولما تبين لك أن الجهال الكفار يعرفون حقيقة معنى لا إله إلا الله، وأنها تعني إخلاص الدين لله تعالى، وصرف العبادة له وحده، هاهنا ينبغي لك العجب من حال أناس يدعون الإسلام، وهم لا يعرفون شيئاً عن حقيقة معنى لا إله إلا الله، فأصبح جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله، فهو يرى أن المقصود من كلمة لا إله إلا الله مجرد النطق باللسان دون أن يعتقد القلب شيئاً من معانيها، بل أن الذكي منهم والفطن، يظن أن لا إله إلا الله تفيد الربوبية وأن معناها إثبات انفراد الله تعالى بأعمال الربوبية من خلق ورزق، وإحياء وإماته، ونحو ذلك، ولا علاقة لها بأمر الألوهية، فأي خير في مثل هذا الرجل، الذي يدعي الإسلام، في حين أن جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله.

الخلاصة:

١- النبي ﷺ لم يفرق بين أصناف المشركين بل قاتلهم جميعا ليكون الدين لله.

٢- المشركون فهموا معنى الإله وأنه لا يعني الخالق المدبر، بل المرجو المعبود المتعلق.

٣- مشركو زماننا لا يفرقون بين الرب والإله.

٤- حقيقة التوحيد هي: معنى لا إله إلا الله. أي لا مستحق للعبادة إلا الله تعالى.

المناقشة:

س١- هل خلط المشركون الأولون بين معنى الرب والإله كما فعل مشركو زماننا؟

س٢ - ما الفرق الذي تراه بين معنى الرب ومعنى الإله؟

س٣ - هل فرق النبي ﷺ بين أصناف المشركين هؤلاء؟

المبحث الثالث
(وجوب الحذر من الكفر وأهله)

إذا عرفت ماذكرت لك معرفة قلب، وعرفت الشرك بالله، الذي قال الله فيه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [سورة النساء، الآية: ٤٨].

وعرفت دين الله الذي أرسل به الرسل من أولهم إلى آخرهم، الذي لا يقبل الله من أحد سواه.

وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا..

أفادك فائدتين:

الأولى: الفرح بفضل الله وبرحمته، كما قال - تعالى -: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [سورة يونس، الآية: ٥٨].

وأفادك - أيضاً - الخوف العظيم؛ فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه، وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل.

اللغة: .....

الشرح: واذا تبين ماسبق، واستقر في نفسك أيها المسلم، واتضح لك معنى الشرك الذي لا يغفره الله تعالى، كما قال عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[1] وإذا تبين دين الرسل الذي لا يقبل من أحد غيره، واتضح ماعليه الناس من الجهل بالتوحيد، وبمعنى الشرك، فإن المسلم يستفيد من هذا فائدتين.

الأولى: الفرح بفضل الله وبرحمته، كما قال عز وجل: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ

---

(١) النساء الآية (٤٨)

ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾[1] وقد قيل إن المراد هنا الإيمان والقرآن، وقيل الإيمان والرسول، وقيل القرآن والرسول، وغير ذلك.

الثانية: الخوف الشديد من الشرك ولا سيما إذا عرف المرء أن الإنسان قد يكفر بمجرد كلمة تخرج من فمه، وقد يقوله وهو جاهل، فلا يكون الجهل عذراً له.

تنبيه: الصحيح أن الجهل عذر لعدم الحكم بالتكفير على المسلم الجاهل، وسيأتي من كلام المصنف في آخر الكتاب مايشير الى ذلك.

(١) سورة يونس الآية (٥٨)

. . . وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله - تعالى -[١] كما ظن المشركون، خصوصاً إن ألهمك الله ما قص عن قوم موسى - مع صلاحهم وعلمهم - أنهم أتوه قائلين: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [سورة الأعراف، آية: ١٣٨].

فحينئذ يعظم حرصك وخوفك على ما يخلصك من هذا وأمثاله.

اللغة: (يعظم) يشتد (يخلصك) ينجيك

الشرح: وقد يقول الإنسان كلمة الكفر وهو لا يدري أنها كفر، بل يظن أنها تقربه من الله تعالى[١]، كما هو حال كثير من المشركين، ولا سيما اذا وفق الله الإنسان لفهم ماذكر في القرآن عن قوم موسى عليه السلام، فإنهم مع ماكانوا عليه من صلاح وعلم قالوا لموسى: (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة)[٢]. فهم قد اغتروا بما رأوا فتكلموا بكلمة شرك بظن أن ذلك يقربهم من الله تعالى فالواجب على الإنسان أن يخاف من هذا وأمثاله مما قد يوقعه في الشرك، وأن يحرص أشد الحرص على التمسك بالتوحيد والإخلاص والسنة، التي تخلصه من هذا الشرك، وتحميه من الوقوع فيه.

---

(١) هذا جواب عن شبهة القبورية وهي أن الكفار كانو يعتقدون في آلهتهم أنها شريكة مع الله في الخلق والرزق والتدبير والربوبية وأنها مستقلة بالنفع والضر. فأجاب الإمام أن الكفار لم يكونوا يعتقدون فيهم الشفاعة.
انظر البراهين للقضاعي (٣٧٨، ٣٨١ - ٣٩٠، ٤٣٩) و«الفرقان» له: (١٣٣ - ١١٤) و«التوسل» لابن مرزوق: (٢٠، ٣٠ - ٣١، ٣٧) و«البراءة» له (٨٩ - ١٠٠) و«السيف الصقيل» للسبكي: (٢٧ - ٢٨) و«سعادة الدارين» للسهنودي: (١/ ٣٠٤ - ٣٠٧) و«المفاهيم» للمالكي (٢٦ - ٢٧).

(٢) سورة الأعراف الآية (١٣٨)

. . . إعلم أن الله - سبحانه - من حكمته لم يبعث نبياً بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء، كما قال - تعالى -: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١١٢].

وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة، وكتب وحجج، كما قال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [سورة غافر، الآية: ٨٣].

اللغة: .....

الشرح: ومن حكمة الله تعالى أنه لم يرسل نبياً ولا رسولاً إلا وجعل له أعداء ممن لم يؤمنوا به، ولم يتبعوه، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ...﴾[1] وهؤلاء الأعداء لا يدخرون وسعا في محاربة الرسل وأتباعهم بكل وسيلة ممكنة، وهؤلاء الأعداء يمكن أن يكون لهم حجج وعلوم، يحتجون بها على الرسل واتباعهم، كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾[2] فدلت الآية على أن الكفار قد يكون عندهم من العلوم الشيء الكثير، ومن علوم الدنيا وغيرها غير أنهم لم ينتفعوا بهذه العلوم ولم يستغلوها فيما يفيدهم في آخرتهم بل كانت الدنيا هي كل همهم، ولهذا فقد عادوا رسل الله وحاربوهم فكانوا من الخاسرين.

الخلاصة:

١- كثير من المسلمين يجهل حقيقة معنى لا إله إلا الله، بل الكفار أعلم بمعناها منه.

---

(١) سورة الأنعام (١١٢)

(٢) سورة غافر (٨٣)

٢- وجوب الفرح بفضل الله وبرحمته.

٣- وجوب الحذر من الشرك والحرص على ماينجى منه.

٤- ليس هناك نبي إلا وكان له أعداء، وقد تكون لهم علوم وحجج.

المناقشة:

س١: هل عرف الكفار حقيقة معنى لا إله إلا الله؟

س٢: ماهما الفائدتان اللتان أشار إليهما المؤلف؟

س٣: ماحكم من تكلم بكلمة الكفر جاهلاً بأنها كفر؟

س٤: هل وجد نبي ليس له أعداء؟

س٥: هل يكون عند أعداء الرسل حجج وعلوم أم لا؟

المبحث الرابع
وجوب تعلم مايدفع شبه المشركين

إذا عرفت ذلك، وعرفت أن الطريق إلى الله لابد له من أعداء قاعدين عليه، أهل فصاحة وعلم وحجج، فالواجب عليك أن تتعلم من دين الله ما يصير سلاحاً لك، تقاتل به هؤلاء الشياطين، الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك - عز وجل -: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الأعراف، الآيتان: ١٦ - ١٧].

ولكن إذا أقبلت على الله، وأصغيت إلى حججه وبيناته؛ فلا تخف ولا تحزن: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [سورة النساء: الآية: ٧٦] والعامي من الموحدين يغلب الألف من علماء هؤلاء المشركين، كما قال - تعالى -: ﴿وإن جندنا لهم الغالبون﴾. [سورة الصافات، الآية: ١٧٣].

اللغة: (إمامهم) زعيمهم وكبيرهم إبليس لعنه الله تعالى.....

الشرح: إذا تبين لك ماسبق أيها المسلم فاعلم أن أعداء الله في كل زمان ومكان قاعدون على طريق الله تعالى يصدون عنه كل سالك الى الله، بما أوتوا من العلم والفصاحة، والحجة والبيان، يريدون بذلك أن يطفئوا نور الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1] والواجب على المسلم أن يتعلم من أمر دينه مايرد به شبه أولئك وحججهم، فإنه ان كان على بصيرة من أمر دينه، ظهر على أولئك الذين أقسم إمامهم

---

(١) سورة الصف الآية (٨)

وزعيمهم إبليس اللعين أن يقعد لبني آدم في كل طريق، وأن يأتيهم من كل فج يريد صدهم عن سبيله تعالى كما قال :﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ..﴾[١] الآيه ولكن من عقل كلام الله تعالى، وفهم حجته وبيانه، فإنه لاخوف عليه، فإن كيد الشيطان ضعيف كما قال تعالى :﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾[٢] وليست هناك مقارنة بين المؤمن والمشرك فالمؤمن ولو كان عامياً يظهر على علماء الشرك لو كانوا كثرة، وجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان، وإن لم يغلبوا بالسيف والسنان.

(١) سورة الأعراف الآية (١٦)
(٢) سورة النساء الآية (٧٦)

. . . وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح وقد مَنّ الله - تعالى - علينا بكتابه الذي جعله: ﴿ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾. [سورة النحل، الآية: ٨٩].

فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها، كما قال - تعالى -: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [سورة الفرقان، الآية: ٣٣].

قال بعض المفسرين: «هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة».

اللغة: (مَنَّ) أنعم وجاد، (ينقضها) يبطلها ويظهر بطلانها.

الشرح: وليس هناك خوف على الموحد بفضل الله تعالى إلا إذا سلك الطريق الى الله تعالى دون سلاح من العلم والحجة، والكتاب والسنة، مما يعصمه من شبهات أهل الضلال والإضلال، وذلك لأن الله تعالى قد أنعم علينا - أمة الإسلام - بكتابه الكريم، الذي هو بيان لكل شيء، وفيه الهدى وهو رحمة وبشرى لمن أطاع الله تعالى ووحده، ومن فضل الله تعالى أنه ليست هناك حجة لأهل الباطل الى يوم القيامه، إلا وفي القرآن ماينقضها ويبطلها، أيا كانت هذه الحجة، وأيا كان صاحبها، وقد قال تعالى :﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾[1].

الخلاصة:

١- الشيطان وحزبه يلجؤون دائماً الى إلقاء الشبهات ليفتنوا المسلمين عن دينهم.

---

(١) سورة الفرقان الآية (٣٣)

٢- يجب على المسلم أن يتعلم من الحجج مايرد به على أهل الشرك والضلال.

المناقشة:

س١: إلام يلجأ المشركون عند كلامهم مع المسلمين؟

س٢: ماذا يجب على المسلم تجاه شبهات المشركين؟

المبحث الخامس
الجواب المجمل على أهل الباطل

وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه؛ جواباً لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا. فنقول:

جواب أهل الباطل من طريقين: مجمل، ومفصل.

أما المجمل: فهو الأمر العظيم، والفائدة الكبيرة لمن عقلها، وذلك قوله - تعالى -: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٧].

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه؛ فأولئك الذين سمى الله، فاحذروهم».

اللغة: (زيغ): ضلال وإنحراف وفتنة (إبتغاء) طلب وقصد.

الشرح: يذكر الشيخ رحمه الله تعالى أموراً مما أجاب الله بها الكفار والمشركين وهي ردود على حجج المشركين في زمان الشيخ رحمه الله تعالى.

ويبين رحمه الله أن جواب أهل الباطل يكون على نوعين: مجمل، ومفصل أما الجواب المجمل فهو قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ..﴾ الى قوله تعالى: ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾[1] والنبي ﷺ قد حذر من هذا الصنف من الناس حين قال في حديثه الصحيح: ﴿**إذا رأيتم الذين يتبعون ماتشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم**﴾[2] أي أن هؤلاء هم الذين ذكرهم الله في الآية السالفة ووسمهم بزيغ القلوب، فيجب على المؤمن أن يحذرهم أشد الحذر.

---

(١) سورة آل عمران الآية (٧)

(٢) البخاري (٤٥٤٧) ومسلم (٢٦٦٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

. . . مثال ذلك: إذا قال بعض المشركين[١]: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة يونس، الآية: ٦٢].

وأن الشفاعة حق، وأن الأنبياء لهم جاه عند الله، أو ذكر كلاماً للنبي ﷺ يستدل به على شيء من باطله، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره؛ فجاوبه بقولك:

إن الله ذكر في كتابه: أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المُحكم ويتبعون المتشابه. .

وما ذكرت لك من أن الله - تعالى - ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية، وأن كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء، مع قولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [سورة يونس، الآية: ١٨].

هذا أمر مُحكم بين لا يقدر أحد أن يغير معناه.

وما ذكرت لي - أيها المشرك - من القرآن أو كلام النبي ﷺ لا أعرف معناه، ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله - عز وجل -.

اللغة: (جاه) مكانه ومنزله - (يقرون) يعترفون - (بيِّن) واضح - (اقطع) أجزم - (لا يتنافر) لا يتعارض بعضه مع بعض.

الشرح: ومن الأمثله على ذلك الجواب المجمل، مالو قال أحد المفتونين

---

(١) أن المشركين من قبورية هذه الأمة لهم عدة شبهات يتشبثون بها منها: استدلالهم بأن الأولياء لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وأن الشفاعة حق وأن الأنبياء لهم جاه عند الله تعالى، فهذا كلام حق ولكنهم يستدلون به على باطل. وهو: تبرير الإشراك بالله والاستغاثة بغير الله ويردون هذه الشبهة في كتبهم.
انظر البراهين للقضاعي (٣١٧ - ٣٩٠) والتوسل لابن مرزوق (٣٧ - ٩٢) والبراءة له (١٠٦ - ٢٥٦) وتبديد الظلام وشواهد الحق للنبهاني (١٥١ - ١٥٢) والدرر السنية لدحلان: (٣٨) وشفاء السقام للسبكي (١٤٦).

الواقعين في الشرك إن الأنبياء لهم جاه ومنزلة عندالله، وشفاعتهم حق الأولياء لهم جاه مستدلاً بقوله تعالى:﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[١]، أو استدل بشيء من كلام النبي ﷺ لنصرة باطله فيما يزعم، وقد يكون السامع ليس من أهل العلم، ولا يفهم معنى كلام ذلك المشرك، ولا يعرف وجه الاستدلال به، حينئذ يمكنه أن يجيب مستدلاً بآية (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾[٢] وبين أن الله تعالى قد كفَّر في كتابه كل من تعلق بالملائكة والأنبياء وغيرهم، وصرف إليهم شيئاً من العبادة، هؤلاء شفعاؤنا عند الله[٣] فهذا أمر محكم واضح، لا يحتمل أكثر من ظاهرة، وأما حجة ذلك المشرك فانها وان كان السامع لا يفهم وجهها، وكنه يجزم بأنها لاتخالف ظاهر الآية السابقة، ويجزم بأن كلام الله لايتناقض، بل يصدق بعضه بعضا، وان كلام الرسول ﷺ لا يخالف كلام الله تعالى أبداً، فلابد أن المقصود بحجة ذلك المشرك غير ماذهب هو إليه.

(١) سورة يونس الآية (٦٢)
(٢) سورة آل عمران الآية (٧)
(٣) سورة يونس الآية (١٨)

. . . وهذا جواب جيد سديد، ولكن لا يفهمه إلا من وفّقه الله - تعالى -، فلا تستهن به، فإنه كما قال - تعالى -: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [سورة فصلت، الآية: ٣٥].

اللغة: (سديد) موفق

الشرح: فهذا الجواب المجمل جواب صحيح وسديد وموفق، ولكن قل من يفهمه، وهم الذين وفقهم الله تعالى، فلا ينبغي الاستهانة بذلك الجواب، أذا الأمر كما قال تعالى ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[1]

ثم هناك الجواب المفصل، وذلك لأن أعداء الله وأعداء دينه لهم أشياء كثيرة، وحجج متعددة، يعترضون بها على دين الرسل وقصدهم بذلك الصد عن سبيل الله، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[2].

ومن حججهم التي يحتجون بها دائماً قولهم: نحن لا نشرك بالله ونقر بأنه الخالق الرازق النافع الضار المتصرف المدبر وحده لا شريك له في شيء من ذلك كله، ولا حتى النبي ﷺ أو غيره، ولكن نحن مذنبون، وعصاه ونعرف أن الأنبياء والصالحين لهم جاه ومكانة عند الله تعالى، فنحن نتخذهم واسطة بيننا وبين الله، ونطلب من الله تعالى بهم، فهم أقرب للإجابه. فهذا يجاب عليه بما تقدم في الجواب المجمل الذي سبق سياقه.

---

(١) سورة فصلت الآية (٣٥)

(٢) سورة الصف الآية (٨)

الخلاصة:

١- الجواب المجمل على شبهات المشركين هو أن كلامهم يناقض الكلام المحكم من كتاب الله وكلام نبيه.

٢- كلام الله ورسوله لايتناقض أبداً في نفسه.

المناقشة:

س١: هات مثالاً للجواب المجمل على شبهات المشركين.

س٢: هل يمكن أن يوجد تناقض بين كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ ؟

المبحث السادس
(الرد المفصل على شبهات المشركين)

وأما الجواب المفصل:

فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل، يصدون بها الناس عنه، منها قولهم: نحن لا نشرك بالله، بل نشهد أنه لا يخلق، ولا يرزق، ولا ينفع، ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فضلاً عن عبد القادر أو غيره، ولكن أنا مذنب، والصالحون لهم جاه عند الله، وأطلب من الله بهم[1] فجاوبه بما تقدم، وهو:

أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بما ذكرت، ومقرون أن أوثانهم لا تدبر شيء، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة.

واقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه ووضحه.

فإن قال: هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، كيف تجعلون الصالحين من الأصنام؟ أم كيف تجعلون الأنبياء أصناماً؟.

فجوابه بما تقدم؛ فإنه إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله، وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة.

---

(١) أقول: هذه الشبهة يرددها عامة القبورية على ألسنتهم وفي كتبهم وهذه الشبهة مركبة من شبهتين الشبهة الأولى: زعمهم أن الشرك غير وارد في هذه الأمة فينكرون وجود الشرك ووقوعه في هذه الأمة إنكارا قاطعاً. وسبب ذلك أنهم لا يعدون النذر لغير الله ولاستغاثة بغير الله ونحو ذلك شركاً، وإنما الشرك عندهم أن يقال في غير الله أنه رب وخالق بالاستقلال.
كشف النقاب للنقوى ٤٤ - ٥٠.
كشف الأسرار للخميني ٢٧ - ٥٩، ٧٥،
الحقائق لابن داود ٤٤ (مخطوط).
منهج الرشاد للنجفي ٢٩،

اللغة: (مقرون) معترفون - (الجاه) المنزلة - (الربوبية) انفراد الله بالخلق والتدبير والتصريف.

الشرح: ومفاد ذلك أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ واستباح دماءهم وأموالهم لم ينكروا أن الله تعالى هو المنفرد بأمر الربوبية والخلق والتدبير، وانما فقط كل ماأرادوه الشفاعه عند الله تعالى ممن عبدوهم من الصالحين الذين كانت تلك الأصنام على هيئتهم، والجاه عند الله تعالى وقد حكى الله عنهم ذلك في كتابه فقال في بيان طلبهم للجاه :﴿ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[1] وقال في بيان طلبهم للشفاعه :﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾[2] فإذا احتج المعارض بأن الآيات فيمن عبد

= البراهين للطباطبائي ٣٢.

البراهين للقضاعي ٣٧٥ - ٣٧٨ ، ٣٨٠ - ٣٨١، ٣٨٨، ٣٩٠٠، ٤٤٠، والفرقان له ١١١- ١١٦،

والتوسل لابن مرزوق ٢٠ - ٢١، ٢٤، والبراءة له ٨٩ - ٩١ - ٩٣.

ومقالات الدجوى ١/ ١٦٢ - ١٦٧، ومفاهيم المالكي ٤٩، ٧٤.

والشبهة الثانية: قولهم نحن مذنبون وملطخون بالذنوب بعيدون عن الله، والصالحون لهم جاه عند الله فيشفعون لنا عند الله، لأنه كما أن الوزراء والامراء يشفعون للناس عند الملوك في الحياة الدنيا فيقبلون شفاعتهم فيهم كذلك الله تعالى يقبل شفاعة الأولياء.

انظر كشف النور للنابلسي ٢٠، ولمع البرق للبكري ٤٤٧ المطبوع في آخر شواهد الحق، للنبهاني، صلح الإخوان ١٤١ - ١٤٢،

وسعادة الدارين للسهنودي ١/ ٣٠٩، وشواهد الحق ١٣٩ - ١٤١ للنبهاني الحنفي.

٢٦٩ - ٢٧٥، ٤٤٧، والأقوال المرضية للكسم الحنفي ١٢: وتطهير الفؤاد للمطيعي الحنفي ١٦١، والبصائر للداجوى الحنفي ومفاهيم المالكي ٤٣، وبراءة الأسفريني ٢٦٦، والتوسل ١٩٣، كلاهما لابن مرزوق.

(٢) سورة الزمر الآية (٣)

(٣) سورة يونس الآية (١٨)

الأصنام، فكيف يلحق به من قصد الأولياء الصالحين والأنبياء؟ وكيف يساوى بينهم وبين الأصنام؟ فيجاب عليه بما تقدم وبأن الكفار كانوا مقربين بأمر الربوبيه لله تعالى كما يقربه عبدة الأنبياء والصالحين والدليل قوله تعالى :﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[1]. فما الفرق بينهم؟ كلهم يقر لله بالربوبية، وإنما اتخذ الوسائط تقربه الى الله تعالى، وتشفع له عند الله عز وجل، فهم في ذلك سواء لافرق بينهم

(١) سورة لقمان الآية (٢٥)

. . . ولكن أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكر.

فاذر له أن الكفار منهم من يدعو الأصنام، ومنهم من يدعو الأولياء، الدين قال الله فيهم ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٥٧].

ويدعون عيسى ابن مريم وأمه، وقد قال الله - تعالى -: ﴿ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [سورة المائدة، الآيتان: ٧٥ - ٧٦].

واذكر قوله - تعالى -: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ [سورة سبأ، الآية: ٤٠ - ٤١].

اللغة: (يبتغون) يريدون ويطلبون (يؤفكون) يصرفون عن الحق.

الشرح: فإذا أراد المعارض أن يفرق بين فعل من عبد الأصنام وفعل من عبد الصالحين والأنبياء، فيقال له إن الكفار منهم من كان يعبد الأصنام، ومن كان يدعو الصالحين ومنهم من كان يعبد الأنبياء، بل إن وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً كلهم كانوا أناساً صالحين من قوم نوح صور أقوامهم أصناماً على هيئتهم ليذكروهم بعد موتهم فلما طال عليهم الأمد عبدوهم، كما ثبت عند البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما والآيات المذكورة تدل على أن من الكفار من عبد الصالحين من الملائكة والجن وغيرهم فاتخذوهم أرباباً، بينما هؤلاء المعبودون يتقربون إلى ربهم عز وجل لأنهم أهل إيمان به، وذكر تعالى من عبدالمسيح وأمه فبين أن المسيح ما هو إلا رسول وأمه صديقه، كانا يأكلان كعادة البشر

فكيف يعبدان من دون الله تعالى وهما لا يملكان ضراً ولا نفعاً لأنفسهما ولا لغيرهما، وكذلك ذكر من عبدالملائكة وذكر ما يكون في يوم الحشر حينما يسأل الملائكة عن عبادة هؤلاء لهم فيتبرأ منهم الملائكة ويقرون لله تعالى بالربوبية والولاية دون هؤلاء العابدين وإنما كان هؤلاء العابدون يعبدون الجن من دون الله تعالى.

. . . وقوله - تعالى -: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ الآية [سورة المائدة، الآية: ١١٦].

فقل له: عرفت أن الله كفّر من قصد الأصنام، وكفّر - أيضاً - من قصد الصالحين، وقاتلهم رسول الله ﷺ.

فإن قيل: الكفار يريدون منهم، وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر، لا أريد إلا منه، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء، ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم.

اللغة: (إلهين) معبودين (قصد) عبده وتوجه إليه.

الشرح: وكذلك ذكر تعالى ما يكون من الكلام بينه وبين عيسى عليه السلام يوم القيامة حيث يسأل الله تعالى عيسى عليه السلام إن كان قد طلب من هؤلاء الكفار النصارى أن يعبدوه. فيتبرأ عيسى منهم ويحكى ما طلبه منهم وهو إفراد الله تعالى ويكل العلم إلى الله تعالى الذي يعلم كل شيء، ويعلم ما في نفوس عباده فحينئذ يتبين لهذا المخالف أن الله تعالى قد حكم في كتابه بالكفر على من عبد الأصنام أو عبد الصالحين أو حتى الأنبياء والملائكة، وعلى هذا قاتلهم رسول الله ﷺ.

فإن احتج المعترض بأن الكفار طلبوا ممن عبدوهم قضاء الحوائج، بينما هذا المخالف المعارض يشهد أن الله هو النافع الضار المدبر الذي كل شيء بيده، ولا يطلب الحوائج من غيره، لا جلب نفع، ولا دفع ضر، هؤلاء الصالحون ليس لهم من الأمر شيء، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾[1]

وإنما قصده فقط من وراء التوجه إلى الصالحين طلب شفاعتهم عند الله تعالى

(١) سورة النحل الآية (٧٣)

. . . فالجواب: أن هذا قول الكفار سواء بسواء، فاقرأ عليه قوله - تعالى -: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [سورة الزمر، الآية: ٣].

وقوله - تعالى -: ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [سورة يونس، الآية: ١٨].

واعلم أن هذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم.

فإذا عرفت أن الله وضحها في كتابه، وفهمتها فهماً جيداً، فما بعدها أيسر منها.

فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله، وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعاءهم ليس بعبادة[١].

فقل له: أنت تُقرّ أن الله افترض عليك إخلاص العبادة، وهو حقه عليك؟. فإذا قال: نعم؟. فقل له: بين لي هذا الذي فرضه الله عليك - وهو: إخلاص العبادة لله وحده -، وهو حقه عليك -.

فإنه لا يعرف العبادة، ولا أنواعها.

اللغة: (أيسر) أسهل (الالتجاء) الركون والاحتماء (إخلاص العبادة) تنقيتها وإفرادها.

الشرح: فيجاب عليه بأن كلامه هو كلام الكفار بسواء، لا فرق. فإنهم قالوا « مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ »[٢] وقالوا: « هَٰٓؤُلَآءِ

---

(١) هذه الشبهة أيضا من أعظم شبهات القبورية وحاصلها: أن القبورية يزعمون أنهم لا يعبدون الأولياء بل يدعونهم لأن دعاء الأموات والاستغاثة بهم عند الملمات ليس من العبادة في شيء وقد تشبثوا بهذه الشبهة في عامة كتبهم وبها برروا الإستغاثة بالأموات عند الكربات.
انظر «صلح الإخوان» لابن جرجيس: (١١٩، ١٤٢، ١٤٤) والبراهين للقضاعي (٣٨٨ - ٣٨٩) و«الدر السنية» لدحلان: (٣٤، ٣٩، ٤٠).

(٢) الزمر الآية (٣)

شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ »[1] فلا فرق بينه وبينهم، فالكل أقر بالربوبية، لكنه اتخذ وسائط يدعوهم ويرجو شفاعتهم ثم ينبغي أن يعلم أن هذه الشبهات هي أكبر ما عندهم من الشبه المضلة، ولكن هذه الشبه قد وضحها الله تعالى في كتابه كما سبق، وقد سبق الكلام عن ذلك فحينئذ إذا ادعى ذلك المعترض أن التجاءه إلى هؤلاء الصالحين ليس عبادة لهم وأنه لا يعبد إلا الله وحده، وأن هذا الدعاء منه لهم ليس بعبادة أبداً فيقال له: هل تقر أن الله تعالى قد طلب منك وافترض عليك إخلاص العبادة له دون سواه، وهذا حقه عليك؟ فإن قال: نعم. حينئذ يقال له: هل تعرف هذه العبادة التي افترضها الله عليك، وأوجب عليك إخلاصها له، وتقر بأنها حق الله تعالى عليك؟ فحينئذ يتبين أنه لا يعرف ما هي العبادة ولا أنواعها، ويظهر واضحاً مدى جهله بدين الله عز وجل.

(١) يونس الآية (١٨)

. . . فبينها له بقولك: قال الله - تعالى -: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٥٥].

فإذا أعلمته بهذا، فقل له: هل علمت هذا عبادة لله؟. فلابد أن يقول: نعم، والدعاء مخ العبادة.

فقل له: إذا أقررت أنها عبادة لله، ودعوت الله ليلًا ونهاراً، خوفاً وطمعاً، ثم دعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره، هل أشركت في عبادة الله غيره؟. فلابد أن يقول: نعم.

فقل له: إذا علمت بقول الله - تعالى -: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [سورة الكوثر، الآية: ٢].

وأطعت الله ونحرت له، هل هذا عبادة؟. فلابد أن يقول: نعم فقل له: فإن نحرت لمخلوق: نبي، أو جني، أو غيرهما، هل أشركت في هذه العبادة غير الله؟. فلابد أن يقر، ويقول: نعم. . . .

اللغة: (أعلمته) أخبرته. (انحر) النحر هو الذبح.

الشرح: حينئذ ينبغي بيان العبادة له، فيذكر له الدعاء كما قال تعالى: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾[(١)]. فيقال له: هل الدعاء عبادة؟ فلا بد أن يجيب بنعم ويقول بأن الدعاء هو مخ العبادة[(٢)].

فإذا أقر المخالف أن الدعاء عبادة، فيقال له، إذا صرفت هذه العبادة لغير الله فدعوت في حاجتك غيره أفلا تكون مشركاً مع الله تعالى؟ فلا بد أن يجيب بنعم وكذلك يسأل ذلك المعاند عن قوله تعالى ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾[(٣)]

---

(١) سورة الأعراف الآية (. .)

(٢) حديث (الدعاء مخ العبادة) ضعيف رواه الترمذي وغيره، والصحيح ما أخرجه أحمد وأصحاب السنن وغيرهم: «إن الدعاء هو العبادة».

(٣) سورة الكوثر الآية (٢).

ويقال له: هل النحر لله تعالى عبادة؟ فيقول: نعم. فيقال له. إذا نحر رجل لمخلوق من ملك أو جني أو نبي أو ولي ألا يكون قد أشرك مع الله تعالى في العبادة التي افترض الله عليه إخلاصها، وأمره بذلك وهو خالص حقه عز وجل؟ فلا بد أن يقر بذلك ويقول: نعم.

. . . وقل له - أيضاً -: المشركون الذين نزل فيهم القرآن، هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك؟. فلابد أن يقول: نعم.

فقل له: وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء، والذبح، والالتجاء، ونحو ذلك؟. وإلا فهم مقرون أنهم عبيده، وتحت قهره، وأن الله هو الذي يدبر الأمر، ولكن دعوهم والتجأوا إليهم للجاه والشفاعة.

وهذا ظاهر جداً.

اللغة: (القهر) البطش والقوة.

الشرح: ويقال لهذا المعاند أيضاً: هل كان المشركون الذين نزل القرآن في شأنهم، هل كانوا يعبدون آلهتهم التي اتخذوها من دون الله وملائكته والصالحين وغيرهم؟

فيقول: نعم. فيقال له: وهل كانت عبادتهم إياهم إلا بالذبح لهم والالتجاء إليهم، والاستعاذة بهم، ودعائهم، وغير ذلك؟

وإلا فإنهم كانوا مقرين لله تعالى بالربوبية، بكل مظاهرها، وكانوا مقرين أنهم تحت قهر الله تعالى وبطشه، وإنما فقط دعوا هؤلاء الوسائط والتجأوا إليهم لطلب بلوغ الجاه عند الله، والشفاعة منهم لهم عند الله وقد سبق الكلام عن ذلك فهو ظاهر لا يحتاج إلى تعليق.

الخلاصة:

حجج المشركين كثيرة، فهم يصرفون الآيات القرآنية عن معانيها ويحتجون لشركهم بأن آلهتهم إنما عبدوها تقرباً إلى الله تعالى ورجاء لشفاعتها لهم، ويجب على المسلم معرفة كيف يرد عليهم.

المناقشة:

س ١: ما هي أهم حجج المشركين التي احتجوا بها لأفعالهم؟

س ٢: كيف ترد على من قال إن الآيات التي ذكر فيها الشرك نزلت في حق من عبدوا الأصنام!

المبحث السابع
(حول مسألة الشفاعة)

فإن قال: أتنكر شفاعة رسول الله ﷺ وتبرأ منها؟[١].

فقل: لا أنكرها ولا أتبرأ منها، بل هو الشافع والمشفع، وأرجو شفاعته، لكن الشفاعة كلها لله، كما قال - تعالى -: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [سورة الزمر، الآية: ٤٤].

ولا تكون إلا من بعد إذن الله، كما قال - عز وجل -: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٥٥].

ولا يشفع في أحد إلا من بعد أن يأذن الله فيه، كما قال - عز وجل -: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٢٨].

وهو - سبحانه - لا يرضى إلا التوحيد، كما قال - تعالى -: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٨٥]. . . .

اللغة: .....

الشرح: فإن قال هذا المعاند: أتنكر شفاعة الرسول ﷺ وتبرأ منها؟ فيقال له: لا. فإنه ﷺ هو الشافع والمشفع[٢] وكلنا نرجو شفاعته ﷺ يوم القيامة، لكن

---

(١) قلت هذه من أعظم شبهات القبورية فإنهم يزعمون أن الإستغاثة بالأموات ونداءهم عند الملمات من باب التوسل والشفاعة.
انظر: «شفاء السقام» للسبكي (١٣٤ - ١٤٠ - ١٤٥) و«شواهد الحق» للنبهاني (١٣٩ - ١٤١، ١٦٨) و«الأنوار المحمدية» له (٥٨٩ - ٥٩٩) و«البراهين» للقضاعي: (٣٩١) و«الفرقان» له (١١٧ - ١٢٢) و«المدخل» لابن الحاج (١/ ٢٥٨ - ٢٥٩) و«المواهب» للقسطلاني (٤/ ٥٨٠) وشرحها للزرقاني (٨/ ٣٠٥) وصلح الإخوان: (٩١).

(٢) كما في حديث الشفاعة الطويل: «يا محمد! ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع».

هذه الشفاعة كلها لله، كما قال عز وجل: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا﴾[١] ولا يشفع أحد لأحد إلا بشرطية: أن يأذن للشافع، كما قال عز وجل: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[٢] والشرط الثاني أن يرضى الله تعالى عن الشفاعة للمشفوع فيه فيأذن بها، كما قال عز وجل: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[٣] فهذان الشرطان لابد منهما للشفاعة، الإذن للشافع والرضى عن المشفوع فيه، والله عز وجل لا يرضى من خلقه إلا التوحيد، ولا يرضى منهم أبداً الكفر ولا يقبل منهم غير الإسلام، كما قال عز وجل: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾[٤] فكيف ينتظر المشرك شفاعة النبي ﷺ؟.

(١) سورة الزمر الآية (٤٤)
(٢) سورة البقرة الآية (٢٥٥)
(٣) سورة الأنبياء الآية (٢٨)
(٤) سورة آل عمران الآية (٨٥)

. . . فإذا كانت الشفاعة كلها لله، ولا تكون إلا من بعد إذنه، ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه، ولا يأذن الله - تعالى - إلا لأهل التوحيد؛ تبين لك أن الشفاعة كلها لله، وأطلبها منه؛ فأقول: اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شفعه في، وأمثال هذا.

فإن قال: النبي ﷺ أعطي الشفاعة، وأنا أطلبه مما أعطاه الله.

فالجواب: أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا، فقال - تعالى -: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن، الآية: ١٨].

فإذا كنت تدعو الله أن يشفع نبيه فيك؛ فأطعه في قوله ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن، الآية: ١٨].

و - أيضاً - فإن الشفاعة أعطيها غير النبي ﷺ، فصح أن الملائكة يشفعون، والأفراط يشفعون، والأولياء يشفعون، أتقول: إن الله أعطاهم الشفاعة فأطلبها منهم. فإن قلت هذا؛ رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكر الله في كتابه، وإن قلت: لا. بطل قولك: أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله.

اللغة: الأفراط) المقصود بهم الوالدان يموتون قبل الحلم.

الشرح: فلما كانت الشفاعة كلها لله، لا تكون إلا من بعد إذنه للشافع ورضاه عن المشفوع فيه، ولا تكون إلا لأهل التوحيد، تبينه أنها كلها لله، فلم يجز طلبها من غيره، بل تطلب منه وحده، فيقال: اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شفعه فيّ، ونحو ذلك. فإذا احتج المعارض بالقول إنه إنما يطلب من النبي ﷺ الشفاعة التي أعطاه الله إياها - فيقال له: أعطاه الله الشفاعة، ونهاك أن تطلبها منه فقال: «﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾»[1]، فإذا كنت تريد شفاعة النبي ﷺ عند الله تعالى فأطعه في نهيه عن عن دعاء غير الله عز وجل.

---

(١) سورة الجن الآية(١٨)

وكذلك فإن الشفاعة ليست خاصة برسول الله ﷺ فقط، وإن كان هو صاحب الشفاعة العظمى، فإن الملائكة تشفع كما سبق، والأفراط، وهم الولدان الذين ماتوا قبل الحلم يشفعون لآبائهم، وكذلك الصالحون، فلم لا تطلب الشفاعة من هؤلاء جميعاً، فإن قال أطلب الشفاعة من كل وأدعوهم وأدعوهم. قيل له: رجعت إلى الشرك الذي أقررت بأنه شرك أكبر، وهو عبادة الصالحين التي سبق الكلام عنها، وإن قال: لا أطلب منهم الشفاعة قلنا له: الآن أبطلت قولك في أنك تطلب من النبي ﷺ ما أعطاه الله إياه من الشفاعة.

الخلاصة:

١ - شفاعة النبي ﷺ حق.

٢ - احتج المشركون بهذه الشفاعة لشركهم بالله ودعائهم نبيه ﷺ.

المناقشة:

س ١: هل شفاعة النبي ﷺ ثابتة؟

س ٢: ما هي شروط الشفاعة المشروعة؟

س ٣: كيف تجيب من يقول: أنا أطلب النبي ﷺ مما أعطاه الله.

المبحث الثامن
(معنى الشرك والعبادة)

فإن قال: أنا لا أشرك بالله شيئاً، حاشا وكلا، ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك.

فقل له: إذا كنت تقر أن الله حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا، وتقر أن الله لا يغفره، فما هذا الأمر الذي حرّمه الله، وذكره أنه لا يغفره؟. فإنه لا يدري.

فقل له: كيف تبرئ نفسك من الشرك، وأنت لا تعرفه؟ أم كيف يحرّم الله عليك هذا، ويذكر أنه لا يغفره، ولا تسأل عنه ولا تعرفه؟!. أتظن أن الله يحرّمه ولا يبينه لنا؟. . . .

اللغة: .....

الشرح: قد يقول هذا المعاند المخالف: أنا لا أشرك بالله تعالى، ولا أعبد من دونه أحداً، وهذا الالتجاء إلى الأنبياء والصالحين ليس بشرك أبداً.

حينئذ يقال له: هل تقر أن الله تعالى قد حرم الشرك، وعظم من خطورته وذكر أنه لا يغفره أبداً، فإنه لا يعارض في ذلك، وفي أن الشرك أعظم من الكبائر وغيرها، فيقال له: هل تعرف الشرك أصلاً الذي حرمه الله تعالى وذكر أنه لا يغفره؟ فحينئذ يظهر أنه لا يعرفه أبداً، فيقال له عندئذ: كيف تبرىء نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه؟ وكيف يذكر الله عظم تحريمه ويغلظ في شأنه، ثم لاتسأل عنه ولا تعرفه؟ وهل يمكن الظن بأن الله تعالى حرم علينا الشرك لكنه لم يبينه لنا؟

كلا. فإن هذا ظن سوء بالله تعالى، ومحال أن يكون هذا الأمر مما لم يتوفر القرآن على بيانه، بل هو من أعظم ما بينه الله في كتابه وحذر منه

. . فإن قال: الشرك عبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام.

فقل له: ما معنى عبادة الأصنام؟. أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها؟ فهذا يكذبه القرآن، كما في قوله - تعالى -: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ. . . ﴾ الآية [سورة يونس، الآية: ٣١].

وإن قال: هو من قصد خشبة أو حجراً أو بنية على قبر، أو غيره، يدعون ذلك ويذبحون له، ويقولون: إنه يقربنا إلى الله زلفى، ويدفع الله عنا ببركته، أو يعطينا ببركته.

فقل: صدقت، وهذا هو فعلكم عند الأحجار والأبنية التي على القبور وغيرها.

فهذا أقر أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام، فهو المطلوب.

ويقال له - أيضاً -: قولك: الشرك عبادة الأصنام.

هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا، وأن الاعتماد على الصالحين، ودعائهم لا يدخل في ذلك؟

فهذا يردُّ ما ذكره الله في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة، أو عيسى، أو الصالحين، فلابد أن يقر لك أن من أشرك في عبادة الله أحداً من الصالحين فهذا هو الشرك المذكور في القرآن.

وهذا هو المطلوب.

اللغة: (زلفى) قربة ومنزلة

الشرح: وإن قال: الشرك إنما هو عبادة الأصنام وأنا لا أعبدها فيقال له: ما المقصود بعبادتها؟ إن الذين عبدوها من دون الله لم ينسبوا إليها شيئاً من خواص الربوبية والقرآن قد يبين ذلك بوضوح كما قد سبق، وكما في قوله تعالى ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الآية.

وإن قال: الشرك قصد شجرة أو خشبة أو حجر أو غيره يدعى ويذبح له بزعم أنه يقرب من الله تعالى وأن الله يرفع السوء ببركته، فيقال له: وهذا هو عين فعلكم عند القبور والأضرحة وغيرها، وإقرارك هذا بأن أفعال المشركين هي ما ذكرت هو عليه ما نريده منك لتقر بأن ما أنت عليه شرك بالله تعالى ويقال له: هل الشرك مخصوص بعبادة الأصنام فقط؟ أم إن هناك شركاً بعبادة المسيح وأمه والعزير والملائكة وغيرهم، فإن قال الشرك مخصوص بالأصنام فإنه يكون معارضاً لكتاب الله تعالى راداً لما ذكره الله عز وجل وإن قال: يشمل عبادة الأصنام وغيرها من المعبودات، كان هذا هو عليه المطلوب منه الإقرار به، وبذلك تظهر عليه الحجة

. . . وسر المسألة، أنه إذا قال: أنا لا أشرك بالله.

فقل له: وما الشرك بالله، فسره لي؟.

فإن قال: هو عبادة الأصنام؟.

فقل له: وما

معنى عبادة الأصنام؟. فسرها لي.

فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله وحده.

فقل: ما معنا عبادة الله وحده؟. فسرها لي.

فإن فسرها بما بينه القرآن فهو المطلوب، وإن لم يعرفه، فكيف يدّعي شيئاً وهو لا يعرفه؟!.

وإن فسر ذلك بغير معناه، بينت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان، أنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه، وأن عبادة الله وحده لا شريك له، هي التي ينكرون علينا، ويصيحون فيه كما صاح إخوانهم، حيث قال: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [سورة ص، الآية: ٥].

اللغة: (عجاب) غريب عجيب جداً.

الشرح: والسر في هذه المسألة هو أنه إذا نفى ذلك المدعى الجاهل عن نفسه الشرك فإنه يسأل عن معنى الشرك، فإنه قال: هو عبادة الأصنام فإنه يسأل عن معنى هذه العبادة، فإنه قال: أعبد الله. سئل عن معنى عبادة الله، فإنه إذا أجاب بمقتضى الكتاب والسنة فقد حصل المراد.

وإن لم يعرف معناها فيقال له: كيف تنفي شيئاً وأنت لا تعرف معناه ثم يبين له أن الآيات البينات في كتاب الله توضح أن الشرك بالله تعالى، هو عين ونفس ما يفعله هؤلاء المشركون المبتدعون في أزمنتنا هذه، وأن التوحيد الحق هو ما ينكره هؤلاء المبتدعون، ويتعجبون منه كما تعجب

أسلافهم من قبل، حيث قالوا ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[1].

وهم سائرون على درب أسلافهم، كلما دعوا إلى الحق تعجبوا، وكلما سمعوا الدعوة إلى توحيد الله تعالى أنكروا.

الخلاصة:

١ - الجاهل المشرك يبرىء نفسه من الشرك وهو لايدري معناه.

٢ - أخطأ المشركون في زماننا في فهم معنى عبادة الأصنام، فوقعوا في مثل ذلك.

٣ - وجوب بيان معنى الشرك ومعنى العبادة الصحيحة للجهال المشركين حتى تقام عليهم الحجة؟

المناقشة:

س١: هل فهم مشركو هذا الزمان حقيقة عبادة الأصنام؟ وضح ذلك.

س٢: ما الواجب علينا بيانه لهؤلاء المشركين الجهال؟

---

(١) سورة ص الآية (٥)

المبحث التاسع
(الفرق بين شرك الأولين والمتأخرين)

فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا هذا (الاعتقاد) هو الشرك الذي نزل فيه القرآن، وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه؛ فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا، بأمرين:

أحدهما: أن الأولين لا يشركون، ولا يدعون الملائكة، والأولياء، والأوثان مع الله إلا في الرخاء، وأما في الشدة فيخلصون لله الدعاء، كما قال - تعالى -: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٦٧].

وقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآيتان: ٤٠ - ٤١].

وقال - تعالى -: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [سورة الزمر، الآية: ٨].

وقوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [سورة لقمان، الآية: ٣٢].

فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه، وهي: أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله - تعالى -، ويدعون غيره في الرخاء، وأما في الضر والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له، وينسون ساداتهم؛ تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين.

ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهماً راسخاً.

والله المستعان.

اللغة: (منيبا) تائبا راجعا، (غشيهم) غطاهم وغلبهم.

الشرح: وإذا تبين أن اعتقاد المشركين في زماننا هذا هو الذي سمَّاه الله تعالى في كتابه شركاً، وكفَّر من أتى به، وقاتل رسول الله ﷺ عليه الناس، تبين لنا حينئذ أن شرك الأولين أخف وأهون من شرك أهل زماننا لأمرين:

الأول: أن الأولين كانوا يدعون الله تعالى ويدعون معه غيره من آلهتهم في حال الرخاء والنعمة، وأما في حال الشدة والكرب فإنهم كانوا يخلصون الدعاء لله وينبذون آلهتهم التي يدعون من دونه، وذلك كما حكى سبحانه عنهم في الآيات المذكورة وفي غيرها من الآيات، فكلها توضح وتصرح أن شرك الأولين كان حال الرخاء وأما في الشدة فكانوا يخلصون الدعاء واللجوء لله تعالى، لعلمهم أنه لا ينجيهم غيره، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[1] فمن فهم هذه المسألة جيداً تبين له أن مشركي هذا الزمان أعظم شركاً مما كان عليه المشركون على عهد رسول الله ﷺ.

(١) العنكبوت الآية (٦٥).

. . . والأمر الثاني: أن الأولين يدعون مع الله أناساً مقربين عند الله، إما أنبياء، وإما أولياء، وإما ملائكة، أو يدعون أشجاراً وأحجاراً مطيعة لله ليست عاصية.

وأهل زماننا يجعون مع الله أناساً من أفسق الناس، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من: الزنا، والسرقة، وترك الصلاة، وغير ذلك.

والذي يعتقد في الصالح والذي لا يعصي - مثل: الخشب والحجر - أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده، ويشهد به.

إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصح عقولاً، وأخف شركاً من هؤلاء، فاعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا، وهي من أعظم شبههم، فاصغ سمعك لجوابها، وهي:

أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن (لا إله إلا الله)، ويكذبون الرسول ﷺ، وينكرون البعث، ويكذبون القرآن، ويجعلونه سحراً. .

ونحن نشهد أن (لا إله إلا الله) وأن (محمداً رسول الله)، ونصدّق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي، ونصوم؛ فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟.

اللغة: (أفسق) أفجر.

الشرح: والأمر الثاني الدال على أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا، هو أن الأولين كانوا يعبدون آلهة من الملائكة أو الأنبياء أو الصالحين أوغيرهم، أو حتى الأشجار والأحجار وهي مخلوقات لاتعصى الله تعالى، وأما مشركو زماننا فإنهم يعبدون الصالحين وغير الصالحين، بل إنهم أحياناً يعبدون أناسا اشتهر عنهم الفجور كالزنا والسرقة، وترك الصلاة وغير ذلك، وهم يعرفون ذلك عنهم، بل ويحكونه عنهم ولاشك

أن الذي يعتقد في الصالحين أهون من الذي يعتقد في غير الصالحين وإن كان كلاهما مشركا بالله العظيم.

ولهؤلاء المشركين في زماننا شبهة من أعظم شبههم يوردونها على من رماهم بالشرك وسفَّه ما هم عليه، فإنهم يقولون: كيف تحكمون علينا بالشرك وتجعلوننا مثل المشركين الأولين، أو أعظم شركاً منهم، وهم كانوا لايشهدون بكلمة لا إله إلا الله، ولايقرون بنبوة الرسول، وينكرون البعث والحساب، ويكذبون بالقرآن، ويجعلونه سحراً بينما نحن نقر بأنه لا إله إلا الله، ونصدق بنبوة الرسول ﷺ، وبالقرآن، ونصلي ونصوم، ونتصدق فكيف يليق أن تجعلونا مثل أولئك المشركين؟

الخلاصة:

١ - هناك اختلاف بين شرك الأولين وشرك المتآخرين وذلك في أمرين:

أ - شرك الأولين في حالة الرخاء فقط، وأما شرك المتأخرين ففي كل حال.

ب - الأولون عبدوا من ظنوا فيهم الصلاح وأما المتأخرون فعبدوا أهل الصلاح وأهل الفجور.

المناقشة:

س١: هل هناك فرق بين شرك الأولين والمتأخرين؟

س٢: ما هي أبرز الفروق بينهم؟ دلل على ماتقول؟

المبحث العاشر:
(حكم من آمن ببعض وكفر ببعض)

فالجواب: أنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدّق رسول الله ﷺ في شيء، وكذبه في شيء؛ أنه كافر لم يدخل في الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه، كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة، أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة، أو أقر بهذا كله وجحد الصوم، أو أقر بهذا كله وجحد الحج، ولما لم ينقد أناس في زمن النبي ﷺ للحج، أنزل الله في حقهم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٩٧].

ومن أقر بهذا كله وجحد البعث؛ كفر بالإجماع، وحل دمه وماله، كما قال - جل جلاله -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [سورة النساء، الآيتان: ١٥٠ - ١٥١].

فإذا كان الله قد صرح في كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقاً؛ زالت هذه الشبهة.

وهذه التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسله إلينا.

اللغة: (جحد) أنكر (أقر) اعترف.

الشرح: أي فالرد على تلك الشبهة لهؤلاء المشركين هو أن العلماء مجمعون على أن من أقر بشيء مما جاء به الرسول ﷺ وأنكر شيئاً آخر

وجحده، أنه كافر لم يدخل في الإسلام، فمن أقر بالتوحيد وجحد الصلاة كفر، ومن أقربهما وجحد الزكاة كفر، وهكذا كما قال تعالى في حق من لم ينقد للحج: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1] ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[2].

فهذه نصوص صريحة من كتاب الله في بيان كفر من أقر بشيء من الدين وجحد شيئاً أو صرف شيئاً من العبادة لله وشيئاً آخر لغيره، فلا ينفعه حينئذ ما أقربه من الدين، أو ما صرفه لله تعالى من العبادة، وإذ كان الله تعالى قد قال ﴿**أولئك هم الكافرون حقاً**﴾ فقد زالت بذلك شبهة هؤلاء المشركين التي سبق ذكرها وبهذا ينحل، الإشكال، وهذه الشبهة ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه إلى الشيخ رحمه الله تعالى.

(١) سورة آل عمران الآية (٩٧).
(٢) سورة النساء الآيتان (١٥٠: ١٥١).

. . . ويقال - أيضاً -: إذا كنت تقرّ أن من صدّق الرسول في كل شيء، وجحد وجوب الصلاة فهو كافر حلال الدم والمال بالإجماع.

وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث.

وكذلك إذا جحد وجوب صوم رمضان وصدّق بذلك كله.

ولا تختلف المذاهب فيه، وقد نطق به القرآن - كما قدمنا -.

فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء به النبي ﷺ، وهو أعظم من الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، فكيف إذا جحد الإنسان شيئاً من هذه الأمور كفر؟ ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر؟! سبحان الله! ما أعجب هذا الجهل.

اللغة: .....

الشرح: ويقال كذلك لهؤلاء المشركين: من العجيب أنكم تقرون بأن من صدق الرسول في كل شيء ثم جحد الصلاة أنه كافر، حلال الدم والمال بالإجماع، وذلك لو أقر بكل شيء إلا البعث فإنه يكفر، وكذلك لو أقر بكل شيء إلا صيام رمضان فالقرآن قد نطق بهذا، والمذاهب اتفقت عليه، وأنتم تقرون به، ومن الغريب أنكم لاتكفرون من أشرك مع الله في العبادة، ونقص التوحيد الواجب عليه، لاتكفرونه بسبب إقراره بالأمور التي جاء بها الرسول ﷺ من الأحكام وغيرها، وتتحرجون من القول بكفره، فكيف يستقيم هذا مع ما قدمناه من تكفيركم للأول، مع العلم بأن التوحيد هو دين الرسل جميعاً، وهو أعظم ما أرسل به النبي ﷺ، وهو أعظم ما افترض الله تعالى على عباده؟ إن تناقضكم هذا من أعجب العجب.

. . . ويقال - أيضاً -: هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ، قاتلوا بني حنيفة، وقد أسلموا مع النبي ﷺ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويصلون، ويؤذّنون.

فإن قال: إنهم يقولون: إن مسيلمة نبي.

قلنا: هذا هو المطلوب.

إذا كان من رفع رجلًا إلى رتبة النبي ﷺ كفر، وحل ماله ودمه، ولم تنفعه الشهادتان، ولا الصلاة، فكيف بمن رفع (شمسان)، أو (يوسف)، أو صحابياً، أو نبياً في مرتبة جبار السموات والأرض؟.

سبحان الله! ما أعظم شلنه. ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الروم، الآية: ٥٩]. . .

اللغة: (مرتبة) منزلة. (يطبع) يختم.

الشرح: أي ومما يقال أيضاً لهؤلاء المشركين في نقض حجتهم وإبطال شبهتهم إن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة واستحلوا دماءهم وأموالهم. مع أنهم أسلموا مع النبي ﷺ، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وكانوا يصلون، ويؤذنون.

فإن أجاب هؤلاء المشركون بأن بني حنيفة قالوا: إن مسيلمة نبي.

قيل لهم: صدقتم! وهذا هو المطلوب، فإذا كان من رفع رجلًا إلى مرتبة النبي ﷺ وأشركه معه في النبوة كفر وحل ما له ودمه ولم ينفعه الصلاة ولا الصيام، ولا الإقرار بالشهادتين.

فكيف بمن رفع رجلًا إلى مرتبة الجبار الخالق سبحانه وتعالى، سواء كان يوسف أو شمسان، ممن عبدهم المشركون في زمان الشيخ رحمه الله أو حتى كان صحابياً أو نبياً؟ إن من جادل في هذا فهو ممن طبع الله تعالى على قلبه، ولاشك أنه من الذين لايعلمون.

. . . ويقال - أيضاً -: الذين حرّقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار، كلهم يدّعون الإسلام، وهم من أصحاب علي رضي الله عنه، وتعلموا العلم من الصحابة، ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في (يوسف) و(شمسان) وأمثالهما، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟!

أتظنون أن الصحابة يُكفِّرون المسلمين؟

أتظنون أن الاعتقاد في (تاج) وأمثاله لا يضر، والاعتقاد في علي بن أبي طالب كفر؟

ويقال - أيضاً -: بنو عبيد القدّاح - الذين ملكوا المغرب ومصر، في زمن بني العباس - كلهم يشهدون أن (لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)، ويدّعون الإسلام، ويصلون الجمعة والجماعة، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه؛ أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين.

اللغة: (يدَّعون) يزعمون.

الشرح: أي ومما يجاب به على هؤلاء المشركين فعل علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمن غلوا فيه ورفعوه إلى مرتبة الألوهية، حيث أحرقهم بالنار، رغم أنهم ادعوا الإسلام، وتعلموا من الصحابة، واتفق الصحابة على وجوب قتلهم، فهل يمكن أن يكون الصحابة قد كفروا المسلمين واستحلوا دماءهم؟ وكيف يكون من أعتقد في علي بن أبي طالب رضي الله عنه كافراً، ولايكفر من اعتقد فيمن دون علي كيوسف وشمسان وتاج، وغيرهم؟ هذا من أعجب العجب.

ويجاب عليهم أيضاً بأنه بني عبيد القداح الذين ظهروا في أيام بني العباس وملكوا مصر والمغرب وغيرها، كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله

وأن محمداً رسول الله، وادّعوا الإسلام، وصلوا الجمعة والجماعة، لكن لما ظهر منهم مخالفات للشريعة أقل مما يفعله مشركو زماننا، اتفق العلماء على كفرهم ووجوب قتالهم، وقاتلهم المسلمون فعلا حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلاد المسلمين.

. . . ويقال - أيضاً -: إذا كان الأولون لم يكفروا إلا لأنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول ﷺ والقرآن، وإنكار البعث، وغير ذلك. .

فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب: «باب حكم المرتد»؟ وهو: المسلم الذي يكفر بعد إسلامه.

ثم ذكروا أنواعاً كثيرة، كل نوع منها يُكفِّر، ويحل دم الرجل وماله، حتى أنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها مثل: كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب.

اللغة: (يسيرة) بسيطة.

الشرح: أي ويقال أيضاً لهؤلاء المشركين: أنتم تزعمون أن المشركين الأوائل لم يكفروا إلا لأنهم جمعوا أموراً هي الشرك وتكذيب الرسول ﷺ وإنكار البعث وغير ذلك، وهذا بزعمكم، مع أنا نقول إن المخالفة في أي من هذه المسائل تكفي للحكم بالكفر ولو لم يوجد غيرها.

لكن نسألكم: ما معنى الباب الذي يذكر في كتب الأحكام، وفي كل مذهب، وهو (باب حكم المرتد) والمرتد هو الذي يكفر بعد أن كان مسلماً، ويذكر العلماء في هذا الباب أشياء كثيرة من الأمور التي يكفر بها المسلم، بل إن مما ذكروه أشياء يسيرة، وألفاظ قد يقولها باللسان دون القلب، أو يقولها على سبيل المزح واللعب، كما قال بعض العلماء في تكفير من قال: شبعت من القرآن أو كرهت أن أقرأه، ومن قال: اطبخ القدر بـ (قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ)[1] وقصده الاستخفاف ومن قال عند اجتماع الناس عنده (فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا)[2].

وغير ذلك من الألفاظ التي كفَّر بها بعض العلماء حتى ولو كانت على سبيل الهزل لا الجد[3].

---

(١) سورة الإخلاص. (٢) سورة الكهف: الآية (٩٩). (٣) انظر كتاب (ألفاظ الكفر) لبدر الرشيد.

. . . ويقال - أيضاً -: الذين قال الله فيهم: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٧٤].

أما سمعت أن الله كفّرهم بكلمة، مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ، يجاهدون معه، ويصلون معه، ويزكون، ويحجون، ويوحدون؟.

كذلك الذين قال الله فيهم: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [سورة التوبة، الآيتان: ٦٥ - ٦٦].

فهؤلاء الذين صرح الله أنهم كفروا بعد إيمانهم، وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح.

فتأمل هذه الشبهة، وهي قولهم: تكفّرون من المسلمين أناساً يشهدون أن (لا إله إلا الله)، ويصلون، ويصومون.

ثم تأمل جوابها؛ فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق.

اللغة: .....

الشرح: ومما يقال لهم أيضاً: إن الله تعالى كفَّر أناساً في زمان النبي ﷺ بكلمة قالوها مع أنهم كانوا يصلون مع النبي ﷺ ويزكون ويحجون، بل ويوحدون، ومع ذلك كفرهم الله تعالى فقال: « يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ »[1].

وكذلك الذين كانوا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ثم قالوا كلمة على وجه المزح - كما زعموا - فيها استهزاء بالرسول ﷺ، قال الله تعالى فيهم: « قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ

(١) سورة التوبة الآية (٧٤).

إِيمَـٰنِكُمْ »[1]، فانظر كيف كفرهم الله بالكلمة رغم ما سبق من توحيدهم وصلاتهم وجهادهم.

فإذا تأملت شبهة هؤلاء المشركين وهي تعجبهم تكفير مسلمين يوحدون ويصلون ويزكون ـ كما زعموا ـ وتأملت ما أجبنا به عليهم نفعك الله به، فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق بفضل الله تعالى.

الخلاصة:

١ - من آمن بشيء من الدين وكفر بشيء فهو كافر.

٢ - النبي ﷺ كفّر أصناما من الناس بهذا وكذلك أصحابه من بعده، وقاتلوهم.

٣ - يكفر المرء بنطق كلمة الكفر مازحاً.

المناقشة:

س١: ما حكم من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض؟

س٢: هات صوراً توضح كفر هذا الصنف من الناس؟

س٣: ما حكم من نطق بكلمة الكفر مازحا؟ اذكر الدليل؟

(١) سورة التوبة الآيتان (٦٥: ٦٦).

المبحث الحادي عشر
(شبهات والرد عليها)

ومن الدليل على ذلك - أيضاً -: ما حكى الله عن بني إسرائيل، مع إسلامهم، وعلمهم، وصلاحهم؛ أنهم قالوا لموسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٣٨].

وقول أناسٍ من الصحابة: اجعل لنا ذات أنواط. فحلف رسول الله ﷺ أن هذا مثل قول بني إسرائيل لموسى: ﴿اجعل لنا إلهاً﴾.

ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة، وهي أنهم يقولون: إن بني إسرائيل لم يكفروا بذلك، وكذلك الذين قالوا للنبي ﷺ: «اجعل لنا ذات أنواط» لم يكفروا.

فالجواب أن تقول: إن بني إسرائيل لم يفعلوا، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا.

ولا خلاف في أن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك، ولو فعلوا ذلك لكفروا.

وكذلك لا خلاف أن الذين نهاهم النبي ﷺ، لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا. وهذا هو المطلوب.

ولكن هذه القصة تفيد: أن المسلم - بل العالم - قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها، فتفيد التعلم والتحرز، ومعرفة أن قول الجاهل: «التوحيد فهمناه»، إن هذا من أكبر الجهل، ومكائد الشيطان.

اللغة: (يدلون) يلقون (التحرز) الحذر والاحتياط.

الشرح: ومن الدليل على ما سبق من أن الذي يؤمن ببعضه ويكفر ببعضه أنه يكفر ما وقع لبني إسرائيل مع موسى عليه السلام لما قالوا له

﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾[١] وقول بعض الصحابة للنبي ﷺ (اجعل لنا ذات أنواط)[٢] فحلف لهم النبي ﷺ أن هذا مثل قول بني إسرائيل السابق، وقد يقول بعض هؤلاء المشركين عند سماع هذه القصة إن كلا الفريقين لم يكفر بمقالته هذه. لكن يجاب عليهم بأنهم لم يفعلوا ما نهوا عنه ولا خلاف في أن بني إسرائيل لو فعلوا ما نهوا عنه لكفروا، ولا خلاف في أن الصحابة لو لم يطيعوا النبي ﷺ لكفروا بذلك، وهذا هو المطلوب إثباته من هذه القصة ومن أعظم ما يستفاد من هذه القصة أن المسلم، بل والعالم قد يقع في أنواع من الشرك من غير أن يدري، لذلك ينبغي الحذر والتحرز منها، ويجب تعلمها حتى لا يقع فيها، ومن هنا أيضا يتبين أن قول الشخص الجاهل (التوحيد فهمناه) يدل على جهله وقلة علمه بمكايد الشيطان، إذ كان أصحاب النبي ﷺ كادوا يقعون في الشرك وهم لا يدرون، فلهذا كان ذلك القول وصاحبه حيلة شيطان ليوقعهم الشيطان في حبائل الشرك وهم لا يدرون، فيضلون وهم يحسبون أنهم مهتدون.

(١) سورة الأعراف الآية (١٣٨).

(٢) الترمذي (٢١٨٠) وقال حسن صحيح، وأحمد (٥/٢١٨) وغيرهما من حديث أبي واقد الليثي وهو حديث صحيح.

وتفيد - أيضاً -: أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري، فنبه على ذلك، وتاب من ساعته؛ أنه لا يكفر، كما فعل بنو إسرائيل، والذين سألوا النبي ﷺ.

وتفيد - أيضاً -: أنه لو لم يكفر فإن يغلظ عليه في الكلام تغليظاً شديداً، كما فعل رسول الله ﷺ.

. . . ولهم شبهة أخرى، يقولون: إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال: (لا إله إلا الله)، وقال: «أقتلته بعد أن قال: لا إله إلا الله؟»، وكذلك قوله: «أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله». وأحاديث أخرى في الكف عمن قالها.

ومراد هؤلاء الجهلة: أن من قالها لا يكفر، ولا يُقتل، ولو فعل ما فعل.

فيقال لهؤلاء المشركين الجهال: معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود، وسباهم، وهم يقولون: (لا إله إلا الله).

وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة، وهم يشهدون أن (لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) ويصلون، ويدّعون الإسلام.

اللغة: (يغلظ) يشدد.

الشرح: ومن أعظم ما يستفاد من هذه القصة كذلك أن المسلم إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري، ولا يعلم أنه كفر، بل هو جاهل بكونه كفراً ثم أتاه من ينبهه ويعلمه ويحذره، فرجع من ساعته وتاب، أنه لا يكفر بذلك، فإن بني إسرائيل لم يحكم بكفرهم حين قالوا ما قالوا، وأصحاب النبي ﷺ لم يكفروا حين قالوا ما قالوا، ولو كُفِّروا لورد ذلك صراحة ومما يستفاد أيضاً

أنه إذا لم يكفر المسلم بذلك فإنه يغلظ له الكلام ويشدد عليه النكير، كما قال موسى (إنكم قوم تجهلون) وكما قال النبي ﷺ الله أكبر! إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قال أصحاب موسى لموسى..»[١] ومن شبهات المشركين أيضاً أنهم يقولون إن النبي ﷺ أنكر على أسامة بن زيد قتله للرجل بعد أن قال لا إله إلا الله»[٢]. وكذلك قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»[٣] ومرادهم بذلك أن من أقربها لا يكفر ولا يقتل وإن فعل ما فعل[٤]، لكن يرد عليهم بأن النبي ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهم يقرون بها، وإن كانوا لم يقروا بالرسالة، وكذلك الصحابة قاتلوا بني حنيفة واستحلوهم وهم يشهدون بها ويصلون ويدعون الإسلام.

(١) سبق تخريجه

(٢) البخاري (٤٢٦٩) ومسلم (٩٦).

(٣) البخاري (١٣٩٩) ومسلم (٢٠: ٢١).

(٤) أقول: هذه من أعظم شبهة القبورية لتبرير شركهم بحجة أنهم يقولون كلمة التوحيد. انظر التوسل بالنبي ﷺ لابن مرزوق ٣٦-٣٧ وبراءة الأشعريين له ١٠٥-١٠٦ وكتاب البراهين للقضاعي.

وكذلك الذين حرّقهم علي بن أبي طالب.

. . . وهؤلاء الجهلة مقرون: أن من أنكر البعث كفر وقُتل، ولو قال: (لا إاله إلا الله).

وأن من جحد شيئاً من أركان الإسلام كفر وقُتل،ولو قال: (لا إله إلا الله).

وأن من جحد شيئاً من أركان الإسلام كفر وقُتل ولو قالها.

فكيف لا تنفعه إذا جحد شيئاً من الفروع، وتنفعه إذا جحد التوحيد، الذي هو أصل دين الإسلام ورأسه؟!.

ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث.

فأما حديث أسامة: فإنه قتل رجلًا ادّعى الإسلام، بسبب أنه ظن أنه ما ادّعاه إلا خوفاً على دمه وماله، والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكفُّ عنه، حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، وأنزل الله - تعالى في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [سورة النساء، الآية: ٩٤] أي: فتثبتوا.

فالآية تدل على أنه يجب الكفُّ عنه والتثبت، فإن تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قُتل، لقوله - تعالى -: ﴿فتبينوا﴾، ولو كان لا يُقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى.

اللغة: (مقرون) معترفون (يتبين) يظهر (تبينوا) تثبتوا وتأكدوا.

الشرح: وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ممن قالوا بتأليهه، رغم نطقهم بالشهادتين، وهؤلاء الجهال معترفون بأن من أنكر البعث كفر وقتل حتى ولو كان يقول لا إله إلا الله، وأن من جحد شيئاً من الفروع أو الأحكام مع نطقه بالشهادتين ولا يحكمون عليه بالمثل إذا جحد التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه. غير أن هؤلاء المشركين لم يفهموا معنى الأحاديث التي استدلوا بها.

أما حديث أسامة، فإنه قتل الرجل بعد نطقه بالشهادتين ظناً منه أنه قالها تعوذاً من القتل فقط، بينما كان الواجب عليه أن يتريث حتى يتثبت من الأمر وحقيقته، وحتى يظهر منه ما يوافق ذلك أو يخالفه، ولهذا أنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾[1] أي تثبتوا وتأكدوا، فأوجبت الآية الكف عمن قالها والتثبت من أمره فإن بدا منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام، وينقض هذه الشهادة قتل ولو كان المقصود أنه لا يقتل ما دام قد نطق بالشهادة مهما فعل، لم يكن هناك معنى مقصود من قوله تعالى: «فتبينوا».

(١) سورة النساء الآية (٩٤).

. . . وكذلك الحديث الآخر وأمثاله، معناه ما ذكرناه، وأن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكفُّ عنه، إلا إن تبين منه ما يناقض ذلك.

والدليل على هذا: أن رسول الله ﷺ الذي قال: «اقتلته بعد أن قال: لا إله إلا الله؟»، قال: «أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله» هو الذي قال في الخوارج: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»، مع كونهم من أكثر الناس عبادة، وتهليلاً، حتى أن الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم، وهم تعلموا العلم من الصحابة، فلم تنفعهم (لا إله إلا الله)، ولا كثرة العبادة، ولا ادعاء الإسلام؛ لما ظهر منهم مخالفة للشريعة.

وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود، وقتال الصحابة بني حنيفة.

وكذلك أراد النبي ﷺ أن يغزو بني المصطلق، لما أخبره رجل أنهم منعوا الزكاة، حتى أنزل الله - تعالى -: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ٦].

وكان الرجل كاذباً عليهم.

فكل هذا يدل على أن مراد النبي ﷺ في الأحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه.

اللغة: (يناقض) ينافي ويخالف (يحقرون) يستصغرون.

الشرح: ومما يوضح ذلك أيضاً الحديث الآخر الذي احتجوا به، وهو حديث: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»[1] فإنهم إن قالوا وجب الكف عنهم حتى يتبين أمرهم ويظهر منهم ما يخالف هذه الشهادة، كما قاتل الصحابة المرتدين وما نعى الزكاة والنبي ﷺ الذي قال هذا الكلام، هو نفسه ﷺ الذي أمر بقتل الخوارج فقال: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم لئن أدركتهم

---

(١) البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢).

لأقتلنهم قتل عادٍ»[١] هذا مع العلم أن الخوارج كانوا من أكثر الناس عبادة وصلاة وذكراً وتهليلاً، لدرجة أن الصحابة كانوا يحقرون صلاتهم إلى جانب صلاة الخوارج، وعبادتهم مقارنة بعبادتهم وهؤلاء الخوارج تعلموا العلم من الصحابة، لكن رغم ذلك لم ينفعهم هذا، ولم تفهم العبادة العظيمة، ولا النطق بالشهادة، ولا ادعاء الإسلام حين ظهر منهم مخالفته بل إن النبي ﷺ هم أن يغزو بني المصطلق ويقاتلهم لما بلغه عن رجل أنهم منعوا الزكاة، وكان الرجل كاذباً عليهم، فنزل قول الله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾[٢] والمقصود من الاستدلال أن النبي ﷺ كاد يقاتلهم حين بلغت عنهم ما بلغه، ولم يبال بكونهم يدعون الإسلام، أو يصلون، أو يؤذنون، أو يصومون، أو غير ذلك وكل هذا يدل على أن المقصود من هذه الأحاديث التي احتجوا بها ليس ما فهموه بل ما ذكره الشيخ المصنف رحمه الله تعالى.

الخلاصة:

١ - إذا أظهر المرء الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين حاله.

٢ - من قال كلمة كفر جاهلاً بها عُرِّفَ وعُلِّم فإن أصر كفر.

٣ - الحق قد يخفى على أفاضل الناس أحياناً.

٤ - يجب التثبيت من الأخبار التي يسمعها الإنسان.

٥ - كل شبهات المشركين يوجد الرد عليها فيها نفسها.

المناقشة:

س١: ما الواجب علينا تجاه من أظهر الإسلام؟

س٢: ما حكم من أتى بكلمة كفر جاهلاً؟

س٣: هل يجوز تصديق الأخبار ونقلها دون تثبت؟

---

(١) البخاري (٦٩٣٠) ومسلم (١٠٦٤، ١٠٦٦).

(٢) سورة الحجرات الآية (٦).

المبحث الثاني عشر
(حول معنى الاستغاثة)

ولهم شبهة أخرى، وهي: ما ذكر النبي ﷺ: «أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم، ثم بنوح، ثم بإبراهيم، ثم بموسى، ثم بعيسى»، فكلهم يعتذرون حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ.

قالوا: فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً[1].

فالجواب أن نقول: سبحان من طبع على قلوب أعدائه؛ فإن الاستغاثة بالمخلوق على ما يقدر عليه لا ننكرها، كما قال - تعالى - في قصة موسى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [سورة القصص، الآية: ١٥].

وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب وغيرها من الأشياء التي يقدر عليها المخلوق.

ونحن أنكرنا استغاثة العبادة، التي يفعلونها عند قبور الأولياء، أو في غيبتهم، في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله.

اللغة: (يستغيثون) الاستغاثة هي طلب الغوث والنجدة (شيعته) طائفته وقومه.

الشرح: ومن شبهات أهل الشرك القبورية والتي يحاولون الاستدلال

---

(١) قلت: لقد تشبثت القبورية بتلك النصوص الشرعية التي تدل على جواز استغاثة الإنسان بغير الله من حي حاضر فيما يقدر عليه. فذكروا تلك النصوص الشرعية ليجوزوا بها على الإستغاثة بالأموات عند الكربات فحرفوا مضمون هذه النصوص ووضعوها في غير موضعها.
انظر: صلح الأخوان لابن جرجيس (٤٤، ٥١). وشواهد الحق للنبهاني (١٢٧ - ١٢٨ - ١٦٨ - ١٦٩) والبراهين للقضاعي (٤١٧) ومقالات الكوثري (٣٩٥) والمفاهيم للمالكي (٨٦).

بها على باطلهم، ما ورد عن النبي ﷺ من استغاثة الناس يوم القيامة بآدم ثم نوح ثم موسى ثم عيسى وكلهم يعتذرون حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ فيشفع لهم فاستدلوا بذلك - من جهلهم - على جواز الاستغاثة بغير الله تعالى وأنها ليست شركا بالله.

وجوابهم أن يقال: سبحان الذي ختم على قلوب أعدائه فهم لا يعلمون، فإن الاستغاثة بالمخلوق في شيء يقدر عليه، لا ينكرها أحد، كما قال تعالى عن موسى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾[1]، فإن الإنسان يستغيث بغيره لينقذه من الغرق أو يساعده في إطفاء حريق، أو يعينه في الحرب، أو غير ذلك، وهذا لا ينكر، وإنما الذي ننكره على هؤلاء ما يفعلونه عند القبور، واستغاثتهم بالموتى والغائبة. واستغاثتهم بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله، فإن ذلك شرك لا شك فيه كالذي يستغيث بغير الله لأجل أن تحمل امرأته، أو ليشفى من مرضه، وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، ولهذا فإن الاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة حتى يشفعوا عند الله تعالى لكي يحاسب الناس، إنما هي استغاثة بمخلوق في شيء يقدر عليه، وهذا جائز أن يأتي الإنسان لرجل صالح حي وحاضر فتقول له: ادع الله لي رجاء أن يستجيب الله تعالى له، فهذا جائز، وقد فعله أصحاب رسول الله ﷺ فسألوه أن يدعوا لله لهم، لكنهم لم يفعلوا ذلك بعد موته، ولا جاءوا عند قبره فسألوه بل ثبت عنهم إنكارهم على من فعل ذلك، أو أتى قبره ﷺ للدعاء عنده فكيف بمن أتاه لطلب الغوث منه نفسه ﷺ، وليس لمجرد الدعاء عنده لا شك.

(١) سورة القصص: الآية (١٥).

. . . ولهم شبهة أخرى، وهي: قصة إبراهيم - عليه السلام - لما أُلقي في النار - اعترض له جبريل في الهواء، فقال: ألك حاجة؟. فقال إبراهيم - عليه السلام -: أما إليك فلا.

فقالوا: فلو كانت الاستغاثة شركاً لم يعرضها على إبراهيم.

فالجواب: أن هذا من جنس الشبهة الأولى، فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه، فإنه كما قال الله - تعالى - فيه: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [سورة النجم، الآية: ٥].

فلو أذن الله له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها من الأرض، والجبال، ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل.

ولو أمره أن يضع إبراهيم - عليه السلام - في مكان بعيد عنهم لفعل. ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل.

وهذا كرجل غني، له مال كثير، يرى رجلاً محتاجاً، فيعيض عليه أن يقرضه، أو أن يهب له شيئاً يقضي به حاجته؛ فيأبى ذلك المحتاج أن يأخذ، ويصبر، إلى أن يأتيه الله برزق لا مِنّة فيه لأحد.

فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون؟

اللغة: (منة) نعمة ومعروف وفضل.

الشرح: ومن شُبَه المشركين هؤلاء ما يروى من قصة إبراهيم عليه السلام مع جبريل لما ألقي في النار، فظهر له جبريل عليه السلام، وسأله: هل لك من حاجة فقال له إبراهيم أما إليك فلا»[1] ووجه استدلالهم هو أن الاستغاثة بغير الله لو كانت محرمة ما عرضها جبريل عليه السلام على النبي إبراهيم ﷺ، وهذا استدلال باطل لسببين:

---

(١) هذه القصة لا تثبت، انظر السلسلة الضعيفة برقم (٢١) وقال الألباني (لا أصل له).

الأول: أن القصة لم تصح أصلاً فلا مجال للاستدلال بها، إذ إن الاستنباط فرع التصحيح.

الثاني: أنه مع فرض صحتها فإن جبريل عرض على إبراهيم عليه السلام أن ينفعه بشيء في طاقته، بل هو قادر بإذن الله بما أعطاه الله من قوة كما قال تعالى في حقه: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾[1]، قادر بإذن الله على أن يطفىء هذه النار، أو يخرج إبراهيم عليه السلام منها، والأمر تماما كرجل غني يرى رجلاً فقيراً محتاجاً فيعرض عليه شيئاً في استطاعته كأن يقرضه أو نحو ذلك، أو يهب له، فيرفض الفقير ويصبر حتى يرزق الله من غير منةٍ عليه لأحد، فلا تشابه بين ذلك وبين استغاثة العبادة والشرك لمن كان يفقه حقائق الأمور.

الخلاصة:

١ - احتجاج المشركين بقصة إبراهيم عليه السلام لا يصح لأنها لا تثبت وليس فيها دليل على ما ذهبوا إليه.

٢ - يجوز الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه.

المناقشة:

س١: ما رأيك في احتجاج المشركين بقصة إبراهيم وجبريل عليهما السلام؟

س٢: ما حكم الاستغاثة بغير الله؟

---

(١) سورة النجم (٥).

الخاتمة

ولنختم الكلام - إن شاء الله تعالى - بمسألة عظيمة، مهمة جداً، تفهم مما تقدم، ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها، ولكثرة الغلط فيها، فنقول: لا خلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً.

فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند، كفرعون، وإبليس وأمثالهما.

وهذا يغلط فيه كثير من الناس، يقولون: هذا حق، ونحن نفهم هذا، ونشهد أنه الحق، ولكن لا نقدر أن نفعله، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم. وغير ذلك من الأعذار.

ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق، ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار، كما قال تعالى -: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [سورة التوبة، الآية: ٩].

وغير ذلك من الآيات، كقوله ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٤٦].

فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً، وهو لا يفهمه، ولا يعتقده بقلبه؛ فهو منافق، وهو شر من الكافر الخالص: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [سورة النساء، الآية: ١٤٥]...

اللغة: (غالب) أكثر.

الشرح: وفي آخر الكلام حول هذا الموضوع أراد الشيخ أن يختم بمسألة مهمة يكثر الغلط حولها، فيبين أنه ليس هناك خلاف في أن التوحيد يلزم أن يكون بالقلب، واللسان، والعمل، فإذا أشرك بقلبه، أو

بلسانه، أو بعمله ارتفع عنه صفة الإسلام، فمن عرف التوحيد بقلبه ولم يعمل به كَفَرَ كُفْرَ العناد كإبليس وفرعون وغيرهما، وهذا يخطىء فيه الكثيرون، فيقرون بحقيقته، لكن يعتذرون عن العمل به، موافقة لأهل بلدهم، أو غير ذلك من الأعذار، وغاب عنهم أن أئمة الكفر يعرفون ذلك غالباً، لكنهم اعتذروا عن التوحيد لأعذار، كرغبتهم في حيازة المال وغيره، ومما يدل على معرفتهم قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾[1].

وكذلك من عمل بالتوحيد فيما يظهر من غير أن يعتقده بقلبه فهو منافق نفاقاً اعتقادياً وهو شر من الكافر ظاهراً وباطنا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[2].

(١) سورة البقرة، الآية: (١٤٦).
(٢) سورة النساء، الآية: (١٤٥).

. . . وهذه المسألة مسألة كبيرة طويلة، تتبين لك إذا تأملتها في ألسنة الناس؛ ترى من يعرف الحق ويترك العمل به، لخوف نقص دنيا، أو جاه، أو مداراة، وترى من يعمل به ظاهراً لا باطناً، فإذا سألته عما يعتقد بقلبه فإذا هو لا يعرفه، ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله:

أولهما: ما تقدم من قوله: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٦٦].

فإذا تحققت أن بعض الصحابة، الذين غزوا الروم مع الرسول ﷺ، كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه اللعب والمزح، تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر، أو يعمل به خوفاً من نقص مالٍ، أو جاهٍ، أو مداراةِ لأحدٍ؛ أعظم ممن يتكلم بكلمةٍ يمزح بها.

اللغة: (مداراة) أصلها اتقاء شر من تداريه.

الشرح: وهذه مسألة كبيرة طويلة، تتبين وتتضح لمن تأملها في ألسنة الناس، فإن كثيراً منهم يعرف الحق ولا يعمل به، بسبب الخوف على دنياه أن ينقص منها شيء، أو الرغبة في تحصيل جاه، أو مداراة من يخاف شره وهناك من يعمل بالحق ظاهرا لا باطنا، وإذا سئل عما يعتقده بقلبه إذا هو لا يعرفه، ولا يفهمه.

والذي يعين على ذلك فهم آيتين من القرآن، الأولى، ما تقدم من ذكر قوله تعالى: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ﴾.

فإذا وضح أن بعض المسلمين الذين غزوا مع رسول الله ﷺ كفروا، وخرجوا من الإسلام بسبب كلمة قالوها مزاحا لا أكثر، تبين جلياً أن الذي يتكلم بالكفر، أو يعمل به، *خوفاً على دنياه أن تنقص، أو رغبة في* الجاه والمنزلة ونحو ذلك، كل هؤلاء أعظم كفراً ممن تكلم بالكفر بمجرد كلمة لا يقصد بها إلا المزح، وهذا واضح جلي.

. . . والآية الثانية: قوله - تعالى -: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ [سورة النحل، الآيتان: ١٠٦ - ١٠٧].

فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أُكره مع كون قلبه مطمئن بالإيمان.

وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه، سواء فعله خوفاً، أو مداراةً، أو مشحةً بوطنه، أو أهله، أو عشيرته، أو ماله، أو فعل على وجه المزح، أو لغير ذلك من الأغراض، إلا المُكره.

والآية تدل على هذا من جهتين:

الأول: قوله: ﴿إلا من أُكره﴾ فلم يستثن الله - تعالى - إلا المُكره. ومعلوم أن الإنسان لا يكره إلا على العمل أو الكلام، وأما عقيدة القلب فلا يُكره أحد عليها.

والثاني: قوله - تعالى -: ﴿ذلك بلنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة﴾ فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد، أو الجهل، أو البغض للدين، أو محبة الكفر، وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا، فآثره على الدين.

والله - سبحانه وتعالى - أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

اللغة: (أكره) أجبر وأرغم (مشحة) بخلا (آثره) فضله وقدمه.

الشرح: والآية الثانية التي توضح هذه المسألة قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ فإن الله تعالى لم يستثن أحداً من حكم

التكفير إذا أظهر الكفر إلا المكره، الذي يجبر على إظهار القول بالكفر، أو العمل مع بقاء إيمانه في القلب، إذ إن الاعتقاد لا يمكن أن يدخل عليه الإكراه وإنما يكون الإكراه في القول والعمل، وأما المازح، والحريص على دنياه، وغيرها فهؤلاء يكفرون بفعلهم وقولهم.

ودلالة الآية على ذلك من وجهين: **الأول**: أن الله لم يستثن إلا المكره، فقال من أكره، وكما سبق فالإكراه في القول والعمل لا في الاعتقاد.

الثاني: أن الله قال في حق الذين حكم بكفرهم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[1] فدل على أن من أظهر القول أو العمل بالكفر لأجل تحصيل غرض دنيوي أنه يكفر بذلك.

فالآية واضحة الدلالة لما ذكر، والله أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

(١) سورة النحل الآية (١٠٧).

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

الفصل الأول:

عقيدة الإمام أحمد من خلال كتبه وأقواله ٨

عقيدة الإمام أحمد في التوحيد ٩

عقيدته في القدر ١١

عقيدته في الإيمان ١٣

عقيدته في الصحابة ١٥

نهيه عن الإبتعاد والخصومات في الدين ١٧

نهيه عن الشرك ووسائله ١٩

أولا: وسائل الشرك **١٩**

ثانيا: نماذج من الشرك التي حذر منها الإمام أحمد وأتباعه **٢٢**

الفصل الثاني:

شرح القواعد الأربع لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب .. ٣١

أصل الحنفية ملة إبراهيم عليه السلام ٣٥

القاعدة الأولى ٣٨

القاعدة الثانية ٤٠

القاعدة الثالثة ٤٣

القاعدة الرابعة ٤٧

تابع فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

الفصل الثالث:

شرح رسالة معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه
لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ٤٩
أول واجب على الإنسان ٥١
معنى الكفر بالطاغوت والإيمان بالله ٥٣
معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه ٥٧
الكفر بالطاغوت شرط لصحة الإيمان ٦٢

الفصل الرابع:

تفسير كلمة التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب .. ٦٥
معنى كلمة التوحيد ومنزلتها ٦٨
معنى الألوهية الثابتة لله وحده ٧٢
شبهة للمشركين وردها ٧٨

الفصل الخامس:

كشف الشبهات للإمام محمد بن عبدالوهاب ٨٥
معنى التوحيد وخطأ المشركين في فهمه ٨٧
حقيقة التوحيد الذي دعت إليه الرسل ٩٣
وجوب الحذر من الكفر وأهله ٩٩
وجوب تعلم ما يدفع شبه المشركين ١٠٤

تابع فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

الجواب المجمل على أهل الباطل ١٠٨
الرد المفصل على شبهات المشركين ١١٣
الشفاعة ١٢٥
معنى الشرك والعبادة ١٢٩
الفرق بين شرك الأولين والمتأخرين ١٣٤
حكم من آمن ببعض وكفر ببعض ١٣٨
شبهات والرد عليها ١٤٧
معنى الاستغاثة ١٥٥
الخاتمة ١٥٩